

أبو علي سكويه الرازي

تجارب الأمم

تحققه و قدم له

الدكتور أبو القاسم

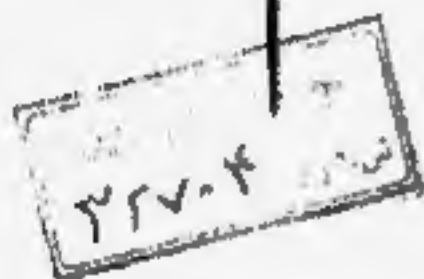
أبو بكر المصنف

دار نشر الطباعة والنشر
طهران ۱۳۰۰ شمسی

أبو علي سكويه الرازي

(٤٢١-٣٦٠ هـ)

تجارب الامم



حقه وقدم له

الدكتور أبو القاسم امامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

البحر الزايع

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شماره ثبت: ٠٠٣٥٧٢

تاریخ ثبت:

دارسروش للطباعة والنشر

طهران ۱۳۷۶ ش ۱۲۹۷ م



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
والحمد لله وأهبط العقل

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
وفيهما قوى رافع بن الليث واشتدت شوكته

وقد ذكرنا قبل هلاك^(١) ابن علي بن عيسى : ولما قُتل ابنه، خرج من بلخ حتى أتى مرو، مخافة أن يصير إليها رافع بن الليث فيستولي عليها. وكان ابنه عيسى دفن في بستان داره ببلخ مالا عظيماً قيل : إنه كان ثلاثين ألف ألف درهم، ولم يعلم بها علي بن عيسى ولا أطلع على ذلك إلا جارية كانت له. فلما شخص علي عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم، وتحدثت به الناس، فاجتمع قراء أهل بلخ ووجوهها فدخلوا البستان وانتهبوه وأباحوه للعامة^(٢) وبلغ الرشيد الخبر فقال :

- «خرج علي عن بلخ عن غير أمرى وخلف مثل هذا المال وهو يزعم أنه قد أفضى إلى حلى نساء فيما أنفق على محاربة رافع.»
فمزله عند ذلك وولى هرثمة بن أعين واستصفى أموال علي بن عيسى، فبلغت ثمانين ألف ألف. ووردت خزائنه [2] التي أخذت على الرشيد، فكانت على ألف وخمسمائة بعير.

١. انظر الطبري (١١ : ٧١٣).

٢. في الأصل رأ : العامة. في مط : وأباحوا العامة. وفي الطبري (١١ : ٧١٣) : للعامة.

وكان عليّ بن عيسى قد أذلّ جبابرة أهل خراسان وأشرافهم، حتّى خرج منهم مثل الحسن بن مصعب إلى مكّة واستجار بالرشيد من عليّ بن عيسى فأجاره، وأظهر مثل هذا هشام بن فرخسروا،^(١) أنّ الفالاج قد أصابه حتّى أمكنه لزوم منزله. وكانت كتب حمويه وردت على هارون: أنّ رافعاً لم يخلع ولا نزع السواد ولا من شايعه، وأنّ غائبهم عزل عليّ بن عيسى الذي ساءهم المكروه.

ولمّا عزم الرشيد على عزل عليّ بن عيسى دعا هرثمة بن أعين مستخلفاً^(٢) به فقال:

- «إني لم أشاور فيك أحداً، ولم أطلعك على سرّي فيك غيرك، وقد اضطرب عليّ ثغر المشرق وأنكر أهل خراسان أمر عليّ بن عيسى إذ خالف عهدي ونهذه وراء ظهره، وقد كتب يستمدّ ويستجيش وأنا كاتب إليه فأخبره أنّي أمده بك وأوجّه إليه معك من الأموال والسلاح والقوّة والعدة ما يطمئن إليه قلبه، وتتطلّع إليه نفسه، وأكتب معك كتاباً بخطّي فلا تفضّنه [3] ولا تطلعنّ فيه حتّى تنصر إلى مدينة نيسابور، فإذا نزلتها فاعمل بما فيه وأمثله، ولا تجاوزه إن شاء الله.

- «وأنا موجه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه إلى عليّ بن عيسى بخطّي ليتعرّف ما يكون منك ومنه وموؤّ عنه^(٣) أمر عليّ فلا تظهرنه عليه ولا تعلمنه ما عزمته عليه فيه وتأهب للمسير

١. كذا في الأصل وآ: فرخسروا. في الطبري (١١: ٧١٤): فرخسرو.

٢. في الأصل: مستخلفاً به. وما أثبتناه يؤكده خط الطبري (١١: ٧١٥).

٣. في آ ومط: ومود عنه. في الطبري (١١: ٧١٦): وهؤن.

واظهر لخاصتك وعامتك أني أوجهك مدداً لعلي بن عيسى
وعوناً له.»

ثم كتب إلى علي بن عيسى كتاباً بخطه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الزانية، رفعت من قدرك
ونوّعت بأسعك وأوطأت سادة العرب عقبك وجعلت أبناء ملوك
العجم خولك، وكان من جزائي أن خالفت عهدي ونهذت وراء
ظهرك أمري، حتى عشت في الأرض وظلمت الرعية وأسخطت
الله عزّ وجلّ وخليفته بسوء سيرتك ورداءة طعمتك وظاهر^(١)
خيانتك. وقد وليت هرثمة بن أعين مولاي ثغر خراسان وأمرته
أن يشدّد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك ولا يترك
وراء ظهورهم درهماً واحداً ولا حقاً لمسلم ولا معاهداً إلا
أخذكم به، [4] حتى تردّه إلى أهله، فإن أبيت ذلك وأباه ولدك
وعمالك، فله أن يسط عليك العذاب ويصبّ عليكم السياط
ويحلّ بكم ما يحلّ بمن نكث وغير وبدل وخالف وظلم وتعدي
وغشيم، انتقاماً لله يادئاً، ولخليفته ثانياً، وللمسلمين والمعاهدين
ثالثاً فلا تعرض نفسك للتي لا سوى^(٢) لها، واخرج ممّا يلزمك
طائعاً أو مكرهاً.»

وكتب عهد هرثمة بخطه :

١. في الأصل غرض. وما أثبتناه يؤيده آ والطبري (١١: ٧١٦).
٢. في الأصل: سوى (بالتثنية المعجمة). في مط وآ: سوى (القصد والاعتبال).

- «هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولّاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه. أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله وموافقته وأن يجعل لكتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه ويقف عند متشابهه ويسأل عنه أولى الفقه في دين الله وأولى العلم بكتاب الله أو يردّه إلى إمامه ليريه الله فيه رأيه ويعزم له على رشده.

- «وأمره أن يستوثق من الفاسق علىّ بن عيسى وولده وعقّاله وكتّابه وأن يشدّ عليهم وطأته ويحلّ بهم سطوته ويستخرج منهم كلّ مال يصحّ عليهم من خراج أمير المؤمنين وفيء المسلمين، فإذا [5] استتظف ما عندهم وقبلهم، نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين وأخذهم بحقّ كلّ ذي حقّ، حتّى يردّوه إليه، فإنّ لبّ قلوبهم حقّ لأمر المؤمنين وحقوق للمسلمين فدافعوا بها أو جحدوها، أن يصبّ عليهم سوط عذاب الله وأليم عقابه، حتّى يبلغ بهم الحال التي أن تخطأها بأدنى أدب، تلفت أنفسهم وبطلت أرواحهم. فإذا خرجوا من حقّ كلّ ذي حقّ أشخصهم كما يشخص العصاة من خشونة الوطأ وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملابس مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين إن شاء الله.

- «فاعمل يا أبا حاتم بما عهدت إليك فإنّي آثرت الله ودينه على هواي وإرادتي فكان كذلك وعليه فليكن عملك وأمرك ودبر في أعمال الكور التي تمرّ بها وعمالها في صعودك بما لا يستوحشون معه إلى أمر يريهم وظنّ يربهم وأبسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانتهم وعذرهم ثمّ اعمل بما يرضى الله

فيك وخليفته ومن وَاَلَاكَ اللهُ أمره إن شاء الله.
 - «هذا عهدي وكتابي بخطي وأنا أشهد الله وملائكته وحمله
 عرشه وسكان سماواته وكفى [6] بالله شهيداً. وكتب أمير
 المؤمنين بخطه ولم يحضره إلا الله وملائكته.»

ثم أمر أن تكتب كتب هرثمة إلى علي بن عيسى في معاونته وتقويته
 وتقوية أمره والشد على يديه، فكتب وظهر الأمر بها.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

وفيها شخص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها

وكان ذلك في اليوم السادس من اليوم الذي كتب له الرشيد عهده، وشيعة
 الرشيد وأوصاء بما احتاج إليه، فمضى وبعث إلى علي بن عيسى في الظاهر
 أموالاً وسلاحاً وخلعاً وطيباً، حتى إذا نزل نيسابور جمع جماعة من نصحاء
 أصحابه وأولى السق والتجربة منهم فدعا كل رجل منهم، سرّاً وخلاً به، ثم
 أخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتموا أمره ويطووا سرّه، وولى كل رجل
 كورة على نحو ما كانت منزلته عنده، وأمر كل رجل منهم بعد أن دفع^(١) إليه
 عهده بالمصير إلى عمله الذي وُلّاه على أخفى الحالات وأسترها والتشبه
 بالمجتازين في ورودهم إلى الوقت الذي سناه لهم. ثم مضى حتى إذا صار
 من مرو على مرحلة، دعا جماعة من ثقات [7] أصحابه وكتب لهم أسماء
 ولد علي بن عيسى وأهل بيته وكتابه وغيرهم في رقاد، ودفع إلى كل رجل
 منهم رقعة باسم من وكله بحفظه إذا هو دخل عليه مرو، خوفاً من أن يهربوا

١. دفع: كذا في آ ومط والطبري (١١: ٧١٩). ما في الأصل مطوس.

إذا ظهر أمره.

ثم وجه إلى علي بن عيسى : إن أحب الأمير - أكرمه الله - أن يوجه ثقافته لقبض ما معى من أمواله فعل فإنه إذا تقدمنى المال كان أروح لقلبي وأفت في عضد أعدائه وأجدر ألا يشيع به الخبر. وأيضاً فإننى لا آمن عليه إن خلفته وراء ظهري أن يطمع فيه بعض من شتموا^(١) نفسه أن يقطع بعضه ويفتتم غفلتنا عند دخول المدينة.

فوجه علي بن عيسى جهابذته وقهارته لقبض المال وقال هرثمة لخزانه : « اشغلوهم هذه الليلة وأعلوا عليهم بعلة تقرب من أطماعهم وتزيل الشك عن قلوبهم ».

ففعّلوا وقال لهم الخزان : حتى نؤامر أبا حاتم في دواب المال والبهال. ثم ارتحل نحو مدينة مرو، فلما صار منها على ميلين تلقاه علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده بأحسن لقاء وأنسه. فلما وقعت [8] عين هرثمة عليه، ثنى رجله لينزل عن دابته فصاح به علي : « والله لئن نزلت لأقرأن ».

فثبت على سرجه ودنا كل واحد من صاحبه فاعتنقا وسارا وعلي يسأل هرثمة عن أمر الرشيد وحاله وهيأته وحال خاصته وقواده وأنصار دولته، وهرثمة يجيبه حتى إذا صار إلى قنطرة لا يجوزها إلا فارس. فحبس هرثمة لجام دابته وقال لعلي :

« سير علي بركة الله ».

فقال علي :

« لا والله لا أفعل حتى تمضي أنت ».

١. كذا في الأصل : شتموا. وفي مط : شتموا (بالسين المهملة). وشتموا لغة في شأموا.

فقال : « إذا والله لا أمسى وأنت الأمير وأنا الوزير. »

فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلا مرو، وصار إلى منزل عليّ ورجاء الخادم ما يفارق هرثمة في ليل ولا نهار ولا ركوب ولا جلوس. فدعا عليّ بالفداء فطعما، وأكل رجاء الخادم منهما، وكان عازماً ألا يأكل معها فعمزه هرثمة فلما رفع الطعام قال له عليّ :

- « قد أمرت أن يفرغ لك قصر علي الماشان^(١) فإن رأيت أن تصير إليه فعلت. »

فقال له هرثمة :

- « إنّ معي من الأمور ما لا يحتمل تأخير المناظرة فيها. »

ثمّ أوماً إلى رجاء وقال :

- « ادفع [9] الكتاب إليه. »

فأخرج رجاء كتاب الرشيد فدفعه إليه وأبلغه رسالته. فلما فضّ الكتاب فنظر في أوّل حرف فيه، سقط في^(٢) يده وعلم أن قد حلّ به ما يحذره. ثمّ أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعمّاله، وقد كان حصلّ عنده ثقافته وجهابذته وخزّانه، ووكل بهم - كما حكينا - قبل دخوله مرو، وكان معه رجل يصحبه وقر قيود وأغلال^(٣) فلما استوثق منه صار إلى المسجد، الجامع فخطب وبسط من آمال الناس وأخبر أن أمير المؤمنين ولّاه ثغورهم لما انتهى إليه من سوء سيرة الفاسق عليّ بن عيسى، وما أمرنى به وفي أعوانه من كلّ ما سأنهى إليه، ومن إنصاف العامة والخاصّة وحملهم على

١ الماشان كذا في آ ومط والطبرى (١١ : ٧٢٠). والماشان نهر يجرى في وسط مدينة مرو، عليه محلة، وهم يقولون بالهميم (مراد الاطلاع).

٢ في آ، والأصل : من يده. والتصحيح من الطبرى (١١ : ٧٢١).

٣ في آ : وكان رجل معه وقر قيود وأغلال. في الطبرى (١١ : ٧٢١) : ... ومعه ...

الحق، وأمر بفراة عهده عليهم. فأظهر الناس السرور بذلك وانفسحت آمالهم وعظم رجاؤهم وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم وكثر الدعاء لأمر المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء.

ثم انصرف ودعا علي بن عيسى وولده وعاله وكتابه فقال :

- «اكفوني مؤنكم^(١) واعفوني من الإقدام بالمكروه [10] عليكم.»

ونادى في أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعلي عنه وديعة، ولأحد من ولده أو كتبه أو عاله فأحباها ولم يظهر عليها، فأحضره الناس ما كانوا أودعوا إلا رجلاً من أهل مرو، وكان من أبناء المجوس، فإنه لم يزل يتلطف للوصول إلى علي حتى صار إليه فأسر إليه وقال :

- «لك عندي مال فإن احتجت إليه حملت إليك أولاً أولاً وصيرت للقتل إشاراً للوفاء وطلباً للجميل من الثناء، وإن استغثت عنه، حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك.»

فمجب علي منه وقال :

- «لو اصطنعت مثلك فوما ما طمع في السلطان ولا الشيطان أهدأ»

ثم سأل عن قيمة ما عنده. فذكر أنه أودعه مالا وثياباً ومسكاً، وأنه لا يدرى ما قيمة ذلك، غير أن ما أودعه بخطه وأنه محفوظ لم يشذ منه شيء فقال له :

- «دعه فإن طهر عليه، سلمته ونجوت بنفسك وإن سلمت به رأيت فيه رأيي.»

وجزاء الخير وشكر له فعله ذلك أحسن شكر، وكافأه عليه وبه. وكان يضرب به المثل ويوفائه. [11] فذكر أنه لم يشذ على هرثمة من مال علي

١. في آ. وسط والطبرى (١١: ٧٢١) : مؤنكم.

بن عيسى إلا ما كان أودعه هذا الرجل، وكان يقال له: العلاء بن ماهيار، فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى خلى نساءهم وحتى أن الرجل كان يضرب يده إلى مغابن^(١) المرأة وأرفاعها، فيطلب فيها ما يظن أنها قد سترته، فلما أحكم هذا كله وجهه على بعير لا وطاء تحته، في عنقه سلسلة وفي رجله قيود ثقالة، ما يقدر معها على نهوض واعتمال^(٢).

ويقال أنه لما فرغ هرثمة من مطالبة علي بن عيسى وأولاده، أقامهم لمظالم الناس، وكان إذا برد للرجل عليه حق أو على أحد أولاده أو أصحابه قال:

- «أخرج للرجل من حقه وإلا بسطت عليك العذاب، فيقول علي: أصبح الله الأمير أجلني يوماً أو يومين. فيقول: ذاك إلى صاحب الحق، فإن شاء فعل، فيقبل علي الرجل فيقول: أترى أن تدعه؟ فإن قال: نعم قال: فانصرف وعد إليه، فيبعث علي إلى العلاء بن ماهيار فيقول: صالح فلاناً عني من كذا وكذا على كذا وكذا وعلى ما رأيت فيصالحه ويصلح أمره، وذكر أنه قام إلى هرثمة رجل فقال:

- «أصلح الله الأمير إن هذا الفاجر [12] أخذ مني درقة^(٣) ثبتيه^(٤) لم يملك أحد مثلها، فاشترأها على كره مني ولم أرد بيعها بثلاثة آلاف درهم، فأتيته قهرمانه أطلب ثمنها فلم يعطني، فأقمت حولاً أنتظر ركوبه، فلما ركب عرضت له وصحت: أيتها الأمير، أنا صاحب الدركة ولم آخذ لها ثمناً إلى هذه العاية، فقذف أمي ولم يعطني حقى، فخذ لي بحقى من ماله وقذفه

١. المبرس: كل مطوى من الجسد. الإبط: الرُبع. كل مجتمع وسخ في الجسم.

٢. اعتمس: اضطرب في العمل. عمل عملاً متعلقاً بنفسه. في آ، والطبرى (١١: ٧٢٣) اعتماد

٣. الدركة: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عتب

٤. في الطبرى (١١: ٧٢٣): تميته

أُمِّي.»

فقال : « بَيِّنْهُ ؟ »

قال : « جماعة حضروا كلامه . »

فأحضرهم فشهدوا على دعواه . فقال هرثمة :

« وجب عليك الحدّ . »

قال : « ولم ؟ »

قال : « بقذفك أمّ هذا . »

قال : « من فهمك وعلمك هذا ؟ »

قال : « هذا دين المسلمين . »

قال : « فأشهد أنّ أمير المؤمنين قد قذفك غير مرّة ولا مرتين وأشهد أنّك

قد قذفت بنيك ما لا أحصى . مرّة حاتماً ومرّة أعين . فمن يأخذ لهؤلاء
بحدودهم منك ، ومن يأخذ من مولاك ؟ »

قال : فالتفت هرثمة إلى صاحب الدرفة فقال :

« أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدرفتك أو ثمنها ، وتترك مطالبته

بقذف أمّك . »

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة [١١٣]

وفيها قَدِمَ هَارُونُ مِنَ الرَّقَّةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فِي السَّفَنِ يَرِيدُ الشَّخْوَصَ

إِلَى خِرَاسَانَ لِحَرْبِ رَافِعٍ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ

الْقَاسِمَ بِالرَّقَّةِ وَضَمَّ إِلَيْهِ خَزِيمَةَ بَنِ خَازِمٍ فَأُشَارَ ذُو الرِّثَاسَتَيْنِ عَلَى الْعَامُونَ

أَنْ يَطْلُبَ إِلَى الرَّشِيدِ فِي أَنْ يَشْخَصَهُ مَعَهُ .

ذكر رأى سديد رءاه ذو الرئاستين

قال له : إنَّ أمير المؤمنين شاخص لحرب رافع ولا يدري ما يحدث به وخراسان ولايتك ومحقق المقدم عليك وإنَّ أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها [ردء له.] ^(١) فاطلب إليه يشخصك معه فسأله الأذن فأبى فقال له :

« عد إليه وقل : له أنت عليل وإنما أردت أن أخدمك ولست أكلفك شيئاً

من مؤنى . »

فأذن له .

ذكر منام عجيب رءاه الرشيد

قال جبرائيل بن بختيشوع : كنت مع الرشيد بالرقّة، وكنت أوّل من يدخل عليه في كلّ غداة أتعرف حاله في ليلته، فإن أنكر شيئاً وصفه، وربما انبسط فحدّثني [14] بما عمله في ليلته ومقدار شربه وجلوسه، ويسألني عن أخبار العامة، فدخلت يوماً فلم يرفع طرفه إليّ، ورأيتُه مفكراً مهموماً، فوقفت بين يديه ملثماً، فلمّا طال ذلك أقدمت عليه فقلت :

« يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك، ما حالك ؟ أعلّة فأخبرني بها فلعلّ عندي دواءها، أو حادت لا يُستطاع دفعه فليس إلّا التسليم، والغم لا دَرَك فيه أو فتق ورد عليك في ملكك، فلم تخلُ الملوك من ذلك فتروّح بالمشورة . »

قال : « ويحك يا جبرائيل ليس غمّي شيءٌ ممّا ذكرت، لكن لرويا رأيتهما

١. ما بين المقتوتين ناقص في كلّ من الأصل وأ والطبري، أصغناه من حواشي الطبري

في ليلتي هذه قد أفرغتني وملأت صدري..»

قلت: «فرجت عني يا أمير المؤمنين..»

فدنوت وقبّلت رجله وقلت:

«أهذا الغم كله لرؤيا؟ والرؤيا إنما تكون من خاطر تقدم أو بخارات

رديئة من أطعمة وأخلاط ومن تهاويل السوداء..»

قال: «فأقصها عليك، رأيت كأنني جالس على سريري هذا، إذ بدت من

تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها ولا أفهم إسم صاحبها، وفي الكف ترية

حمراء، فقال لي قائل أسمع ولا أرى شخصه:

«هذه الترية التي تدفن فيها..»

فقلت: «وأين هي؟»

قال: «بطوس، [١٥] وغابت اليد وانقطع الكلام وانتهت..»

فقلت: «يا سيدي هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة، أظنك أخذت مضجعتك

ففكرت في أمر خراسان وفي حروبها وما ورد عليك من انتقاض بعضها..»

قال: «قد كان ذلك..»

قلت: «فذلك الفكر ولد هذه الرؤيا، ولا تحفل بها جعلني الله فداك وأتبع

هذا اللهم سروراً يخرجك من قلبك لا يولد علة..»

قال: فما برحت أطيب نفسه بضروب من الحيل حتى سلا وانسط وأمر

بإعداد ما يشتهي وتزيّد في ذلك اليوم في لهوه ومرّت الأيام فتسى ونسيها

تلك الرؤيا.

ثم رحل الرشيد وكان اتهم هرثمة بن أعين فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته

بثلاث وعشرين ليلة ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد

بن مزيد وجماعة أمثالهم وابتدأ يهاون المرض وكانت بين هرثمة وأصحاب

رافع وقعة فتح فيها بخارى وأسر أخاً لرافع يقال له بشير بن الليث فبعث به

إلى الرشيد وقد بلغ الرشيد طوس.

قال: فأدخل إليه وهو على سرير في بستان وفي يده مرآة ينظر فيها وهو يقول:

- «إنا لله وإنا إليه راجعون» [16]

وكأنه كان أنكر شيئاً من لونه. ثم رفع رأسه إلى أخى رافع وقال:

- «أما والله يا ابن اللخناء إني لأرجو ألا يفوتني حامل^(١) يريد رافعاً كما

لم تفتني».

فقال له:

- «يا أمير المؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي، فافعل ما يحب

الله من الصلح والعفو، فلعل الله أن يلين قلب رافع إذا علم أنك قد مننت

علي».

فغضب وقال:

- «لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرّك شفتي بكلمة لقلت: أقتلوه».

ثم دعا بقصاب فقال له:

- «لا تشد مديتك، اتركها على حالها وفصل أعضاء هذا الفاسق وعجل،

لا يحضرن أجلي وعضوان من أعضائه في جسده».

ففصله حتى جعله أشلاء فقال:

- «عدّوا أعضائه».

فإذا هي أربعة عشر عضواً فرقع يديه إلى السماء وقال:

- «اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك قبلت فيه رضاك، فمكّنني من

أحيه».

١. في الأصل حامل في آ والطبرى (١١، ٧٣٤): حامل (بالغاء المعجمة)

ثم أغشى عليه وتفرّق من حضره.

قال جبرائيل: فلما أفاق، ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملاً يقوم ويسقط فاستمعنا إليه، كلّ يقول:

- «يا سيدي ما حالك وما دهاك؟»

وليس بخطر لأحد منّا تلك الرؤيا بهال فقال:

- «يا جبرائيل تذكر رؤياي بالرقّة في طوس؟ [17] هذه طوس، وأحسبها تلك التربة.»

ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال:

- «جنّني من تربة هذا البستان.»

فمضى مسرور فأتى بالتربة في كفّه حاسراً عن ذراعه فلما نظر إليه قال:

- «هذه والله الذراع التي رأيتموها في منامي وهذه والله الكفّ بعينها وهذه والله التربة الحمراء ما حرمت^(١) شيئاً.»

وأقبل على البكاء والنحيب. ثم مات بعد ثلاثة، ودُفن في ذلك البستان وتحدّث سهل بن صاعد قال: كنت عند الرشيد في اليوم الذي قبض فيه، مع خواصّه، وجعل يجود بنفسه ويقاسي كرب الموت، فدعا بملحفة فاحتبى بها، فنهضت فقال لي:

- «أفعدكم يا سهل؟»

فعدت، وحلّ لا يكلمني والملحفة تتحلّ فيعيد الاحتباء بها. فلما طال جلوسى نهضت فقال:

- «إلى أين يا سهل؟»

فقلّب: «يا أمير المؤمنين ما يتسع قلبي أن أراك تعاني، من العلّة ما تعاني

١ الصبغ في الكلمة من الأصل ولا ضبط في آ. في مط. جرمت. في الطبري (١١، ٧٣٧).
جرمت (بالعاء المعجمة).

فلو اضطلجت يا أمير المؤمنين كان أودع لك.
قال : فضحك ضحك صحيح، ثم قال :
- « يا سهل، إني أذكر في هذه الحال قول الشاعر :

وإني لمن قوم كرام تزيدهم شاماً وصبراً شدة الخدثان [١٨]

وتوفي ليلة الأحد غرة جمادى الأولى، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين، وكان سنه سبعمائة وأربعين سنة وخمسة أشهر وأيام، وكان جميلاً وسيماً جعداً قد وخطه الشيب.

ذكر بعض سيرة الرشيد ومستحسن أخباره

ذكر عن يحيى بن خالد أنه ولي رجلاً بعض أعمال الخراج بالسواد،
لقدخل إلى الرشيد فودعه وعنده يحيى وجعفر بن يحيى. فقال الرشيد ليحيى
وجعفر :

- «أوصياء».

فقال له يحيى : «وقر واعثر».

وقال له جعفر : «أنصف وانتصف».

فقال له الرشيد : «اعدل واحمل»^(١).

□ □

وحكى بعض حجة البيت، قال : لما حج الرشيد دخل الكعبة وقام على
أصابعه وقال :

١ كذا في الأصل وأما وسط اعدل واحمل. وما في الطبري (١١ ٧٤٨). اعدل وأحسن

- «يا من يملك خوالج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإن لكل مسأله منك ردّاً حاضراً وجواباً عييداً، ولكل صامت منك علم محيط باطن بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة، صلّ على محمد وآله، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، يا من لا تصرّء [19] الذنوب ولا تخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا، يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات، يسألونك الحاجات، إن من حاجتى إليك أن تغفر لى إذا توفيتنى وصرت فى لحدى، وتفرّق عنى أهلى وولدى.

اللهم لك الحمد حمداً يفصل كلّ حمد كفضلك على جميع الخلق. اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضى، وصلّ على محمد صلاة تكون له حرزاً، واجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحيينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء محرومين.»



وذكر الفضل بن الربيع أن الرشيد أمره أن يُحصِر^(١) ابن السمّاك ليعظه قال: وأحضرتُه واستأذنته فى الدخول إليه فقال:

- «أدخِله.»

فلما دخل قال له:

- «عظنى.»

قال: «يا أمير المؤمنين، إتق الله وحده لا شريك له واعلم أنّك موقوف غداً بين يدي ربك، ثمّ مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما: حنة أو نار.»

فبكى هارون حتّى اخضلت لحيته.

١. فى الأصل: يُحصِرُه، ولهاه راندة.

فأقبل الفضل على ابن السمّاك فقال :

- «سبحان الله وهل يتخالج أحداً شكٌ أنّ أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة، إن شاء الله، لقيامه بحقّ الله وعدله في عباده وفعله.»

قال : فلم يحفل بذلك ابن السمّاك [20] ولم يلتفت إليه، وأقبل على الرشيد فقال :

- «يا أمير المؤمنين إنّ هذا - يعنى الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم، فأتق الله وانظر لنفسك.»

قال : فبكى هارون حتّى أشفقا عليه، واقحم الفضل فلم ينطق بحرف.



واستدعاه يوماً آخر، فبينما هو عنده إذ إستسقى الرشيد ماءً فلما حُمِل إليه وأهوى بالإناء إلى فيه، قال له ابن السمّاك :

- «على رسلك يا أمير المؤمنين، بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه، لو مُنعت هذه الشربة بكم كمت تشتري؟»

قال : «بنصف ملكي»

قال : «اشرب إنّاك الله.»

فلما شربها قال :

- «فأسألك بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كمت تشتريها؟»

قال : «بجميع ملكي.»

قال ابن السمّاك :

- «إن ملكاً قيمته شربة ماء لجدير أن لا يتافس فيه.»

فبكى هارون حتى أشار الفضل إلى ابن السمّك بالإنصراف، فانصرف.

□ □

وذكر بعضهم أنهم كانوا مع الرشيد بالرقّة، فخرج يوماً إلى الصيد، فعرض له رجل من النّسك، فقال :

- «يا هارون اتق الله.»

فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك :

- «خذ هذا الرجل إليك حتى أنصرف.»

فلما رجع دعا بغذائه، ثم أمر أن يُطعم [21] الرجل من خاصّ طعامه، فلما أكل وشرب دعا به فقال :

- «يا هذا أنصفتني في المخاطبة والمسألة.»

قال : «ذاك أقلّ ما تحبّ.»

قال : «فأخبرني أنا شرّ وأخبت أم فرعون؟»

قال : «بل فرعون.»

قال، قال :

- «أنا ربّكم الأعلى^(١)»

وقال : «ما علمت لكم من إله غيري^(٢)».

قال : «صدقت.»

قال : «فأخبرني، فمن خير، أنت^(٣) أم موسى بن عمران؟»

قال : «موسى بن عمران كليم الله وصفته اصطبعه لنفسه واثتمنه على خلقه.»

١. س ٧٩ النازعات : ٢٤.

٢. س ٢٨ القصص : ٣٨.

٣. أنت كذا في الأصل وآ والطبرى (١١ : ٧٥٧). وسياق السؤال والكلام يتطلب «أنا».

قال : « صدقت أقما تعلم أنه لما بعثه الله وأخاه إلى فرعون قال لهما :
فقلوا له قولاً لئناً^(١) فذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكتياه، وهذا وهو في
عتوه وجبريته على ما قد علمت، وأنا بهذه الحال الذي علمت، أؤدي أكثر
فرائض الله على ولا أعبد أحداً سواه أقف عند أكثر حدوده وأمره ونهيه،
فوعظتني بأعظ الألفاظ وأبشعها وأخشن الكلام وأفظعه، فلا بأدب الله تأديت
ولا بأخلاق الصالحين أخذت، فما كان يؤمنك أن أسطو بك، فإذا أنت قد
عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً. »

فقال له الزاهد :

« أخطأت يا أمير المؤمنين وأنا أستغفر الله. »

قال : « غفر الله لك. » [22]

وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها وقال .

« لا حاجة لي في المال، أنا رجل سائح. »

فقال هريثة وزجره :

« ترد على أمير المؤمنين، يا جاهل، صلته؟ »

فقال الرشيد :

« أمسك عنه. »

ثم قال له :

« لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه، ولكن من عادتنا ألا يحاطب أحد

الخليفة ليس من أوليائه ولا من أعدائه، إلا وصله ومنعه، فاقبل من صلتنا
ما شئت وضعها حيث أحببت. »

فأخذ من المال ألفي درهم وفرفرها على الحجاب ومن حضر بالباب

□ □

وحكى أن الرشيد قال يوماً لابنه القاسم وقد دخل عليه :
 - «ليت للمأمون بعض لحصك هذا.»
 فقال : ببعض حظه.

□ □

وقال يوماً للقاسم قبل البيعة له :
 - «قد أوصيت بك الأمين والمأمون.»
 قال : «أما أنت يا أمير المؤمنين، فقد توليت النظر لهما، ووكّلت النظر لى
 إلى غيرك.»
 ومات هارون وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ألف وثئف.^(١)

١. انظر الطبرى (١١: ٧٦٤).

خلافة الأمين

وكتب حتويه^(١) مولى المهدي صاحب البريد بطوس إلى سلام مولاه وحليفته بعداد علي البريد وعلى الاحبار، يُعلمه وفاة الرشيد فدخل علي محمد فمرّاه وهنّاه [23] بالخلافة، وكان أوّل الناس فعل ذلك ثمّ قدم عليه رجاء الخصي يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من جمادى لآخره وكان أنفذه صالح بن الرشيد، فانتقل محمد من قصره بالخُلد إلى قصر أبي جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة، فعصروا وصَلّوا بهم، ثمّ سعد المنبر فحمد الله وأسى عليه ونعى^(٢) الرشيد وعزّى نفسه والناس، ووعدهم خيراً وبسط الأمان للأسود والأنص، وبابعه جلّه أهل بيته وعاصيته ومواليه وقوّاده.

ثمّ دخل ووكل ببيعته علي من نقي منهم عمّه^(٣) سليمان بن أبي جعفر

١ انظر الطبري (١١: ٧٦٤)

٢ في مط - نقي (بالتعريب المعجمة)

٣ عمّه كذا في الأصل وأ: عمّه. في مط - عنه. في الطبري (١١: ٧٦٤) عمّ أبيه سليمان بن أبي جعفر، فابعمهم

بدء الخلاف بين الأمين والمأمون

وفي هذه السنة كان بدأ الخلاف بين الأمين والمأمون وعزم كل واحد منهما بالحلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أحد عليهم العمل به في الكتاب الذي ذكرناه أنه كان كتب بينهما.

ذكر السبب الذي أوجب اختلافهما

كان الرشيد جدّد حين شخص إلى خراسان البيعة للمأمون على القوّاد الذين معه وأشهد من معه من القوّاد وسائر الناس غيرهم أنّ جميع من معه من القوّاد [24] والجند مضمومون إلى المأمون وأنّ جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون. فلما بلغ محمداً الأمين أنّ أباه قد اشتدّت علته وأنه لما به،^(١) بعث من يأتيه بخبره في كلّ يوم وأرسل بكر بن المعتز وكتب معه كتاباً وجعلها في قوائم صاديقي منقورة وألبسها جلود البقر وقال: - «لا يظهرن أمير المؤمنين ولا أحد ممّن في عسكره على شيء من أمرك وما توجّهت فيه ولا على ما معك ولو قُلت، حتى يموت أمير المؤمنين، فإذا مات فادفع إلى كلّ إنسان منهم كتابه.»

فلما قدم بكر بن المعتز طوس بلغ هارون قدومه فدعا به فسأله: - «ما أقدمك؟»

قال: «بعثني محمد لأعلم له علم حبرك وآتيه به.»

قال: «فهل معك كتاب؟»

قال: «لا.»

فأمر بما معه، ففتش فلم يصيبوا معه شيئاً. فتهدده بالضرب فلم يقر بشيء، فأمر به فحبس وقيد. فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرره، فإن أقر وإلا ضرب عنقه، فصار إليه يقرره فلم يقر بشيء. ثم غشى على هارون فصاح النساء فأمسك الفضل عن قتله وصار [25] إلى هارون ليحضره، ثم أفاق وهو ضعيف قد شغل عن بكر وعن غيره لحس الموت، ثم غشى عليه غشية ظنوا أنها هي، وارتفعت الصيحة فأرسل بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع يسأله ألا يعجلوا بأمر، ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إلى علمها. وكان بكر محبوساً عند حسين الخادم.

فلما توفي هارون دعا الفضل ببكر في الوقت والساعة فسأله عما عنده فأنكر أن يكون عنده شيء وخشى على نفسه من أن يكون هارون حياً، حتى صبح عنده موت هارون، وأدخله عليه فأخبره أن عنده كتاباً من أمير المؤمنين محمد وأنه لا يجوز له إخراجها وهو على حاله من قيوده وحبسه. فأطلقه الفضل فأتاهم بالكتب في قوائم المطابع المجلدة بحلود البقر، فدفع إلى كل إنسان منهم كتابه. وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى الحسين الخادم بخطه يأمره بتخلية سبيل بكر بن المعتمر وإطلاقه، فدفعه إليه، وكتاب إلى المأمون، فاحتبس كتاب المأمون عنده لفبيته بمرو، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد وكان مع أبيه بطوس [26] وكان أكبر من يحضره هارون من ولده، فأتاهم في تلك الساعة فسألهم عن أبيه هارون فأعلموه. فخرج جزعاً شديداً، ثم دفعوا كتاب أخيه الذي جاء به بكر وكان الذين حصروا وفاة هارون هم الذين ولوا غسله وتجهيزه وصلى عليه ابنه صالح ولما قرأ الدين وردت عليهم كتب محمد بطوس من القواد والجند وأولاد

هارون فتشاوروا^(١) في اللحاق بمحمد وأحبّوه لأجل أهاليهم ومنازلهم.

وقال الفضل بن الربيع :

« لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا ندرى ما يكون من أمره »

وأمر الناس الناس بالرحيل.

فوافقهم ذلك وسرّوا به وتركوا اليهود التي أخذت عليهم للمأمون.

فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمرو، فجمع من معه من قوّاد

أبيه وكان فيهم عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن

قحطبة والعبّاس بن مسيّب بن زهير وهو على شرطته وأيوب بن أبي سُمير،

ومعه من أهل بيته عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، وذو الرئاستين

عنده من أعظم الناس قدراً فشاورهم. [27]

ذكر آراء أشير بها على المأمون في تلك الحال

فأشار عليهم أكثرهم أن يلحقهم بنفسه في ألفى فارس جديدة، فيردّهم،

فعمل على ذلك وسوّى له قوماً فدخل عليه ذو الرئاستين فقال له :

« إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلك هؤلاء هدية إلى محمد، ولكن

الرأى أن تكتب إليهم كتاباً، وتوجّه إليهم رسولاً فتذكّرهم البيعة، وتسألهم

الوفاء وتحذّرهم الحنث، وما يلزمهم في ذلك في الدين والدنيا »

وقال : قلت له :

« إن كتابك ورسلك تقوم مقامك، فتستيري ما عند القوم وتوجّه سهل

بن صاعد - وكان على قهرمته - فبأنه يأملك ويرجو أن ينال أمله قلن يألوك

نصحاً، وتوجّه نوقلاً الخادم مولى موسى أمير المؤمنين. »

١. كذا في آ، وما في الأصل . شاوروا

وكان عاقلاً. فكتب كتاباً ووجههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل. قال سهل بن صاعد: فأوصلت إلى الفضل بن الربيع كتابه فقال: - «إنما أنا واحد منهم.»

قال سهل: فشذ عليّ عبد الرحمن بن جبلة الأبنأوى^(١) بالرمح. فأمره علي جيني^(٢) ثم قال لي: - «قل لصاحبك والله لو كنت حاضراً [28] لوضعت الرمح في فيك. هذا جوابي.»

قال ذو الرئاستين: فقلت للمأمون:

- «أعداء قد استرحت منهم ولكن افهم عني ما أقول لك إن هذه الدولة لم تكن قط أعزّ منها أيام المنصور أبي جعفر. فخرج عليهم المقتع وهو يدعى الربوبية، وقال بعضهم طلب بدم أبي مسلم، فتضعف له بخروجه من بخراسان، ثم كفاه الله المؤونة، ثم خرج بعده يوسف البرم^(٣) وهو عند بعض المسلمين كافر، فكفاه الله المؤونة، ثم خرج أشادشنس يدعوا إلى الكفر، فسار المهدي من الري إلى نيسابور، فكفوا المؤونة، ولكن ما أصنع أكثر عليك، أخبرني كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع.»

قال: «رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً.»

قلت: «كيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد، إصبر فأنا أضمن لك الخلافة.»

قال: «قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقم به.»

قال: فقلت:

١ كذا في الأصل في مط - الأبنأوى وهو ساقط من آ، وليس موجوداً في الطبري (١١، ٧٧٣).

٢ كذا في الأصل، وما في آ مهمل. في الطبري (١١، ٧٧٣): جنى

٣ ما في الأصل مهمل، ويشبه أن يكون البرمر والصيغ من الطبري (١١، ٧٧٣) وهي آ، البرم

- «والله لأصدقك أنّ عبد الله بن مالك ويعبى بن معاذ ومن سميّا من الرؤساء إن قاموا [29] لك بالأمر كانوا أنفع لك منى برئاستهم المشهورة، ولما عندهم من القوة على الحرب. فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى يصير إلى محبتك وترى رأيك في.»

قال : «نعم.»

فلقيتهم في منازلهم، وذكرتهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء، فتكرهه الكل وقال بعضهم :

- «هذا لا يحل، أخرج.»

وقال بعضهم :

- «من يدخل بين أمر المؤمنين وأخيه؟»

فجئت فأخبرته فقال :

- «قم بالأمر.»

قال : قلت :

- «قد قرأت القرآن وسمعت الأحاديث وتفقهت في الدين، فالرأي أن

تبث إلى من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة وتضع على اللبود وترد المطالم.»

ف فعلنا وبعثنا إلى الفقهاء وأكرمنا القواد وأبناء الملوك. فكنا نقول للتميمي :
تُقيمك مقام موسى بن كعب، وللريعي : تُقيمك مقام أبي داود خالد بن إبراهيم، ونقول لليحاني : تُقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم، حتى استملنا قلوب الرؤساء والملوك وحططنا عن خراسان ربع الخراج، فحسن موقع ذاك وسرّوا به، وقالوا :

- «ابن أحتنا وابن عمّ [30] النبي صلى الله عليه.»

قال : فكان شغلنا بهذا وأشباهه.

فأما الأمين فإنه اشتغل باللعب وأمر ببناء حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالة واللعب، وأخذنا نحن في الجدة، ورأى المأمون أن يهادى أخاه، فبعث له يهدايا وتواترت كتب المأمون إلى محمد بالتعظيم وإهداء طرف خراسان.

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائة

وفي هذه السنة عزل محمد الأمين أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولّاه من عمل الشام وفسرين والعواصم والنفور، وولى مكانه خزيمة بن خازم، وأمره بالمقام بمدينة السلام. وفيها أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على العنابر بالأمرة. وفيها تنكر كل واحد من محمد الأمين وعبد الله المأمون لصاحبه وظهر الفساد بينهما.

سبب ظهور الفساد بين الأمين والمأمون

وكان السبب في ذلك أن الفضل بن الربيع فكر بعد مقدمه إلى العراق ناكثاً لليهود التي كان الرشيد أخذ بها عليه لابنه المأمون، فعلم أن الخلافة إن أفست إلى المأمون يوماً من الدهر [31] وهو حتى لم يُبق عليه، وكان في ظمره به عطفه، فسعى في حث محمد على خلعه وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى، ولم يكن ذلك من رأى محمد ولا عزمه. فأدخل معه في الرأي علي بن عيسى بن ماهان والسندی وغيرهما، فصعروا شأن عبد الله المأمون عند الأمين، وقال له الفضل:

- «يا أمير المؤمنين إخلع عبد الله والقاسم، فإن البيعة كانت لك متقدّمة وإنما أدخلنا فيها بعدك.»

وعلم المأمون أنَّ عزل الأمين للقاسم وأخيه وإقدامه مدينة السلام وأمره للدعاء لابنه موسى بالأمرة ومكاتبتة الأمصار بذلك، تدبير عليه في خلعه. فقطع البريد عن محمد وأسقط اسمه من الطُّرر ودور الضرب^(١).

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى إليه حُسن مياسة العامون وسيرته في رعيتته، بعث في طلب الأمان لنفسه، وكان هرثمة يجاريه. ولما طلب الأمان سارع هرثمة إليه وخرج رافع فلاحق بالمأمون وهرثمة بعد مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعاً، وكان مع هرثمة في حصار رافع طاهر بن الحسين. ثم استأذن [32] هرثمة المأمون في القدوم عليه، فأذن له فتلقاه الناس، وولاه المأمون الحرس، فأنكر ذلك الأمين وكتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك - وكان حامل المأمون على الرىء وهو آخر حذّه من حراسان - يأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس^(٢) الرىء، وأراد امتحانه. فبعث إليه بما أمره وكتب ذلك العامونَ وذا الرناستين، فبلغ ذلك العامون فعزله.

ثم وجه الأمين إلى العامون ثلاثة أنفس رسلاً: أحدهم العباس بن موسى بن عيسى، والآخر صالح صاحب المصلّى، والثالث محمد بن عيسى بن نُهيك وكتب معهم كتاباً فبلغ الخبر بذلك ذا الرناستين فوجه رسولاً وكتب إلى صاحب الرىء: أن استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر. وكتب إلى والى قومن ونيسابور وسرخس بمثل ذلك، ففعلوا. ثم وردت الرسل مرو وقد أعدّ لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد.

ثم صاروا إلى العامون فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه ويذكر أنه سمّاء الناطق بالحق، فردّ العامون ذلك وأباه. فقال العباس بن موسى بن عيسى: [33]

١. في آ. من الطرر والضرب. في الطبرى (١١: ٧٧٧): وأسقط اسمه من الطرر.

٢. كذا في الأصل والطبرى (١١: ٧٧٧) في آ ومط: غروس (بالإهمال).

« ما عليك أيها الأمير من ذلك فهذا جدّي عيسى بن موسى قد خلع نفسه فما ضرّه ذلك ولا طاب عيشه إلّا بعد الخلع. »
 قال . فصاح عليه ذو الرئاستين قال :
 « اسكت فإنّ جدّك كان في أيديهم أسيراً. وهذا بين شيعة وأخواله وعشيرته. »

قال ذو الرئاستين : فأعجبني ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى . فخلوت به وقلت :
 « يذهب عليك في فهمك وذكائك أن تأخذ بحظّك من الإمام. »
 قال : وسئى المأمون في ذلك اليوم : الإمام ولم يسمّ بالخلافة . وإنّا سئى بذلك لما جاءه من خلع محمد له . قال : فقال لي العباس :
 « وقد سئيتموه : الإمام. »
 قال : قلت :

« قد يكون إمام المسجد والقبيلة^(١) فإن وفيتهم لم يضرّكم اسمه ، وإن غدّرتهم فهو ذاك. »
 ثم قلت للعباس :

« لك عندي ولاية الموسم . فلا ولاية أشرف منها . ولك من مواضع الأموال بمصر ~~مما شئت~~ »

قال : فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة . فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار . ويشير علينا بالرأى .

ومضى القوم منصرفين إلى محمد فأخبروه بامتناعه . وألحّ الفضل بن الربيع وعليّ بن [34] عيسى على محمد في البيعة لابنه وخلع المأمون .

١. في الطبري (١١٠-٧٧٩) وأحصنه (بالصاد المهملة).

وبذل الفضل الأموال حتى باع لابنه موسى، وسماه : الساطق بالحق، وأحضنه علي بن عيسى وولاه العراق وأسقط ذكر عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن من المناير، ووجه رسولا إلى مكة فأخذ من الحجة الكتابين النذير كان هارون اكتبتهما وجعلهما في الكعبة، وتكلم في ذلك الحجة فلم يحمل بهم وخافوا على أنفسهم، ومزق الكتابين وأبطلهما.

وكان محمد الأمين كتب إلى المأمون قبل المكاشفة يسأله أن يتجاوز ويتجافى له عن كور من كور خراسان سماها له وأن يوجه العمال من قبل محمد وأن يحتل رجلاً من قبله يوليه البريد عليه ليكتب إليه بغيره، فلما ورد على المأمون الكتاب بذلك كثر عليه واشتد، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن فشاورها فأحجما وقالوا :

- «الأمر مخاطر ولك شيعه وبطانة وأهل ولاء. وكان يقال : شاور في طلب الرأي من تثق بنصيحتته وتألف العدو فيما لا اكتتام له بمشاورته.» [35]

ذكر آراء الناس فيما شاورهم فيه المأمون

ثم أحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام وقرأ عليهم الكتاب فقالوا جميعاً :

- «أيها الأمير، شاورت في أمر خطير معضل، فاجعل لبيدتهنا حظاً من الروية.»

قال المأمون :

- «هو الحزم.»

وأجلهم ثلثاً :

ثم اجتمعوا فقال أحدهم :

« إِنَّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى كَرْهَيْنِ، وَلَسْتُ أَرَى خَطَأً تَعَجَّلُ مَكْرُوهُ أَوَّلَهُمَا مَخَافَةَ مَكْرُوهِ آخِرِهِمَا. »

وقال آخر :

« إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مَخْطِئاً^(١) فَأَعْطَاؤُكَ مَنْ نَازَعَكَ طَرَفًا مِنْ بَغْيَتِهِ أَمْثَلُ مِنْ أَنْ تَصِيرَ بِالْمَنْعِ إِلَى مَكَاشِفَتِهِ. »
وقال آخر :

« كَانَ يُقَالُ : إِذَا كَانَ عِلْمُ الْأُمُورِ مَغْتَباً عَنْكَ، فَخُذْ مَا أَمَكْنَكَ مِنْ هَدَنَةِ يَوْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ فُسَادُ يَوْمِكَ رَاجِعاً بِفُسَادِ غَدِكَ. »
وقال آخر :

« لَئِنْ خِيفَتْ لِلْبُذْلِ عَاقِبَةٌ، إِنَّ أَشَدَّ مِنْهَا مَا يَبْعَثُ الْإِبَاءَ^(٢) مِنَ الْفَرْقَةِ. »
وقال آخر :

« لَا أَرَى مَفَارِقَةَ مَنْزِلَةِ السَّلَامَةِ قُلْمَلَى أُعْطِيَ مَعَهَا الْعَافِيَةُ. »

فقال الحسن بن سهل :

« قَدْ وَجِبَ حَقُّكُمْ بِاجْتِهَادِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مَعْدُورِينَ، فَإِنَّ رَأْيِي مُخَالَفُ لِرَأْيِكُمْ. »

فقال له المأمون :

« غَنَاظُكُمْ بَيْنِي »

قال : « لَذَلِكَ مَا كَانَ الْإِجْتِمَاعُ. »

وأقبل عليهم الحسن فقال :

« هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ [36] مُحَمَّدًا تَجَاوَزَ إِلَى طَلَبِ شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ بِحَقِّ ؟ »

فقالوا : « نَعَمْ وَيُحْتَمَلُ ذَاكَ لَمَّا يُخَافُ مِنْ ضَرَرٍ مَنَعَهُ »

١ ما في الأصل يشبه أن يكون «مخطراً» بإعجام الثالث في الطبري (١١-٧٨١) : مخطراً

٢ في الطبري (١١-٧٨١) : لَا تَأْمَنُ الْفَرْقَةَ.

قال: «فهل تتقون بأن يكفّ إذا أعطيناه ما سأل، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها^(١)؟»

قالوا: «لا، ولعلّ سلامة تقع من دون ما نخاف ونتوقّع»
قال: «فإن تجاوز بعدها بالمسألة، أقما ترونه قد توهم بما بدل من نفسه فيها.»

قالوا: «ندفع بمحذور الآهل محذور العاجل.»
قال: «فإنّ الحكماء قبلنا قالوا: استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض في مكروه يومك ولا تلمس هُدنة^(٢) يومك بإخطار أدخلته على نفسك في غدك.»

فأقبل المأمون على الفضل وقال:

- «ما تقول فيما اختلفوا فيه؟»

قال: «هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوّتك، ليستظهر بها غداً على مخالفتك، وهل يصير الخازم إلى فضله من عاجل الدعة بخطر يتعرّض له في العاقبة؟ بل إنّما أشار الحكماء بحمل ثقل عاجلي، فيما يرجون به صلاح عواقب أحوالهم.»
فقال المأمون:

- «بإيثار دعة العاجل صار من صار إلى فساد العاقبة في أمر دنيأ وأمر أخرة.»

قال القوم:

- «قد قلنا بعبّاح الرأي والله [37] للأمر بالتوفيق.»

فقال: «اكتب يا فضل إليه:

١. في الأصل والطبري (١١١- ٧٨١) غيرها وفي آ: غيره.

٢. هُدنة. كذا في الأصل. ما في آ: مهمل بكامله. في الطبري (١١١- ٧٨١) - هدية.

« قد بلغنى كتاب أمير المؤمنين يسأل التجافى عن مواضع سمّاها، ممّا أثبتته الرشيد فى العقد لى، وجعل أمره إالىّ وما أمر رآه أمير المؤمنين ممّا يتجاوز، غير أنّ الذى جعل إالىّ الطرف الذى أنا به كان غير ظنون فى النظر لعائته ولا جاهليّ بما أسند إالىّ من أمره. ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ثمّ، كنت على الحال التى أنا عليها من إشراف عدوّ مخوف الشوكة وعائته لا تتألف عن هضمة، وأجناد لا تستتبع طاعتها إلاّ بالأموال وطرف من الإفضال، لكان فى نظر أمير المؤمنين لعائته وما يجب من لمّ اطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته، وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله، فكيف بمسألة ما أوجبه الحقّ. وإنى لأعلم أنّ أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطلع^(١) بمسألة ما كتب بمسألته إالىّ، ثمّ أنا على ثقة من القبول بعد البيان، إن شاء الله. »

واستشار أيضاً محمد أصحابه فيما همّ به.

ذكر آراء أشير بها على محمد الأمين [38]

قال يحيى بن سلّم وقد دعاه الأمين واستشاره :

« يا أمير المؤمنين كيف بذاك مع تأكيد الرشيد بيعته وأخذ الأيمان

والمواثيق فى الكتب ؟ »

فقال محمد :

١ كذا ضبط ما فى الأصل. والضبط فى الطبرى (١١ ٧٨٢) يطلع (ضمّ الياء فقط)

- «إِنَّ رَأْيَ الرَّشِيدِ كَانَتْ فَلَئِمَةٌ مِنَ الْخَطَأِ شَبَّهَ عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ سَحِيحٍ بِسَحْرِهِ، فَفَرَسَ لَنَا غَرَساً مَكْرُوهاً لَا يَنْفَعُنَا مَا نَحْنُ فِيهِ [معه^(١)] إِلَّا بِقَطْعِهِ، وَلَا تَسْتَقِيمُ لَنَا الْأُمُورُ وَلَا تَصْلَحُ إِلَّا بِاجْتِنَائِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ.»

فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كَانَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خُلِعَهُ فَلَا نَجَاهَ، فَيَسْتَكْبِرُهَا^(٢) النَّاسُ وَتَسْتَشْنِعُهَا الْعَامَّةُ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي^(٣) الْجُنْدَ بَعْدَ الْجُنْدِ وَالْقَائِدَ بَعْدَ الْقَائِدِ، وَتَوْنِسُهُ بِالْأَلْطَافِ وَالْهَدَايَا، وَتَفَرِّقُ ثِقَاتِهِ وَمَنْ مَعَهُ وَتَرْغَبُهُمُ بِالْأَمْوَالِ وَتَسْتَمِيلُهُمُ بِالْأَطْمَاعِ. فَإِذَا وَهَتْ قُوَّتُهُ وَلَمْ تَبْقَ لَهُ مَنَّةٌ أَمَرَتْهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْكَ، فَإِنْ قَدِمَ صَارَ إِلَى الدِّي تَرِيدٌ مِنْهُ وَإِنْ أَبَى كُنْتَ قَدْ تَنَاوَلْتَهُ وَقَدْ كَلَّ حَدَّهْ وَهِيضَ جَنَاحَهُ.»

قال محمد:

- «فَأَقْطَعْ^(٤) أَمراً كَصَرْحَةٍ. أَنْتَ مَهْدَارُ خَطِيبٍ، وَلَسْتَ بِذِي رَأْيٍ مُصِيبٍ، فُزِّلَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ إِلَى رَأْيِ الشَّيْخِ الْمَوْفَّقِ وَالْوَزِيرِ النَّاصِحِ، قَسَمَ لِمَالِحٍ بِمَدَادِكَ [39] وَأَقْلَامِكَ.»

فَقَالَ يَحْيَى:

- «غَضِبَ يَشُوبُهُ صَدَقٌ وَتَحْلِيهِ نَصِيحَةٌ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا يَخْلَعُهُ جَهْلٌ وَيَعْمَلُهُ جَهْلٌ.»

وَبَعَثَ الْفَضْلَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ رِضَى عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ فَاسْتَشَارَهُ، فَعَظَّمَ الرَّجُلُ عَلَيْهِ أَمْرَ الْبَيْعَةِ لِلْمَأْمُونِ، وَقَبَّحَ الْفَدْرَ وَالنِّكَثَ. فَقَالَ الْفَضْلُ:

- «صَدَقْتَ، وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ أَحْدَثَ الْحَدِيثَ الَّذِي وَجِبَ بِهِ تَقْضُ مَا عَقَدَهُ

١. تكملة من الطبري.

٢. كذا في الأصل وآ. يستكبرها وما في الطبري (١١: ٧٩١): يستنكرها.

٣. في الأصل: يستدعي. صحاحه بالسياق.

٤. في الأصل: قطع في آ. فأقطع. وهو الصحيح. ويؤيده ما في الطبري (١١: ٧٩١) أقطع

الرشيد وأمر المؤمنين يرى اليوم لنفسه ولرعيته ما لم يره الرشيد يومئذٍ.»
فقال: «أفثبت الحجة عند عامة الناس بهذا الحدث الذي أحدثه المأمون
كما ثبتت الحجة له بماخوذ عهده؟»
قال: «لا.»

قال: «أفحدث هذا الحدث عندكم مما يوجب تقض عهذكم ولم يكن
حدث ولا كان معلوماً.»
قال: «نعم.»

فقال الرجل ورفع صوته:
- «تالله ما رأيت كالـيوم رأى رجل يشاور فى دفع ملك فى يده بالحجة،
ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمعالجة.»
قال: فأطرق الفضل ملياً ثم قال:
- «صدقتنى الرأى، ولكن أخبرنى إن نحن أغمضنا فى قالة العامة،
ووجدنا مساعدين من شيعتنا وأجنادنا، فما القول؟»

قال: [40]

- «أصلحك الله، وهل أجنادك إلا من عامتك فى أخذ بيعتهم وتمكن
برهان الحق فى قلوبهم، أفليسوا وإن أعطوا ظاهر طاعتهم مع ما تأكد من
وثائق العهد فى معارفهم وعليهم بباطن أمورهم.»
قال: «فإن أعطونا الطاعة فما يضرنا من ضمائرهم.»

قال: «لا طاعة دون ما ثبت من البصائر.»

قال: «ترغبهم بتشريف حظوظهم؟»

قال: «إذا يصيروا إلى التنقل، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى
مناصحتهم.»

قال: «فما ظنك بأجناد عبد الله؟»

قال : « قوم على بصيرة من أمورهم لتقدم بيعتهم. »

قال : « فما ظنك بعامتة؟ »

قال : « قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف ولائهم في أموالهم وأنفسهم صاروا به إلى الأمانة في المال والرفاغة في المعيشة، فهم يدافعون عن سعة حادثة لهم، ويتذكرون بليّة لا يأمنون العودة في مثلها. »

قال : « ما أراك أبقيت لنا موضع رأى في اعتزالك أجنادنا، ثم أشد من ذلك ما قلت به من وهنة أجنادنا وهوة أجناده وما تسخو^(١) نفس أمير المؤمنين بترك ما يعرف من حقه، ولا نفس بالهدنة مع ما أهدمت [41] عليه في أمره، وربما أقبلت الأمور مشرقة بالمخافة، ثم تكشفت عن القلج والدرك في العاقبة. »

وتفرقا.

ذكر الحزم والجدة الذي أخذ فيه المأمون

حتى بلغ به ما أراد

أذكى العيون، وأقام الحرس على رأس الحد، فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الأمناء، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحداً ولا يبلغ أحداً قولاً ولا كتاباً فحصى أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة أو أن تُودع قلوبهم رهبة. ثم وضع على مراصد الطرقات ثقات من الأحراس لا يجوز عليهم إلا من لا تدخله الطنة في أمره ممن أتى بجواز في مخرجه إلى دار مآيه، أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه ومنع الأشبا^(٢) من جواز السبل والقطع بالتاجر، والوعول في

١ كذا في الأصل والطبري (١١: ٧٩٣). في آ: سحوا.

٢ الأشباة أحلاط الناس ما في الطبري (١١: ٧٨٣) - الاشتاتات. وما في آ ومط مهمل

البلدان في هياة الطارئة والسابلة، وفُتشت الكتب فكانت ترد من قبل محمد الرسل والجماعات، فإذا صاروا إلى حد الرى وجدوا تدبيراً مؤيداً [42] وعقداً مستحصداً، وأخذتهم الأحراس من جوانبهم فحُصنوا في حال ظمهم وإقامتهم من أن يُخبروا أو يَسْتَخبروا، وكُتب بخبرهم من مكانهم، فيجىء الإذن في حملهم، فيحملون محروسين لا خبر يصل إليهم، ولا غيرهم يتطلع خبراً من عندهم حتى يصيروا إلى باب المأمون.

وذكر سهل بن هارون، أن المأمون قال يوماً لذي الرئاستين :
- «إنّ ولدى وأهلى ومالى الذى أفردته لى الرشيد بحضرة محمد وهو مائة ألف ألف وأنا إليها محتاج وهى قبلة فما ترى فى ذلك؟»
فقال له ذو الرئاستين :

- «إن أنت كتبت كتاب عزمة فتمك، صار إلى خلع عهده. فإن فعل، حملك ولو بالكره على محاربتة، وأنا أكره أن تكون المستفتح باب الفرقة ما أرتجه الله دونك، ولكن تكتب كتاب طالب بحقك وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نكتاً لمهدك، فإن أطاع فنعمة وعافية، وإن أباه لم تكن بعثت على نفسك حرباً ومشاقةً.»
قال : «فاكتب إليه كما ترى.»
فكتب عنه :

كتاب كتبه ذو الرئاستين عن المأمون إلى الأمين

- «أما بعد فإنّ نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر على إعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببرّه وصلته [43]

وإذا كان ذلك رأيه في عامته فأخبر بأن يكون على مجاوزة ذلك
لصنوه وقسيم نسبه. وقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها
من تغور حطت بين لهواتها وأجناد لا تزال موفية بسرعتها
وينكت آرائها وبقلة الخراج قبلى. والأهل والولد والمال قبل
أمير المؤمنين، وما للأهل - وإن كانوا في كفايه - من برّ أمير
المؤمنين وكان لهم والداً - يَد من الإشراف والزروع إلى كفى،
وما لي بالمال من القوة والظهور على لَم شعتى، وقد وجهت
لحمل المال وحمل ذلك المال فرأى أمير المؤمنين في إحازة
فلان إلى الرقة في حمل ذلك المال والأمر بمعونته عليه غير
مُخرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته، أو حاملٍ له على رأى
يكون على غير موافقته، إن شاء الله.

فكتب إليه محمد في الجواب:

جواب الأمين

«أما بعد، فقد يلفنى كتابك بما ذكرت متناً عليه رأى أمير
المؤمنين في عامته، فضلاً عما يوجب من حقّ ذى حرمة
وخليط نفسه، ومحلّك من لهوات تغور، وحاجتك لمحلّك بينها
إلى فضلة من المال لتأييد أمرك. والمال الذى سُمى لك من مال
الله عزّ وجل [44] وما ينكر أمير المؤمنين حقوق أمريه ودوى
نسيه، وما ذاك بداع أمير المؤمنين إلى ترك الإستظهار لدينه
وعامته، وبه إلى ذلك الذى ذكرت حاجة في تحصين أمور

المسلمين، وكان أولى به إجراؤه على فرائضه وردّه في مواضع
حقّه، وليس بخارج من نفك ما عاد ينفع العامّة من رعيّتك
- «وأما ما ذكرت من حمل أهلك فإنّ يدى المشرفة على
أمرهم، وإن كنت بالمحلّ الذى أنت به من حقّ القرابة ولم أر
من حملهم على سفرهم مثل الذى عرّضتهم له بالسفر من
شهم^(١) وإن أر ذلك من ذى قبل، أوجههم إليك مع الثقة من
رسلى، إن شاء الله.»

ولمّا ورد الكتاب على المأمون قال :
- «لظّ دون حقّما يريد أن يوهن بالمنع قوّتنا ثمّ يتمكّن من الفرصة فى
مخالفتنا.»

كتاب المأمون إلى أعيان العسكر ببغداد
ورأى المأمون والفضل أن يختاروا رجلاً يكتب معه إلى أعيان العسكر
ببغداد، فإن أحدث الأمين للمأمون خلعاً صار إلى التلطف، لعلم أحوال أهلها
بالكتب التى معه وإن لم يفعل من ذلك كنس فى خُفية وأمسك عن إيصالها
وكان نسخة الكتابيّة

«أما بعد [45] فإنّ أمر المؤمنين كأعضاء البدن تحدث العلة فى
بعضها فيكون كره ذلك مؤلماً لجميعها، وكذلك الحدث فى
المسلمين يكون فى بعضهم فيصل كره ذلك إلى سائرهم، للذى

١ كذا فى الأصل ومط. ما فى ١ : شتهم. وليست الكلمة موجودة فى الطبرى (١١، ٧٨٧، ٧٨٨)
ولعله من قولهم : شتم الرجل : أفزعه. شتم القرمز : زجره.

يجمعهم من شريعة دينهم ويلزمهم من حرمة آخرتهم ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أممهم. وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلا سيُعرب عن مقبته ويُسفر عما استتر من وجهه. وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله، إلا كان أولى بمعونة المسلمين وموالاتهم في ذات الله وأنت - يرحمك الله - من الأمر برأى ومسمع، وبحيث إن قلت أذن لقولك وإن لم تجد للقول مساعاً فأمسكت عن مخوف، اقتدى فيه بك، ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا من حقك بالإحسان ولحفظ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثل من الإشراف لأحد الحفظين مع التعرض لعدمهما. فاكتب إلى برأيك وأعلم ذلك رسولي ليؤدبه عنك، إن شاء الله.»

فوافق قدوم هذا الرسول بغداد ما أمر به من الكف عن الدعاء للمأمون [46] في الخطبة، وكان الرسول يحمل الثقة من كل من كتب إليه. فلما أوصلها كان منهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عما في نفسه، ومنهم من أحاب عن كتابه. فكان نسخة كتاب أحدهم:

«أما بعد فقد بلغني كتابك، وللحق برهان يدل على نفسه، تثبت به الحقيقة على كل من صار إلى مفارقتها، وكفى غبناً بإضاعة حظ من حظ العاقبة لمأمول^(١) حظ من عاجله، وأمين في الغين إضاعة عاقبة مع التعرض للنكبة والوقائع ولي من العلم

١ كذا في الأصل وآ والمعبرة في الطبري (١١: ٧٩٠). لما مؤل من حظ عاجله.

بمواضع حظي ما أرجو أن يحسن معه النظر لنفسى، ويضع عني
مؤونة استزادتي.»

وكتب الرسول الذي توجه بهذه الكتب إلى بغداد إلى المأمون وذى
الرئاستين :

«أما بعد، فإني وافيت البلدة وقد أعلن خليطك بتكثيره، وقدم
علماً من اعتراضه ومفارقته، وأمسك عما يجب ذكره وتوفيته
بمحضرته، ودفعْتُ كتبك فوجدت أكثر الناس وُلاة السرائر وبغاة
العلائية، ووجدت المشرفين بالرغبة لا يحوطون غيرها ولا
يبالون ما احتملوا فيها والمنازع مختلفج الرأي [47] لا يجد
دافعاً منه عن همه، ولا داعياً إلى لزوم حجة في عامه،
والمملحون بأنفسهم يحبون تمام الحدث ليسلموا من متهم
حدثهم، والقوم على جدّ، فلا تجعلوا للتواني في أمركم نصيباً
والسلام.»

فلما جاء الخبر إلى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب، قد
شهد بعضها لبعض، قال لذى الرئاستين :

- «أمر قد كان الرأي أخير عن غيبها^(١). ثم هذه طوابع تخبر عن
أواخرها، وكفانا أن نكون مع الحق ولعلّ كرهاً يسوق خياراً.»
ثم أشخص طاهر بن الحسين، وضمّ إليه ثقات قواده وأجاده، فسار

١ كذا في الأصل وآ. ما في الطبري (١١-٧٩٢) عنها

ظاهر مُفْذًا لا يُلَوَّى على شيءٍ حتَّى ورد الرئى، فنزلها ووكل بأطرافه ووضع مسالحه وبثَّ عيونه وطلاته.

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائة

مبادرات من الأمين والمأمون

وفيهما عقد الأمين لابنه موسى على جميع ما استخلف عليه، وجعل صاحب أمره عليّ بن عيسى بن ماهان، وأسقط ما كان ضُرب باسم أخيه المأمون بهراسان من الدينار والدراهم فى سنة أربع وتسعين، لأنَّ المأمون أمر ألا يُثبت فيها [48] إسم محمد، ونهى محمد عن الدِّعاء على المناير كلّها فى عمله للمأمون والقاسم، وأمر بالدِّعاء له، ثمَّ من بعده لابنه موسى، وابنه موسى يومئذٍ طفل صغير وسَمَاء: الناطق بالحق. وجميع ما فعل من ذلك كان عن رأى الفضل بن الربيع وبكر بن المعتز. وبلغ المأمون ذلك، فتسَمَّى بإمام المؤمنين، وكوَّتِبَ بذلك.

وعقد محمد الأمين لعليّ بن عيسى بن ماهان على كور الجبل كلّها: نهاوند وهمدان وقم وإصبهان، حربها وحراجها، وضمَّ إليه جماعة من القوَّاد، وأمر لهم بمائتى ألف دينار، ولولده بخمسين ألف دينار، وأعطاه للجند مالاَ عظيماً، وأمر له من السيوف المعلَّاة، بألفى سيف وسبعة ألف ثوب للخَلع، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقوَّاده المقصورة بالشَّمسِيَّة، وصَلَّى الجمعة ودخل وأجلس ابنه موسى فى المحراب معه الفضل بن الربيع وجميع من أحضر، فقرئ على جماعتهم كتاب من محمد يُعلمهم رأيه فيه، وحقَّه عليهم وما سبق له من البيعة مُقرِّداً، وما أحدث عبد الله من التسمَّى بالإمامة، والدِّعاء إلى نفسه، وقطع البريد، وقطع ذكره من دور الضرب والطرز، [49] وأنَّ ذلك ليس له، وحثَّهم على الطاعة والتمسَّك ببيته.

وتكلم سعيد بن الفضل الخطيب قائماً، فصدق ما فى الكتاب وتكلم بمثله. ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس. فأبلغ فى القول وأكثر، وذكر أنه لا حق لأحد فى الإمامة والخلافة إلا لأمر المؤمنين محمد الأمين. وقال فى آخر كلامه:

«إن الأمير موسى بن أمير المؤمنين قد أمر لكم، يا معشر أهل خراسان، من صلب ماله بثلاثة آلاف درهم يتقسم بينكم». وانصرف الناس.

شخص علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون

وفى هذه السنة شخص علي بن عيسى بن ماهان إلى الحرب وتوجه إلى الرى، فذكر الفضل بن إسحاق أن علي بن عيسى توجه لحرب المأمون يوم الجمعة عشياً لسب يقين من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين إلى معسكره بنهر بين^(١) وكان معه زهاء أربعين ألف رجل ومعه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه، وشيعة أمير المؤمنين محمد الأمين إلى النهروان، فعرض الجند وأقام يومه بالنهر، ثم انصرف إلى مدينة السلام. وأقام علي بن عيسى بالنهر ثلثة أيام، ثم شخص واعد السير حتى نزل همدان وكان كاتب من كان بها وبغيرها بالإنضمام [50] إلى علي بن عيسى. ثم عقد لعبد الله بن جبلة الألبانوى^(٢) وهو الذى طعن رسول المأمون يوم أنعه خلف الفضل بن الربيع إلى نيسابور، وتكلم ما كتبناه على الدينور، وأمره بالمسير فى أصحابه ووجه معه ألفى ألف درهم إلى علي بن عيسى سوى ثلثة آلاف درهم حصلت إليه قبل ذلك، فسار علي بن عيسى من همدان إلى الرى قبل

١. نهر بين (ويقال: نهريل) طسوج من سواد بغداد (مرصد الإطلاع)

٢. كذا فى الأصل وما فى الطبرى (١١ ٧٩٨) الألبانوى.

ورود عبد الرحمان بن جبلة عليه، فسار على تمبشة، ولقيه طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف.

وكان استأمن إلى علي بن عيسى من عسكر طاهر ثلاثة أنفس يتفرَّبون إليه. فسألهم، من هم ومن أي البلدان هم، فأخبره أحدهم أنه كان من جند أبيه عيسى الذي قبله رافع.

قال: «فأنت من جندى؟»

فأمر به فضرب مائتي سوط واستخف بالرجلين وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر فازدادوا جداً في محاربته ونفورا منه.

وأقبل علي بن عيسى في جيشه فامتلات الصحراء بياضاً وصفرة من السلاح والذهب^(١)، وجعل على ميمنته الحسين بن علي، على ميسرته القاسم بن عيسى بن ادريس.

قال أحمد بن هشام، وكان إذ ذاك [٥١] على شرطة طاهر: فما لبثا أن هزمونا حتى دخلوا العسكر فخرج إليهم الأتباع والساسة، فهزموهم. فقال طاهر لَمَّا رأى عسكر علي بن عيسى:

«هذا ما لا قبل لنا له، ولكن نجعلها خارجية.»

فقصد قصد القلب في سبعمائة رجل من الخوارزمية إنتخبهم.

مقتل علي بن عيسى بيمينى طاهر

قال أحمد بن هشام: قتلت لطاهر:

«ألا تذكّر علي بن عيسى البيعة التي أخذها هو علينا للمأمون، خاصة

معاشر أهل خراسان؟»

١. كذا في الأصل ومط والطبرى (١١: ٨٠٠). وفي أ: من السلاح المدحّب.

فقال : « بلى . »

فعلّقوا ذلك على رمح ، وفمت بين الصّفين وقلت :

« الأمان ، لا ترمونا ولا نرميكم . »

فقال عليّ بن عيسى :

« لك ذلك . »

فقلت : « يا عليّ بن عيسى ألا تتقى الله ، أليس هذه نسخة البيعة التي

أخذتها أنت خاصّة علينا ؟ إني الله فقد بلغت باب قبرك . »

فصاح عليّ بن عيسى :

« يا أهل خراسان من جاء به ، فله ألف درهم . »

قال : وكان معي قوم بخارية فرثوه ، فقالوا :

« نقتلك ونأخذ مالك . »

وبرز من عسكر عليّ بن عيسى العباس بن الليث مولى المهدي ، فشدّ

عليه طاهر وجمع يديه على مقبض السيف فضربه فصرعه ، وشدّ داود سيّاه

على عليّ بن عيسى ، فصرعه وهو لا يعرفه فقال داود :

« تازی ایشام کشتیم . »^(١)

فعرفه رجل يعرف بطاهر الصغير [52] بن الساجي فقال :

« أنت عليّ بن عيسى ؟ »

فقال : « نعم أنا عليّ بن عيسى . »

وظنّ أنّه يهاب فلا يُقدم عليه ، فشدّ عليه فذبحه بسيّفه وكانت صريره

طاهر هي الفتح فسُمي يومئذٍ : ذا اليمينين ، لأنّه أخذ السيف بيديه جميعاً .

١ كذا في الأصل وآ ما في الطبري (١١ ٨٠١) . تازی ... كشتیم وهو صحيح .

التسليم على المأمون بالخلافة

ولمّا بُشّر طاهر بن الحسين بقتل عليّ بن عيسى أعتق من كان بحضرته من غلمانته شكراً ثمّ جاؤا بعليّ بن عيسى وقد شدّ الأعوان يديه إلى رجليه وحمل على خشبة مدهق كما يُحمل العمار الميّت فأمر به فلُفّ في لبد وألقى في بئر.

وكتب بالبشارة إلى ذى الرئاستين فسارت الخريطة، وبين مرو وذلك الموضع نحو من خمسين ومائتي فرسخ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ووردت عليهم يوم الأحد. ولمّا ورد الكتاب بالفتح على ذى الرئاستين فضّه فإذا فيه :

«أطال الله بقاءك وكبت أعداءك وجعل من يشاك فداءك. كتابي إليك، ورأس عليّ بن عيسى بين يديّ، وخاتمه في إصبعي، والحمد لله ربّ العالمين.»

فدخل به على المأمون حتّى قرأه، فأمر بإحضار أهل بيته وقوّاده ووجوه الناس فدخلوا، فسلموا عليه بالخلافة، ثمّ ورد رأس عليّ يوم الثلاثاء وطيف به [53] في خراسان.

فحكى عن واحد أنّه لمّا جاء نعيّ^(١) عليّ بن عيسى إلى محمد بن زبيدة، كان في وقته ذلك على الشطّ يصيد السمك مع خادمه كوثر، فقال للذي أخبره :

«ويلك دعني فإنّ كوثرأ قد اصطاد سمكتين وأنا بعد ما صدت شيئاً.» ولمّا نهض من مجلسه ذلك، بعث إلى الفضل ومحمد فأنفذ إلى وكيل

المأمون ببغداد وقيمه في أهله وولده فأخذوا منه المائة ألف الدرهم التي كان الرشيد وصل بها المأمون، وقبض ضياعه وغلاته، ووجه عبد الرحمن بن جبهلة الأناطلي بالعدة والقوة فنزل همدان.

ذكر الحيلة التي احتال بها ذو الرناستين حتى اختار محمد لعره علي بن عيسى دون غيره

كانت كتب ذي الرناستين ترد إلى دسيسه الذي كان الفضل بن الربيع يشاوره في أمره: إن أبي القوم إلا عزمة الخلاف، فالطف لأن يجعلوا أمره لعلي بن عيسى. وإنما خصّ علياً بذلك لسوء أثره في أهل خراسان، واجتماع رأيهم على ما كرهه وأن العامة ترى حربه. فلما شاور الفضل ذلك الرجل الذي كان [54] يشاوره قال علي بن عيسى:

- «إن فعل فلم ترمهم بمثله في بُعد صوته^(١) وسخائه ومكانه من بلاد خراسان في طول ولايته عليهم وكثرة صنائعه فيهم. ثم هو شيخ الدعوة». فاجتمعوا على توجيه علي، فكان من أمره ما كان. وروى أن الأمين لما عزم على خلع المأمون أشار عليه نصحاؤه أن يكاتبه ويسأله القدوم عليه، فإن ذلك أبلغ وأحرى أن يبلغ فيما يوجب طاعته واجابته فكتب إليه:

١ كذا في الأصل وآ ومط وما في الطبري (١١: ٨٠٨): صومه.

كتاب الأمين إلى المأمون

« من عبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أما بعد، فإن أمير المؤمنين رداً في أمرك والموضع الذي أنت فيه من ثغرك وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حطه الله وقبّله من أمور عبادته وبلاده، فكّر فيما كان أمير المؤمنين الرشيد أوجب لك من الولاية، وأمر به من إفرادك بها وإقرارك على ما صير إليك منها. فرجاً أمير المؤمنين ألا يدخل عليه وكف في دينه ولا نكت في يمينه، إذ كان إشخاصه إليك فيما يعود على المسلمين نفعه ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله. وعلم أمير المؤمنين أن مكانك بالقرب منه أسد للشغور وأصلح [55] للحنود وأذر للقي وأرد على العامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعاً عن أهل بيتك مغنياً عن أمير المؤمنين وما يحب الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولى ابنه موسى فيما يقبّله من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك، فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه بأبسط أمل وأفسح رجاء وأحمد أثر وأنفذ بصيرة، فإنك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره، واحتمل عنه النصب فيما فيه صلاح لأهل ملته وذمته، والسلام. »

ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن

عليّ - وإلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك^(١) وإلى صالح صاحب المصلّى، وأمرهم أن يخرجوا إلى المأمون وألاّ يدعوا وجهاً من الرفق، إلاّ بلغوه وسهّلوا الأمر عليه، فيه وحمل معهم من الألطاف والهدايا والبزّ شيئاً كثيراً وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة.

فتوجّهوا بكتابه، فلمّا وصلوا إلى عبد الله أذن لهم، فدفعوا إليه كتاب محمد وما كان بهت [56] معهم من الأموال والهدايا. ثمّ تكلم العباس بن موسى بن عيسى فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

كلام العباس عند المأمون

- «أيها الأمير، إنّ أخاك قد تحمّل من الخلافة ثقلًا عظيمًا، ومن النظر في أمور الناس عبثًا جليلًا، وقد صدقت نيّته في الخير فاعتوره^(٢) الوزراء والأعوان والكفاة على العدل، وقليل ما يأنس بأهل بيته، وأنت أخوه وشقيقه وقد فزع إليك في أموره وأمّلك للموازرة والمكانفة، ولسنا نستبطئك في برّه اتهامًا لنظرك^(٣) له، ولا نحضّك على طاعته تخوفًا لخلافك عليه وفي قدومك عليه أنس عظيم له، وصلاح لدولته وسلطانه. فأجب أيّها الأمير دعوة أخيك وآثر طاعته وأعنه على ما استعان بك من أمره، فإنّ في ذلك قضاء الحقّ وصلة الرحم وعزّ الخلافة، عزم الله على الرشد في أموره وجعل له الخيرة في صواقب رأيه.»

وتكلّم عيسى بن جعفر بكلام قريب المعنى من هذا الكلام، وكذلك محمد بن عيسى بن نهيك وصالح صاحب المصلّى. [57] فلمّا قضوا كلامهم

١ وراد في آ : والدين -

٢ كذا في الأصل وآ ومط - فاعتوره وما في الطبري (١١٠ ٨١٢) . فاعتوره .

٣ كذا في الأصل وآ ومط لنظرك وما في الطبري (١١٠ ٨١٢) لنصرك

وسكتوا، بكلم المأمون فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

كلام المأمون

« إنكم عزّفتُموني من حقّ أمير المؤمنين - أبقاه الله - ما لا أنكره، ودعوتُموني من البرّ والإحسان والموازرة والمعونة إلى ما أؤثره ولا أدفعه، وأنا بالطاعة لأمر المؤمنين حليق وعلى المسارعة إلى ما سرّه ووافقه حريص، وفي الرؤية تبيان الرأي وفي إعمال الرأي يصحّ الإعتزام، والأمر الذي دعاني إليه أمير المؤمنين أمر لا أناخر عنه تثبّطاً ومدافعة، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعجلة، وأنا في ثغر من ثغور المسلمين كليلٌ عدوّ، شديدة شوكته، فإن أهملت أمره لم آمن دخول المكروه والضرر على الجسد والرعيّة، وإن أقمت عليه لم آمن فوت ما أحبّ من معونة أمير المؤمنين وإيثار طاعته، وانصرفوا حتّى أنظر في أمري ويصحّ الرأي فيما أعتزم عليه من مسيرى إن شاء الله. »

ذكر مشاورة^(١) المأمون أصحابه

وما أشار به الفضل بن سهل

ولمّا انصرف القوم تعاظم المأمون ما ورد عليه وأكبره ودعا الفضل [58] بن سهل وقال :

« ما عندك من الرأي؟ »

قال : « أرى أن تتصكّ بموضعك، وألاّ تمكّن من نفسك، ولا تجعل عليك سبيلاً وأنت تجد من ذلك بدءاً. »

١ في الأصل : مشوره. في آ وسط : مشاورة.

قال : « وكيف يمكنني التمسك بموضعي مع كثرة جنود محمد وعظم خزائنه وكثرة أمواله ، مع ما فترق في أهل بغداد من صلاته ، وإنما الناس ما تلون مع الذهب والفضة ، متقادون لهما ، لا يرغبون في وفاء بعهد ولا أمانة . »

فقال الفضل :

- « إذا وقعت التهمة حق الاحتراش . وأنا متخوف عليك من محمد ومن شره إلى ما في يديك ، ولأن يكون في جندك وعزك مقيماً بين ظهرائي أهل ولايتك أخرى ، فإن دهمك منه أمر حددت^(١) له وناجزته وكأيدته فإما أعطاك الله الظفر عليه وإما ست معافطاً متكرماً غير ملق يديك ولا ممكن عدوك من الإحتكام في دينك . »

قال المأمون :

- « لو كان أتانى ذلك وأنا في قوة من أمرى وصلاح من الأمور ، لكان خطبه يسيراً والاحتياال في دفعه ممكناً ولكنه أتانى بعد انتشار خراسان واضطراب عامرها وغامرها ومفارقة جيغويه^(٢) الطاعة والتواء خاقان وتهيؤ ملك كابل للغارة على ما [59] يليه من بلاد خراسان وامتناع ملك ابراز بنده^(٣) بالضريبة ومالي بواحدة من هذه يد وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قدومي إلا لشتر يريده بي وما أرى إلا تخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجارة به فبالحرى أن آمن على نفسي وامتنع ممن أراد قهرى والغدر بي . »

١ كذا في الأصل وأ وسط حددت في الطبري (١١-٨١٤) : جرد

٢ كذا في الأصل جيغويه في مط جنويه وما في آ مهمل تماماً في الطبري (١١-٨١٤) جيغويه .

٣ كذا في الأصل في آ . ايزار بنده في الطبري (١١-٨١٦) - ايزار بنده

فقال له الفضل :

- «أيها الأمير إنَّ عاقبة الغدر شديدة ومغبة الظلم والبنى غير مأمون شرها ورب مستدل قد عاد عزيزاً ومقهور عاد مستظيلاً وليس النصر بالكثرة وجرح الموت أيسر من جرح الذلّ والضميم فأما جبغويه وخاقان فاكتب إليهما وولّهما بلادهما وعيدها التقوية لهما على محاربة الملوك، وأما ملك كابل فابحث إليه بعض طُرف خراسان وهاذه وسله المودعة تجده حريصاً على ذلك، وأما ملك ابراز بنده فسلم له ضريته في هذه السنة وصيّر لها حصه منك له وصلته بها، ثم اجمع إليك أطرافك واضمم إليك من شدّ من جندك، ثم اضرب الخيل بالخيال والرجال، بالرجال فإن ظفرت فذاك، وإلا كنت على اللحاق بخاقان قادراً.» [60]

فقال المأمون :

- «أنا أعمل في هذا وغيره بما ترى.»

وفرق الكتب وأرسل إلى أولئك العُصاة، فأذعنوا ورضوا وكتب إلى قواده وجنوده في الأطراف فأقدمهم عليه، وكتب إلى طاهر بن الحسين وكان يومئذ بالريّ عاملاً من قبل المأمون أن يضبط ناحيته ويجمع إليه أطرافه ويكون على حذر من جيش إن طرقه أو عدوّ إن هجم عليه. وكان الفضل نظر في النجوم وكان جيد المعرفة بأحكامها، فرأى الغلبة لعبدالله، فوطئ نفسه على محاربة محمد الأمين ومناجزته.

كتاب من المأمون إلى الأمين

فلما فرغ المأمون ممّا ذكرناه كتب إلى محمد.

- «لعبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون.

أما بعد، فقد وصل إلى كتاب أمير المؤمنين وإني^(١) أنا عامل
من عمال أمير المؤمنين وعون من أعوانه أمرني الرشيد صلوات
الله عليه^(٢) بلزوم هذا النفر ومكايدة من كاد أهله من عدو أمير
المؤمنين، ولعمري أن مقامى به أرد علي أمير المؤمنين وأعظم
غناء عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين وإن كنت
مختبطاً بقربه مسروراً بمشاهدة نعم الله عليه، فإن رأى أمير
المؤمنين أن يقرني علي [61] عملي ويعفني من الشخوص إليه
فعل، إن شاء الله..»

ثم دعا العباس بن موسى بن عيسى وعيسى بن جعفر وصالحاً فدفع
الكتاب إليهم وأحسن صلتهم وجوائزهم وحمل إلى محمد ما تهيأ له من
الأنطاف الموجودة بخراسان وسألهم أن يحسنوا أمره عنده ويقوموا بهذره.

كلام زبيدة لعل بن عيسى في المأمون

فلما شس محمد الأمين من انقياد عبد الله له، ندب له علي بن عيسى في
خمسين ألف فارس وراجل، ومكّنه من بيوت الأموال والسلاح. فلما أراد
علي الشخوص إلى خراسان، ركب إلى باب زبيدة أم جعفر، فودّعها، فقالت :
«يا علي، إن أمير المؤمنين، وإن كان ولدي، إليه تناهت شفقتي وعليه
تكامل حذري فإني علي عبد الله متعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه

١. وإني.. بلزوم المبالغة ساقطة من مط.

٢. كذا في الأصل وآ صلوات الله عليه والتصلية ساقطة من نسخة مط ضمن المبالغة الساقطة

وأذى وإنما ينبغي ملكٌ نَافس أخاه في سلطانه وعازَّه^(١) على ما في يده،
والكريم يأكل لحمه ويمتعه^(٢) غيره. فاعرف لعبد الله حق ولادته وأحوته،
ولا تجبهه بالكلام، فليست بنظير له، ولا تقتسره اقتسار العبيد ولا توهه بقيد
ولا غلٍّ، ولا تمنع منه جارية ولا غلاماً ولا خادماً ولا تعنف [62] عليه في
السير ولا تساوه في المسير، ولا تركب قبله، ولا تستقلّ على دأبتك، حتّى
تأخذ بركابه. وإن شتمك فاحتمل منه، وإن سفه^(٣) عليك فلا تراذه..»

ثمّ دفعت إليه قيداً من فضّة وقالت :

«إذا صار في يدك فقيداً بهذا القيد..»

فقال لها :

«سأقبل قولك وأعمل بطاعتك..»

فلما ركب علىّ بن عيسى إلى معسكره بالنهروان وخرج معه محمد يشيعة
وحشدت الأسواق والصُّنّاع والفعلة بلغ عسكره فرسخاً بفساطيطه وأبنيته
واقباله. فذكر مشايخ أهل بغداد أنّهم لم يروا عسكراً قطّ كان أكثر رجلاً
وأفره كراعاً وأطهر سلاحاً وأتمّ عدّة وأكمل هيئة من عسكره.

فذكر أنّ منجّبه أناه فقال :

«أصلح الله الأمير لو انتظرت بميرك صلاح القمر فإنّ النحوس غالبية

عليه..»

فقال : «إنا لا ندرى فساد القمر من صلاحه، غير أنّه من نازلنا نازلناه
ومن وادعنا وأدعناه ومن قاتلنا لم يكن عندنا إلاّ إرواء السيف من دمه. إنا
لا نعتدّ بفساد القمر ما وطنّا أنفسنا على صدق اللقاء..»

١- كذا في الأصل وأ. ومط. في الطبري (١١: ٨١٨) : وغاره.

٢- في آ : ويمتّع.

٣- في الطبري (١١: ٨١٨) : سفهك.

ثم سار علي بن عيسى مستهيناً [63] بمن يلغاه فإذا لقيته القوافل من خراسان سألها عن الأخبار فيقولون له: طاهر مقيم بالرئ يعرض أصحابه ويرم الله فوضحك ثم يقول لأصحابه:

- «وما طاهر والله ما بينكم وبين أن ينقصف انفصاف الشجر من الريح العاصف إلا أن يبلغه عبورنا عقبة همدان وهل مثل طاهر يتولى الجيوش ويلقى الحروب وهل تقوى السخال^(١) على نطاح الكباش أو تصير الثعالب على لقاء الأسد.»

ثم أمر أصحابه بطي المنازل والمسير، وقال لأصحابه:

- «إن نهاية القوم الرئ، فلو قد صيرناها وراء ظهورنا فت ذلك في أعضادهم وانتشر نظامهم وتفرقت جماعتهم.»

ثم أنفذ الكتب إلى ملوك الديلم وأهدى إليها التيجان والأسورة والسيوف المعلاة بالذهب ووعدّها الصلوات والجوائز وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان ويمنعوا من أراد الوصول إلى طاهر من المدد فأجابوه إلى ذلك وسار حتى صار في أول بلاد الرئ وأتاه صاحب مقدمته فقال:

- «لو كنت - أبقى الله الأمير - أذكت الميون وبشت الطلائع وارتدت موضعاً تُسكّر فيه وتتخذ خندقاً كان أبلغ في الرأي وآنس للجند.»

فقال: «لا، ليس مثل طاهر ومن معه استعدّ له بالمكائد والتحفّظ إن حال طاهر توّول إلى أحد أمرين: إمّا أن يتحصن بالرئ فيبيته أهلها فيكفونا^(٢) مؤونته أو يخليها ويُدبر راجعاً أو قد قربت منه.»

وأتاه يحيى بن عليّ فقال:

- «أيها الأمير اجمع عسكرك فإنه متفرّق، واحذر البيات فإنّ العساكر لا

١. ما في الأصل مهمل، فأثبتناه كما في الطبري ١٦: ٨١٨. السخال جمع السخلة. ولد الشاة.

٢. في الأصل. فيكونا. قصناه بما في آ: فيكفونا.

تسأس بالتوانى والحروب لا تدبّر بالإغترار ولا تَقُلّ المحارب لى طاهر.
فالشرارة الخفيّة ربّما صارت ضراماً والنلعة من السيل ربّما تهون بها فصارت
بحراً عظيماً وقد قربت عساكرنا من طاهر، فلو كان رأيه الهرب لما كان
يتأخّر إلى يومه هذا.»

قال : «اسكت فإنّ طاهراً ليس فى هذا الموضع الذى ترى وإنّما تتحقّق
الرجال إذا لقيت أقرانها وتستعدّ المناوى لها أكفاؤها ونظراؤها.»

استشارة طاهر

واستشار طاهر أصحابه لتأقرب منه على، فأشاروا عليه أن يقيم بمدينة
الرّى ويدافع القتال [65] ما قدر عليه إلى أن يأتيه من خراسان المدد من
الخيّل ومن يتولّى الحرب دونه وقالوا :

«مقامك بمدينة الرّى أرفق بك وبأصحابك وأقدر لهم على الميرة وأكنّ
من البرد وأقوى لك على المماطلة والمطاولة إلى أن يأتيك مدد.»
فقال طاهر :

«إنّ الرأى ليس ما رأيتم إنّ أهل الرّى لعلّى هائبون ومن معرّته متّقون،
ولست آمن إن حاصرنا أن يدعوا أهلها خوفه إلى الوثوب بنا ومعاونته على
قتالنا، مع أنّه لم يكن قوم قطّ رُوجِموا فى ديارهم وتورّد عليهم إلّا وهنوا
وذلّوا واجتروا عليهم عدوّهم. وما الرأى إلّا أن نصير مدينة الرّى وراء ظهورنا
فإن أعطانا الله الظفر وإلّا عولنا عليها، فقاتلنا فى سككها وتحصّنا بمنعتها
إلى أن يأتينا مدد من خراسان.»

فقالوا : «الرأى ما رأيت.»

فنادى طاهر فى أصحابه فخرجوا فمسكروا على خمسة فراسخ من الرّى،
وأناه محمد بن الغلاء فقال له :

«أيها الأمير، إنَّ جندك قد هابوا هذا الجيش وامتلاَّت قلوبهم خوفاً ورعباً منه. فلو أقمت حتَّى تشاءهم أصحابك ودافعت بالقتال إلى أن يأنسوا بهم ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم.»

فقال: «إني لا أوتى من تجربة وحزم، وإنَّ أصحابي قليل والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم. فإن دافعت بالقتال وأخّرت المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قلتنا وعورتنا وأن يستميلوا من معي بهرغبة أو رهبة فيمنفض عني أصحابي ويخذلني أهل الحفاظ والصبر ولكن ألف الرجال بالرجال وألحم الخيل بالخيل واعتمد على الطاعة والوفاء وأصبر. فإن يرق الله الظفر والفُج فذلك الذي نريد ونرجو، وإن تكن الأخرى فليست بأول من قاتل فقتل وما عند الله أجزل وأفضل.»

وقال عليّ بن عيسى لأصحابه:

«بادروا القوم، فإن عددهم قليل ولو قد زحفتم إليهم لم يصبروا على حرارة السيوف ووقع السهام وطعن الرماح.»

وعباً^(١) جنده ميمّة وميسرة وقلباً وصيرها كثيفة عظيمة، ثمّ نصب عشر رايات في كلّ راية ألف رجل: [67] وقَدَّم الرايات راية راية وصير بين كلّ راية وراية غلوة^(٢) وأمر أمراءها إذا قاتلت الراية الأولى فصبرت وجسّت وطال بها القتال، أن تقدّم التي تليها وتتأخّر التي قاتلت، حتّى ترجع إليها أنفسها وتسريح وتنشط للمحاربة والمعاودة.

ثمّ صير أصحاب الدروع والجواشن والخبره أمام الرايات. ووقف في القلب في غرر أصحابه أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم، وكثّب طاهر بن الحسين كتابه وجعلهم كراديس صفوفاً، وجعل يمرّ بقائد قائد وجماعة

١. الصبّ في الأصل: عبّ.

٢. الغلوة: مسافة بقدر مئة سهم، أهد ما تقدّر عليه.

جماعة ويقول:

- «يا أولياء الله ويا أهل الوفاء، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل الغدر والنكث، إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم ونكثوا الأيمان التي رعيتم فلو قد غضضتم الأبصار وثبتم الأقدام لأنجزتم الله وعده، وفتح عليكم أبواب عزه ونصره. فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النار، وادفعوا بحقكم باطلهم، فإنما هي ساعة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين».

وقلق قلقاً شديداً وحرص حرصاً عظيماً وجعل يقول:

- «يا أهل الوفاء والصدق والصبر، الصبر الصبر، الحفاظ الحفاظ» [68]

فهو على ذلك حتى وثب أهل الرى فأغلقوا أبواب المدينة فنادى طاهر:

- «يا أولياء الله إشتغلوا بمن أمامكم عتت خلفكم فإنه لا ينجيكم إلا الجند

والصدق».

ثم كان من أمرهم ما حكينا قبل.

ولما ورد الخبر بفداد بقتل على بن عيسى كثرت الأراجيف ومشى القواد

بعضهم إلى بعض فقالوا:

- «إن علينا قد قُتل ولسنا نشك أن محمداً سيحتاج إلى الرجال واصطناع

الصنائع وإنما ترفع الرجال رؤوسها في وقت البأس. فليأمر كل رجل منكم

جنده بالشغب وطلب الأرزاق والجوائز، فلملنا نصيب في هذه الحرّة^(١) منه

ما يصلحنا ويصلح جندنا».

فاتفق رأيهم على ذلك وأصبحوا بباب الجسر، فكسروا وطلبوا الأرزاق

وبلغ الخبر عبد الله بن خازم، فركب في أصحابه وفي جماعة كثيرة من قواد

العرب فتراموا بالنشاب والحجارة واقتتلوا قتالاً يسيراً، وسمع محمد الصبغة

١ الحرّة، كذا في الأصل وآ ومط: ما في الطبري (١١، ٨٢٥) الحالة والحرّة العذاب المرجع

الظلمة الكثيرة أو أرض ذات حجارة تخرق سود كأنها أحرقت بالنار.

والتكبير، فأرسل من يأتيه بالخبر فأعلمه أن الجند قد اجتمعوا وشقّبوا لطلب أرزاقهم قال :

- «فهل يطلبون شيئاً غير ذلك ؟»

قال : «لا».

قال : «فما أهون ما طلبوا. إرجع إلى عبد الله بن خازم فثّره أن ينصرف ويواقف [69] الناس على أن يئذل لهم أرزاقهم».

فوافقهم على أرزاق أربعة أشهر ورفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين^(١) وأمر للفقّاد والخواصّ بالصّلات والجوائز.

توجيه عبد الرحمان إلى همدان لحرب طاهر

وفي هذه السنة وجّه محمد المخلوع عبد الرحمن بن جبلة الأبنّوى إلى همدان لحرب طاهر، وانتخب عشرين ألف رجل من الأبناء فضمّهم إليه وحمل معه الأموال وقوّاء بالسلاح والخيول وأجاره بجوائز وولّاه ما بين حلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان، وأمره أن يسبق طاهر إلى همدان ويخندق عليه ويجمع إليه آلة الحرب، وسط يده وتقدّم إليه في التحفّظ والإحتراز وترك ما عمل به على من الإغترار والتضجيع^(٢).

فتوجّه عبد الرحمن حتّى نزل همدان فضبط طرقها وحصّن سورها وأبوابها وسدّ ثلمها وحشّر إليها الأسواق والصنّاع وجمع فيها الآلات والعيّر واستعدّ للقاء طاهر ومحاربته.

وقد كان يحيى بن على بن عيسى لعا قتل أبوه أقام بين الرىّ وهمدان وكان لا يمرّ به أحد من قُلّ أبيه إلا احتبسه. وكان يرى أن محمداً بوليه

١. انظر الطبري (١١: ٨٢٦).

٢. ضجّ في الأمر؛ نصر فيه وتنتد ولم يقم به.

مكان أبيه ويوجه إليه الخيل والرجال. وكتب [70] إلى محمد بسمه ويستنجد به فأجابه محمد يعلمه توجيهه عبد الرحمن بن جبلة الأبنائى ويأمره بالانضمام إليه فيمن تبعه. ولقا بلغ طاهراً خبر عبد الرحمن توجه إليه. فلما قرب من يحيى، قال يحيى لأصحابه :

« هذا طاهر صاحبكم بالأمر، ولست آمن إن لقيته بمن معي أن يصدعنا صدعاً يدخل وهنه على من خلفنا، ويمتثل عبد الرحمن بذلك ويقلدني به العار والمحر عند أمير المؤمنين. فإن أنا استنجدته لم آمن أن يمسك عنا، ضناً برجاله وإبقاء عليهم. والرأى أن نتزاحف إلى مدينة همدان فنمسك قريباً من عبد الرحمن فإن نحن استعناؤه قرب منا عونه وإن احتاج إلينا أعناؤه وقاتلنا معه. »

قالوا: «الرأى ما رأيت.»

فانصرف نحو همدان. فلما قرب منها خذله أصحابه وتفرقوا عنه وأشرف طاهر على مدينة همدان ونادى عبد الرحمن فى أصحابه، فخرجوا على تعبته، فصادف^(١) طاهراً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصير الفريقان وكثر القتلى والجرحى فيهم. ثم إن عبد الرحمن انهزم ودخل همدان وأقام بها أياماً حتى اندمل جراح أصحابه، وقروا ثم أمر [71] بالاستعداد وزحف إلى طاهر. فلما رأى طاهر أعلامه وأوائل خيله قال لأصحابه :

« إن عبد الرحمن يتراءى لنا حتى تقرب منه ثم يقاتلنا. فإن هزمناه يادر إلى المدينة فدخلها وقاتلكم على خندقها وامتنع بسورها، وإن هزمنا اتسع له المجال. فهلتموا تقف له حتى يقرب منا ويبعد من خندقه. »

فوقف طاهر مكانه وظن عبد الرحمن أن الهيبة بطأت به عن لقائه والنفوذ

١ كذا فى الأصل وأخطأ. فصادف. ما فى الطبرى : فصادف. ولكل من الصيغتين وجه

إليه. فبادر قتاله فاقتلوا قتالاً شديداً وصبر أصحاب طاهر فجعل عبد الرحمان يقول:

« يا معشر الأبناء يا أبناء الموت وألغاف السيوف، إنهم العجم وليسوا بأصحاب مطاوعة ولا صبر، فاصبروا لهم فداكم أبى وأمى. »

وقاتل يبدنه قتالاً شديداً وحمل حملات منكرات، فلا يزول أحد من أصحاب طاهر. ثم إن صاحباً لطاهر حمل على أصحاب عبد الرحمان فقتل صاحب علمه وزحمهم أصحاب طاهر زحمة شديدة، فولوا، ووضعوا فيهم السيوف حتى دخلوا همدان يقتلونهم ويأسرونهم. وأقام طاهر على باب المدينة محاصراً. فكان يخرج عبد الرحمن ويقاتل على أبواب المدينة ويرمى أصحابه من فوق السور، حتى اشتد بهم الحصار [72] وتأذى بهم أهل المدينة وتبرموا^(١) بالحرب والقتال، وقطع طاهر عنهم المأذة من كل وجه. فهلك أصحاب عبد الرحمن وتخوفوا أن يشب بهم أهل همدان فأرسل عبد الرحمن إلى طاهر وسأله الأمان ولمن معه فأمنه^(٢) طاهر ووفى له.

واعتزل عبد الرحمن في من كان معه من أصحابه وأصحاب يعنى، وطرده طاهر عمال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال.

وفى هذه السنة قُتل عبد الرحمن بن جبلة الأيناوى بأسد آباد.

ذكر السبب في مقتله

لما وجه محمد عبد الرحمن الأيناوى إلى همدان أتبعه بعبد الله وأحمد ابني العرشى في خيل عظيمة وأمرهما أن ينزلا قصر اللصوص وأن يسمعا ويطيحا لعبد الرحمن ويكونا مدداً له إن احتاج إليهما. فلما خرج عبد

١. كذا في الأصل وأ وتبرموا ما في مط: ويؤمنوا. وهو خطأ.

٢. كذا في الأصل وأ في مط: فوافى منه. بدل «أمنه».

الرحمان إلى طاهر في الأمان كان يُرى طاهراً وأصحابه أنه سالم لهم راضٍ
بعهودهم.

ذكر غفلة من طاهر وإضاعة حزم

ثم اغترَّهم وهم آمنون. فركب في أصحابه ولم يشعر طاهر وأصحابه
حتى هجموا عليهم^(١) [73] فوضعوا فيهم السيوف والنشاب فثبت لهم رجالة
طاهر بالتراس والسيوف. وجثوا على الركب فقاتلوه كأشد ما يكون من
القتال. ولم تزل الرجالة تدافعهم إلى أن أخذت الفرسان عدتها وصدقوهم
القتال. فاقتلوا قتالاً منكراً حتى تكسرت السيوف وتقصفت الرماح وهرب
معظم أصحاب عبد الرحمن فترجل هو في ناس من أصحابه فقاتل حتى قتل
وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، واستبيح عسكره، وانتهى من أفلت من
أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابني العرشى. فدخلهم الوهن والفشل
وامتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً. فوَلُوا منهزمين لا يلوون على شيء حتى
صاروا إلى بغداد.

وأقبل طاهر قد خلت له البلاد بحوز بلدة بلدة وكورة كورة، حتى نزل
بقرية من قرى حلوان يقال لها: شلاشان، فخندق بها وحصن عسكره.^(٢)

١. في آ: عليه.

٢. جاء هنا في مط: تم النصف الأول تحريماً من تجارب الأمم وتتلوه النصف الثاني إن شاء الله تعالى. وكان الفراغ من ذلك في [الـ] عشر الآخر من شهر جمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين ومائتين بعد ألف من الهجرة (سنة ١٢٩١)

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ثم إن محمداً ندب أسد بن يزيد بن يزيد فاشتط^(١) عليه في طلب الأموال فحبسه، وندب عنه أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة إلى حلوان لحرب طاهر. [74]

ذكر الخبر عن حبس أسد ومبيه

قال أسد بن يزيد بن يزيد: بعث إليّ الفضل بن الربيع بعد مقتل عهد الرحمان بن جبلة، فأتيته، فلما دخلت إليه وجدته قاعداً في صحن داره وفي يده رقعة قد قرأها وقد احمرت عيانه واشتد غضبه وهو يقول:

- «ينام نوم الظربان^(٢) ويتبه انتباه الذئب، هته بطنه وفرجه تخاتل الرعاء والكلاب ترصده، ولا يفكر في زوال نعمة ولا يروى في إمضاء رأي ولا مكيدة، قد ألهته كأسه وشغله قدحه، فهو يسجى في لهوه والأيام توضع^(٣) في هلاكه»

ثم وصف عبد الله وتيقظه، وتمثل بشعر للبعيث، ثم التفت إليّ فقال:

- «أبا الحارث أنا وإياك نجرى إلى غاية إن قصّرنا عنها دُمنّا وإن احتهدنا في بلوغها انقطعنا، وإنا نحن شُعب من أصلٍ إن قوى قوينا وإن ضعف ضعفنا. إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء، يشاور النساء ويعول على الرؤيا، وقد أمكن مسامحه من أهل اللهو والخسارة فهم يمدونه الظفر ويمتونه عُنق الأيام. والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيمان الرمل،

١ كذا في الأصل وآ. في مط. فاشتد

٢ الظربان حيوان في حجم القط. أغبر اللون مائل إلى السواد راحته كريحه منتنة

٣ كذا في الأصل ومط وآ. إلا أن ما في آ مهمل.

وقد خشيت [75] أن يهلك يهلاكه وأنت فارس العرب وابن فارسها فرع إليك في لقاء هذا الرجل وأطعمه في ما قبلك أمران: أحدهما صدق طاعتك والآخر شدة بأسك. وقد أمرني بإزاحة علكك ويسط يدك في ما أحببت، غير أن الإقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة، فأنجز حوائجك وعطل المبادرة إلى عدوك، فإني أرجو أن يوليئك الله شرف هذا الفتح ويلتم بك شعث هذه الخلافة والدولة.

فقلت: «أنا لطاعة أمير المؤمنين - أعزه الله - وطاعتك مقدم، وعلى كل ما دخل به الوهن والدل على عدوكما حريص، غير أن المحارب لا يعمل بالغرور ولا يفتح أمره بالتقصير، وإنما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال وقد ملأ أمير المؤمنين أيدي من شهود من العسكر، وتابع لهم الأرزاق والصلوات، فإن سرت بأصحابي وقلوبهم متطلعة إلى من خلفهم من إخوانهم، لم انتفع بهم في لقاء من أمامي، وقد فضل أهل السلام على أهل الحرب وجاز بأهل الدعة والحفظ منازل أهل النصب والمشقة، والذي أسأل، أن يؤمر لي بما يقبضني ويقيم أصحابي [76] الذين تخرجونهم معي بما لا يتطلعون معه إلى ما خلفهم.

قال: «وما هو؟»

قلت: «رزق سنة يطل لأصحابي ويحمل معهم رزق سنة ويخص من لا حاضنة له من أهل الغناء والبلاء، وأحمل ألف رجل من أصحابي الدين معي على الخيل ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور»
فقال: «قد اشتططت^(١) ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين.»

ثم ركب وركبت معه ودخل قبلي، ثم أذن لي فدخلت فما دار بيني وبين

محمد إلا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسي.

فذكر بعض خاصّة محمد أنّ أسداً اقترح على محمد أن يسلم إليه ولدى عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين في يدي، فإن أعطاني الطاعة وألقى بيده وإلا عملت فيهما بحكمي فقال محمد:

- «أنت أعرابي مجنون تدعو إلى الحرق والنخيلط وتقترح فوق قدرك.»
وأمر به فحُبس.

ثم قال محمد:

- «هل في بيت هذا من يقوم مقامه؟ فإنني أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم وما تقدّم من طاعتهم ونصيحتهم.»

قالوا: «نعم فيهم أحمد بن مزيد عمّه وهو أحسنهم طريقة وأصلحهم نية وله مع هذا بأس ونجدة وبصر بسياسة [77] الجنود ومباشرة الحروب.»
فأنفذ إليه محمد يزيداً فأقدمه عليه. قال أحمد: فلما دخلت بغداد بدأت بالفضل بن الربيع، فقلت أسلم عليه وأستعين بمنزلته ومحضره عند محمد. فلما أذن لي دخلت وإذا عنده عبد الله بن حميد بن قحطبة وهو يريد على الشخص إلى طاهر وعبد الله يشتطّ عليه في طلب المال والسلاح والإكثار من الرجال. فلما رأيته رُحِبَ بي وأخذ بيدي فرفعنني حتى صيرني معه على صدر المجلس، ثم أقبل على عبد الله يمازحه ويداعبه، فتبسّم في وجهه ثم قال:

إِنَّا وَجَدْنَا لَكُمْ إِذْ رَثُ حَبْلُكُمْ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَمَّا دُونَكُمْ وَأَبَا
الْأَكْثَرُونَ إِذَا عُدَّ الْحَصَى عَدْدًا وَالْأَمْرِيُّونَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ نَسَبًا

فقال عبد الله:

- «إنيهم لكذاك وإن فيهم لسدّ الخلل ونكّء العدو^(١)».

ثم أقبل على الفضل فقال:

- «إن أمير المؤمنين أجرى ذكرك، فوصفتك له بحسن الطاعة والفضل

النصيحة والشدة على أهل المعصية، فأحبّ اصطناعك والتنويه [78] بك وأن

يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك».

ثم التفت إلى خادمه وقال:

- «مر بإسراج دواتي».

فلم ألبث أن أسرجت له ومضى ومضيت معه حتى دخلنا على محمد وهو

في صحن داره على سرير ساج، فلم يزل يذنبني حتى كدت ألصقه، فقال:

- «إنه قد كثر عليّ تخليط ابن أخيك وطال خلافه عليّ حتى أوحشني

ذلك منه، وولّد في قلبي التهمة له وصيّرتني بسوء مذهبه وحنث طاعته إلى

أن تناوئته من الأدب والحبس بما لم أكن أحبّ تناوله به، وقد ووصفت لي

بخير ونُسبت إليّ جميل، وأحببت أن أرفع قدرك وأعلى منزلتك وأقدّمك على

أهل بيتك وأوليّك جهاد هذه الفئة الباغية وأعرضك الأجر والثواب في قتالهم

ولقاتهم، فانظر كيف تكون، وصحّح نيتك وأعن أمير المؤمنين على اصطناعك

وتشريفك».

فقلت: «سأبذل في طاعة أمير المؤمنين - أعزه الله - مهجتي وأبلغ في

جهاد عدوّه أفضل ما أملّه عندي ورجاء من غنائي وكفايتي، إن شاء الله».

فقال: «يا فضل، ادفع [79] إليه دفاتر أصحاب أسد، واضمم إليه من شهد

المسكر من رجال الجزيرة والأعراب».

وهال لي:

١. نكّأ العدو، رمى العدو: قتل فيهم وجرح وأثخن.

- « اكمش على أمرك وعجل المسير إلى عدوك. »

فخرجت، فانتخبت الرجال، فبلغت عدة من صححت اسمه عشرين ألف رجل، ثم توجهت بهم إلى حلوان.
وكان محمد وصاه فقال:

- « إياك والبغى، فإنه عقال النصر ولا تقدم رجلاً إلا باستخارة، ولا تُشهر سيفاً إلا بعد إعدار، وأحسن صحابة من معك وطالمني بأخبارك في كل يوم ولا تخاطر بنفسك طلب الزلّة عندي ولا تستبقها^(١) في ما تتخوف رجوعها عليّ، وكن لعبد الله بن حميد أخاً مضافاً، أحسن صحبته ومعاشرته ولا تخذله إن استنصرك، ولا تبطئ عليه إن اسرّخك، ولتكن أيديكما واحدة وكلمتكما متفقة. »

ثم قال:

- « سل حوائجك وعجل السراح إلى عدوك. »
فدعا له أحمد وقال:

- « يا أمير المؤمنين تكثر الدعاء لي ولا تقبل في قول باغ ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي، ولا تنقض عليّ ما استجمع من رأي، ومن عليّ بالصفح عن ابن أخير. »

قال: « ذلك [80] لك. »

ثم بعث إلى أسد فحلّ فيوديه وخلقى سبيله.

فخرج أحمد بن مزيد في عشرين ألف رجل [من العرب، وعبد الله بن حميد في عشرين ألف رجل]^(٢) من الأبناء وقد وُصّيا بالتواؤ والتحاب، فتوجهتا حتى نزلا قريباً من حلوان بموضع يقال له: خانقين، وأقام طاهر

١. كذا في الأصل وسط وآ. وفي الطبري (١١: ٨٣٩): ولا تستبقها.

٢. ما بين المقوئين ناقص في الأصل وسط، زدناه من آ.

بموضعه وخندق عليه.

ذكر ما احتال به طاهر عليهما حتى اختلفا

ثم إن طاهراً دس إليهما قوماً، فكانوا يأتون العسكرين جميعاً بالأخبار الباطلة والأراجيف الكاذبة بأن محمداً قد وضع العطاء لأصحابه وقد أمر لهم من الأرزاق بكذا وكذا، ولم يزل يحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم حتى اختلفوا، وقاتل بعضهم بعضاً، فأخلوا خاتمين ورجعوا عنها من غير أن يلقوا طاهراً.

وتقدم طاهر حتى نزل حلوان، فلم يلبث طاهر بعد دخوله حلوان إلا يسيراً حتى أتاه هرثمة بن أعين بكتاب المأمون والفضل بن سهل يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكور إليه والتوجه إلى الأهوار وفتحها، فسلم ذلك إليه وأقام هرثمة بحلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده في طرقها وجبالها. [81]

وتوجه طاهر إلى الأهوار:

المأمون يتسمى أمير المؤمنين

وفي هذه السنة لما انتهى إلى المأمون قتل علي بن عيسى، تسمى بأمير المؤمنين وسلم عليه الفضل بذلك، وصح عنه الخبر بقتل طاهر عبد الرحمان بن جبلة الأبنأوى وغلبته على عسكره، فدعا الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همذان إلى جبل سقن^(١) والتبث طويلاً ومن بحر فارس إلى بحر الديلم [وجرجان]^(٢) عرضاً وجعل له عماله ثلاثة آلاف

١. كذا في الأصل. وما في الطبري (١١: ٨٤١) : يقيان.

٢. زيادة من آ والطبري (١١: ٨٤١)

وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين وسمّاه ذا الرئاستين.

الأمين يوئى عبد الملك الشام

وفى هذه السنة وئى محمد الأمين عبد الملك بن صالح بن على الشام.

والسبب فى ذلك

وكان السبب فى ذلك أن طاهراً لما قوى واستعلى أمره وهرم قواد محمد وجيوشه، دخل عبد الملك بن صالح على محمد وقد كان عبد الملك محبوباً فى حبس الرشيد، فأطلقه محمد، وكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد، ويوجب به على نفسه طاعته ومحبة، فقال :
« يا أمير المؤمنين »

ذكر الرأى الذى أشار به عبد الملك

إئى أرى الناس قد طمعوا بك وأهل العسكر قد اغتمزوا بذلك، وقد بذلت سماحتك [82] فإن أتممت على عادتك أفسدتهم وأبطرتهم، وإن كفت يدك عن العطاء أسخطتهم وأغضبتهم. وليس تملك الجنود بالإمساك ولا تبقى بيوت المال على الاتفاق والسرف، ومع هذا فإن جنودك قد أربعتهم الهزائم وأضعفتهم الحروب وامتلات قلوبهم هيبة لعدوهم ونكولاً عن لقائهم، فإن سترتهم إلى طاهر غلب بقليل من معه كثرهم وهزم بقوة تيته ضعف نياتهم، وأهل الشام قوم قد ضرستهم الحروب وأكبتهم الشدائد، وجلبهم متقاد لى مسارع إلى طاعتي، فإن وجهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً تعظم نكايتهم فى عدوه.

فقال محمد :

- «فأبى موليك ومقومك بما سألت من مالٍ وعدّة، فعجل الشفوص إلى ما هناك واعمل عملاً يظهر أثره واحمد بركة نظرك فيه.»
 فولّاه الشام واستحثّه استحثاً شديداً ووجه معه كثيراً من الجند فلما قدّم عبد الملك الرقة أرسل كتبه ورسله إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الحريرة، فلم يبق أحد ممن يُرجى ويُذكر بأسه وغناؤه^(١) إلّا وعده وبسط أمله. فقدموا عليه رئيس بعد رئيس وفوج بعد فوج فأجازهم [83] وخلع على كلّ من قصده ووصله، وأتاه زواquil الشام والأعراب من كلّ فجٍ، فاجتمعوا وكثروا.

ذكر اتفاق من

واتفق أن بعض جند خراسان نظر إلى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواquil، فتعلّق بها وتصابها^(٢)، واجتمعت جماعة من الزواquil والجند، فأعان كلّ فريق منهم صاحبه وتضاربوا بالأيدي ومشى الأبناء بعضهم إلى بعض وقالوا.

- «إن صيرنا لهم ركبونا بمنل هذا كلّ يوم.»

واستعدّوا، وأتوا الزواquil وهم غارون، فوضعوا فيهم السيوف وذبحوهم في رحالهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتنادى الزواquil، فركبوا ونشبت الحرب، وبلغ عبد الملك فأنفذ رسولاً يأمرهم بالكفّ ووضع السلاح، فرموه بالحجارة وأبلغ عبد الملك من قتل من الزواquil وأنهم خلق كثير مطرّحون وكان مريضاً فضرب بيدٍ على يدٍ ثمّ قال:

- «وا ذلّاه، تستضام العرب في دورها وبلادها وتقتل هذه المقتلة»

١. لمي آ: عناؤه (بإهمال الأول).

٢. في مط: وتصابها.

فغضب من كان أمسك عن الشرّ وعفاكم الأمر، فتأدى الناس [84] وقالوا:
 - «الهرب أهون من العطب والموت أهون من الذلّ، النفير النفير قبل أن
 ينقطع الشمل^(١) ويعوت المطلب ويعسر المهرب.»
 وقام رجل من كلب فقال:

شؤبوبُ حربٍ خابَ من يصلاحها قد شرّعت فرسانها قناها
 فأورد الله لطي قناها إن غمرت كلبُ بها لحاها

ثم نادى:

- «يا معشر كلب، إنها الراية السوداء، والله ما وكت ولا ذلّ ناصرها،
 وإنكم لتعرفون مواقع سيوف خراسان في رقابكم، فاعتزلوا الشرّ قبل أن
 يعظم، وتخطّوه قبل أن يضطرم.

أيها الناس شامكم شامكم، داركم داركم، الموت الفلسطيني خير من
 العيش الجزري^(٢)، ألا آتى راجع، فمن أراد الإنصراف فلينصرف معي.»
 وسار معه أهل الشام وأقبلت الزواجيل حتى أضرّموها ما كان جمعه التجار
 من الأعلاف بالنار وتفرّق ذلك العسكر.

ثم اتفق موت عبد الملك بن صالح في تلك الأيام فلم يبق لذلك الجند
 أثر.

خلع الأمين ومبايعة المأمون ببغداد

وفي هذه السنة خلع محمد بن هارون الأمين وأخذت البيعة لأخيه عبد

١. في الطبري (١١: ٨٤٤): السيل.

٢. كذا في الأصل: الجزري، وما في آ مهمل تملأ، في مط: الحوري.

الله العامون ببغداد [85] وحُبس محمد في قصر أبي جعفر مع أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر وهي زبيدة.

ذكر السبب في ذلك

لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ بِالرَّقَّةِ نَادَى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عِيسَى بْنُ مَاهَانَ فِي الْجَنْدِ، قَصَّرَ الرِّجَالَ فِي الْفَنِّ وَالْفَرَسَانِ فِي الظَّهْرِ، وَوَصَلَهُمْ وَقَوَى ضَعْفَاءَهُمْ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً.

فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ تَلَقَّاهُ الْأَبْنَاءُ بِالتَّكْرَمَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَضَرَبُوا لَهُ الْقَبَابَ وَاسْتَقْبَلَهُ الرُّؤَسَاءُ وَأَهْلُ الشَّرَفِ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فِي أَفْضَلِ كِرَامَةٍ وَأَحْسَنِ هَيْئَةٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ بِأَمْرِهِ بِالرُّكُوبِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «مَا^(١) أَنَا بِمُغْنٍ وَلَا مُضْحِكٍ وَلَا صَاحِبُ خَسَارَةٍ^(٢) وَلَا جَرِي لَهُ عَلَى يَدِي مَالٌ وَلَا وَلِيَتْ لَهُ وَلَايَةٌ، فَلَايَ شَيْءٍ يَرِيدُنِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ أَنْصَرَفَ، فَإِذَا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ..»

فَانْصَرَفَ الرَّسُولُ وَأَصْبَحَ الْحُسَيْنُ، فَوَافِيَ بَابَ الْجِسْرِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى قَصْرِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَبَابِ سَوِّقِ يَحْيَى، ثُمَّ قَالَ:

«يَا مَعْشَرَ الْأَبْنَاءِ، اسْمَعُوا مِنِّي أَنَّ خِلَافَةَ اللَّهِ لَا تَجَاوِزُ بِالْبَطْرِ، وَنِعْمَهُ لَا تَسْتَصْحَبُ بِالتَّجَبُّرِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا يَرِيدُ أَنْ يَوْقِعَ أَدِيَانَكُمْ وَيُنَكِّثَ بِيَعْتَكُمْ، وَهُوَ صَاحِبُ الزَّوَاقِيلِ بِالْأَمْسِ، أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَ عَزَّكُمْ، إِلَى غَيْرِكُمْ وَيَالِلَهِ لئن طَالَبَ بِهِ مَدَّةَ لِيَرْجِعَنَّ وَيَالِ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ. فَاقْطَعُوا أَثَرَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْقَطَعَ

١. في آ: والله ما أنا..

٢. كذا في الاصل: خسارة. في آ: جسارة.

آثاركُم، وضعوا عِزَّهُ قبل أن يضع عِزَّكُم، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا ذلّ ولا يمنعه مانع إلا قُتل، وما لأحدٍ عند الله هُوادة ولا راقب على الإستخفاف بعهوده والختر بأيمانه.»

ثم أمر الناس بعبور الجسر فعبروا واجتمعت الحربية وأهل الأرياض وتسرّعت إليه حيول محمد فاقتتلوا، وأمر الحسين مَن كان معه من خواصّ أصحابه بالتزول فنزلوا وصدقوا القتال حتّى كشفوهم. فخلع الحسين محمداً يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون من غد يوم الإثنين إلى الليل وغداً إلى محمد يوم الثلاثاء.

إخراج محمد من قصر الخلد وما جرى على أمّ جعفر

وقد كان العباس بن موسى الهاشمي قد دخل على محمد، فأخرجه من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر وحبسه هناك، وكذلك [87] فعل بأمّ جعفر. فأبّت أن تخرج فقتّعها بالسوط وسبّها وأغلط لها في القول، حتّى [أ]جلست^(١) في محفّة^(٢) وأدخلت مع ابها، المدينة فلمّا أصبح الناس طلبوا من الحسين الأرزاق وماج الناس بعضهم في بعض فقام محمد بن أبي خالد بباب الشام فقال :

«أيّها الناس والله ما أدري بأيّ سبب تأمر الحسين بن عليّ علينا وتولّى هذا الأمر دوننا، ما هو بأكبرنا سنّاً ولا أكرمنا حسباً ولا أعظمتنا غناءً وفينا

١ في الأصل و ومط جلست والتصحيح ما بقرينة ما في الطبري (١١: ٨٤٧)

٢ كذا في الأصل وا ومط محفّة. والمحفّة، سرير يحمل عليه المريض أو المسافر، ويسمّى تخت روان.

من لا يرضى بالدنية ولا ينقاد للمخادعة. وإني أول من نفص عهده وأنكر فعله فمن كان رأيه رأيي فليعتزل.»

وقام كل رئيس قوم فتكلم وأنكر خلع محمد وأسرّه.

وأقبل شيخ كبير على فرس فصاح بالناس :

« اسكتوا. »

فسكتوا. فقال :

« أيها الناس هل تعتدون على محمد بقطع منه لأرزاقكم؟ »

قالوا : « لا. »

قال : « فهل قصر بأحد من رؤسائكم؟ »

قالوا : « لا. »

قال : « فهل عزل أحداً من قوادكم عن قيادته؟ »

قالوا : « لا. »

قال : « فما بالكم خذلتموه حتى خلع وأسر؟ أما والله ما قتل قوم حليفهم

إلا سلط الله عليهم السيف المقاتل والحتف الجارف، انهضوا إلى خليفكم [88]

فادفعوا عنه وقاتلوا من أراد خلعه والفتك به. »

الحرية يناهضون الحسين بن عليّ

ويحررون محمداً من الأسر

ثم نهضت الحرية ونهض معهم عامة أهل الأرباض في العدة الحسنة،

فقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً عظيماً شديداً منذ ارتفاع النهار إلى

انكسار الشمس، حتى هزموهم وأسروا الحسين بن عليّ. ودخل أسد الحربى

على محمد فكسر قيوده وأقعدّه في مجلس الخلافة. فنظر محمد إلى قوم

ليس عليهم لباس الجند ولا عليهم سلاح، فأمرهم حتى أخذوا السلاح من

الخزائن قدر حاجتهم وانتهب الفوغاء بذلك السبب سلاحاً كثيراً ومتاعاً آخر،
 وأتى بالحسين بن عليّ أسيراً، فلامه محمد ووتّخه وقال :
 - « ألم أقدم أباك على الناس وأولّه أعنة الخيل ؟ ألم أملأ يده من الأموال ؟
 ألم أشرف أقداركم وأرفعكم على غيركم من القواد ؟ »
 قال : « بلى . »

قال : « فما استحققت منك أن تغلغ طاعتي وتؤلب^(١) الناس عليّ ؟ »
 قال . « خذلان الله يا أمير المؤمنين وأنت أكرم من عفا وصفح وتفضل . »
 قال : « فإنّ أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك، فعليك بنار أبيك ومن قُتل من
 أهل بيتك، فقد وأيتك ذلك . »

ثم دعا [89] بخلعة فخلعها عليه وحمله على مراكب وولاه، وهنّاه
 الناس، ثمّ خرج مع نفر من خاصّته ومواليه حتّى عبر الجسر ووقف حتّى
 خفّ الناس، ثمّ قطع الجسر وهرب .

فنادى محمد في الناس فركبوا في طلبه فأدركوه بمسجد كوثر على
 فرسخ من بغداد في طريق نهر بين^(٢) فلما بصر بالخيّل نزل فتحرّم وصلى
 ركعتين، ثمّ حمل عليهم حملات في كلّها يهزمهم ويقتل منهم، ثمّ عثر به
 فرسه، فسقط وابتدره الناس طعناً وضرباً حتّى قتلوه فقال عليّ بن جبلة
 الحرّبي :

ألا قاتل الله الأولى كفروا به وفازوا برأس الهزئى حُسين
 لقد أودوا^(٣) منه قنائة صليّة يشطب بعمانيّ وزمّح زديّين

١. كذا في الأصل وآ والطبري (١١١-٨٤٩) تؤلب وفي مط حطب.

٢. نهر بين : من نواحي بغداد. (مراسد الإطلاّع)

٣. في الطبري (١١١: ٨٥١) : أوردوا

زجا في خلاف الحق عزاً وإمرة فالبسه التأميل خف خشن

قتل محمد بن يزيد المهلبى

وفى هذه السنة رحل طاهر بن الحسين، حين قدم عليه هرثمة، من حلوان إلى الأهواز، فقتل عامل محمد عليها، وكان عامله محمد بن يزيد بن حاتم المهلبى. [90]

وكان السبب فى ذلك

أن محمد بن يزيد المهلبى جمع جيوشاً كبيرة حين توجه إليه طاهر وأقبل حتى نزل سوق عسكر مكرم وصير العمران والماء وراء ظهره. وخاف طاهر أن يعجل إلى أصحابه بجمعهم وسار بتعبته، فجمع محمد بن يزيد أصحابه وقال:

« ما ترون، أطاول القوم وأماطلهم اللقاء، أم أناجزهم كانت لى أم على؟ فوالله ما أرجع إلى أمير المؤمنين أبداً ولا أنصرف عن الأهواز. » فقالوا: «الرأى أن ترجع إلى الأهواز فتحصن بها وتغادى طاهراً اللقاء وتراوجه، وتبعث إلى البصرة فتفرض بها الفرض وتستجيش بمن قدرت عليه من قومك. »

فقبل ما أشاروا به عليه ونابه قومه، فرجع إلى سوق الأهواز فحرص طاهر أن يسبقه إليها قبل أن يتحصن بها فلم يقدر على ذلك. وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها وأسند إلى العمران وعبأ أصحابه ودعا بالأموال فصُبت بين يديه، وقال لأصحابه:

« من أراد منكم الجائزة والمنزلة فليعرفنى أثره. »

وقاتل الناس بين يديه حتى تراكوا وريأهم محمد بن يزيد [91] منهزمين

فقال محمد بن يزيد لنفر كانوا معه من مواليه :

« ما ترون ؟ »

قالوا : « فى ماذا ؟ »

قال . « أرى من معى قد انهزم . ولست آمل رجعتهم ولا آمن خذلان من بقى ، وقد عرمت على الزول والقتال حتى يقضى الله ما هو قاضى . فمن أراد منكم الإنصراف فلينصرف . »

فقالوا : « والله ما أنصغاك إداً ، أعتقنا من الرق ورفعتنا من الضعة وأغنيتنا بعد القلة لننصررك وقت الشدة ثم نخذلك على هذه الحال ؟ بل نتقدم أمامك ونموت تحت ركابك فلن الله الدنيا بعدك . »

ثم نزلوا فحرقوا دوابهم وحملوا على أصحاب طاهر ، وكان المتولى لقتاله قريش بن شبل ، فأكثروا فيهم القتل ، وانتهى بعض أصحاب قريش^(١) إلى محمد بن يزيد فطعنه بالرمح فقتله .

فحكى الهيثم بن عدي قال : دخل ابن أبي عبيدة المهلبى على طاهر فأنشده قوله :

مَنْ أَنْسَبُ الْبِلَادِ لِمَ يَرْمِ مِنْهَا وَمَنْ أَوْحَشَتْهُ لِمَ يُقِمِ

حتى انتهى إلى قوله :

مَا سَاءَ ظَنَّنِي إِلَّا لَوَاحِدَةٍ فِي الصَّدْرِ مَحْصُورَةٍ عَنِ الْكَلِمِ [92]

فتبسم طاهر ثم قال :

« أما والله لقد ساءنى من ذلك ما ساءك وآلمنى منه ما آلمك ، ولقد كنت كارهاً لما كان ، خير أن الحنف واقع والمنايا نازلة ، ولا بد من قطع الأواصر والتكسر للأقارب فى تأكيد الخلافة والقيام بحق الطاعة . »

١ فى الطبرى (١١-٨٥٤) : أصحاب طاهر . آ ومط كالأصل

قال : فظننا أنه يريد محمد بن يزيد [بن] ^(١) حاتم.

وأقام طاهر بالأهواز حتى أنفذ عماله إلى كورها، وولى اليمامة والبحرين وعمان ممّا يلي الأهواز وممّا يلي البصرة، ثم توجه على طريق الهرّ إلى واسط، فجعلت المسالح تقوّض مسلحة مسلحة وعاملاً عاملاً، كلما قُرب منهم طاهر تركوا أعمالهم وهربوا حتى دخل واسط، ووجه قائداً من قواده يقال له : أحمد بن المهلب، نحو الكوفة وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي. فلما بلغه توجه خيل طاهر إليه، خلع محمداً وكتب بطاعته وبيعته إلى طاهر. ثم كتب منصور بن المهدي وكان عاملاً لمحمد على البصرة إلى طاهر بطاعته ثم كتب إليه المطلب بن عبيد الله - وكان بالموصل - بيعته للمأمون وخلعه محمداً، فأقرهم طاهر على ولاياتهم وأعمالهم وكان طاهر نازلاً بجزجرايا ^(٢) ولما رآها قال :

« نعم موضع [93] المسكر. »

وعقد بها جسراً وخندق. فلما وردت عليه كتب أهل هذه المدائن بالتسليم سار منها إلى نهر ضَرْصَر، وعقد بها جسراً وأخذ أصحاب طاهر المدائن.

فحكى أن طاهراً لما توجه إلى المدائن كان فيها حيل كثيرة لمحمد وعليهم البرمكي، قد تحصّن بها والمدد يأتيه في كل يوم والصلوات والخلع. فلما قُرب طاهر منها قدم قريش بن شبل على مقدمته. فلما سمع أصحاب البرمكي طيوله أسرجوا الدواب، وأخذ البرمكي في تعبئة الرجال وجعل من في أوائل الناس ينضمّ إلى آخرهم، فبرّدهم البرمكي ويسوى صفوفه، فكلما

١ ما بين المعقودين ناقص في الأصل، أصفناه من ١، ومط والطبرى (١١ ٨٥٥).

٢ بلد من أعمال النهران الأسفل، بين واسط وخنداد من الجانب الشرقي كانت مدينة حربت مع ما غرب من النهروانات، (مراسد الإطلاع)

سوى صفاً انتفض عليه. فقال :

« اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان. »

ثم التفت إلى صاحب ساقته وقال :

« خلّ سبيل الناس فإني أرى جنداً لا خير عندهم. »

فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد^(١) ونزل طاهر المدائن وقدم قريش بن شيل والعباس بن بخاراخذاء إلى درزيجان وكان نصر بن منصور بن نصر بن مالك^(٢)، وأحمد بن سعيد الحرشي معسكرين بنهر ديبالي، فحسبنا أصحاب البرمكي من الجواز إلى بغداد وتقدم طاهر حتى صار إلى الدريجان [94] حيال نصر وأحمد، ثم شير إليهما الرجال في السفن للقتال، فلم يجر بينهم كبير قتال حتى انهزموا، وأخذ طاهر نحو ذات البسار إلى نهر صرصر ففقد بها جسراً ونزلها.

خلع محمد في مكة والمدينة

وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى عامل مكة والمدينة محمداً وباع المأمون، وأخذ البيعة بهما على الناس، وكتب بذلك إلى طاهر بن الحسين، ثم خرج بنفسه:

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أن محمداً كتب إلى داود بن عيسى بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى، وبعث بجند^(٣) إلى الكتائب اللذين كتبهما هارون

١. المعروف الأخير من «بغداد» يأتي مهملًا في موضع، ومصحفًا في موضع آخر، من هذا الكتاب.

٢. في الأصل : مالك. في أ والطبري (١١: ٨٦٠) : مالك.

٣. كذا في الأصل وأ في الطبري (١١: ٨٦١) - محمد. بدل «بجند»

وعلقهما في الكعبة، فأخذهما. فلما بلغه في هذا الوقت غلبة طاهر على البلاد وقتله من قتل، جمع الحجابة حجة الكعبة، وأهل الشرف والفقهاء، فذكّرهم عهد الرشيد إليهم والمواثيق التي أخذها عند بيت الله الحرام عليهم حين بايع لابنيه: لنكوننّ مع المظلوم منهما على الظالم. ثم قال:

- «قد رأيتم محمداً كيف بدأ بالظلم والبنى على أحويه وكيف بايع لابنه وهو طفل رضيع لم يُفطم، [95] واستخرج الكتائب من الكعبة غاصباً ظالماً فحرّقهما بالنار، وقد رأيت خلعهم ومبايعة عبد الله المأمون بالخلافة، إذ كان مظلوماً مبيّناً عليه.»

فقال القوم بأجمعهم:

- «رأينا رأيك.»

فوعدهم صلاة الظهر وأرسل إلى عجاج مكة صائحاً يصيح:

- «الصلاة جامعة.»

فلما اجتمع الناس صلى بهم الظهر، وكان وُضع له المنبر بين الركن والمقام، فصعد، وكان داود نصيحاً جهيراً فخطب خطبة حسنة ذكّرهم فيها بالشرف والقدمة، وأنّ المسلمين وفود الله إليكم وبكم تأتمّ الناس، ثمّ ذكّرهم عهد الرشيد وما جرى في الكتائب، وعظّم عليهم الأمر ودعاهم إلى خلع محمد، والبيعة للمأمون، وقال:

- «إني قد خلعت محمداً كما خلعت فلنسوتي هذه..» ورمى بها عن رأسه

إلى بعض الخدم تحته، وكانت من برد^(١) حبرة^(٢) حمراء مسلسلة وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - وقد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين، ألا تقوموا إلى البيعة.»

١ في الطبري (١١٠٨٦٢). من برد جرة في آ: من برد جرة حمراء وفي مط: من برد حبرة حمراء

فصعد إليه من هرب من الوجوه والأشراف رجلٌ رجلٌ^(١) إلى وقت العصر، ثم نزل وصلى بالناس وجلس ناحية [96] وتتابع الناس عليه جماعةً جماعةً يقرأ كتاب البيعة ويصافحونه.

فعل ذلك أياماً وكتب إلى ابنه سليمان بن داود وكان خليفته على المدينة يأمره أن يفعل بالمدينة كما فعل هو بمكة، ثم رحل يريد المأمون بمرو، فمر على البصرة، ثم على فارس، ثم على كرمان حتى صار إلى المأمون بمرو، فسُرَّ به المأمون وتيمَنَ ببركة مكة والمدينة، وكتب إليهم كتاباً لطيفاً يهديهم فيه الخير، وأمر أن يكتب لداود عهدان على مكة والمدينة وأعمالهما وزيد ولاية عك، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية، وكتب له إلى الري بمعونة خمسمائة ألف درهم.

وورد داود ومن معه بغداد فنزل على طاهر بن الحسين، فأكرمه وقرَّبه، ووجه معه يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وعقد له طاهر على ولاية اليمن، وبعت معه خيلاً كثيفة، وكان ضمن له يزيد بن جرير أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك اليمن حتى يخلعوا محمداً ويبايعوا المأمون، وساروا جميعاً. فأقام داود على عمله بمكة ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن، فدعا أهلها إلى البيعة للمأمون وخلع محمد وقرأ عليهم كتاب طاهر وأعلمهم عدل المأمون وإنصافه [97] ووعدهم ومناهم، فأجابته أهل اليمن واستبشروا فسار فيهم يزيد بأحسن سيره وكتب بإجابتهم وبيعتهم. وفي هذه السنة عقد محمد نحو أربعمائة لواء لقوادٍ شتى، وأمر على جميعهم علي بن محمد بن عيسى بن نُهيك وأمرهم بالمسير إلى هزيمة بن أعين. فساروا فالتقوا بجُلُلتنا^(٢) فهزموهم هزيمة وأسر علي بن محمد بن نُهيك

١ كذا في آ بالتكرار والربع. وفي الطبري (١١: ٨٦٢): رجل فرجل

٢. من قرى البهروان، أو من نهر جلولا بطريق خراسان انظر. مراد الإطلاع

وبعث به هرثمة إلى المأمون وزحف هرثمة فنزل الهروان.

استئمان جماعة من أصحاب طاهر إلى محمد

واستأمن إلى محمد جماعة من أصحاب طاهر، ففرّق محمد فيهم مالا عظيماً وقوّد منهم جماعة وغلّل لحاهم بالعالية فسَمّوا قوّاد العاليد. وكان سبب استئمان أصحاب طاهر ما كان يبلّغهم من عطاء محمد وبذله الأموال والكسّي. فخرج من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خراسان فسُرّ بهم محمد، ووعدهم ومآهم وأثبت أسماءهم في الثمانين، ودسّ محمد إلى أصحاب طاهر، وفرّق فيهم الجواسيس وأطمعهم، فشغبوا على طاهر، وراسل طاهر عيونهم وجواسيسهم ببغداد بأن يُغري أصاغرهم بأكابرهم، لأنّه فرّق في الأكابر خاصّة مال، فشغبوا على محمد.

ثمّ أخرج محمد المستأمنة [98] مع خلق كثير - ومع كلّ عشرة أنفس منهم طبل - إلى طاهر، فأرعدوا وأجلبوا^(١) حتّى أشرفوا على نهر صرصر فعبّى طاهر أصحابه كراديس وجعل يمرّ على كردوس كردوس فيقول:

« لا يفرّتكم كثرة من ترون، فإنّ النصر مع الصدق والفلاح مع الصبر. »

ثمّ أمرهم بالتقدّم، فصبر الفريقان ثمّ انهزم أهل بغداد وانتهبهم أصحاب طاهر، ثمّ كثر الشغب على محمد ونقب أهل السجون سجونهم وخرجوا، وفتن الناس، ووثب على أهل الصلاح الدّعار والشطّار، فعرّ الفاجر وذلّ المؤمن واختلّ الصالح وساءت حال الناس، إلّا من كان في عسكر طاهر، لتفقده الأمور، وغادى القتال وراوحوه حتّى خربت بغداد، وتواكل الفريقان وقاتل الأخ أخاه والابن أباه واحترب الناس^(٢).

١ والمعبرة في الطبرى (٨٦٥: ١١) : فأرعدوا، وأبرقوا، وأجلبوا، ودنّوا.

٢. احترب الناس : أوقدوا نار الحرب.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

محاصرة طاهر وهرثمة وزهير

بن المسيّب محمداً ببغداد

وفى هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيّب محمداً ببغداد. أما زهير فنزل قصرأ بركة كلواذى ونصب المجانيق والمرايات واحترق الخنادق، وكان إذا اشتغل الجند بحرب طاهر يرمى بالمرايات من أقبل ومن أدبر ويعثر أموال [99] التجار ويهتبي السفن. وأدى الناس وبلغ منهم كل مبلغ وبلغ أمره طاهراً وأتاه الناس فشكوا ما نزل بهم من زهير، ثم قصده الناس بالحرب وبلغ ذلك هرثمة فأمدّه بالجند وقد كاد يؤخذ، فأمسك عنه الناس.

وأما هرثمة فنزل نهرين وجعل عليه خندقاً وحائطاً، وأعد المجانيق والمرايات.

وأُنزل طاهر عبيد الله بن الوضّاح الشماسية. وأما طاهر فنزل البستان الذى بباب الأنبار.

فذكر عن الحسين الخليع - وكان ينادم محمداً - أنه قال: لما نزل طاهر البستان الذى بباب الأنبار دخل محمداً أمر عظيم وضاق به ذرعاً، وكان فرّق ما فى يده من الأموال، فأمر ببيع كل ما فى الخزائن وضرب آية الفضة والذهب دباير ودراهم يفرّق فى أصحابه وفى نفقاته.

واستأمن إلى طاهر سعيد بن مالك^(١) بن قادم، فولاه ناحية من الأسواق وشاطئ دجلة وما اتصل به أمامه إلى جسر دجلة وأمر بحفر الخنادق وبناء

١ فى الأصل ملك ما أثبتنا كما فى آ وسط والطبرى (١١٠: ٨٧) : مالك.

الحيطان من كل ما غلب عليه من الدور والدروب، وأمدّه بالنفقات والفصة والفرسان والسلاح فكثُر الخراب والهدم [100] حتى درست محاسن بغداد، وأرسل إلى أهل الأرياض من طريق الأنبار وباب الكوفة وما يليها، فكلّمها أجابه أهل ناحية خندق عليهم ووضع مسالحه وأعلامه، ومن أبى إجابته والدحول في طاعته ناصبه وفاتله وأحرق منزله، وفعل ذلك قوّاده وفرسانه وربّائته حتى أوحشت بغداد. وقال الشعراء في ذلك شيئاً كثيراً لم نجد فيه ما نختاره فتركناه.

وسمّى طاهر الأرياض التي خالفته سكانها ومدينة أبي جعفر والشرقية وأسواق الكرخ والخلد وما والاها: دار النكث، وقبض ضياع من لم ينجز إليه من بنى هاشم والمؤاد والموالي وغلاتهم، حيث كانت من عمله فذلّوا وانكسروا، وتواكلت الأجناد عن القتال إلا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والطارئين.

وكان الأمين قد تقدّم إلى خالد بن أبي الصقر والهرش بإباحتهم النهب والاستعانة بهم على قتال طاهر. وكان محمد بن عيسى بن نهيك صاحب شرطة محمد يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباش، وكان محمد بن عيسى غير مدهن في أمر محمد وكان مهيباً في الحرب [101] وكان من يجرى مجراه من أصحاب محمد على أفراهمرد، وكان موثقاً بقصر صالح وسليمان بن أبي جعفر وفي يده مجانيق وعزادات يحفظ بها ما في يده من تلك النواحي إلى حدّ الجسور، فأمر الباعة والفوعاء والعراة باتخاذ ترانس من البوارى وبالرمي بالمقاليع وما أشبهها، فكانوا يقاتلون ويؤثرون في أصحاب طاهر وهرثمة، ومحمد قد أقبل على اللهو والشرب ووكل الأمر كلها إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهرش.

فأتى الفضل بن الربيع فآثمه استر وخفي أمره قبل أن ينتهي بهم الأمر إلى

هذا بزمان كثير، فاستكلب العيثارون والعراة وسلبوا من قدروا عليه من الرجال والنساء والضعفاء من أهل الذمة والملة، فكان منهم في ذلك ما لم يبلغنا أن مثله كان في شيء من الأوقات المتقدمة. فأما في المستأنف^(١) فقد جرت أمور عظام قبيحة مثل هذا وأصبح منه سنذكرها إذا بلغنا إليها إن شاء الله.

فلما طال ذلك على الناس وضاعت بغداد بأهلها استأمن محمد بن عيسى صاحب الشرطة وعليّ افراهمرد إلى طاهر، فضعف أمر محمد جداً وأيقن بالهلاك وخرج من بغداد كل من كانت [102] به قوة، بعد الغرم الفادح وبعد المضايقة^(٢) العظيمة والخطر الفاحش، فكان الرجل أو المرأة إذا تخلص من أصحاب الهرش وصار إلى أصحاب طاهر، ذهب عنه الروع وأمن، وأظهرت المرأة ما معها من حليها وغير ذلك، وكذلك الرجل.

ولما صارت الحرب بين العيثارين وبين أصحاب طاهر، خرج قائد من قواد حراسان، ممن كان مع طاهر بن الحسين من أهل البأس والنجدة، فنظر إلى قوم عراة لا سلاح معهم، فاستهان بهم واستحقرهم وقال لأصحابه :

« ما يقاتلنا إلا من أرى ؟ »

قالوا : « نعم، هؤلاء^(٣) هم الآفة. »

قال : « أف لكم حين تحييمون عن هؤلاء وتنكصون عنهم وأنتم في السلاح الظاهر والمعدة، وأنتم أصحاب الشجاعة والبسالة وما عسى أن يبلغ كيد

١. كما في آ. المستأنف وما في الأصل غير واضح المستأنف ؟ ولم نجده في مخطأته في الطبري (١١ : ٨٨٣)

٢. ما في الأصل يحتمل أن يكون « مصاتعة »، والمصاتعة : المصارعة

٣. في الأصل : هؤلاء استحقرهم الآفة. وما في آ كما أشتبه والمبارة في الطبري (١١ : ٨٨٥) نعم، هؤلاء الذين ترى هم الآفة. وربما كانت ما في الأصل : هؤلاء الذين استحقرتهم هم الآفة.

هؤلاء بلا سلاح ولا جُنَّة ؟»

ثم أوتر قوسه وتقدّم ووضع عينه على بعضهم، فقصده نحوه وفي يده بارية^(١) مقيرة وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار، فوقع في باريته وقريباً منه فهاخذه فيجعله في موضع من باريته [103] قد هتأه لذلك شبيهاً بالحربة، فكلما وقع في ترسه منهم أخذه وصاح.

- «دق»-

أي ثمن النشابة دق قد أحرزه.

فلم يزل حال الخراساني وحال العيار تلك، حتى أنفذ الخراساني سهامه، ثم حمل على العيار ليصر به بسيفه، فأخرج العيار من مخلاته حجراً فجعله في مقلاعه ورماء، فما أخطأ به عينه، ثم ثناه سريعاً فكاد يصرعه عن فرسه لولا تعامله وكز راجعاً وهو يقول.

- «ما هؤلاء بأنسي»-

فحدث طاهر بحدثه فاستضحك وأعفا الخراساني من الخروج إليهم. وقال بعض شعراء أهل بغداد:

خَرَجْتَ هَذِهِ الْعُرُوبُ رَجَالاً	لَا لِقِحْطَانِهَا وَلَا لِزَارِ
مَعشَرٍ فِي جَوَائِشِ الصُّوفِ يَحْدُو	نَ إِلَى الْحَرْبِ كَالْأَسُودِ الصُّوَارِ
وَعَلَيْهِمْ مَغَافِرُ الْحَوْصِ تُجْزِي	هُمْ عَنِ الْبَيْضِ وَالثَّرَاسِ الْبُوَارِ
لَيْسَ يَدْرُونَ مَا الْفَرَارُ إِذَا الْأَبْ	طَالُ عَاذُوا مِنَ الْقَنَا بِالْفَرَارِ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَشُدُّ عَلَى الْآلِ	سَفِينِ عَزِيَّانَ مَا لَهُ مِنْ إِزَارِ

١ وال ضبط في الطبري (١١ ٨٥٥) وفي تد (٤١٣): بارية (بالتشديد) ولا شدة على ما في الأصل

ويقول العتي إذا طعن الـ طُعْنَةً خدّها مِن الْفَتَى الْعَبَّارِ [104]

فى أبيات كثيرة، ووصفهم الشعراء كثيراً.

وأخذ طاهر فى الهدم والحرق على من خالفه ومنع الملاحين وغيرهم من إدخال شىء إلى بغداد ووضع الرُّصْد عليهم فكان يحوى فى كل يوم ناحية بعد ناحية ويخندق عليها ويقم عليها المقاتلة. فكان أصحاب محمد ينقضون، حتّى لقد كان أصحاب طاهر يهدمون الدار وينصرفون، فيقلع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد ويكونون أضّرّ عليهم من أصحاب طاهر.

ولمّا منع طاهر الميرة من بغداد وكان يأخذ من كل سفينة تحمل دقيقاً أو غيره مائلاً عظيماً غلت الأسعار، وصار أمر الناس إلى القنوط واليأس من الفرج وحسد المقيم منهم من قد خرج عنها. وصار^(١) أمر محمد إلى أن أمر غلامه زَرْجُج بتتبع الأموال وطلبها عند من وجد، وأمر الهرش بطاعته، فكان يهجم على الناس فى منازلهم ويبسّهم ليلاً ويأخذ بالظنة، فجبى بذلك السبب أموالاً كثيرة وأهلك خلقاً.

ثم إن حاتم بن الصقر من قوَاد محمد وكان قد واعد أصحابه العراء أن يواقعوا عبيد الله بن الرضّاح ليلاً، فمضوا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم، فأوقعوا به وقعة [105] أزالوه عن موضعه، وولّى منهزماً، فأصابوا له خيلاً وسلاحاً.

الخبر عن هزيمة هرثمة

وبلغ الخبر هرثمة، فأقبل فى أصحابه لنصرته وليردّ المسكر إلى موضعه،

١. فى مط: وآل، بدل «وصار»

فوافاه أصحاب محمد وتُشبت العرب بينهم فأسر رجل من الغراء هرثمة ولم يعرفه، فحمل بعض أصحاب هرثمة على العريان فقطع يده وخلّص هرثمة، فمّر منهزماً وبلغ خبره أهل عسكره فتقوّض بما فيه وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حلوان، وحجز الليل أصحاب محمد عن الطلب والسهب والأسر، فلم يتراجع أصحاب هرثمة إلّا بعد يومين وثلاثة، وقويت العراة بما صار في أيديهم. وقيلت في هذه الواقعة أشعار كثيرة.

وبلغ طاهراً هزيمة عبيد الله بن الوضّاح وهرثمة وما صار إلى العراة من سلاحهم وأموالهم، فاشتدّ عليه وقام منه وقعد، ووجه إلى أصحابه وعبّأهم وأمر بعقد جسر فوق الشساسية وخرج معهم إلى الجسر، فمعبروا النهر وقاتلوهم أشدّ قتال يكون، حتّى ردّوا أصحاب محمد وأزالوهم عن الشساسية [106] وردّ إليها جند عبيد الله وهرثمة. وكان محمد أعطى بنقض^(١) قصوره ومجالسه بالخيزرانية بعد ظفر العراة ألفي ألف درهم في مواضعها وقد كانت النفقة عليها عشرين ألف ألف درهم. فحرقها أصحاب طاهر وكانت السقوف مذهبّة.

وهرب عبيد الله بن خازم بن خزيمّة، لأنّ محمداً اتهمه وتحامل عليه قوم من السفلة والعيّارين، فخافهم على نفسه فلدحى بالمدائن ليلاً في السفن بعياله وولده، وأقام بها ولم يحضر شيئاً من القتال وفعل ذلك بمواطاة طاهر. وضاق على محمد أمره ونفذ ما كان عنده ولم يبق له حيلة، وطلب الناس الأرزاق فقال عند ضجره بذلك :

«وددت أنّ الله قتل الفريقين جميعاً وأراحني منهم، فما منهما إلّا عدوّ، وأمّا هؤلاء فيريدون مالي ولم يبق، وأمّا هؤلاء فيريدون نفسي.»

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

بين خزيمة وطاهر

وفيها كاتب طاهر خزيمة بن خازم يذكر له أن الأمر إن انقطع بينه وبين محمد ولم يكن له أثر في نصرته لم يقصر في مكروهه. فلما وصل كتابه إليه شاور ثقاته [107] فقال له أصحابه وأهل بيته :

- «نرى والله إن هذا الرجل آخذ بقفا صاحبنا عن قليل، فاحتل لنفسك ولنا.»

فكتب إلى طاهر بطاعته وأخبره أنه لو كان هو النازل في الجانب الشرقي مكان هرثمة لكان يحمل نفسه على كل هول، وأعلمه قلّة ثقته بهرثمة ويناشده ألاّ يحمل على مكروه عظيم إلا أن يضمن له القيام دونه، ووعدّه بإدخال هرثمة وقطع الجسور وأنه يتّبع هواه ويؤثر رضاه، وأنه إن لم يضمن ذلك فليس يسعه تعريضه للسفلة والغوغاء والرعاع والتلف.

فكتب طاهراً إلى هرثمة يلومه ويعجزه ويقول :

- «جمعت الأجناد وأتلفت الأموال دون أمير المؤمنين ودوني في مثل حاجتي إلى النفقات وقد توقفت عن قوم هيّنة شوكتهم يسير أمرهم توقّف المحمم الهائب لهم، إستعدّ للدخول فقد أحكمت الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور وأرجو ألاّ يختلف عليك في ذلك إنسان، إن شاء الله.»

فأجابه هرثمة :

- «أنا عارف ببركة رأيك وضمن مشورتك فمر بما أحببت، فلن [108] أخالفك.»

قال : فكتب بذلك طاهر إلى خزيمة.

خزيمة ودعوته للمأمون

وكان كتب طاهر إلى محمد بن علي بن عيسى يحتل ذلك قبل، فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وثب خزيمه بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر دجلة، فقطعاه ورگزا أعلامهما عليه وخلعا محمداً، ودعوا لعبد الله المأمون، وسكن أهل الجانب الشرقي ولزموا منازلهم وأسواقهم من يومهم ذلك، ولم يدخل هرمة حتى تقدمه قوم وعادوا إليه فحلفوا أنه لا يرى مكروه^(١) فدخل حينئذ.

وبأكر طاهر من غد ذلك اليوم وهو يوم الخميس المدينة وأرباضها، والكرخ وأسواقها، وهدم قنطرتي الصراء العتيقة والحديثة واشتد عندهما القتال، وبأشر طاهر القتال بنفسه وقاتل بين يديه أصحابه حتى هزم أصحاب محمد، وفرّوا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد حتى دخل قسراً بالسيف، وأمر مناديه بالأمان لمن لزم منزله، ووضع بقصر الوضاح وسوق الكرخ والأطراف قواداً وجنداً في كل موضع على قدر حاجته منهم، وقصد [109] إلى مدينة أبي جعفر فأحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن الجسر إلى باب خراسان وباب الشام وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصراء إلى مصبها في دجلة بالخيول والسلاح، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبأزاء قصر زبيدة وقصر الخلد وروماه.

وخرج محمد بأمره وولده إلى مدينة أبي جعفر وتفرّق عنه عامة جنده وخصيائه وجواريه في السكك والطرق لا يلوي منهم أحد على أحد وتفرّق

١. في الأصل : مكروهاً.

الفوغاء والسفلة وتحصن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيق والماء وغيرهما. فحكى طارق الخادم وكان من خاصة محمد - وكان العامون بعد ذلك أيضاً يقدمه - أن محمداً سأله يوماً من الأيام وهو محصور - أو قال في آخر يوم من أيامه - أنْ أطعمه شيئاً. قال : قد خلت المطبخ فلم أجد شيئاً فجئت إلى حمرة^(١) العطاراة وكانت خاتنة^(٢) الجوهر فقلت لها :

- «إنَّ أمير المؤمنين جائع، فهل عندك شيء؟ فأتني [110] لم أجد في المطبخ شيئاً؟»

فقلت لجارية لها يقال لها بنان :

- «أي شيء عندك؟»

فجاءت بدجاجة ورغيف، فأتيته بهما فأكل وطلب ماءً يشربه فلم يجد في خزانة الشراب ماءً، فأمسى وكان عزم على لقاء هرثمة، فما شرب ماءً حتى أتى عليه.

ذكر اتفاقات عجيبة

حكى إبراهيم بن المهدي أنه كان نازلاً مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب لما حصره طاهر. قال : فخرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من الصيق الذي هو فيه، فصار إلى قصر القرار في قرن الصراة في جوف الليل، ثم أرسل إلى فصرته إليه، فقال لي :

- «يا إبراهيم أما ترى طيب هذه الليلة وحسن هذا القمر وضوءه في الماء - ونحن حينئذٍ في شاطئ دجلة - فهل لك في الشرب؟»

١. في الأصل حمرة وهو تصحيف وفي الطبري (٩٠٨.١١) : حمرة العطاراة

٢. في الطبري : جارية الجوهر.

قلت : « شأذك ، جعلنى الله فداءك . »

قال : فدعا برطلي فشربه ، ثم أمر فصفيت مثله .

قال : فابتدأت أغثيه من غير أن يسألنى لعلمى بسوء خلقه ، فغثيت ما كنت أعلم أنه يحبه فقال لى :

- « ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ »

فقلت : « ما أخرجنى إلى ذلك . »

فدعا بجارية متقدمة عنده يقال [١١١] لها : ضَعْفُ ، فتطيرت من اسمها ونحن فى تلك الحال التى هو عليها . فلما صارت بين يديه قال ^(١) لها :

- « تغنى . »

فغنت بشعر النابغة الجعدي :

كَلَيْبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرُ جُرْماً مِنْكَ ضُرْحَ بِالْدُمِ

قال : فاشتد عليه ما غنت به وتطير منه فقال لها :

- « غنى غير هذا . »

فغنت :

أَبْكَى فِرَاقُهُمْ عَيْنِي فَأَزَقَهَا إِنَّ الثَّفَرُوقَ لِأَحْبَابِ بَكَاءِ
مَا زَالَ يَمْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَنَاءَوْا ^(٢) وَرَيْبُ الدَّهْرِ غَدَاءُ

فقال لها :

١. فى الأصل : قالت ، وهو سهو

٢. كذا فى الأصل وآ و مط . تناءوا فى الطبرى (٩١١ - ٩٠) : غفانوا .

- «لعمرك الله، أما تعرفين من الغناء شيئاً سوى هذا القرن؟»
 فقالت: «يا سيدي ما تغنيت إلا بما ظننت أنك تحبه، وما أردت ما
 تكرهه، وما هو إلا شيء جاءني.»
 ثم أخذت تغنى:

أما ورب السكون والحرك
 ما اختلف الليل والنهار ولا
 إلا لينقل السلطان من ملك
 وملك ذي العرش دائم أبداً
 إن الصنابغ كثيرة الشرك
 دارت نجوم السماء في القلبي
 عاتٍ بسلطانه إلى ملك
 ليس يفاني ولا يشتركي [112]

فقال لها:

- «قومي، غضب الله عليك ولعمرك.»
 فقامت.

وكان له قدح من بلور حسن الصنعة، وكان محمد يستيه: رُبّ رباح،
 وكان موضوعاً بين يديه فقامت الجارية منصرفة، فسحبت عليه رداؤها
 فكسرتة وقالت:

- «تعس وانتكس الشيطان.»

فقال إبراهيم:

- «ويحك يا إبراهيم أما ترى ما جاءت به هذه الجارية، ثم ما كان من
 كسر القدح؟ والله ما أظنّ أمرى إلا وقد قرب.»
 فقلت: «يطيل الله بقاءك ويعزّ ملكك ويديم نعمتك ويكبت عدوك.»
 فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتاً عن دجلة:

« قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ »^(١)

فقال لي :

« يا إبراهيم أما سمعت ؟ »

قلت : « لا والله ما سمعتُ شيئاً . وقد كنت سمعتُ . »

قال : « تَسْمَعُ حَسُّنَا . »

قال : فدنوت من الشطّ فلم أر شيئاً ، ثم عاودنا الحديث فعاد الصوت :

« قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . »

فوثب من مجلسه ذلك مفتعاً ، ثم ركب ورجع إلى موضعه بالمدينة ، فما

كان بعد هذا إلا ليلة أو ليلتان ، حتّى حدث ما حدث من قتله . [113]

وفي هذه السنة قُتل محمد بن هارون الأمين .

مقتل محمد بن هارون الأمين

ذكر ما أُشير به على محمد فلم

يقبله وما تأدّى إليه الأمر

لَمَّا صار محمد إلى المدينة وقرّ فيها وعلم قوّاده أنّه ليس لهم ولا له فيها

عدّة للحصار . وخافوا أن يُظفر بهم دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد

بن إبراهيم بن الأغلّب الأفريقي وقوّاده فقالوا له :

« قد آلت حالك وحالنا إلى ما ترى ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك ، فانظر

فيه واعتزم عليه ، فإنّا نرجو أن يكون صواباً ، إن شاء الله . »

قال : « وما هو ؟ »

قالوا « قد تفرّق جنّدك عنك وأحاط عدوك بك من كلّ جانب وقد بقي

من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها وجيادها سوى مراكبك، فرى أن تختار ممن عرفناه بمحبتك من الأبناء سبعة آلاف رجل، فتحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب، فإن الليل لأهله، فنخرج ولن يثبت لنا أحد وتسير حتى تلحق بالشام والجزيرة فنفرض الفروض ونجبي الخراج وتصير في مملكة واسعة ومملك جديد، فيسارع إليك الناس من كل أوب وينقطع الجنود في طلبك وإلى ذاك ما قد أحدث الله في مكر^(١) الليل والنهار أموراً.»

فقال لهم:

- «نعمًا رأيتم.» [114]

واعتزم على ذلك وخرج الخبر إلى طاهر، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر وإلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى السندی بن شاهك:

- «قد بلغني عزيمة محمد وولاه لن لم تردوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها، ثم لا تكون لي همة إلا نعوسكم. فإن هؤلاء الذين يسرون مع صعاليك لا يخلفون شيئاً يشفقون عليه. فاعملوا على ما رسمته تسلموا، إن شاء الله.»

فدخلوا على محمد وقالوا:

- «نذكرك الله في نفسك فإن هؤلاء صعاليك، وقد ضاق عليهم الحصار وهم يرون أن لا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر، لما قد انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجذ، فيها ولنا نأمن إذا برزوا وحصدت في أيديهم أن يأخذوك أسيراً أو يأخذوا رأس عدوك فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم.»

وضربوا له فى ذلك الأمثال حتى فزع وغمر عزمه ورأيه.
وكان أصحابه الذين أشاروا بما أشاروا أولاً جلوساً فى رواق البيت،
فسمعوا جميع ما قاله سليمان وأصحابه، فهتوا جميعاً بقتل سليمان
وأصحابه، ثم قالوا:

- «حرب من حارج وحرب من داخل.» [115]
فأسكوا.

ثم أشار عليه هؤلاء وقالوا:

- «قد بُذِل لك الأمان فاقبله، فإنما غايتك اليوم السلامة واليهو، وليس
يمنعك^(١) أخوك من ذلك وسينزلك حيث تحب ويفردك مع من تحب وتهوى،
وليس عليك منه بأس ولا مكروه.»

فركن إلى ذلك وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة دون طاهر، وكان استشر
خوفاً من طاهر. وكان جماعة من أصحابه يكرهون هرثمة، لأنهم كانوا من
أصحابه وقد عرفهم وعرفوه وخافوا أن يجفوههم ولا يجعل لهم مراتب،
فدخلوا على محمد فقالوا:

- «أما إذ أبيت ما أشرنا به وهو الصواب وقبلت رأى هؤلاء وهو الخطأ،
فالخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة.»

فقال لهم محمد:

- «ويحكم إنى أكره طاهراً وذلك أنى رأيت فى منامى كأتى قائم على
حائط من آجر شاهق فى السماء عريض الأساس وثيق لم أر حائطاً يشبهه
فى الطول والعرض والثاقفة وعلى سوادى ومنطقتى وسيفى وقلنسوتى
وخفى، وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط، بيده بيل يضرب به أصل الحائط

١. فى مط: يعلمك. وآ كالأصل: يمنك.

فما زال يضرب أصله حتى سقط [116] الحائط وسقطت وتدرت قلنسوتي عن رأسي وأنا أتطير منه وأكره الخروج إليه، وهرثمة مولانا وبحنزلة الوالد وأنا به أشد ثقة.»

فلما همّ محمد بالخروج إلى هرثمة وسعى له بذلك وأجابه هرثمة إلى ما أراد، إشتد ذلك على طاهر وأبى أن يرفقه عنه ويدعه يخرج وقال :

- «هو في حيزي والجانب الذي أنا فيه وأنا أخرجته بالحرب والحصار

حتى طلب الأمان فلا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دوني فيكون الفتح له.»

فلما رأى هرثمة والقواد ذلك اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم، فصار

إليهم طاهر في خاصّة قواده وحضر محمد بن عيسى بن نهيك والسدي بن

شاهك وأداروا الرأي بينهم. فأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً وأنه إن لم

يجب إلى ما سأل لم يؤمن أن يجرى في أمره ما جرى مثله أيام الحسين بن

علي بن عيسى بن ماهان وقالوا له :

- «يخرج يهدنه إلى هرثمة إذ كان يأنس به ويثق بناحيته ويدفع الخاتم

والقضييب والجرادة وذلك هو الخلافة إليك، فلا تُفسد هذا الأمر واغتممه.»

فأجاب طاهر إلى ذلك ورضي.

ولما تهياً محمد للخروج خرج [117] إلى صحن القصر فقعده على كرسي

وقام خدمه من يديه بالأعمدة. وجاءه خادم فقال :

- «يا سيدي، أبو حاتم يقرأ عليك السلام - يعني هرثمة - ويقول لك . يا

سيدي وافيت للميعاد لحملك، ولكني رأيت ألا تخرج الليلة فإني قد رأيت

- وفي دجلة وعلى الشط - أمر قد رايتني وأخاف أن أغلب فتؤخذ من يدي

أو تذهب نفسك ونفسي، ولكن أهم بمكانك حتى أرجع فاستعد، ثم آتيك

القبيلة، فأخرجك، فإن حوربت دونك حاربت ومعي عذتي.»

قال : فقال له محمد :

- «إرجع إليه فقل له : لا تبرح، فأنتى خارج إليك الساعة لا محاله»
قال : وقلق :

- «إنه قد تفرق عني الناس ومن على بابي من الموالى والحرس ولا آمن
إن أصبحت وانتهى خبري إلى طاهر أن يدخل عليّ فيأخذني»
ثم دعا بفرس له أدهم أغرّ محجل كان يسميه : الزهيري، ودعا بابه
فضمّهما إليه وشمّهما وقال :
- «أستودعكما الله».

ودمعت عيناه، فجعل يمسح دموعه بكمّته، ثم قام فوثب على الفرس
وخرجنا بين يديه إلى باب القصر حتّى ركبنا دوابنا وبين يديه شمعة واحدة
حتّى خرجنا إلى المشرعة، فإذا حرّاقة [118] هرثمة، فنزل في الحرّاقة^(١).
ورجعنا إلى المدينة فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق وسنّعنا الواعية
فصعدنا القبة التي على الباب تسمع الصوت.
فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم أنّه قال : كنت مع هرثمة مع قواده
في الحرّاقة، فلما دخل محمد الحرّاقة قمنا على أرجلنا إعظاماً له وجئنا
هرثمة على ركبته وقال :

- «يا سيّدى لا أقدر على القيام لمكان النقرس الذى بى».

ثم احتضنه وصيّره فى حجره وجعل يقبل يديه ورجليه وعينه ويقول :

- «سيّدى ومولاى وابن سيّدى ومولاى».

وجعل محمد يتصفّح وجوهنا ونظر إلى عبيد الله بن الوضّاح فقال :

- «أيهم أنت؟»

قال : «أنا عبيد الله بن الوضّاح».

قال : « نعم جزاك الله خيراً فما أشكرنى لما كان منك فى أمر الثلج ولو قد لقيت أخى - أبقاء الله - لم أدع شكرك عنده. »

قال : فبينما نحن كذلك، وقد أمر هرثمة بالحرّاقة أن تدفع، إذ شدّ علينا أصحاب طاهر فى الزواريق وعططوا وتعلقوا بالسكّان وبعض يقطع السكّان وبعض ينقب الحرّاقة وبعض يرمى بالنشاب فتعبت الحرّاقة سريعاً ودخلها [119] الماء وغرقت وسقط هرثمة إلى الماء وسقطنا كلّنا فتعلق الملاح بشعر هرثمة فأخرجه وحرّج كلّ واحد منّا على حياله لقربنا من الشطّ ورأيت محمداً فى تلك الحال وقد شقّ عنه ثيابه ورمى بنفسه إلى الماء. فأما أنا فتعلق به رجل من أصحاب طاهر ومضى به إلى رجل قاعد على كرسيّ على شطّ دجلة وبين يديه نار توقد. فقال له بالفارسية :

- « هذا رجل أخرج من الماء ممّن غرق من أهل الحرّاقة. »

فقال لي :

- « ممّن أنت ؟ »

قلت : « من أصحاب هرثمة أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير

المؤمنين. »

قال : « كذبت فاصدقنى. »

قلت : « قد صدقتك. »

قال : « فما فعل المحلوع ؟ »

قلت : « رأيته حين شقّ عنه ثيابه وقذف بنفسه فى الماء. »

قال : « قدّموا دابّتى. »

فقدّموا دابّته فركب وأمر به أن أجسب، فجعل فى عنقى حبل وجنبت

وأخذ فى درب الزبيدية. ولما عدوت ساعه انبهرت فلم أقدر على العدو

فممت. فقال الذى خلفى :

« قد قام هذا الرجل وليس يعدو.»

قال : «إنزل فخذ رأسه.»

قلت : «جُعِلت فداك، ولم تقتلني وأنا رجل لله عليّ نعمة ولا أقدر على

العدو وأنا أفدى نفسي بعشرة آلاف درهم.» [120]

فلَمَّا سمع ذكر العشرة آلاف قال للرجل الذي أمره بقتلي :

«أمسك.»

ثم قال :

«وكيف لي بالعشرة آلاف؟»

قلت : «تحبسنى عندك حتى نصبح، ثم تدفع إليّ رسولاً أرسله إلى وكيلي

في منزلي في عسكر المهدي، فإن لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقي.»

قال : «قد أنصفت.»

وأمر بحملي فحُملت ردفاً، فمضى بي إلى دار صاحبه دار أبي صالح

الكاتب وأمر غلمانه أن يحتفظوا بي، وتفهم متى خبر محمد ووقوعه إلى

الماء ومضى إلى طاهر ليخبره وإذا هو إبراهيم البلخي. قال : فصيرني غلمانه

في بيت من بيوت الدار فيه بوارى ووسادتان وفي زاوية من زواياه حصر

مدرّجة قال : فقمعت في البيت وصيّروا فيه سراجاً وتوثقوا من الباب وقعدوا

يتحدّثون، فلَمَّا ذهب من الليل ساعة إذا نحن بحركة الخيل، فشدقوا الباب

ففتح لهم وهم يقولون :

«بُسر زبيدة^(١).»

قال : «فأدخل إليّ رجل عريان عليه سراويل وعمامة مثلثم بها وعلى

كتفيه خرقة خلقة. فصيّروه معي وتقدّموا إلى من في الدار بحفظه وحلّفوا

١ كذا في الأصل بُسر زبيدة، ما في آصحيف بالإهمال وفي الطبري (١١: ٩٢١) بُسر زبيدة،

أي ابن زبيدة، وما في الأصل معرب.

معهم قوماً آخرين منهم أيضاً. قال : فلما استقرّ في البيت حسر العمامة عن وجهه، فإذا هو محمد، فاستعبرت [121] واسترجعت فيما بيني وبين نفسي، وجعل ينظر إليّ. ثم قال :

« أنتم أنت ؟ »

قلت : « أنا مولاك يا سيدي. »

قال : « وأيّ الموالى ؟ »

قلت : « أحمد بن سلام صاحب المظالم »

قال : « أعرفك بغير هذا، كنت تأتينى وتُلطّفتنى كثيراً، لست مولاي، ولكنك أخى. »

ثم قال : « يا أحمد. »

قلت : « لبيك يا سيدي. »

قال : « أدنُ منى وضمتنى إليك، فبأنى أجده وحشة شديدة. »

قال : « فضمته إليّ، فإذا قلبه يخفق حتى يكاد يخرج من صدره، فلم أزل أضمه إليّ وأمّكنه. »

قال : ثم قال إليّ :

« يا أحمد، صدّ فعل أخى ؟ »

قلت : « هو حقّ. »

قال : « قبح الله صاحب يريدكم ما أكذبه ! كان يقول : قد مات، شبه المعتذر من محاربه. »

قال : قلت : « يا سبحان الله ! ففى أىّ شىء دُفعنا إذاً، بل قبح الله وزراءك. »

قال : « لا تقل لوزرائى إلا خيراً، فما لهم ذنب ولست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه. »

ثم قال لى : « يا أحمد ما براهم يصنعون بى ، براهم يقتلونى أو يفون لى بأمانهم ؟ »

قال : قلت : « بل يفون لك يا سيدى . »

قال : وجعل يضم على نفسه الخرقه التى على كتفيه ويضمها ويمسكها بعضديه يمنة ويسرة . قال : وتزعت مبطنه كانت على وقلت يا سيدى :
- « ألق هذه عليك . »

قال : [122]

- « ويحك دعنى ، فهذا من الله لى فى هذا الموضع خير . »

قال : وبيننا نحن كذلك إذ دق باب الدار ففتح فدخل علينا رجل عليه سلاحه فتطلع فى وجهه مستتباً له ، فلما أثبتته معرفة إنصرف وأغلق الباب وإذا هو محمد بن حميد الطاهرى . قال : فعلت أن الرجل مقتول . قال : وكان بقى على من صلاتى الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر . قال : فقامت أوتر . فقال لى :

- « يا أحمد لا تباعدنى وصل إلى جانبى فإنى أجد وحشة شديدة . »

قال : فاقتربت منه . فلما انصف الليل أو قارب سمعت حركة الخيل ، ودق الباب ففتح فدخل الدار قوم من المعجم بأيديهم السيوف مسللة ، فلما رآهم قام قائماً وجعل يقول :

- « إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله نفسى فى سبيل الله ، أما من حيلة

أما من مغيث ، أما من أحد من الأبناء ؟ »

قال : وحاءوا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه ، فأحجموا عن الدخول وجعل بعضهم يقول لبعض « تقدم » ويدفع بعضهم بعضاً . قال : فقامت فصرت خلف الحُصْر المدرجة فى زاوية البيت ، وقام محمد فأخذ [123]

بيده وسادة وجعل يقول :

- «ويحكم إني ابن عم رسول الله - صلى الله عليه - أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون الله في دمي.»

قال : فدخل عليه رجل منهم يقال له : حمرويه^(١) غلام لقريش الدنداني مولى طاهر، فضربه على مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالسادة التي كانت في يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده، فصاح بالفارسية :
- «قتلني، قتلني.»

قال : فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته، وركبوه فذهبوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر، فتركوا جثته. ولما كان في وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها في جُلٍّ وحملوها. قال : فأصبحت قتيلاً :
- «هات العشرة آلاف درهم.»

قال : فبعثت إلى وكيلي فأتاني فأمرته فأتاني بها فدفعتها إليه. ولما أصبح طاهر نصب رأس محمد على البرج حائط البستان الذي يلي باب الأنبار، وفتح باب الأنبار وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم. وأقبل طاهر يقول :

- «هذا رأس المخلوع»

وذكر محمد بن عيسى أنه قال : رأى المخلوع على ثوبه قملة، فقال :
- «ما هذا؟»

قالوا : «شيء [124] يكون في ثياب الناس.»

فقال : «أعوذ بالله من زوال النعمة.»

فقتل من يومه.

١. كذا في الأصل. في آ حمرويه. في مط جيمرويه. في القطري (٩٢٣١١) حمارويه. وفي تد

(٤١٥) : خمرويه (بالحاء المصحقة)

وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع الرداء والقصيب والمصلّى وهو من سفف مبطّن مع محمد بن مصعب ابن عمّه فأمر له المأمون بألف ألف درهم. قال: فرأت ذا الرناستين وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون. قال: فلما رآه سجد.

وكتب طاهر إلى إبراهيم بن المهدي بعد قتل المخلوع:
 - «أما بعد، فإنه عزيز عليّ أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير^(١) ولكنه بلغني أنك تميل بالرأى وتصغى بالهوى إلى الناكث المخلوع. فإن كان كذلك فكثير ما كتبْتُ به إليك، وإن كان غير ذلك فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته.»

وثوب الجند بطاهر بعد مقتل الأمين

وفي هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر، فهرب منهم وتغيّب أياً ما حتى أصلح أمرهم.

ذكر الخيل عن ذلك وسببه وما

استعمله طاهر من الحزم قبله

إن أصحاب طاهر بعد مقتل محمد بخمسة أيام طلبوا أرزاقهم ووثبوا به ولم يكن في يده مال فضايق به أمره. وظنَّ أنَّ ذلك بمواطأة أهل الأرياض إياهم [125] وأنهم معهم عليه ولم يكن تحرك في ذلك من أهل الأرياض أحد، فاشتدَّت شوكتهم وخشى طاهر على نفسه فهرب من البستان وانتهبوا بعض مناعه، ومضى إلى عاقز قوف.

١. في مط - الأمير آ والطبرى (١١٠، ١٢٣): كالأصل.

وكان ممّا قدّم الحزم فيه أن حفظ أبواب المدينة وباب القصر ممّا فرغ من قتل محمد وحوّل زبيدة وموسى وعبد الله ابنى محمد إلى قصر الخلد ليلاً ثمّ حملهم في حرّاقة همنية على الفري من الزاب الأعلى، ثمّ أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عتقهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس.

فلما وثب الجند بطاهر وطلبوا الأرزاق أحرقوا باب الأتبار الذي على الخندق وباب البستان، وشهروا السلاح ونادوا:

«موسى يا منصور».

وبقوا كذلك يومهم ومن الغد، فتبيّن صواب رأى طاهر في إخراج موسى وعبد الله. وكان طاهر انحاز ومن معه من القوّاد وتعباً لقتالهم ومحاربتهم. فلما بلغ ذلك الوجوه والقوّاد ممّن شغب صاروا إليه واعتذروا وأحالوا على سفهاء الجند وأحداثهم وسألوه الصّح عنهم وقبول عذرهم والرضى وضمنوا له ألا [126] يعودوا لمكروهه ما أقام معهم.

وأثناء مشايخ الأرباض فحلفوا له بالمخلّطة من الأيمان أنّه لم يتحرّك في هذه الأيام أحد من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم ولا أرادوه. وضمنوا له أن يقوم له كلّ إنسان منهم في ناحيته بما يجب عليه حتّى لا يأتيه من ناحيته أمر يكرهه.

وأثناء عميرة أبو شيخ بن عميرة الأسدي في مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ذلك وأعلموه حسن رأى من خلفهم من الأبناء قطابت نفسه إلا أنّه قال:

«والله ما اعتزلت عنهم إلا لوضع السيف فيهم. وأقسم بالله لئن عدتم لمثلها لأعودنّ إلى رأيي فيكم ولأخرجنّ إلى مكروهمكم».

فكسرهم بذلك وأمر لهم برزق أربعة أشهر وانصرف إلى معسكره بالبستان ودعا بوجوه أصحابه وفيهم سعيد بن مالك وقال:

«أنه لا مال عندي وقد أطلقت للقوم أرزاقهم، فما الوجه؟»

فقال سعيد:

«أنا أحمل عشرين ألف دينار.»

فطابت نفسه وحمل غيره حتى أرضى أصحابه وقال لسعيد:

«إني أقبلها على أن تكون ديناً عليّ.»

فقال: «بل هي هدية وقليله لفلانك وفيما أوجب الله من حقك.» [127]

وسكن الجند.

وكانت خلافة محمد المخلوع نحو خمس سنين ينقص شهرين، وكان

عمره كله ثمانياً وعشرين سنة، وكان سبطاً أنزع أبيض أفتى جميلاً طويلاً

أبعد ما بين المنكبين صغير العينين.

وذكر الموصلي أن طاهراً لما بعث برأس محمد إلى المأمون بكى ذو

الرئاستين وقال:

«تملّ عليها سيوف الناس وألستهم أمرناه أن يبعث به أسيراً فبعث به

عقيراً.»

فقال له المأمون:

«أنه قد مضى ما مضى فاحتل في الاعتذار منه.»

وكتب الناس فأطالوا وجاء أحمد بن يوسف بشير قرطاس فيه:

«أما بعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب

واللحمة، فقد فرق الله بينه وبينه في الولاية والحرمة بمفارقته عصم الدين

وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين. يقول الله عز وجل حين اقتضى نبأ ابن

نوح: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ^(١) ولا طاعة لأحد في محبة

الله ولا قطيعة إذا كانت القطيعة في جنب الله وكتايبى هذا إلى أمير المؤمنين
 وقد قتل الله المخلوع ورداه رداء نكته وأحصد لأمر المؤمنين أمره [128]
 وأنجز له وعده وما ينتظر من صادق أمره حين ردّه به الألفة بعد فرقتها
 وجمع الأئمة بعد شتاتها وأحيى به الأعلام من الإسلام بعد دروسها. ^(١)



مرکز تحقیقات کتاب و ترویج علوم اسلامی

خلافة المأمون

وفي هذه السنة ولى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين إفتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة واليمن الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل، وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس في طاعة المأمون. وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما في يده من الأعمال في البلدان كلها إلى خلفاء الحسن بن سهل وأن يشخص عن ذلك إلى الرقة وجعل إليه حرب نصر بن شيبث^(١) وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب، وقدم علي بن أبي سعيد العراق خليفة الحسن بن سهل على خراجها. فدافع طاهر علياً بتسليم الخراج إليه حتى وفي الحسد أرزاقهم. فلحقا وفأهم سلم إليه العمل.

وكتب المأمون إلى هرثمة يأمره بالشخص إلى خراسان.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائة [129]

وفيها قدم الحسن بن سهل العراق من عند المأمون واليه الحرب والحراج، وفرق عماله في الكور والبلدان.

١ كدامي الاصل والطبري (١١ ٩٧٥) شيبث في مط شيبث (بإهمال الحرف الأخير)

خروج ابن طباطبا في الكوفة
دعوة إلى الرضا من آل محمد (ص)
والعمل بالكتاب والسنة

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يقال له: ابن طباطبا، وكان القيم بأمره في الحرب وتديرها وقيادة جيوشه أبو السرايا واسمه السري بن منصور.

ذكر السبب في خروجه

كان سبب خروجه صرّف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل. وذلك أنّ الناس بالعراق تحدّثوا بينهم أنّ الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنّه قد أنزل قصرًا حجب فيه عن أهل بيته ووجوه قوّاده ومن الحاصّة والعامة، وأنّه يرم الأمور على هواه ويستبدّ بالرأى دونه. فغضب لذلك من بالعراق من بني هاشم ووجوه الناس وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون [١٣٠] واحترأوا على الحسن بن سهل بذلك، وهاجت الفتن في الأمصار. فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا الذي ذكرت. وكان سبب خروجه أنّ أبا السرايا كان من رجال هرثمة، فمطله بأرزاقه وأخبره بها. فغضب أبو السرايا ومضى إلى الكوفة فبايع ابن طباطبا واجتمع إلى ابن طباطبا الناس. فوجّه الحسن بن سهل زهير بن المسيّب في أصحابه إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل، فتهأؤوا للخروج إليه، فلم تكن

بهم قوة على الخروج فأقاموا حتى بلغ زهير قرية شاهي،^(١) ثم واقعهم ابن طباطبا فهرمهم واستباح عسكرهم وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودواب وغير ذلك.

فلما كان من غد طفره يزهير واستباحته عسكره، مات فجأة، فتحدث الناس أن أبا السرايا سمّه وأتته إنما فعل ذلك لأن ابن طباطبا لمّا أحرز ما في عسكر زهير بن المسيّب من المال والسلاح والكراع، منعه أبا السرايا وحظره عليه، وكان الناس له مطيعين فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له فسمّته.

فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السرايا [131] مكانه غلاماً أمرد حدثاً وهو محمد بن محمد بن ريد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليهم السلام. فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ الأمور.

وكان الحسن بن سهل قد وجّه عبدوس بن محمد بن أبي خالد التروروذي إلى الثيل حين وجّه زهيراً إلى الكوفة. فلما هزم أبو السرايا زهيراً خرج عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل حتى بلغ الجامع وزهير مقيم بالقصر،^(٢) فتوجّه أبو السرايا إلى عبدوس فواقعه بالجامع فقتله وأسر هارون بن أبي خالد واستباح عسكره وكان في أربعة آلاف، فلم يفلت منهم أحد كانوا بين قتيل وأسير.

وانتشر الطالبيون وانحاز زهير إلى نهر الملك وأقبل أبو السرايا حتى نزل قصر ابن هُبيرة بأصحابه وكانت طلائعه تأتي كوثي. ثم وجّه أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط فدخلوها، وكان بواسط وأعمالها عبد الله بن سعيد الحرشي والياً عليها من قبل الحسن بن سهل، فواقعه جيش أبي السرايا قريباً من واسط فهزموه فأنصرف راجعاً إلى بغداد وقتل أصحابه وأسروا.

١. شاهي: موضع قرب القادسية. (مراسد الإطلاع)

٢. بالقصر: كذا في الأصل ومط وعذ (٤٢١) والطبري (٩٧٨:١١). وفي آ بالبصرة

فلما رأى الحسن بن سهل أن أبا السرايا يهزم عساكره [132] ولا يتوجه إلى بلدة إلا افتتحها ولم يجد قى قواده من يكفيه حربه، تذكر هزيمة. وكان هزيمة لثما قديم الحسن بن سهل العراق والياً من قبل المأمون سلم إليه ما كان بيده من الأعمال وتوجه نحو خراسان مفاضياً، فبلغ حلوان وبعث إليه الحسن السندی وصالحاً صاحب المصلى يسأله الإصراف إلى بغداد لحرب أبي السرايا فامتنع وأبى وقال:

«تذكرونا عند البلاء».

فانصرف رسل الحسن إليه بإيائه وتمنعه فأعاد إليه السندی بكتب لطيفة ورسائل تشبه الكتب، فأجاب وانصرف إلى بغداد فقديماً في شعبان وتهيأ للخروج.

وأمر الحسن علي بن أبي سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن واسط والبصرة وتهيأوا لذلك وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه إلى المدائن فدخلها أصحابه في شهر رمضان وتقدم هو بنفسه حتى نزل صرصر، وكان هزيمة أنفذ منصور بن المهدي إلى الياسرية فخرج وعسكر بها. فلما قديم هزيمة خرج فسكر بالسفيتين بين يدي منصور ثم شخص إلى نهر صرصر بإزاء أبي السرايا والنهر بينهما. [133]

وتوجه علي بن سعيد من طريق كلواذى إلى المدائن فقاتل أصحاب أبي السرايا وهزمهم وأخذ المدائن وبلغ أبا السرايا فرجع من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة وأصبح هزيمة فجدة في طلبه فوجد جماعة كبيرة فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل ثم صار إلى قصر ابن هبيرة فكاست بينه وبين أبي السرايا وعة قتل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير وانحاز أبو السرايا إلى الكوفة.

فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس

ومواليهم وأتباعهم فانتهبوها وهدموها وحرقوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً جداً واستخرجوا الودائع التي كانت عند الناس.

وتوجه علي بن أبي سعيد بعد أخذه المدائن إلى واسط فأخذها ثم توجه إلى البصرة فلم يعثر على أخذها حتى انقضت سنة تسع^(١).

ثم دخلت سنة مائتين

هروب أبي السرايا من الكوفة ومقتله

وفيها هرب أبو السرايا من الكوفة ودخلها هرثمة ومنصور بن المهدي فأمنوا [١٣٤] أهلها ولم يعرضوا لأحد. ثم إن أبا السرايا عبر دجلة أسفل واسط، فأتى عبّسى^(٢) فوجد بها مالا كان حُمل من الأهواز فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس فنزلها وأقام بها أربعة أيام وجعل يعطى الفارس ألفاً والراجل خمسمائة.

فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن عليّ الباذغيسي المعروف بالمأموني فأرسل إليهم:

«إذهبوا حيث شئتم فإنه لا حاجة لي في قتالكم، إذا أنتم خرجتم من عملي فليست أبعثكم»

فأبى أبو السرايا إلا قتاله فقاتلهم فهزمهم الحسن واستباح عسكرهم وجرح أبو السرايا جراحة شديدة فهرب واجتمع هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك، فأخذوا ناحية الجزيرة يريدون منزل أبي السرايا برأس العين، فلما انتهوا إلى جلولاء عثر بهم فأتاهم حمّاد فأخذهم فجاء بهم إلى الحسن بن

١ كذا في الأصل وأرمط : سنة تسع. في الطبري (٩٨٤، ١١) : سنة ١٩٩ وفي تد (١٢٢) سنة

٢ عبّسى (تخريب أفسهي). اسم لما كان حول كسكر من العساة (مرصد الإطلاع)

سهل وكان مقيماً بالنهروان حين طردته الحريرة فضرب عتق أبي السرايا، وكان الذي تولى ضرب رقبتة هارون بن محمد بن أبي خالد الذي كان أسيراً في يده. فلم ير أحد عند القتل أشدَّ جزعاً من أبي السرايا كان يضرب يديه ورجليه ويصيح أشدَّ ما يكون من الصياح حتَّى جعل في رأسه حبل [135] وفي يديه حبل وفي رجله حبل وهو في ذلك يضطرب ويلتوى ويصيح حتَّى ضربت عنقه. ثمَّ بعث برأسه فطيف به وبعث بجسده إلى بغداد فصُلب على الجسرين في كلِّ جسر نصف.

وكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر.

وتوجَّه عليّ بن أبي سعيد إلى البصرة فافتحها، وكان الذي بها من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وهو الذي يقال له: زيد النار، وإنما سُمِّيَ بذلك لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة. وكان إذا أتى برجل من المسوَّدة كانت عقوبته أن يحرقه بالنار، فأُسره عليّ بن أبي سعيد مع جماعة من قواده وبعث بهم إلى الحسن بن سهل.

خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر (ع) باليمن

وفي هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام باليمن.

ذكر السبب في خروجه

كان سببه أنَّ أبا السرايا لما تغلَّب على الكوفة وتجاسر الناس على الحسن بن سهل، حدَّث هذا أيضاً نفسه باليمن وكان بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى. [136] فلما سمع بإقبال إبراهيم بن

موسى العلوى وأهل بيته إليه كره قتالهم وخرج بجميع من هى عسكره من الخيل والزجل فخلّى لإبراهيم اليمن. فدخل إبراهيم بلاد اليمن وقتل خلقاً كثيراً وسبى وأخذ أموالاً عظيمة من الناس فسبى إبراهيم الجزار.

جلوس الأفطس

وفى هذه السنة جلس حسين بن حسن الأفطس وكان خرج من قبل أبى السرايا. فجلس على نمرقة مثنية خلف المقام فأمر بثياب الكعبة التى عليها فجردت منها حتى لم يبق عليها شيء وبقيت حجارة. ثم كساها ثوبين من قز رقيق وجه بهما أبو السرايا مكتوب عليهما:

«منا أمر به الأصفر بن الأصفر ابن السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله وأن يطرح عنه كسوة الظلّمة من ولد العباس لتطهر من كسوتهم وكتب فى سنة تسع وتسعين ومائة.»

ثم أمر الحسين بالكسوة التى كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم، وعمد إلى ما فى خزانة^(١) الكعبة من مال فأخذه ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه فى داره فأخذه. وإن لم يجد عنده شيئاً أخذه فحبسه وعاقبه حتى يفتدى بقدر طوله [137] حتى أفقر خلقاً وهرب كثير من أهل النعم فتعقبهم يهدم دورهم. حتى صار أصحابه إلى أخذ الحرم وأخذ أبناء الناس وتهتكوا وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذى فى أسافل رؤوس أساطين المسجد الحرام، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر منقال ذهباً، وقلعوا الحديد الذى على شباك كوى المسجد الحرام وقلعوا شباك زمزم وباعوها، فغيّر لهم الناس ولبسواهم.

١. ما فى الأصل خراية فى أوسط والطيرى (١١١، ٩٨٨) : خزانة

اجتماع الحسين وأصحابه إلى محمد بن جعفر لمبايعته بالخلافة

وبلغهم أن أبا السرايا قُتل. وطُرد من كور العراق كلها الطالبئون، وأنّ الولاية رجعت بها لوليد العباس. فعلم حسين أنه لا ثبات له ولا لأصحابه لسوء السيرة التي ظهرت منهم. فاجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد الصادق وكان شيخاً ودعاً^(١) يروى العلم عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام. وينتأبه الناس فيكتبون عنه، وكان له سمت وزهد، وفارق ما كان عليه أهل بيته، فكان محبباً في الناس. فلما اجتمع إليه حسين وأصحابه قالوا له :

« قد تعلم حالك في الناس، فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة، فليس يختلف عليك إثنان. »

فأبى إباءً شديداً. فلم يزل به ابنه عليّ وحسين بن حسن الأفطس حتى غلبا الشيخ [138] على رأيه فأجابهم. فأقاموه يوم الجمعة فبايعوه بالخلافة، وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين، فبايعوه وسمّوه أمير المؤمنين. فأقام شهوراً ليس له من الأمر إلا اسمه، وابنه عليّ وحسين وجماعة معهما أسوأ ما كانوا سيرةً.

فوثب حسين بن حسن على امرأة من قريش ولها زوج. وكانت ذات جمال بارع فانتزعها وأخاف زوجها حتى توارى، واغتصبها نفسها بعد أن كسر عليها بابها وحملت حملاً إلى حسين.

ووثب عليّ بن محمد وهو ابن أمير المؤمنين محمد بن جعفر على غلام

١ في آ. وداعا وفي الطبري (٩٨٩-٩١١) - وداعا.

من قريش. ابن قاضي بمكة يقال له: إسحاق بن محمد، كان حميلاً بارعاً في الجمال. فاقتحم عليه بنفسه نهراً جهاًراً في داره على الصفا مشرفاً على المسمى. حتى حمله على فرسه في السرج، وركب على عجز الفرس. وخرج به يشق السوق. فلما رآه أهل مكة ومن بها من المجاورين خرخوا، فاجتمعوا في المسجد الحرام وغلقوا الدكاكين ومال معهم أهل الطواف بالكعبة، حتى أتوا أبيه محمد بن جعفر فقالوا:

«لنحلقنك ولنقتلك أو ترد إلينا هذا الغلام الذي أخذ» [139] ابنك

جهره.

فأغلق بابه وكلمهم من شباك الشارع في المسجد وقال:

«والله ما علمت، فأهلوني».

ثم أرسل إلى حسين بن حسن الأفطس وسأله أن يركب إلى ابنه فيستنقذ الغلام من يده. فأبى ذلك حسين وقال:

«والله إنك لتعلم أنني لا أقوى على ابنك، ولو جئته لقاتلني في

أصحابه».

فلما رأى محمد بن جعفر ذلك، قال لأهل مكة:

«آمنوني حتى أركب إليه وأخذ الغلام».

فآمنوه فركب بنفسه حتى صار إلى ابنه، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله.

فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أقبل إسحاق بن موسى العباسي إليهم، فاجتمع

العلويون إلى محمد بن جعفر وقالوا:

«هذا إسحاق بن موسى مقبلاً إلينا في الخيل والرجال، وقد رأينا أن

نخندق خندقاً وتبرز شخصك ليراك الناس فينحاربوا معك».

وبعثوا إلى من حولهم من الأعراب ففرضوا لهم وخندقوا بأعلى مكة.

فورد إسحاق وقاتلهم أياماً ثم كره إسحاق الحرب وخرج يريد العراق. فلقبه

ورقاء بن جميل ومَن كان معه من أصحاب الجلودى فقالوا لإسحاق :

« إرجع معنا إلى مكّة ونحن نكفيك القتال. »

فرجع معهم واجتمع إلى محمد [140] مَن كان معه، فتقاتلوا عند بشر ميمون يوماً ثم عاودهم بعد ذلك بيوم، فكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن جعفر. فبعث محمد بن جعفر رجالاً من قريش فيهم قاضى مكّة يسألون لهم الأمان حتى يخرجوا من مكّة ويذهبوا حيث شاءوا. فأجابهم إسحاق وورقاء إلى ذلك وأجلّوهم ثلاثة أيام. ثم دخل إسحاق وورقاء مكّة وتفرّق الطالبيّون وأخذ كلّ قوم ناحيته.

وفي هذه السنة شحص هرثمة من معسكره إلى المأمون بهرو^(١)

ذكر خروج هرثمة ومراغمته للحسن والفضل

وما آل إليه أمره

لما فرغ هرثمة من أمر أبى السرايا ومحمد بن محمد العلوى ودخل الكوفة، أقام فى معسكره أياماً. ثم أتى نهر صرصر والناس يظنون أنّه يأتى الحسن بن سهل بالمدائن. فلما بلغ نهر صرصر خرج على عرقوف^(٢)، ثم أتى البردان ثم أتى النهروان. ثم سار حتى أتى خراسان فاستقبلته كتب من المأمون فى غير منزل أن يرجع فىلى الشام والحجاز. فأبى وقال :

« لا أرجع حتى ألقى أمير المؤمنين. » إِدْلالاً منه عليه لما كان يعرف من نصيحته له ولآبائه وأراد أن يعرف المأمون ما يدبّر عليه الفضل بن سهل وما يكتتم عنه من [141] الأخبار، وآلا يدعه حتى يرده إلى بغداد دار خلافة آباءه وملكهم، ليتوسط سلطانه وبشرف على أطرافه. فعلم الفضل ما يريد

١. انظر الطبرى (٩٩٦:١١)

٢. فى آ: عرقوب.

فقال للمأمون :

- «إنَّ هرثمة قد أنغل عليك العباد والبلاد، وظاهر عليك عدوك، وعادى وليك، ولقد دسَّ أبى السرايا وإثما هو بعض خوله، حتَّى عمل ما عمل. ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبى السرايا ما فعله.»

وقد كتب إليه أمير المؤمنين عدَّة كتب أن يرجع فيلى الشام والحجاز فأبى، وقد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقاً يظهر القول الغليظ ويتوعَّد بالأمر الجليل وإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره. فأشرب قلب المأمون عليه. وأبطأ هرثمة فى المسير. فلم يصل إلى خراسان إلا فى شهر. فلما بلغ مرو خشى أن يكتم المأمون قدومه، فضرب بالطبول لكى يسمعها المأمون. فسمعها فقال :

- «ما هذا؟»

قالوا: «هرثمة قد أقبل يرعد ويهرق.»

وظنَّ هرثمة أنَّ قوله هو المقبول فأمر بإدخاله فلما دخل كان قد أشرب قلب المأمون ما أشرب فقال له :

- «يا هرثمة مألأت أهل الكوفة والعلوين وداهنت [142] ودست إلى أبى السرايا حتَّى خلع وعمل ما عمل، وكان رجلاً من أصحابك ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت، ولكنك أرخيت خفاقهم وأجررت لهم رسنهم.»

فذهب هرثمة ليتكلَّم ويعنذر ويدفع عن نفسه ما قرف به، فلم يقبل ذلك منه وأمر به فَوُجِّئَ على أنفه وديس فى بطنه وسُحب من بين يديه.

وكان تقدَّم الفضل بن سهل إلى الأعوان فى الغلظة عليه والتشديد، حتَّى حبس. ثمَّ دسَّ إليه، بعد أن أذَّله من قتله. وقالوا مات.

هياج الشغب ببغداد بين الحرّية والحسن بن سهل
وفى هذه السنة هاج^(١) الشغب ببغداد بين الحرّية والحسن بن سهل.

ذكر السبب فى ذلك

لما خرج هرثمة إلى خراسان وثبوا وقالوا:

« لا نرضى حتّى نطرد الحسن بن سهل وعمّاله عن بغداد. »

وكان من عمّاله بها محمد بن أبى خالد، وأسد بن أبى الأسد. فأخرجوهم
وطردوا أسبابهم، وصيّروا إسحاق بن موسى بن المهدي خليفةً للمأمون
ببغداد، فاجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به.

وكان الحسن بن سهل مقيماً بالمدائن [143] سند شخص هرثمة إلى
خراسان وإلى أن اتصل بأهل بغداد خبر هرثمة وما صنع به المأمون. فلما
علم الحسن بن سهل أنّ أهل بغداد قد وقفوا على ذلك أرسل إلى على بن
هشام، وهو والى بغداد من قبله أن:

« امطلّ جند الحرّية والبغداديين أرزاقهم ومنّهم ولا تعطهم »

فلما وثب أهل بغداد بأصحابه دسّ إلى قوم من قوّادهم أن يشقّبوا على
إسحاق بن موسى. فشقّبوا، فحوّل الحرّية لإسحاق إليهم وأنزلوه على
دجيل، وبعث الحسن بن سهل على بن هشام من الجانب الآخر وجاء هو
ومحمد بن أبى خالد وقوّادهم ليلاً حتّى دخلوا بغداد، فقاتل الحرّية ثلاثة
أيام على قنطرة الصراة العتيقة والجديدة والأرجاء.

ثمّ إنّه وعد الحرّية أن يعطيهم رزق سنّه أشهر إذا أدركت الغلّة فسألوه أن

١ فى آ صاح، وهو مصحّف. ومط كالأصل

يعتزل لهم خمسين درهماً لكل رجل لينفقوها في شهر رمضان. فأجابهم إلى ذلك ثم دافعهم بها ولم يف لهم بإعطاء الخمسين. فشدوا على علي بن هشام فطردوه.

وكان المتوكل ذلك والقيم بأمر الحربية محمد بن أبي خالد وذلك أن علي بن هشام كان يستخف به ويضع من مقداره. ووقع بين محمد بن أبي خالد وأزهر بن زهير بن المسيب [144] كلام فقتله أزهر بالسوط. فغضب محمد وتحوّل إلى الحربية واجتمع إليه الناس فلم يقرّبهم^(١) علي بن هشام حتى أخرجوه من بغداد.

وفي هذه السنة تقدّم المأمون بإحصاء ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وأنثى.

ودخلت سنة إحدى ومائتين

مرودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة

وفيها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك عليهم فراوده على الإمرة عليهم علي أن يدعو للمأمون بالخلافة فأجابهم إلى ذلك.

ذكر السبب في ذلك

لما أخرج أهل بغداد علي بن هشام منها واتصل الحبر بالحسن بن سهل وكان بالمداين أنهزم حتى صار إلى واسط، فتبعه محمد بن أبي خالد مخالفاً له. وقد تولّى القيام بأمر الناس، وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب

١. كذا في الأصل: فلم يقرّبهم ما في آ مهمل. في تد (٤٢٠). فلم يقرّبهم ولى الطبري (١١: ١٠٠٠). فلم يقرّبهم.

القريب، ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي. وكانفه ببغداد منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع، وقد كان الفضل بن الربيع مختفياً قبل قتل المخلوع. فلما رأى محمد بن أبي خالد قد بلغ واسطاً بعث إليه يطلب [145] منه الأمان فأعطاه إياه.

وظهر^(١) وقديم على محمد بن أبي خالد أبيه عيسى من عند طاهر بن عيسى فاجتمع مع أبيه على قتال الحسن فتبعاً محمد بن أبي خالد للقتال وتقدم هو وابنه عيسى مع أصحابهما حتى صاروا على ميلين من واسط. فوجه إليهم الحسن أصحابه وقواده فاقتلوا قتالاً شديداً عند أبيات واسط.

فلما كان بعد العصر هبت ريح شديدة وغيرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض فكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن أبي خالد فثبت، فأصابته جراحات شديدة في جسده، فانهرم هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة، فقتل أصحاب الحسن منهم وسلبوا حتى بلغوا فم الصلح^(٢) وقلعت الربيع ما كان معهم من سفن فيها متاع وسلاح، حتى أدخلها واسطاً فأخذها أصحاب الحسن وتبعوه، ولم يزل يقاتلهم في كل منزل بالنهار، ثم يرتحل بالليل حتى بلغ جَزْجَرَايا فاشتدت به الجراحات، فأمر قواده أن يقيموا في عسكره، وحمله ابنه المعروف بأبي زنبيل حتى أدخله بغداد ومات محمد من ليلته ودفن في داره بكَرَّأ.

وكان زهير بن المسيب محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد [146] فلما قدم أبو زنبيل مضى إلى خزيمة بن خازم فأعلمه خبر أبيه وأوصل إليه

١. يياض في الأصل بقدر كلمة، ولكن لا يوجد مكان هذا البياض شيء في كل من ١ ومط وتد (١٣١). والمبارة لا توجد في الطبري بهذه الصورة (١٠٠٢، ١١).

٢. فم الصلح، نهر كبير، وعند مع كانت دار الحسن بن سهل وفيه بني المأمون بهووان بنت الحسن بن سهل. (مراصد الإطلاع)

كتاباً عن أخيه عيسى. فبعث خزيمة إلى بنى هاشم والقوادم فأعلمهم الخبر وقرأ عليهم كتاب عيسى بن^(١) محمد بن أبي خالد إليه وأنه يكفيهم الحرب، فرضوا به.

وصار عيسى مكان أبيه وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيب، فأخرجه من محبسه وضرب عنقه ونصب رأسه على رمح وأخذوا جسده، فشدوا في رجله حبلاً وطاقوا به على دوره ودور أهل بيته، ثم أداروا^(٢) به في الكرخ وردّوه إلى باب الشام، ولما جنّ عليهم الليل رموه في دجلة.

ورجع أبو زنبيل إلى أخيه عيسى، فوجهه عيسى إلى قم الصراة، وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبي خالد، فخرج من واسط ووجه حميد بن عبد الحميد الطوسي وسعيد بن الساجور وغيره من القوادم، فلقوا أبا زنبيل بقم الصراة فهزموه فأنحاز إلى أخيه هارون بالنيل، ثم رجعوا إلى هارون فقاتلوه وهزموه مع أخيه أبي زنبيل، فخرج هارون إلى المدائن وبلغ الخبر بنى هاشم وقوادم بغداد، فجدّوا في الخلاف على الحسن بن سهل وقالوا:

« لا نرضى [147] بالمجوسي بن المجوسي بن سهل حتى نطرده ويرجع إلى خراسان ونخلع المأمون. »

وتراضوا إقامته

ثم أرادوا منصور بن المهدي على أن يعقدوا له الخلافة فأبى عليهم، فما زالوا به حتى صبروه أميراً وخليفة للمأمون بالعراق. وقوى أمر عيسى بمن ذكرنا وكثر جنده فأمره بإحصاءهم فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل. فأعطى الفارس أربعين درهماً والراجل عشرين درهماً

١. كذا في الأصل: عيسى بن محمد. في آ: عيسى ومحمد.

٢. كذا. أداروا به. في آ: داروا به.

نكير المطوعة على الفساق ببغداد

وفي هذه السنة تجردت المطوعة للنكير على الفساق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش^(١) وسهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان.

ذكر السبب الذي فعلت المطوعة له ذلك

كان فساق الحرية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديداً وأظهروا العسق وقطع الطريق وأخذ العلماء والنساء علانية من الطرق. فكانوا يأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم، فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكابرون أهلها ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغيره لا سلطان [148] يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأنَّ السلطان كان يعتز بهم فكان لا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه، وكانوا يجيئون المازة في الطرق والسفن، ويخفرون البساتين، وكان الناس منهم في بلاء عظيم. وخرجوا يوماً إلى قَطْرُئِل^(٢)، فانتهبوها علانية وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، فأدخلوها ببغداد وجعلوا يبيعونها علانية.

فلما رأى الناس ذلك وظهور البغي والفسق والسهب، وأنَّ السلطان لا يغيّره، مشى بعضهم إلى بعض وقام صلحاء كلِّ ريفٍ ودرب، فمشى بينهم أمثالهم وقالوا:

١ انظر الطبري (١٠٠٨١١)

٢ قَطْرُئِل: قرية بين بغداد والمرزقة، وإليها ينسب الطسوج الذي هي فيه، يقال: طسوج قَطْرُئِل (مراسد الإطلاء)

- « يا قوم إنما في كلِّ درب فاسق وإثنان إلى عشرة، وعددكم بعد أكثر. فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحداً لقمعتم هؤلاء الفساق واحتشموكم. »
 فقام رجل من طريق الأتبار يعرف بالدريوش، فدعا جيرانه وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه إلى ذلك. فشدد على من يليه من الفساق والشطّار، فمنعهم ممّا كانوا يصنعون، فامتنعوا عليه فقاتلهم وهزمهم وأخذ بعضهم فضربهم [149] وحبسهم.

قيام سهل بن سلامة

ثمّ قام بعده رجل آخر يقال له : سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان، وتكنّى أبا حاتم، فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيّه محمد - صلى الله عليه - وعلّق مصحفاً في عنقه، ثمّ بدأ بجيرانه وأهل محلته فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه، ثمّ دعا الناس جميعاً إلى ذلك، الشريف منهم والوضيع، وجعل ديواناً يثبت فيه اسم من أتاه يبأيعه على ذلك وقتال من خالفه كائناً من كان، فأتاه خلق كثير فبأيعوه. ثمّ إنّه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ومنع كلّ من يخفر ويحبي المارّة وقال :

- « لا خفاوة في الإسلام »

والخفارة أن الرجل منهم كان يأتي إلى من له دار أو بستان أو تحارة فيقول :

- « أنت في خفرتي لا يتعرّض أحد لمالك، أدفع من أرادك بسوءٍ ولي في عنقك كلّ شهر كذا وكذا درهماً. »

فيعطيه.

وقوى على ذلك فقمع أهل الشرّ وكان يخالفه الدريوش في أنّه كان لا

يغير على السلطان شيئاً ولا يخالفه ولا يقاتله ويقول :

«أما لا أرى مخالفة أمر السلطان بشيء».

وقال سهل بن سلامة :

«أنا أرى قتال كل من خالف الكتاب والسنة [150] كائناً من كان».

فلما فشا ذلك وقوى^(١)، ضعف أمر منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد لأن معظم أصحابهم الشطّار ومن لا خير فيه، فكسرهم ذلك. ودخل منصور بن المهدي بغداد فكاتب الحسن بن سهل وسأله الأمان له ولأهل بيته على أن يعطى الحسن جنده وسائر أهل بغداد من المرتزقة رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة. فأجابته الحسن إلى ذلك. وارتحل الحسن من معسكره فدخل بغداد وتفرقت تلك العساكر وأُشرك بين عيسى ويحيى بن عبد الله ابن عم الحسن بن سهل في ولاية السواد وأعمال بغداد.

وكان أهل عسكر المهدي مخالفتين لعيسى. فوثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابني سهل. فامتنع عليه سهل بن سلامة وقال :

«ليس على هذا بايعتك».

وتحوّل منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع وكانوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب والسنة، فنزلوا بالعربية هرباً من المطلب. وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن وبعت إلى المطلب، فأبى أن يجيبه فقاتله سهل أليماً قتالاً شديداً ثم اصططح عيسى والمطلب، فدمش [151] عيسى إلى سهل من اغتاله وضربه بالسيف ضربة لم يعمل كبير عمل. فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله وقام عيسى بأمر الناس فكفوا عن القتال.

١. في مط : وقوى أمره.

ثم بعث عيسى إلى سهل بن سلامة، فاعتذر إليه ممّا صنع وباعه، وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه غوّنه على ذلك، فعاد سهل إلى ما كان عليه.

المأمون يجعل عليّ بن موسى (ع) وليّ عهد المسلمين

وفي هذه السنة جعل المأمون عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^(١) وليّ عهد المسلمين، والخليفة من بعده، وسماه: الرضا من آل محمد، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

وما آل إليه الأمر

بيننا عيسى بن محمد بن أبي خالد يعرض أصحابه منصرفه من معسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل، يعلمه أنّ أمير المؤمنين المأمون قد جعل عليّ بن موسى وليّ عهده من بعده، وأنه نظر في بني العباس وبني عليّ فلم يجد أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه سمّاه: الرضا من آل محمد، وأمره بطرح السواد، ولبس ثياب الخضرة، [152] وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجنود وبني هاشم بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيبتهم وقلانسهم وأعلامهم ويأخذ أهل بغداد بذلك.

فلما أتى عيسى ذلك دعا أهل بغداد إلى ذلك، على أن يعقل لهم رزق

١ وزاد في مط رضى الله عنهم. كما في الطبري (١١: ١٠١٢)

شهر، والباقي إذا أدركت الغلة.

فقال بعضهم:

- «نبايع ولبس الخضرة».

وقال بعضهم:

- «لا نبايع ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من

قبل الفضل بن سهل».

وغضب بنو العباس، ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا:

- «نؤلى بعضنا ونخلع المأمون».

وكان المتكلم في هذا والساعي له منصور وإبراهيم ابنا المهدي.

أهل بغداد يبايعون إبراهيم بن المهدي بالخلافة

وفي هذه السنة بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافة واخلعوا

المأمون^(١).

ذكر السبب في ذلك

قد ذكرنا ما أنكره العباسيون ببغداد على المأمون حتى أخرجوا الحسن بن سهل عن بغداد. فلما ورد أمره بالبيعة لعلي بن موسى ولبس الخضرة وأخذ الناس به، أرادوا [153] أن يبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة ويخلعوا المأمون، وبذلوا للجند عشرة دنانير لكل واحد منهم. فاضطرب الناس وقبل بعضهم ورضى وأبى قوم وامتنعوا. فاجتمعوا وأمروا رجلاً يقول يوم الجمعة حين يؤذن المؤذن:

١. انظر الظهري (١١: ١٣٠).

- «إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده إبراهيم يكون^(١) خليفته والنائب

عنه.»

ودسوا قوماً آخرين يقولون:

- «إذا قام هذا الرجل وقال ما عنده لا نرضى إلا أن تباعوا لإبراهيم بالخلافة وتخلعوا المأمون، أتريدون أن نأخذوا أموالنا كما صنع منصور، ثم تجلسوا في بيوتكم؟»

فقال يوم الجمعة هذا الرجل ما وصّوه به، وقام الآخرون فقالوا ما وصّوا به، وماج الناس، فلم يصل تلك الجمعة ولا خطب أحد وإنما صلى الناس بعد ما حسوا الفوت أربع ركعات وانصرفوا.

تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية

وفي هذه السنة تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان بن سهل صاحب البذل^(٢)، وادّعى أن روح جاويذان دخل فيه، وأخذ في العيث والفساد.

ودخلت سنة اثنتين ومائتين [154]

فلما كان يوم الجمعة لخمس غلّون من المحرم أظهروا أمر إبراهيم، وصعد إبراهيم المنبر، فكان أول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد، ثم منصور بن المهدي، ثم سائر بني هاشم وكان المتولي لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك وقام في ذلك السندی وصالح صاحب المصلّى ومنجابه^(٣)

١. في آ. علي أن يكون.

٢. في آ. صاحب البذل وفي مط. صاحب اليد: والطبري (١٥١١-١٥١٢) كالأصل.

٣. الثالث غير واضح في الأصل. وما أثبتناه يوافق الطبري (١٠١٦-١٠١٧) وما في آ مهمل

ونُصير الوصيف وسائر الموالى - إِلَّا أَنْ هُوَ لَاءَ كَانُوا الرُّؤَسَاءَ - غَضِباً مِنْهُمْ عَلَى الْعَامُونَ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ. وَإِخْرَاجَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ مِنَ الْخِلَاقَةِ، وَلِتَرْكِهِ لِهَاسِ آهَاءِهِ.

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَ الْجَنْدَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فِدَافِعَهُمْ بِهَا. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ شَتَبُوا عَلَيْهِ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَتِي دِرْهَمٍ وَكُتِبَ لِبَعْضِهِمْ إِلَى السَّوَادِ بِقِيَمَةِ مَالِهِمْ حَنْطَةٌ وَشُمَيْرٌ، فُخْرِجُوا فِي قَبْضِهَا، فَلَمْ يَمْرُوا بِشَيْءٍ إِلَّا انْتَبَهَوْهُ، وَأَخَذُوا النَّصِيبَ جَمِيعاً.

وَخَرَجَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، مَهْدِيُّ بْنُ عَلْوَانَ الْحُرُورِيُّ فَحَكَّمَهُ وَظَهَرَ بِبُرْزُجٍ^(١) سَابُورٍ، وَغَلَبَ عَلَى الرَّادَانِينَ وَنَهَرَ بُوَيْقَ. فَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ أَبَا إِسْحَاقَ ابْنَ الرَّشِيدِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَوَادِ كَثِيرِينَ، وَكَانَ مَعَ أَبِي إِسْحَاقَ غُلَامَانِ لَهُ أَتْرَاكٌ، فَلَقُوا [١٥٥] الشَّرَاةَ، فَطَمَنَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ أَبَا إِسْحَاقَ فَحَامِي عَنْهُ غُلَامٌ تَرْكِيٌّ، وَقَالَ لَهُ :

- « يَا مَوْلَايَ، مَرَا هَشْنَاسٌ. »

فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ هَشْنَاسَةً.

إِنْفَاذُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِلَى الْكُوفَةِ

وَأَنْفَذَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُوَ أَخُو عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، إِلَى الْكُوفَةِ وَأَمَرَهُ بِلِبَاسِ الْخُضْرَةِ، وَأَنْ يَدْعُو أَوَّلًا لِلْعَامُونَ وَمَنْ بَعْدَهُ لِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَأَعَانَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ لَهُ :

- « قَاتِلْ عَنْ أَخِيكَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ يَجِيبُونَكَ وَأَنَا مَعَكَ. »

وَكَانَتْ الْكُتُبُ نَفَذَتْ مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ إِلَى الْكُوفَةِ بِتَقْلِيدِهِ الْأَمْرَ

١ في تد (٤٢٨). برزج. وهو تصحيف. برزج سايور من طساسيج بغداد (مراسد الإطلاع)

وقيامه بأمره المؤمنين وخلع المأمون، وتنفذت الكتب من جهة الحسن بن سهل بما رآه المأمون وكثر الخلاف، وكانت لهم أخبار لا يليق ذكرها بهذا الكتاب إذ كانت فتناً لا تجربة فيها وحروباً يقتل فيها بعض الناس بعضاً من غير تدبير لطيف ولا مكر بديع، وإنما كانت مصالعات بالسيوف، فمرة يكون لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

فلما بلغ خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوي أهل الكوفة، أجابه قوم كثيرون وقال قوم آخرون:

- «إن كنت إنما تدعو إلى المأمون ثم من بعده إلى أخيك، فلا حاجة لنا في دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيك أو إلى نفسك [١٥٦] أجبتك.»

فقال: «إنما أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي.»

فقد عنه المستبصرون في التشيع. وكان يظهر أن حميداً يأتيه ويعينه ويقويه، وأن الحسن بن سهل يوجه^(١) إليه قوماً مدداً له، فلم يأتهم أحد، وتوجه إليه أصحاب إبراهيم بن المهدي فهزموه.

وكان كل فريق من أصحاب الخضرة والسواد يتهبون ويحرقون.

ثم أمر إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالدة أن يسير إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر جماعة أن يسيروا ممّا يلي جوشي^(٢) حتى عسكروا قرب واسط ممّا يلي الصيادة وعليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، فتحصن منهم الحسن بن سهل، فكان لا يخرج إليهم. ثم تهيأ بعد أيام الحسن للقتال فظن الناس أن ذلك لنظره في النجوم. ثم احتار يوماً فخرجوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الظهر، ووقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه فانهزموا، فأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان في عسكرهم من سلاح

١. في آ توجه.

٢. جوشي نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد (مراسد الإطلاع)

ودواب ومتاع وغير ذلك.

ظفر إبراهيم بسهل المطوعى

وفى هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعى فحبسه وعاقبه.

وكان السبب فى ذلك [157]

أن عيسى لما انهزم، أقبل هو وإخوته وأصحابه نحو سهل بن سلامة، لأنه كان يذكرهم بأسوأ أعمالهم ويستتهم الفساق، ليس لهم عنده اسم غيره. وكان أصحابه - الذين بايعوه على الكتاب والسنة وألا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق - وقد عمل كل رجل منهم على باب داره برجاً بجص وآجر، وقد نصب عليه السلاح والمصاحف حتى بلعوا من الحربية إلى باب الشام سوى من أجابه من الكرخ وسائر الناس. فلما قصد عيسى لم يمكنه الوصول إليه. فأعطى أصحاب الدروب التى تقرب منه، الألف درهم والألفى درهم، على أن يتنحوا له عن الدروب. فأجابوه إلى ذلك وكان نصيب الرجل الدرهم والدرهمان ونحو ذلك.

فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان تهيأوا له من كل وجه وخذله أهل الدروب حتى وصلوا إلى مسجده ومنزله. فلما رأهم قد وصلوا إليه اختفى منهم وألقى سلاحه واختلط بالنظارة ودخل بين النساء. فدخلوا منزله فلم يظفروا به وأذكوا عليه الميون. فلما كان فى الليل أخذوه فى بعض الأزقة فأتوا به إسحاق بن موسى الهادى وهو ولئى [158] عهد عمه إبراهيم وهو بمدينة السلام، فكلمه وحاجه وجمع بينه وبين أصحابه وقال له:

- «حرّضت علينا الناس وعبت أمرنا.»

فقال له :

- «إنما كانت دعوتي عباسية، وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، وأنا على ما كنت عليه، أدعوكم إليه الساعة.»

فقالوا: «لا تقبل ما تقول، اخرج إلى الناس وقل لهم إن ما كنت أدعوكم إليه باطل.»

فقال: «نعم.»

فأخرج إلى الناس فقال:

- «يا معشر الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا أدعوكم إليه الساعة.»

فلما قال لهم هذا وجَّزوا^(١) في عنقه وضربوا وجهه. فقال لهم:

- «يا معشر الحربية، المغرور من غررتموه؟»

فأُخذ وأُدخل إلى إسحاق فقيده، ثم أخرجوه إلى إبراهيم بن المهدي بالعدائن فحبسه مع قوم من أصحابه. وأشاعوا أن عيسى قتله تخوفاً من الناس أن يعلموا بمكانه فيخرجوه. وكان بين خروجه وبين أخذه اثنا عشر شهراً.

شخص المأمون من مرو إلى العراق

وفي هذه السنة شخص المأمون من مرو يريد العراق^(٢).

والسبب في ذلك

أنَّ عليَّ بن موسى بن جعفر الرضا أخير [١59] المأمون بما فيه الناس من

١. في الأصل: وجَّزوا.

٢. انظر الطبري (١١: ٢٥-١).

الفتنة والقتال منذ قتل أخوه محمد، وبما كان الفضل بن سهل يستره عنه من أخبار الناس، وأنَّ أهل بيته قد تقموا عليه أشياء، وأنَّهم يقولون إنه مسحور مجنون، وأنَّهم لَمَّا رأوا ذلك بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة^(١). فقال له المأمون:

- «إنَّهم ما بايعوه بالخلافة وإنَّما صَيَّروه أميراً يقوم بأمرهم على ما كان أخبره به الفضل.»

فأعلمه أنَّ الفضل قد كذبه وغشه، وأنَّ الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن، وأنَّ الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتي من بعدك.»

فقال: «ومن يعلم هذا من أهل عسكري؟»

فقال له:

- «يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدَّة من وجوه أهل العسكر.» فقال له:

- «أدخلهم عليَّ حتَّى أسألهم عمَّا ذكرت.»

فأدخلهم عليه وهم هؤلاء وجماعة آخرون فيهم عليُّ بن أبي سميد وهو ابن أخت الفضل، فسألهم المأمون عمَّا أخبره به عليُّ بن موسى الرضا، فأبوا أن يخبروه حتَّى يجعل لهم^(٢) الأمان من الفضل بن سهل ألاَّ يعرض لهم، فصمَّن ذلك لهم وكتب لكلِّ رجل منهم كتاباً بخطه ودفعه إليهم، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن ويَتَنَوَّاهُ ذلك له وأخبروه بغضب [60] أهل بيته ومواليهم وقوَّاده في أشياء كثيرة، وبما مَوَّه عليه الفضل من أمر هرثمة، وأنَّ هرثمة إنَّما جاء لنصحه وليبيِّن له ما يعمل عليه وأنَّه إن لم يتدارك أمره خرجت

١. في أ: بايعوا عنه إبراهيم بن المهدي (زيادة «عنه»).

٢. لهم ما في الأصل مطبوس. فأثبتنا الكلمة على ما في آ والطبري (١١-٢٥-١٠).

الخلافة من يده ومن أهل بيته، وأنَّ الفضل دسَّ إلى هرثمة من قتله حين أراد نصحه، وأنَّ طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى وافتتح له ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزبومة، حتَّى إذا وطأ له الأمر أخرج من ذلك كلَّه وضُرَّ في زاوية من الأرض بالرقَّة وقد حُظرت عليه الأموال حتَّى ضعف أمره وشغب عليه جنده، ولو أنَّه كان على خلافتك ببغداد لصبَّط المُلْك ولم يُجترأ عليه بمثل ما اجترأ عليه من الحسن بن سهل، وأنَّ الدنيا قد تفتَّت من أقطارها، وأنَّ طاهر بن الحسين قد تنوَّس في هذه السنين منذ قتل محمد، فهو بالرقَّة لا يستعان به في شيء من هذه الحروب، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد وقالوا:

- «إنَّ بنى هاشم والموالي والقواد لو قد رأوا عزَّتكَ سكنوا وبخعوا بالطاعة لك.»

فلَمَّا تحقَّق ذلك عنده أمر بالرحيل إلى بغداد. فلَمَّا أمر بذلك علَّم الفضل بن سهل ببعض أمرهم فتعتهم حتَّى ضرب [161] بعضهم بالسياط وحبس بعضاً وثف لحى بعض.

فعاوده عليُّ بن موسى في أمرهم، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم. فقال له:

- «إنِّي أدارى أمرى وسأبلغ ما فيه الصلاح بمشيئة الله.»

قتل الفضل بن سهل في الحَمَّام بضرب السيف

ثمَّ ارتحل من مرو. فلَمَّا أتى سرخس شدَّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحَمَّام فضربوه بالسيف حتَّى مات، وذلك يوم الجمعة لليلتين حلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين.

وكان الذين قتلوه أربعة نفر من حشم المأمون: غالب بن الأسود

الشُّعُوذِي،^(١) وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلي - وقُتل الفضل وله ستون سنة - وهربوا.

فبعث المأمون في طلبهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار فجىء بهم، فساء لهم المأمون فقال بعضهم:

- «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي سَعِيدِ ابْنَ أُخْتِ الْفَضْلِ دَسَّهَمٌ»
ومنهم مَنْ أَنْكَرَ.

وقد حُكِيَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ:

- «أَنْتَ أَمَرْتَا بِقَتْلِهِ».

فأمر المأمون بهم، فضربت أعناقهم.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عِمْرَانَ وَعَلِيِّ وَمُونِسٍ^(٢) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانُوا سَعَوْا بِالْفَضْلِ إِلَيْهِ، فَسَاءَ لَهُمْ فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَمَرَ بِهِمْ فُقُتِلُوا، وَبَعَثَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ إِلَى وَاسِطٍ، وَأَعْلَمَهُ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصِيبَةِ بِقَتْلِ [١٦٢] الْفَضْلِ، وَأَنَّهُ قَدْ صَيَّرَهُ مَكَانَهُ.

ورحل المأمون من سرخس نحو العراق وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك يدعو في السرِّ إلى المأمون وإلى خلع إبراهيم عليَّ أن منصور بن المهدي خليفة المأمون. فأجابه منصور وخزيمة وجماعة من القواد، وكاتب المطلب حميداً وعليَّ بن هشام أن يتقدما فنزل حميد صرصر وعليَّ النهروان، وتحقق عند إبراهيم الخبر، فخرج من العدائن إلى نحو بغداد وطلب المطلب وأصحابه، فامتنع المطلب قتادي:

١. الشعوذى: كذا في الأصل، في آ الشعورى. في مط: الشعوذى في الطبرى (١٠٢٧١١).
المسعودى، كما في تد (٤٤٣) في حواشى تد: الشعوذى.

٢. كذا في الأصل ومط وتد (٤٤٣): مونس. ما في آ مهمل في الطبرى (١٠٢٧١١) موسى

« مَنْ أَرَادَ النَّهْبَ فَلْيَأْتِ دَارَ الْمُطَّلَبِ. »

فانتهبوا داره ودور أهل بيته ولم يُظفر به.

وندم إبراهيم حيث صنع بالمطّلب ما صنع ثم لم يظفر به. وبلغ الخبر حميداً وابن هشام. فأما حميد فبعث من جهته مَنْ أَخَذَ الْمَدَائِنَ وَقَطَعَ الْجَسِرَ وَنَزَلَهَا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ فَبَعَثَ مِنْ جِهَتِهِ مَنْ أَتَى نَهْرَ دِيَالَى وَقَطَعَ الْجَسِرَ.

زواجات ثلاثة

وفي هذه السنة تزوّج المأمون بُورَانِ بنت الحسن بن سهل، وزوّج عليّ بن موسى الرضا ابنته أُمّ حبيب، وزوّج محمد بن عليّ بن موسى ابنته أُمّ الفضل.

ودخلت سنة ثلاث ومائتين [163]

وفي هذه السنة مات عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام)^(١)

وذلك بطوس

ذكر الخبر عن ذلك

لَمَّا صَارَ إِلَيْهَا الْمَأْمُونُ أَقَامَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ أَتَمَّامًا. ثُمَّ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى - عَلَى مَا حُكِيَ - أَكَلَ عَنَبًا فَأَكْثَرَ مِنْهُ فَمَاتَ فَجَاءَ^(٢). فَأَمَرَ بِهِ الْمَأْمُونُ فَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ الرَّشِيدِ.

وكتب إلى الحسن بن سهل بذلك وإلى وجوه بنى العبّاس والموالي ويعرفهم أنّهم إنّما نقموا بيعته له من بعده ويسألهم الدخول في طاعته. ورحل المأمون إلى بغداد، فلَمَّا صَارَ إِلَى الرِّىِّ أَسْقَطَ مِنْ وَظَيفَتِهَا أَلْفَى أَلْفَ دِرْهَمٍ

١. التسليم ليس في الأصل ولا في مط ودد.

٢. نقل مسكويه الخبر عن الطبري دون أيّ خلق انظر الطبري (١١-٣٠-١).

غلبة السوداء على الحسن بن سهل

وفي هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل حتى شذ في الحديد وخبس. وكتب بذلك قواد الحسن إلى المأمون فأتاهم الجواب. أن يكون على عسكريه دينار بن عبد الله ويعلمهم أنه قادم على إثر كتابه.

ضرب إبراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد

وفي هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد بن أبي خالد وحبس.

ذكر السبب في ذلك

كان عيسى بن محمد ي كاتب حميداً والحسن ويطهر لإبراهيم طاعة ونصيحة، وكلما قال [164] له إبراهيم: تهياً لقتال حميد، تعلل عليه بأرزاق الجند وأشياء ذلك، حتى واقف الحسن وحميداً على أن يستلم إبراهيم إليهم يوم الجمعة انسلاخ شوال. وسمى بعيسى بعض أهله إلى إبراهيم وكان عيسى سأل إبراهيم أن يصلي الجمعة بالمدينة فأجابه إلى ذلك، فلما تكلم عيسى بما بلفه وسمى إليه حذير وبعت إلى عيسى يسأله أن يصير إليه لينظره في بعض أموره. فلما صار إليه عاتبه ساعة فأخذ عيسى بكر بعض ما يقول. فلما واقفه على أشياء وعلامات أمر به قسرب وحبسه، وأخذ أم ولد له وصبياناً صغاراً فحبسهم، وطلب خليفة له يقال له العباس فاختم.

فلما عرف أهل بيت عيسى وإخوته وأصحابه خبره مشى بعضهم إلى بعض وحرّضوا الناس على إبراهيم فاجتمعوا. وكان رأسهم العباس خليفه، فشدوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه وقطعوا الجسر وطردوا كل

عامل لإبراهيم في الكرخ وغيره في الجانب الغربي.

وكتب العباس إلى حميد يسأله أن يقدم عليهم حتى يسلموا إليه بغداد. فجاء حميد حتى نزل نهر صرصر طريق الكوفة وخرج إليه قواد أهل بغداد. فوعدهم ومناهم فقبلوا ذلك منه. ووعدهم [165] أن يضع لهم العطاء في الياسرية على أن يصلوا يوم الجمعة فيدعوا للمأمون، ويخلعوا إبراهيم. فأجابوه إلى ذلك.

فبلغ ذلك إبراهيم فأخرج عيسى من الحبس وسأله أن يكفيه أمر هذا الجانب وأخذ منه كُملاء^(١) فمير إليهم عيسى وأخوته مع قواد الجانب الشرقي وعرض عليهم العطاء، فتموه وقالوا:

«لا نرضى إبراهيم».

احتال من عيسى

ثم تكاثر الناس على عيسى، فانصرف بأصحابه نحو باب خراسان، ثم رجع عيسى كأنه يريد قتالهم واحتال حتى صار في أيديهم شبه الأسير، فأخذه بعض قواده فأتى به منزله، ورجع الباقون إلى إبراهيم فأخبروه، فاغتم وقلق، وقد كان المطلب مستتراً فظهر ليلحق بـحميد فغمر به فأخذ وحمل إلى إبراهيم فحبسه. ثم عرف إبراهيم انخراق^(٢) الأمر فأطلقه وأطلق سهل بن سلامة وكان عند الناس أنه مقتول. فلما دخل حميد بغداد أخرج إبراهيم. وكان يدعو في مسجد الرصافة كما كان يدعو. فإذا كان الليل رده إلى حبسه فلما كان بعد أيام خلى سبيله فذهب واستتر.

وكثر العيث ببغداد وظهر الشطار والميارون، واختفى الفضل بن الربيع،

١. كذا في الأصل وآ: كلاء. في مط: كفلاء.

٢. في مط: انخراق.

وأخذ القواد وسو هاشم يلحقون بـحميد واحداً واحداً، فسقط في يد إبراهيم وشقي^(١) [166] عليه مداواة أمره.

ذكر الخبر عن هرب إبراهيم بن المهدي واستتاره

وأخذ إبراهيم يداري أصحابه يوم الثلاثاء لاثنتي عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين. فلما جنّ به الليل هرب واستتر، وبعث المطلب إلى حميد:

«إني قد أجدت بدار إبراهيم.»

وكتب إلى عليّ بن هشام بمثل ذلك. فأقبلوا إلى دار إبراهيم فطلبوه فيها فلم يجدوه. ولم يزل إبراهيم متوارياً حتى قديم المأمون، وكان من أمره ما كان.

وكانت أيام إبراهيم كلها سنة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً. وغلب عليّ بن هشام على شرقى بغداد وحميد بن عبد الحميد على غربتها.

وَدَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ

قدوم المأمون العراق والرجوع إلى لبس السواد

وفيها قديم المأمون العراق وانقطعت مائة الفن ببغداد.

ذكر الخبر عن ذلك

لما صار المأمون إلى النهروان أقام ثمانية أيام، وخرج إليه أهل بيته

وقوّاده ووجوه الناس، وكان كتب إلى طاهر وهو بالرقّة أن يوافيه إلى
النهر وان، فوافاه بها ثمّ. دخل مدينة السلام ولباسه ولباس أصحابه : أفببتهم
وقلاتسهم وطرزهم^(١) وأعلامهم كلّها، [١٦٧] الخضر^(٢) وطاهر معه، فلم يكن
يدخل إليه أحد من القوّاد والناس كافّة إلّا في ثياب خضر مدّة، ثمّ تكلم في
ذلك بنو العبّاس خاصّة وخاطبوا طاهر بن الحسين وكاتبه أيضاً قوّاد
خراسان. وكان المأمون أمر طاهر أن يسأله حوائجه. فكان أوّل حاجة سأله
أن يرجع إلى لبس السواد وزيّ دولة الآباء.

فلما رأى المأمون طاعة الناس له في لبس الخضر مع كراحتهم لها جمع
الناس. ثمّ دعا بسوادٍ فلبسه، ودعا بخلعة سواد فألبسها طاهراً. ثمّ دعا
لقوّاده بخلع السواد، وطرح الناس الخضر.

ودخلت سنة خمس ومائتين

ولاية طاهر بن الحسين

وفيها وليّ المأمون طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل
المشرق.

ذكر السبب في ذلك

كان المأمون ولّاه الحرية والشرط وجانبى بغداد ومعاون السواد. فاتفق أن
محمد بن أبي العبّاس ناظر علىّ بن الهيثم بين يدي المأمون في التشيع ودار
الكلام بينهما إلى أن قال محمد لعلّ :
« يا نبطي، ما أنت والكلام ؟ »

١ طرزهم كذا في الأصل وآ مط. ومحوشي الطبري، وما فيه : طرزادهم (١٠٣٧ ١١)

٢ الخضر : ساقطة من آ.

وكان المأمون متكئاً، فجلس وقال: [168]

- «الشم على والبذاء لؤم»^(١) وقد أبحتنا الكلام، فمن قال الحق حمدناه ومن جهل وقفاء، فاجعلا بينكما أصلاً ترجعان إليه»
فعادا إلى المناظرة وعاد محمد لعلّى بالسفّه. فقال على:
- «لولا جلالة مجلسه وما وهب الله من رأفته وما نهى عنه أنفاً، لمزقت جبينك، وكفّاك من جهلك غسلك العنبر بالمدينة.»
فجلس المأمون وكان متكئاً فقال:

- «وما غسلك المنبر، التقصير منى فى أمرك أم لتقصير المنصور فى أمر أهلك؟ لولا أنّ الحليفة إذا وهب استحي أن يرجع فيه لكان أقرب شىء بينى وبينك إلى الأرض رأسك. قم، وإياك ما عدت.»
فخرج محمد بن أبى العباس ومضى إلى طاهر وهو زوج أخته، فقال له:
- «كان من قصتى كيت وكيت.»

وكان يحجب المأمون على الشراب فتح الخادم وحسين يسقيه. فركب طاهر إلى الدار ودخل فتح يستأذن له، فقال المأمون:
- «إنّه ليس من أوقاته ولكن ائذن له.»
فدخل طاهر فسلم، فردّ عليه السلام وقال:
- «اسقوه ركطاً»^(٢)
فأخذه فى يده اليمنى وقال له:
- «اجلس.»

فجلس وشربه، ثم شرب المأمون وقال:
- «اسقوه الثانى.»

١ فى الأصل: والبذاء لؤم. من دون همز. انظر الطبرى (١١.٤٠.١)

ففعل كفعله الأول، ثم نهض. فقال [169] له المأمون :

« احلّس. »

فقال : « يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرط أن يجلس بين يدي

سيّده. »

قال المأمون :

« ذاك في مجلس العامة، فأما في مجلس الخاصة فطلق. »

قال : وبكى المأمون ونغرغرت عيناه. فقال له طاهر :

« يا أمير المؤمنين لا تبك عيناك. فوالله لقد دانت لك البلاد وأذعن لك

العباد وصرت إلى المحبة في كلّ أمرك. »

فقال : « أبكى لأمر ذكره ذلّ وستره حزن، ولن يخلو أحد من شجن.

فتكلّم بحاجتك التي جئت لها. »

قال : « يا أمير المؤمنين، محمد بن أبي العباس أخطأ، فأقله عثرته وارضى

عنه. »

قال : « قد رضيت عنه وأمرت بصلته، ورددت عليه منزلته. ولولا أنّه

ليس من أهل الأنس لأحضرتة. »

قال : وانصرف طاهر ثمّ دعا طاهر بهارون بن جيعويه^(١) فقال :

« إنّ أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض وإنّ لى إليك حاجة. خذ معك

ثلاثمائة ألف درهم فأعطِ الحسين الخادم مائتي ألف درهم وأعطِ كاتبه

محمد بن هارون مائة ألف، وسله أن يسأل المأمون : لم بكى ؟ »

قال : ففعل ذلك. فلما تعدّى المأمون قال :

« يا حسين اسقنى. »

١ جيعويه كذا في الأصل. في آ. جنويه. وفي الطبري (١٠٤١: ١١) جيعويه.

قال: «لا والله لا سقيتك، أو تقول لى لم بكيت حين دخل عليك طاهر.»

قال: «يا حسين وكيف عُنيت بهذا حتى سألتني عنه؟»

قال: «لغتي [170] بذلك.»

قال: «يا حسين، أمر إن خرج من رأسك قتلتك»

قال: «يا سيدي ومتى أخرجت لك سرّاً؟»

قال: «إني ذكرت محمداً أخى وما ناله من الذلّة، فخنقتني القبرة.

فاسترحمت إلى الإفاضة، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره.»

فأخبر حسين طاهراً بذلك. فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له:

«إنّ الثناء مني ليس برخص، وإنّ المعروف عندي ليس بضائع، فغيبني

عن عنه.»

فقال له:

«سأفعل، فبكر عليّ غداً.»

وركب ابن أبي خالد إلى المأمون، فلما دخل إليه قال له:

«ما بهت البارحة؟»

فقال له:

«ولم ويحك؟»

قال: «لأنك وليت خراسان غسان^(١) وهو ومن معه أكلة رأسي، وأخاف

أن تخرج عليه خارجة من الترك فتصطلحه»

قال: «لقد فكّرت في ذلك، فمن ترى؟»

قال: «طاهر بن الحسين.»

قال: «ويلك يا أحمد، هو والله خالع.»

١. في آ. عسان، بدل «غسان» مط والطبري (٤١١-٤١٠) كالأصل

قال : «أنا الضامن له.»

قال : «فأنفذه.»

قال . فدعا طاهراً من ساعته فعمد له وشخص من ساعته . فنزل في بستان جليل^(١) يحمل إليه في كل يوم ما أقام فيه مائة ألف . فأقام شهراً ثم شخص إلى خراسان .

وكان طاهر استخلف ابنه بالرقّة على قتال نصر بن سَهَبْت^(٢).

ذكر نادرة لكاتب

صارت سبباً لصلاح حاله وحال الكتاب ببغداد^(٣) [171]

تحدث محمد بن خالد بن رودى^(٤) المدائنى الكاتب قال :

كان مَخْلَد يلقَّب ببلِّد لطول عمره فحدثني أنَّ المأمون أوَّل ما قدِم العراق حَظَرَ أن يقدِّد الأعمال إلَّا الشيعة الذين قدِموا معه من خراسان . فطالت عُنْطَنُ كُتَّاب السواد وعمَّاله وكانوا يحضرون داره في كلِّ يوم حتَّى ساءت بحال أكثرهم . فخرج يوماً بعض مشايخ الشيعة وكان مغفلاً . فتأمل وجوههم فلم يرَ فيهم أَسَنَّ من مَخْلَد . فجلس إليه ثمَّ قال له :

«إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني أن أتخيَّر ناحية من نواحي الخراج صالحة المرفق ليوقِّع بتقليدي إياها . فاختر لي أُنْت ناحية.»

١ في الطبري (١١: ١٠٤٣) : خليل بن هاشم في آ وحواشي الطبري وتد (٤٥٠) جليل . وفي مط

حليل

٢ وزاد في تد (٤٥٠) . وفيها وثى المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد الرمسية وآذربيجان لمعاربة بابهك .

٣ العنوان غير موجود في تد (٤٥٠) .

٤ في آ ومط - دردى .

فقال: «إني لا أعرف لك عملاً أولى من مرقدات»^(١) البحر وصدقات الوحش وخراج وبار.»

فقال: «اكتب لي بخطك.»

فكتب ذلك له بخطه، فذهب الشيعي حتى عرض الرقعة على المأمون وسأله تقليده ذلك العمل. فقال له:

«من كتب لك هذه الرقعة؟»

قال: «شيخ من الكتاب يحضر الدار كل يوم.»

قال: «هلمه.»

فلما أدخل، قال له المأمون:

«ما هذا يا جاهل، قد بلغ بك الفراغ إلى مثل هذا؟»

فقال: «يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما تحصل استخراجهم وصار في أيديهم. [172] فأما شروط الخراج، حكمه، وما يجب تعجيل استخراجهم، وما يجب تأخيرهم، وما يجب إطلاقه، وما يجب منعه، وما يجب إنفاقه، وما يجب الإحتساب، به فلا يعرفونه، وتقليدهم يعود بذهاب الإرتفاع، فإن كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا فمُر بأن يُضمَّ إلى كل رجل منهم رجل مثا، فيكون الشيعي يحفظ الأموال ونحن نجمعه.»

فاستصاب المأمون كلامه، وأمر بتقليد عمال السواد وكتابهم، وأن يُضمَّ إلى كل واحد منهم واحد من الشيعة، وضمَّ مغلد إلى ذلك الشيخ، فقلده ماحية جليلة.

وفيها ولي المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان

١ مرقدات الحرف الأول غامض في الأصل في مط - يردات. والعبارة في آ «يريدات البحر والأخرى يريدات [بالإعمال إلا في الحرف الأخير] البحر». في تد (٤٥١) يريدات، والمرتدة؛ المرتدة؛ الفائدة ولم نجد الرواية في الطبري في هذه السنة

لمحاربة بابك.

ودخلت سنة ست ومائتين
وفيها وكى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة إلى مصر
ذكر السبب في ذلك

كان يحيى بن معاذ بالجزيرة فمات في هذه السنة، فدعا المأمون عبد الله بن طاهر فقال :

- « يا عبد الله، إني أستخير الله عز وجل منذ شهر وأرجو أن يخير الله لي. إن الرجل يصف [173] ابنه ليطريه لرأيه فيه، ويرفضه، وقد رأيتك فوق ما وصفك أبوك. وقد مات يحيى بن معاذ واستخلف ابنه وليس بشيء. وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شيب^(١). »

فقال : « السمع والطاعة لأمر المؤمنين، وأرجو أن يجعل الله لأمر المؤمنين الخير وللمسلمين. »

فعقد له وأمر أن يقطع حبال القصارين عن طريقه، وتُخفى عن الطرقات المظال لئلا يكون في طريقه ما يرد لواءه، ثم عُقد له لواء مكتوب عليه بصفرة ما يكتب على الألوية، وراد فيه : « المأمون يا منصور. »

فركب إليه الناس وركب إليه الفضل بن الربيع فأكرمه عبد الله وقال له :

- « قد تقدّم أبي وأخوك إليّ ألا أقطع أمراً دونك. وأحتاج أن أستطلع رأيك

واستضىء بمشورتك. »

فأقام عنده إلى الليل وسأله المبيت فأبى واعتذر. فمشى معه عبد الله إلى صحن داره وودّعه.

وفي هذه السنة ولّى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم أمر الجسر وجعله خليفته على ما كان أبوه طاهر استخلفه فيه من الشرط وأعمال بغداد وشخص هو إلى الرقة لحرب نصر بن شهب.

ودخلت سنة سبع ومائتين وفاة ذى اليمينين

وفيها كانت وفاة ذى اليمينين طاهر من حمى وحرارة أصابته. وذكر أنه وُجد في فراشه [١٧٤] ميتاً. فحكى خواصّه وعمّه عليّ بن مُصعب أنّهم صاروا إليه يعودونه، فسألوا الخادم عن خبره وكان يغلّس بصلاة الصبح، فقال الخادم:

« هو نائم لم ينتبه. »

فانتظروه ساعة، فلما تأخّر قالوا للخادم:

« أيقظه. »

قال:

« لا أجسر. »

فقالوا له:

« طرّق ليكندخل إليه. »

فدخلوا فوجدوه ملقاً في كُواج قد أدخله تحته وشده عليه من عند رأسه ورجليه، فحرّكوه فلم يتحرك، فكشفوا عن وجهه فوجدوه قد مات، ولم يعلم أحد الوقت الذي توفى فيه.

وذكر أبو سعده^(١) كلثوم بن ثابت قال: كنت على برید خراسان ومجلسي

يوم الجمعة في أصل المنبر، فلما كانت سنة سبع ومائتين بعد ولاية طاهر بن الحسين بمئتين حضرت الجمعة، فصعد طاهر المنبر فخطب، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال :

- «اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أوليائك واكفها مؤونة من بنى لها سوء وأرادها بمكروه بلمّ الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين.»
قال : فقلت في نفسي : أنا أول مقتول لأتني لا أكتم الخبر. فأنصرفت واغتسلت ووضيت وائتررت بإزار وليست قميصاً وارقدت رداءً وطرحت السواد [١٧٥] وكتبت إلى المأمون.

قال : فلما صلى العصر دعاني، وحدث حادث في جفن عينه وفي ماقه^(١) فسقط ميتاً. فخرج طلحة بن طاهر فقال :

- «ردّوه ردّوه.»

وقد خرجت فرّدوني وقال :

- «هل كتبت بما كان؟»

قلت : «نعم.»

قال : «فاكتب بوفاته.»

فأعطاني مالاً وثياباً. فكتبت بوفاته وقد قام طلحة بالجيش.

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه. فدعا ابن أبي خالد فقال

- «اشمص الآن فأنت به كما زعمت وضمنت.»

قال : «أبيت ليلتي؟»

قال : «لا لعمرى ولا تبيت إلا على الظهر.»

فلم يرل يناشده حتى أذن له في المبيت، ووافقت الخريطة بموته ليلاً.

فأمر بمكاتبة طلحة وأقامه مقامه فبقى طلحة والياً على خراسان فبى أيام
المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ثم توفى وولى عبد الله خراسان.
وذكر بعض خواص المأمون قال : شهدت مجلساً للمأمون وقد أتاه نعى
طاهر فقال :

« لليدين وللنعم . الحمد لله الذى قدّمه وأخرنا . »

ثم وجّه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة .
فشخص أحمد إلى ماوراء النهر فافتح أسروشنه . وأسر كاووس وابنه وبعث
بهما إلى المأمون . ووهب طلحة لأحمد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً
بألفى درهم [176] ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف
درهم .

ودخلت سنة ثمان ومائتين

ولم يحدث فيها حدث يُنسخ فى هذا الكتاب .

ودخلت سنة تسع ومائتين

وفىها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيب وضيق عليه حتى طلب
الأمان^(١) .

ويقال : إن ثمامة حكى أن المأمون سأله أن يحمل إليه رجلاً له عقل
وبيان يُحمّله رسالة إلى نصر بن شيب . قال : فحملتُ إليه رجلاً من بنى عامر
يقال له جعفر بن محمد فقال : أحضرنى المأمون بين يديه فكلّمنى بكلام

١. انظر الطبرى (١١: ٦٧-١٠) .

كثير، ثم أمرني أن أبلغه نصراً. قال: فأتيته نصراً وهو بسروج بموضع يقال له كفرغزون^(١) فأبلغته رسالته فأذعن وشرط شروطاً منها أن لا يطاء له بساطاً قال: فأتيته المأمون فأخبرته فقال:

- «لا أجيبه إلى هذا أبداً ولو أفضيت إلى بيع ما عليّ حتى يطاء بساطي وما باله ينفر مني». قال: قلت:

- «لجرمه وما تقدّم منه».

قال: «أترأه أعظم جرماً عندى من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد أتدري ما صنع [١٧٧] بي الفضل؟ أخذ قوادى وأموالى وجنودى وسلاحى وجميع مالى ممّا أوصى به لى أبى فذهب به إلى محمد وتركنى بمرو وحيداً وأسلمنى وأفسد علىّ أخى حتى كان من أمره ما كان. أتدري ما صنع به عيسى بن أبى خالد؟ طرد خليفتى من مدينتى ومدينة آبائى وذهب بخراجى وفشّى وأخرب علىّ ديارى وأقعد إبراهيم خليفة بإزائى ودعاه باسمى».

قال: قلت:

- «يا أمير المؤمنين تأذن لى فى الكلام فأتكلم؟»

قال: «تكلم».

قال: قلت:

- «الفضل بن الربيع رضىمكم ومولاكم وحال سلفه حالهم يرجع إليه بضروب كلّها تردّك إليه وعيسى بن أبى خالد رجل من أهل دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم، وهذا رجل لم تكن له يد قطّ فتحتمل

عليها ولا لمن مضى من سلفه، إنما كانوا جند بنى أمية.»

قال: «إنّ ذلك لكما تقول، فكيف بالحنق والغيط، لست أفلح عنه حتى يطأ بساطي.»

قال: «فأتيت نصرأ فأخبرته بذلك. قال: فصاح بالخيّل صيحة فجالت عليه ثم قال:

- «ويلي عليه هو؟ لم يقو على أربعمئة ضفدع تحت جناحه - يعني الرُّط - يقوى على حلبة العرب؟»

فذكر أنّ عبد الله بن طاهر لمّا جادّه القتال بلغ منه حتّى طلب الأمان [178] فأعطاه وبعث به إلى المأمون.

ودخلت سنة عشرة ومائتين

وفيها أخذ إبراهيم بن المهدي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر وهو متنقّب بين امرأتين في زى امرأة أخذه حارس أسود ليلاً فقال:

- «من أثنّ وأين تُردن في هذا الوقت؟»

فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان في إصبعه له قدر عظيم، وقال:

- «خلنا ولا عليك أن تعلم من نحن.»

فلمّا نظر الحارس إلى الخاتم استراب وقال في نفسه: هذا خاتم رجل له شأن فرُفعن إلى صاحب المسلحة، فأمرهنّ أن يُسفرن. فتمنّع إبراهيم فجبذه فبذت لحيته. فرفعه إلى صاحب الجسر، فرفعه فذهب به إلى باب المأمون فأعلم به فأمر بالاحتفاظ به في الدار. فلمّا كان غداة الأحد أقعد في دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقوّاد والجند وصيّروا المقنعة التي كان متنقّباً بها في عنقه والملحفة في صدره ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ، فلمّا كان يوم الخميس حوّل إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبس عنده.

بناء المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل

وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في شهر رمضان. وكان الحسن بالصُّلح، فشخص المأمون إلى الصُّلح، [179] وأمر بعمل إبراهيم بن المهدي خلفه. وكان العباس بن المأمون قد تقدّم أباه على الظهر ووافي المأمون وقت العشاء فأفطر هو والحسن والعبّاس ودينار بن عبد الله قائم على رجله حتّى فرغوا من الإفطار. فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب فضّب فيه وشرب ومدّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن، فتباطأ عنه الحسن فغمره دينار بن عبد الله، فقال الحسن:

«يا أمير المؤمنين أشربه بإذنك.»

فقال له:

«لولا أمرى لم أمدّ يدي إليك بها.»

فأخذ الجام فشربه. فلما كان في الليلة دخل على بوران. فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف دُرّة كانت في صينية ذهب وكان تحتها حصير ذهب معمول على السامان. فقال المأمون:

«قاتل الله أبا نؤاس كأنه حاضر هذا المنظر في قوله:

«حصباء دُرّ على أرضٍ من الذهب.»

ثم أمر المأمون أن يُجمع وسائلها عن عدد الدُرّ كم كان فقالت:

«ألف حبة.»

فأمر بجمعها فنقصت عشراً فقال:

«من أخذها فليردّها.»

فقال حسين رَجُلَةً^(١) :

- « يا أمير المؤمنين إنما نثر لناخذهُ وإلا فالعقد أولى به. »

قال : « رَدَّهَا فَإِنِّي أَخْلَفُهَا عَلَيْكَ. »

فَرُدَّتْ. فجمعها [180] المأمون في الآتية كما كانت. ووُضِعَ في حجرها.

وقال :

- « هذه نعلتك وسلى حوائجك. »

فأمسكت. فقالت جَدَّتْهَا :

- « كَلِّمِي سَيِّدَكَ وَسَلِيهِ حَوَائِجَكَ. فَقَدْ أَمَرَكَ. »

فسأله الرضا عن إبراهيم بن المهدي. فقال :

- « قد فعلت. »

وسأله الإذن لأُمِّ جعفر في الحج. فأذن لها. وألبسها أُمَّ جعفر البَدَنَّةَ

الأموية. وابتنى بها من ليلته وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مَنًّا

في تور ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال :

- « هذا سرف. »

فلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ. فَجَاءَ يَمْشِي مِنْ شَاطِئِ دَحْلَةٍ.

فلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ قَالَ :

- « هَيْهَ يَا إِبْرَاهِيمَ. »

فقال « يا أمير المؤمنين، وَلِيَ النَّارَ مُحَكَّمٌ فِي الْقِصَاصِ وَالْعَفْوِ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَى وَمَنْ تَتَاوَلَهُ الْإِغْتِرَارُ بِمَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الشَّقَاءِ أَمَكْنَ عَادِيَةِ الدَّهْرِ

مِنْ نَفْسِهِ. وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ

فَإِنْ تَعَاقَبَ فَبِحَقِّكَ وَإِنْ تَعَفَّ فَبِفَضْلِكَ. »

قال : « بل أعفو يا إبراهيم ».

فكبر وسجد وقال إبراهيم يمدح المأمون : [181]

يَا حَيِّزَ مَنْ حَمَلَتْ يَمَانِيَّةٌ بِهِ
عَسَلُ الْقَوَارِعِ مَا أُطِغَتْ فَإِنْ تَهَجَّ
مِلْتُ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَخَافَةً
بِأَيِّ وَأُمِّي فِذِيَّةٌ وَبَنِيَّهَا
مَا أَلَيْنَ الْكَتْفَ الَّذِي هَوَّاتِي
نَفْسِي فِذَاوَكْ إِذَا^(١) تَضِلُّ مَقَادِيرِي
أَمَلًا لِفَضْلِكَ وَالْفَوَاضِلُ شِيَمَةٌ
فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ
إِلَّا الْعُلُوُّ عَنِ الْعُقُوبَةِ بَعْدَ مَا
فَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْفُطَا
اللَّهُ يَغْلُمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا
مَا إِنَّ عَصِيَّتَكَ وَالْعَوَاةَ تُبِيدُنِي
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ حَبَائِلُ شَفَوَتِي
لَمْ أَذِرْ أَنْ يُجْزَمَ مِثْلِي غَايِرًا
رَدُّ الْحَيَاةِ عَلَى بَعْدِ ذَهَابِهَا
أَخْيَاكَ مَنْ وَلَاكَ أَطْوَلُ مُدَّةٍ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخِلَافَةَ حَاذَهَا

بَعْدَ الرُّسُولِ لَا يَسِ وَلِطَامِعِ
فَالصَّابُ يُخْرِجُ بِالسَّمَامِ النَّاقِعِ
وَتَسِيْتُ تَكَلُّوهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ
مِنْ كُلِّ مُغْضِلَةٍ وَذَنْبٍ وَاقِعِ
وَطَنًا وَأَمْرًا زَنْقَهُ لِلرَّائِعِ^(٢)
وَالْوُدُّ مِنْكَ بِفَضْلِ جِلْمٍ وَاسِعِ
رَفَعْتَ بِنَاءَكَ بِالْمَحَلِّ الْيَافِعِ
عَفُوٌّ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
ظَفِيرَتْ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينِ خَاضِعِ
وَعَوِيلَ غَائِسَةٍ كَقَوْسِ النَّارِعِ
جُهْدُ الْأَلِيَّةِ مِنْ حَنِيفٍ زَاكِعِ
أَسْبَابُهَا إِلَّا بِسِيَمَةِ طَائِعِ
بَرَدَى إِلَى حَفْرِ الْمَهَالِكِ هَائِعِ
فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ أَيَّ حَتْفٍ صَارِعِي
وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَادِرِ الْمُتَوَاصِعِ
وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الْوَتَنِ بِقَاطِعِ
فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ الشَّابِعِ

١. كد في الأصل ربه للرابع في ١ والطبري (١٠٧٨: ١١) ربه للرابع في تد (٤٥٨) ربه للرابع

٢. في الأصل وَا. أُن. ومي تد: أُن. في الطبري (١٠٧٨: ١١) لذ وهو الأصح

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ جَامِعُ أَمْرَهَا وَحَوَى رِكَائُكَ كُلَّ خَيْرٍ جَامِعٍ [182]

فقال المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة :

« أقول ما قال يوسف لإخوته : لا تَتَرَبَّ عَلَىكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ^(١) . »

فأمّا الحسن بن سهل فإنه أضاف المأمون وجميع من معه وخلق على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه عليهم خمسين ألف ألف درهم سوى ما نثره.

وكان كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ونثرها على القواد وبنى هاشم فمَن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث ^(٢) فتسلّمها.

افتتاح مصر

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر واستأمن إليه عبید الله بن السري بن الحكم.

ذكر الخبر عن ذلك

لما فرغ عبید الله بن طاهر من نصر بن شبيب ذهب إلى مصر، فلما قَرُب منها وصار على مرحلة قَدَمَ قائداً من قَواده ليرتاد لمعسكره موضعاً يعسكر فيه، وقد خندق ابن السري على نفسه خندقاً، فاتصل الخبر بابن السري عن مسير القائد إلى ما قَرُب منها فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذي كان يطلب موضع المعسكر، فأُبرِدَ القائد [183] إلى عبد الله بريداً يخبره

١. س ١٢ يوسف : ٩٢.

٢. في تد (٤٥٩) بعث بها

وخبر خروج ابن السرى إليه، فحمل عبد الله رجاله على البغال على كل بغل رجلين بآلاتهما وجنبا الخيل وأسرعوا السير حتى لحقوا القائد وابن السرى وأصحابه، فلم يكن من أصحاب عبد الله إلا جملة واحدة حتى انهزم ابن السرى وأصحابه وتساقطت عامة أصحاب ابن السرى في الخندق، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق أكثر ممن قتله الجند، وانهزم ابن السرى فدخل القسطنطين وأغلق على نفسه وأصحابه ومن فيها الباب وحاصره عبد الله بن طاهر، فلم يعاوده ابن السرى الحرب حتى خرج إليه في الأمان. فحكى ابن ذى القلمين قال: بعث ابن السرى إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر، ومأمنه من دخولها بألف وصيف ووصيفة، مع كل واحد منهم ألف دينار في كيس حرير، وبعث بهم إليه ليلاً. قال: فردهم عليه عبد الله وكتب إليه:

- «لو قبلت هديتك نهراً قبلتها ليلاً - بل أنتم يهديتكم تفرحون إرجع إليهم فلناتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أدلة وهم صاغرون»^(١)

قال: فحينئذ طلب الأمان وخرج إليه.

خلع أهل قم السلطان وما كان من عاقبته

وفى هذه السنة خلع أهل قم^(٢) السلطان ومبعوا الخراج. [184]

ذكر سبب ذلك

كان المأمون ومم اجتيازه بالرى حظاً عن أهلها من الخراج على ما

١. من ٢٧ النمل - ٣٦.

٢. لا شدة على الميم في هذا الاسم في كل المواطن من الأصل.

ذكرت، فطَمِع أهل قم في مثل ذلك وكان خراجهم ألفى ألف درهم، فكانوا يستكثرونها. فرفعوا إلى المأمون يشكون ثقل الخراج ويسألونه الحط ولم يجبه المأمون، فامتنعوا ولم يؤدوا شيئاً، فوجّه المأمون إليهم علي بن هشام ثم أمده بصغير فحاربهم فظفر بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قم وجباها سبعة آلاف ألف، بعد ما كانوا يتظلمون من ألفى ألف درهم.

ودخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

المأمون يدس رجلاً إلى عبد الله بن طاهر

وفيها قال بعض إخوة المأمون للمأمون :

- «يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وكذا

كان أبوه قبله.»

قال : فدفع المأمون ذلك وأنكره.

ثم عاد لمثل هذا القول، فدس إليه رجلاً وقال له :

- «إمض في هيئة القراء^(١) والنسك إلى مصر فادع جماعة من كبرائها إلى

القاسم بن إبراهيم بن طباطبا واذكر مناقبه وعلمه وفضائله ثم صر بعد ذلك

إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اتته فادعه ورقبه في استجابته [185]

له، وأبحث عن دفين نيتته بحثاً شافياً، وأتني بما تسمع منه.»

قال : ففعل الرجل ما قال له وأمره به، حتى إذا دعا جماعة من الرؤساء

والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر وقد ركب إلى عبيد الله بن السري

بعد صلحه وأمانه. فلما انصرف قام إليه الرجل فأخرج من كتمه رقعة فدفعها

إليه فأخذها بيده. قال : فما هو إلا أن دخل خرج الحاجب، فأدخله عليه

١. في الأصل رأ وتد (٤٦١) : القراء. في مط : المرأة. في الطبري (١٠٩٦١١) : القراء، وهو

وهو قاعد على بساطه ما بينته وبين الأرض غيره وقد مدّ رجله وخفّاه^(١) فيها. فقال له :

- «قد فهمت ما في رقعتك من جملة كلامك، فهات ما عندك»

قال : «ولى أمانك ذمة من الله معك؟»

قال : «لك ذلك.»

فأظهر له ما أراد، ودعاه إلى القاسم وأخبره بفضائله وعلمه وزهده.

فقال له عبد الله :

- «أتنصّنى؟»

قال : «نعم.»

قال : «هل يجب شكر الله على العباد؟»

قال : «نعم.»

قال : «فهل يجب شكر بعضهم على بعض عند الإحسان والمنة

والفضل؟»

قال : «نعم.»

قال : «فتجىء إلى وأنا على هذه الحال التي ترى، لى خاتم فى المشرق

جائز وخاتم فى المغرب كذلك، وفيما بينهما أمرى مطاع وقولى مقبول. ثم

ما ألفت يمينى ولا شمالى ولا ورائى ولا قدامى إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها

على [186] ومنة ختم بها رقبى وبدأ لائحة بيضاء ابتدأى بها كرمأ وتفضلاً

فتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان وتقول : أعدر بمن كان أولاً

لهذا وآخرأ واسع فى إزالة خيط رقبته وسفك دمه، تراك لو دعوتنى إلى

الجنة عياناً من حيث أعلم، أكان الله عزّ وجلّ يحبّ أن أعدر به وأكفر

إحسانه ومُنْتَه وأَنْكَتَ بِيَعْتَه ؟»

هسكت الرجل. فقال له عبد الله :

«أما إني قد بلغني أمرك وبالله ما أحاف عليك إلا نفسك. فارحل عن هذا البلد، فإنَّ السلطان الأعظم إن بلغه أمرك كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك.»

فعاد الرجل إلى المأمون فأخبره الخبر. فاستبشر فقال :

«ذلك غرس يدي وإلف أدي.»

ولم يظهر من حديثه هذا شيء لأحد إلا بعد موت المأمون.

وكتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر كتاباً بخطه. فكان في أسفله هذه الأبيات :

أخى أنت ومولاي	ومن أشكر نُعماء
فما أحببت من أمر	فإني الدهر أهواء
وما تكره من شيء	فإني لست أَرْضاء
لَكَ اللهُ عَلَى ذَاكَ	لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

المأمون واظهار القول بخلق القرآن

وبفضل على بن أبي طالب (ع)

وفي هذه السنة قَدِمَ عبد الله بن طاهر مدينة السلام من المغرب وتلقاه العباس بن [187] المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر طبقات الناس وقَدِمَ معه بالمتغلبين على الشام.

وفيها أمر المأمون منادياً فنادى :

«هَرِئْتُ الذِّمَّةَ مِمَّنْ ذَكَرَ معاوية بخير.»

وأظهر القول بخلق القرآن ويفضل علي بن أبي طالب^(١)

ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

وفيها مات طلحة بن طاهر بن الحسين بخراسان.

وفيها ولي المأمون أخاه أبا إسحاق الشام ومصر وولي ابنه العبّاس بن المأمون الجزيرة وأمر لكل واحد منهما من عبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف دينار. فقليل إنه لم يفرق في ساعة من يوم من المال مثل ذلك.

ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين

وفيها استفحل أمر بابك وقتل محمد بن حميد وقُضَّ عسكره وقتل أكثر من كان معه.

وفيها بعث المأمون إلى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكرم يخبرانه بين خراسان والجبّال وإرمينية وأذربيجان ومعاربة بابك. فاختار خراسان وشخص إليها^(٢).

ودخلت سنة خمس عشرة ومائتين [188]

وفيها شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم في المعرّم. فافتتح بها حصوناً وعاد إلى دمشق.

ودخلت سنة ست عشرة ومائتين

فكّر المأمون إلى أرض الروم، وكان سبب ذلك ورود الخبر على المأمون

١. في آ. صلوات الله وسلامه عليه. في مط: رضى الله عنه.

٢. انظر الطبري (١١: ٢-١١).

بقتل ملك الروم قوماً من أهل طرسوس والمصصة وكانوا نحو ألفي رجل، فشخص المأمون حتى دخل بلاد الروم. فما نزل على حصن إلا خرج إليه أهله على صلح حتى افتتح ثلاثين حصناً، ثم أغار على طوانة وسبي وقتل وأحرق، ثم ارتحل إلى دمشق.

ودخلت سنة سبع عشرة ومائتين

وعاد المأمون إلى أرض الروم. وكان سبب ذلك كتاب ورد عليه من ملك الروم يسأله الموادة، وبدأ فيه بنفسه. ففزا المأمون هذه الغزوة بحنق، وأنزل ابنه بطوانه من أرض الروم، ووجه معه الفعلة وابتدأ بها في بناء عظيم وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وبنى على كل باب حصناً، وكتب إلى أخيه أبي إسحاق أن يفرض على جند دمشق وما والاها أربعة آلاف رجل وأنه يجزى [189] على الفارس مائة درهم وعلى الراجل أربعين درهماً وفرض على مصر وغيرها من البلدان.

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم وهو خليفته ببغداد، يفرض على أهل بغداد فرضاً.

المأمون يختبر الآراء في التشبيه وخلق القرآن

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين والفقهاء، فمن لم يقبل منهم بنفى التشبيه وبخلق القرآن يشخصهم إليه مقيداً.

وكتب في ذلك كتاباً بليغاً فيه آيات متترعة من القرآن وتهديد كثير مع رفق في مواقع، وطمع على أصحاب الحديث الذين لا يتفقهون ولا يحفلون، فأشخص إليه جماعة فيهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ومستمل يزيدي بن

هارون ويحيى بن معين وزهير بن حرب وعدّه يجرون مجراهم، فامتنحنهم
وسألهم عن القرآن فأجابوا جميعاً:
- «إنّ القرآن مخلوق».

وامتنحن إسحاق بن إبراهيم جماعة فيهم بشر بن الوليد وقال له:
- «ما تقول في القرآن؟»

قال: «أقول إنّ كلام الله».

قال: «لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟»

قال: «الله خالق كلّ شيء».

قال: «فالقرآن شيء؟»

[قال: نعم، هو شيء] ^(١).

قال: «فهو مخلوق».

قال: «ليس بخالق؟»

قال: «فهو مخلوق».

قال: «ما أحسن ^(٢) غير هذا».

ثمّ كلّ جماعة من وجوه الفقهاء والقضاة [190] فقالوا قريباً من قول
بشر.

فكتب مقالات القوم رجلٍ رجلٍ إلى المأمون.

فكتب المأمون في الجواب يستجمل واحداً واحداً ويحاجّه ويشتم كلّ
واحد بما يعرفه فيه ويأمر في آخر الكتاب بأنّ:

- «مَنْ لم يرجع عن شركه يسفك دمه. أمّا بشر بن الوليد فابعث إلّ
برأسه وكذلك إبراهيم بن الحسن، وأمّا الباقر فاحملهم في قيود وأغلال

١. ما بين المحفوظين ساقط من الأصل، أصفاء من آ وعد (٤٦٥).

٢. كذا في الأصل وآ ومط وعد (٤٦٥): أحسن.

لينفذ فيهم أمرى.»

فأجاب القوم كلهم :

« إنَّ القرآن مخلوق.»

إلا نفسان : أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فشدا في الحديد ووجَّها إلى طرسوس.

ثم بلغ المأمون أنَّ بشر بن الوليد والجماعة تأولوا قوله - عزَّ وجلَّ - : «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»^(١)

فكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم أن :

« قد فهم أمير المؤمنين ما كتب به صاحب الخبر أنَّ بشر تأول الآية التي ذكرت وقد أخطأ التأويل، إنما عني الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية مَنْ كان معتقداً الإيمان مظهرأً للشرك، فأما مَنْ كان معتقداً الشرك مظهرأً للإيمان فليس هذه له.»^(٢)

فأشخص القوم جميعاً إلى طرسوس وأخذ عليهم الكفلاء، فأشخص نحواً من عشرين مع بشر بن الوليد [191] من وجوه الفقهاء والقضاة وأصحاب الحديث. فلما بلغوا الرقة أتاهاهم وفاة المأمون فرُّقوا إلى مدينة السلام، فأمرهم إسحاق بلرؤم منازلهم

كتاب المأمون إلى عماله في البلدان

وفي هذه السنة نفذت الكتب من المأمون إلى عماله في البلدان :

« من عبد الله، عبد الله^(٣) المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده

١. س ١٦ النعل : ١٠٦.

٢. انظر الطبري (١١: ١١٣٢).

٣. تكرار «عبد الله» صحيح. انظر أيضاً الطبري (١١: ١١٣٢).

أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين إلى الرشيد.»

وقيل : إنّ ذلك لم يكتبه المأمون وإنما مرضَ بالبذندون وهو نهر بأرض الروم، فلما أفاق أمر بأن يكتب إلى العباس ابنه وعبد الله بن طاهر وإلى إسحاق أنّه إن حدث به حدث الموت في مرضه فالخليفة من بعده أبو إسحاق ابن الرشيد. فكتب بذلك محمد بن يزيداذ وختم الكتب وأنفذها.

فكتب أبو إسحاق إلى عمّاله :

- «من أبي إسحاق أخى أمير المؤمنين والخليفة بعد أمير المؤمنين، أمرهم بحسن السيرة وتخفيف المؤونة. وكتب إلى جمع من في أعماله من أجناد الشام جند حمص والأردن وفلسطين بمثل ذلك.

فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين صلى إسحاق بن يحيى بن معاذ فى مسجد دمشق، فقال فى خطبته بعد دعائه [192] لأمر المؤمنين :

- «اللهم وأصلح الأمير أخا أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق ابن الرشيد أمير المؤمنين.»
وفى سنة ثمانى عشرة ومائتين توفى المأمون بالبذندون.

وفات المأمون

ذكر سبب وفاته

حكى سعيد العلاف القارئ قال : أرسل إلى المأمون وهو ببلاد الروم وكان دخلها من طرسوس، فحملت إليه وهو بالبذندون، وكان يستقرىنى^(١) فدعانى يوماً فجلسته فوجدته جالساً على شاطئ البذندون وأبو إسحاق المعتمد

١. يستقرىنى : كذا فى الأصل وآ ومط . فى ٥٤ (٤٦٧) : يستقرىنى .

جالس عن يمينه. فأمرني فجلست نجوةً منه^(١) فإذا هو وأبو إسحاق مُدَّليان أرجلهما في البزندون. فقال:

«يا سعيد دلّ رجلك في الماء وذُقه. هل رأيت قطّ ماءً أشدّ برداً ولا أعذب وأصفى صفاءً منه؟»

ففعلت وقلت:

«يا أمير المؤمنين ما رأيت مثل هذا قطّ.»

قال: «أى شيء يطيب أن يؤكل ويُشرب هذا الماء عليه؟»

فقلت: «أمير المؤمنين أعلم.»

فقال: «رطب الآزاذ.»

فبينا هو يقول هذا إذ سمع وقع لُجُم البريد، فالتفت فإذا بهما البريد على أعجازها حقائق فيها الألطاف، فقال لخادم له:

«إذهب فانظر [193] هل في هذه الألطاف رطب، فإن كان فيها الرطب فانظر فإن كان آزاذاً فأب به.»

فجاء يسمى بسلتين فيهما^(٢) رطب آزاذٍ كأنما جُنى من النخل تلك الساعة، فظاهر شكر الله عز وجل، وكثر تعجبنا منه، فقال:

«أدرك فكلّ.»

فأكل هو وأبو إسحاق وأكلت معهما وشربنا جميعاً من ذلك الماء، فما قام منا أحدٌ إلا وهو محموم فكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم

عليلاً حتى دخل العراق ولم أزل عليلاً حتى كان قريباً.

ولما اشتدّت بالمأمون علته بعث إلى ابنه العباس وهو يظن أن لن يأتيه لشدة مرضه، فأتاه وأقام عند أبيه وقد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاق،

١. كذلك في الأصل. «نجوة منه» بالجمع المعجزة، في مط وآ، وقد (٤٦٧). نجوة منه.

٢. في الأصل وآ ومط وقد (٤٦٧): فيها. والتصحيح من الطبري (١١: ١١٣٥).

ثم أعاد الوصيّه بحضرة العباس والقضاة والفقهاء والقواد.
ولما توفي حمله ابنه العباس وأخوه أبو إسحاق إلى طرسوس، فدفناه في
دار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه أخوه أبو إسحاق.
فكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر سوى سنتين، كان دعى له فيهما
بمكة وأخوه الأمين محمد ابن الرشيد محصور ببغداد.
وكان ولدًا للصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة. وكان ربعة،
أبيض، جميلًا.
وقيل : كان [194] أسمر تعلوه صفرة، أفتى، أعين، طويل اللحية رقيقها،
أشيب بختّه خال أسود.

من سيرة المأمون

فأما سيرته فمشهورة لا تحفى على أحد جوده وعطاؤه وسماحة أخلاقه
وحلمه ولكننا نحكى بعض ذلك :
حكى عن العيسى صاحب إسحاق بن إبراهيم أنه قال :
كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المال عنده حتى أضاق وشكا ذلك
إلى أبي إسحاق المعتصم، فقال :
- « يا أمير المؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعة. »
قال : وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف من خراج ما كان يتولاه أبو
إسحاق قال : فلما ورد عليه ذلك المال قال المأمون ليحيى بن أكرم :
- « اخرج بنا فنظر إلى هذا المال. »

قال : فخرجنا ورفعا ينظرانه وقد كان هينًا بأحسن حياة وحلّيت أباعره
وألبيست الأحلاس التي وشيت والجلال المصبغة وقُلدت العهن وعُلّيت

البذر^(١) بالحرير الصيني الأحمر والأخضر والأصفر، وأبدت رؤوسها. قال: فنظر المأمون إلى شيء حسن واستكثره وعظم في عينه واستشرفه الناس ينظرون إليه ويعجبون منه فقال المأمون لحيي:

- «يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة حائنين إلى منازلهم وننصرف [195] نحن بهذه الأموال قد ملكناها دونهم؟ إنا إداً للناس». ثم دعا محمد بن يزيد. فقال:

- «وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بعتلها ولآل فلان بعتلها خمسمائة ألف».

قال: «هو الله إن زال كذلك. حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف، ورجله في الركاب».

ثم قال:

- «إدفع الباقي إلى المعلّى بن أيوب يعط جدينا».

قال العيشي: فبحثت حتى قمت نصب عينه وحدقت نحوه فلم أزد طرفي عن عينه لا يلحظني إلا رأيته بتلك الحال فقال:

- «يا محمد، وقع لهذا بحمسين ألف من الستة الآلاف الألف لا يخلص ناظري».

فلم يأت عليّ ليلتان حتى أخذت المال.

وللمأمون شعر كثير فمن مشهور شعره^(٢).

بَسَعْتَكَ مُسْرَتَاداً فَسَفَرْتَ بِنَظَرِي وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَتَاكَ بِكَ الظَّنَّ

١. كتابي الأصل وآ ويط والطبري (١١: ١١٤٣). في عم (٤٦٨): البذر.

٢. انظر الطبري (١١: ١١٥٢).

فَنَاجَيْتُ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتُ مَبَاعِداً^(١) فَيَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ ذُنُوكَ مَا أَغْنَى
أَرَى أَتَرَأَ مِنْهُ بِحَقِّكَ بَيْنَا لَقَدْ سَرَفَتْ عَيْنَاكَ مِنْ عَيْنِيهِ حُسْنًا
فَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ الرَّسُولَ وَكُنْتَنِي فَكُنْتُ الَّذِي تُقْصَى^(٢) وَكُنْتُ الَّذِي أَذْنَى

١ والصبط في تد (٤٦٩) مباعداً. يكسر العين. وما في الأصل غير مشكول فصبطاه كما في الطبري (١١٥٢:١١٦)
٢ في تد (٤٦٩) وكنت الذي يُقْصَى. والبيت غير موجود في الطبري.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

خلافة أبي إسحاق المعتصم

وفي هذه السنة هوى لأبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بالخلافة
لأثنتي عشرة ليلة [196] خلت أو بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة
ومائتين.^(١)

وفيها شغب الناس على المعتصم، وطلبوا العباس، ونادوه باسم الخلافة
فأرسل أبو إسحاق المعتصم إلى العباس فأحضره وبايعه ثم خرج إلى الجند
وقال :

« ما هذا الخب^(٢) البارد ؟ قد بايعت عمتي وسلّمت الخلافة إليكم. »

فسكن الجند.

وفيها أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه بطوانه^(٣) وحمل ما
كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك ممّا قدر على حمله، وإحراق ما لم
يقدر على حمله، وأمر بصرف من كان المأمون أسكن ذلك الموضع من
الناس إلى بلادهم.

١. انظر الطبري (١١: ١١٦٤)

٢. الخبّ الخدعة والفساد

٣. طوّانة . بلد بغير المنيصة، وجاء ذكره في بيت من شعر يزيد بن معاوية (مراصد الإطلاّع)

وفيهما انصرف المعتصم إلى بغداد ومعه العباس بن المأمون، فقَدِمَها يوم السبت مستهلَّ شهر رمضان.

توجيه المعتصم عساكر لقتال الخَرَمِيَّة

وفيهما دخل جماعة من أهل الجبال كثيرة من همذان وإصيهان وماسبذان ومهرجانفندق وغيرها في دين الخَرَمِيَّة. ثم تراسلوا وتجمَّعوا في أعمال همذان. فوجه المعتصم إليهم عساكر، فكان آخر عسكر وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب وعقد له على الجبال. فشخص إليهم فقاتلوه وهزمهم وقتل هناك ستين ألفاً منهم وهرب باقيهم إلى بلاد [197] الروم وكتب بالفتح إلى المعتصم.^(١)

ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين

ظهور محمد بن القاسم بالطالقان من خراسان

وفيهما ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد(ص) فاجتمع إليه بها ناس كثير، وكانت بيته وبين قواد لعبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها كان آخرها عليه، فانهزم هو وأصحابه ومضى هارباً يريد بعض كور خراسان كان أهلها كاتبوه، فلما صار نسا كان بها والد لبعض من معه فمضى الرجل الذي كان له والد هناك ليسلم على والده، فلما تلاقوا سأله عن الخبر، فأخبره أنهم يقصدون كورة كدا. فمضى أبو ذلك الرجل إلى عامل نسا فأخبره بأمر محمد بن القاسم. فبذل له العامل على

دلالتة عليه مالا وجاء العامل إلى محمد بن القاسم، فأحذته واستوثق منه وبعث به إلى عبد الله بن طاهر، فبعث به عبد الله إلى المعتصم فحبس بسر من رأى ووكل به قوم يحفظونه.

فلما كان ليلة العطر واشتغل الناس بالعيد^(١) والتهنئة له هرب من الحبس وافتقد، فجعل لمن يدل عليه مائة ألف درهم، ونادى المنادى، فما عُرف له خبر إلى اليوم. [198]

توجيه عجيف لحرب الرُّط

وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنيسة لحرب الرُّط الذين كانوا عاثوا في طريق البصرة، وكانوا تغلبوا على تلك الناحية. فقطعوا الطرق واحتملوا غلات البيادر بكشكر وما يليها من البصرة وأكثروا الفساد.

فرتب المعتصم الخيل في سكك البصرة وبغداد من البرد تركض إليه بالأخبار فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصير إلى المعتصم من يومه، وولى النفقة على عجيف من قبل إبراهيم البخري كاتباً.

فصار عجيف في خمسة آلاف رجل إلى الصافية وهي قرية أسفل واسط فسد نهراً بها يحمل من دجلة ثم صار إلى بردودا فسد أنهاراً آخر وحصرهم من كل وجه، ثم قصدهم فأمر منهم جماعة وقتل جماعة فحضر أعناق الأسرى وبعث برؤوسهم ورؤوس القتلى إلى المعتصم.

ثم أقام عجيف بإزاء الرُّط خمسة عشر يوماً وظفر بخلق كثير منهم فأنفذهم ثم حاهده الباقون فمكث يقاثلهم بعد ذلك تسعة أشهر.

ودخلت سنة عشرين ومائتين [199]

ولفيها دخل عجيف بالزط بغداد بعد أن قهرهم حتى طلبوا منه الأمان، فأمنهم على دماءهم وأموالهم، فكانت عدتهم سبعة وعشرين ألفاً بين رجل وامرأة وصبي فجعلهم في السفن وأقبل بهم حتى نزل الرعفرانيه وأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة، ثم عبأهم في زوارقهم على هياتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بغداد بهم والمعتصم ببغداد في سفينة يقال لها: الزو، حتى مرّ به الزط على تعبثهم ينفخون في البوقات، فكان أولهم بالقفص^(١) وآخرهم بعذاء الشماسية، وأقيموا في سفنهم ثلاثة أيام، ثم دفعوا إلى بشر بن السميدع فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى النهر إلى عين زربة، فأغار عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد.

عقد المعتصم للأفشين حرب بابك

وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حدر بن كاس على الجبال وحرب بابك، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة فعسكر بمصلّى بغداد، ثم صار إلى بزرزند^(٢)

ذكر بابك ومخرجه

كان ظهور بابك في سنة إحدى ومائتين وكان من قرية يقال لها: البد^(٣).

١ القفص هنا قرية ببغداد مشهورة (مراسد الإطلاع).

٢ بلد من نواحي خليس من أعمال جرجان من أرمينية الأولى. وقال الإصطخرى: هي من أذربيجان (مراسد الإطلاع).

٣ كورة بين أذربيجان وأتران (مراسد الإطلاع).

وهزم [200] جيوش السلطان وقتل من قواده جماعه.

فلما أفضى الأمر إلى المعتصم وجّه المعتصم أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل وأمره أن يبنى الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل، ويقيم مسالح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل، فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون التي خربها بابك.

ثم وجه بابك سرية إلى بعض غاراته وعليها أمير من قبله يقال له: معاوية، فعرض له أبو سعيد فاستنقذ ما كان حواه وقتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة، فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك.

ووجه أبو سعيد الرؤوس والأسرى إلى المعتصم بالله، ولما صار الأفشين إلى برزند عسكر بها ورم الحصون فيما بين برزند وأردبيل وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خُش، فاحتر فيه خندقاً وأنزل الهيثم الغنوي القائد في رُستاق يقال له: أرشق، فرم حصنه واحتر حوله خندقاً وأنزل علويو الأعور من قواد الأبناء في حصن مّا يلي أردبيل يسمى: حصن النهر، فكانت السابلة والقوافل تحرح فتسلمها بذقة^(١) من واحد من هؤلاء إلى آخر [201] حتى يتأدوا^(٢) إلى مأسهم وكان كلما ظفر واحد من هؤلاء القواد بجاسوس وجهوا به إلى الأفشين، فكان الأفشين لا يقتلهم ولا يصر بهم ولكن يهب لهم، ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم فيضعفه لهم ويقول للجاسوس:

«كن جاسوساً لنا.»

١. بذقة، في الأصل باهبال الثاني. في آ وتد (٤٧٤) بذقة (بالنقل المعجمة)

٢. في الأصل - يتادون. والصحيح ما في ١: يتأدوا

بابك وأفشين وما كان من أمرهما بأرشق

ولها كانت الواقعة بين بابك والأفشين بأرشق. قتل فيها من أصحاب بابك خلق كثير وهرب بابك إلى موقان ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البند.

ذكر السبب في ذلك

كان المعتصم وجه مع بغا الكبير بمال إلى الأفشين عطاء لجنده وللنفقات. فقدم بغا بذلك المال أردبيل. فلما نزلها بلغ بابك خبره فتهتأ ليقطع عليه قبل وصوله إلى الأفشين. فقدم جاسوس على الأفشين فأخبره أن بغا الكبير قد قدم بمال وأن بابك وأصحابه قد تهتأوا ليقطعوه قبل وصوله إليك وكان هذا الجاسوس ورد على أبي سعيد أولاً فوجه به أبو سعيد إلى الأفشين وهياً بابك كميناً في مواضع للمال فكتب الأفشين إلى أبي سعيد يأمره أن يحتال لمعرفة صحة خبر بابك. فمضى أبو سعيد [202] متنكراً مع جماعة حتى نظروا إلى الميران في المواضع التي وصفها الجاسوس. فكتب الأفشين إلى بغا أن يقيم بأردبيل حتى يأتيه رأيه، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحة خبر الجاسوس. فكتب الأفشين إلى بغا يظهر أنه يريد الرحيل ويشد المال على الإبل ويقطرها ويسير متوجّهاً من أردبيل كأنه يريد بوزند^(١). فإذا صار إلى مسلحة النهر أو سار شبيهاً بفرسخين إحتبس القطار حتى يحوز من صعب المال من قافلة وغيرها إلى بوزند، فإذا حاصرت القافلة رجع بالمال إلى أردبيل.

١ في آ متوجّهاً من أردبيل يريد بوزند. والأصل يوافق الطبري (١١٧٥ ١١)

ففعل ذلك بُعا وسارت القافلة حتّى نزلت النهر وانصرف حواسيس بابك إليه يُعلمونه أنّ المال قد حُمِل وعاینوه محمولاً. ورجع بُعا بالمال إلى أردبیل وركب الأفشين في اليوم الذي وعد فيه بُعا من برزند، فوافى خُشّ مع غروب الشمس، فنزل معسكراً خارج خندق أبي سعيد. فلما أصبح ركب في سرّ لم يضرب طبلًا ولا نشر علماً، وأمر أن تُلفّ الأعلام وأمر الناس بالسكوت^(١). وجذّ في السير ورحلت القافلة التي كانت توجّهت في ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم الغوى.

ورحل الأفشين من خُشّ^(٢) [203] يريد ناحية الهيثم ليصادفه في الطريق، ولم يعلم الهيثم فرحل بمن كان معه من القافلة يريد بها النهر وتعباً بابك في خيله ورجاله وعساكره، وصار على طريق النهر وهو يظنّ أنّ المال موافيه، وخرج صاحب النهر يُبذرق من عنده وهو علوية الذي قلنا إنّ كان هناك، فأخذ يسير نحو الهيثم على رسمه.

فخرجت عليه خيل بابك وهم لا يشكّون أنّ المال معه فقاتلهم صاحب النهر علوية وأصحابه فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند والسابلة وأخذوا جميع ما كان معهم من المتاع وعلموا أنّ المال قد فاتهم. فأخذوا علمه ولباس أهل النهر ودراريهم وخفائينهم ولبسوها وتكروا ليأخذوا أيضاً الهيثم ومن معه ولا يعلمون بخروج الأفشين، وجاءوا كأنّهم أصحاب النهر. فلما جاءوا ولم يعرفوا الموضع الذي كان يقف فيه علّم صاحب النهر وقفوا في غير موضعه، وجاء الهيثم فوقف في موقفه فأنكر ما رأى فوجّه ابن عمّ له وقال:

«إذهب إلى هذا البغيض، قتل له: أيّ شيء وقوفك؟»

١. في آ: بالسكون ما في تد (٤٧٥) كالأصل: بالسكوت.

٢. خُشّ: في الأصل تخفيف الأخير. وما في تد (٤٧٣) والطبرى بالتشديد.

فجاء ابن عم هيثم. فلما رأى القوم ودنا منهم أنكرهم، فرجع إلى الهيثم. فقال له :

- «إن هؤلاء القوم لست أعرفهم.» [204]

فقال له الهيثم :

- «أخزأك الله ما أجهنك.»

ووجه خمسة من الفرسان، فلما قربوا من القوم خرج من الخرمية رجلان فتلقوهم فأنكروهما وأعلموهما أنهم قد عرفوهما، ورجعوا إلى الهيثم ركضاً فقالوا :

- «إن الكافر قد قتل علوية وأصحابه وأخذوا أعلامهم ولباسهم.»

فأنصرف الهيثم وأتى القافلة التي كانت معه، فأمرهم أن يركضوا ويرجعوا ثلثاً يؤخذوا، ووقف هو في أصحابه يسير بهم قليلاً قليلاً ويقف قليلاً ليستغل الخرمية عن القافلة وصار شبيهاً بالحامية لهم، حتى وصلت القافلة إلى حصنه الذي كان فيه يكون الهيثم وهو أرشق، وقال لأصحابه :

- «من يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبي سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف

درهم وفرس بدل فرسه إن نفق؟»

فتوجه رجلان من أصحابه على فرسين فارهين يركضان، ودخل الهيثم الحصن وخرج بابك فيمن معه ونزل بالحصن، ووضع له كرسي وجلس على شرف بحيال الحصن وأرسل إلى الهيثم من يحاربه. وكان مع الهيثم في الحصن ستمائة راجل وأربعمائة فارس وله خندق حصين. فقاتله وقعد بابك فيمن معه ووضع بين يديه الخمر مع أصحاب له [205] يسربونها والحرب مشتبكة.

ولقى الفارسان الأفشين على أقل من فرسخ من أرشق، فساعة نظر إليهما

من بعيد قال لصاحب مقدمته :

- «إضربوا بالطبل وانشروا الأعلام واركضوا نحو هذين الفارسين اللذين يركضان إلينا وصيحوا بهما: لبيك، لبيك».

فلم يزل الناس في طلق واحد متراكضين يكثر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك وهو جالس. فلم يتدارك أن يتحرك ويركب حتى وافته الحيل والناس واشتبكت الحرب، فلم يفلت من رجالة بابك أحد، وأفلت هو في نفر يسير ودخل موقان وقد تقطع عنه أصحابه. وأقام الأفشين في ذلك الموضع وبات ليلته ثم رجع إلى معسكره ببرزند.

وأقام بابك بموقان [أثاماً]^(١) ثم بعث إلى البد، فجاءه في الليل عسكر فيهم رجالة فرحل من موقان حتى دخل البد، فلما كانت بعد أيام مرت قافلة من خشن إلى برزند من قبل أبي سعيد ومعها صاحب لهم ومعهم ميرة ومتاع يُحمل إلى معسكر الأفشين، فخرج عليهم إصبيذ بابك فأخذ القافلة وقتل من كان فيها من أهل القافلة وانتهب جميع ما فيها فحط عسكر الأفشين.

فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره بحمل الميرة وتعجيلها عليه فإن الناس قد قعطوا وأضاقوا. [206] فوجه إليه صاحب المراغة بقافلة فيها قريب من ألف ثور سوى الحمير والدواب تحمل الميرة ومعها جند يذرقونها. فخرجت عليهم أيضاً سرية لبابك فاستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها وأصاب الناس ضيق شديد فكتب الأفشين إلى صاحب الشيروار^(٢) أن يحمل إليه طعاماً، فحمل إليه طعاماً كثيراً وأغاث الناس في تلك السنة وقدم بغا على الأفشين بمال ورجال.

١. ما بين المعقوفتين من الطبري (١١٧٨).

٢. كذا في الأصل: شيروار. في مط: الشيروان. في آ: الشيروازان في الطبري (١١٧٩).

خروج المعتصم إلى القاطول وابتداؤه ببناء سُرٍّ من رأى

وفى هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطول وابتدأ ببناء سُرٍّ من رأى وذلك فى ذى القعدة منها.

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب خروجه إلى القاطول أن غلمانة الأتراك كانوا عُسجماً قد اصطنعهم ورأى فيهم نجابة، وكان لا يزال يجد الواحد بعد الواحد قتيلاً فى الأرباض وذلك أنهم كانوا يركبون الدواب فيتراكضون فى طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم فربما هلك. فتأذى الأتراك بهم وتآذت العامة بالأتراك حتى شكت [207] الأتراك إلى المعتصم، فحكى أن المعتصم كان ركب يوم عيد إلى المصلى، فلما انصرف وصار فى مربعة العرشى، قام إليه شيخ فقال :

- «يا با إسحاق»

فابتداه الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم بالكف عنه فقال الشيخ^(١) :
- «مالك لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجنت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت بهم نساءنا وقتلت بهم رجالنا.»

والمعتصم يسمع ذلك كله، ثم دخل داره.

١ كذا فى الأصل وآ وسط . الشيخ فى الطبرى (١١: ١١٨١) : للشيخ.

فلم يَزْ رَاكِباً إِلَى السَّيْءِ الْقَائِلِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.
فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعِيدَ، ثُمَّ لَمْ
يَرْجِعْ إِلَى دَارِهِ بِهَيْدَادٍ. وَلَكِنَّهُ صَرَفَ وَجْهَ دَائِبَتِهِ إِلَى الْقَاطُولِ^(١).
وَحُكِيَ أَنَّهُ قَامَ أَيْضاً إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَوْمَ رَجُلٍ مِنَ الْعَائَةِ فَقَالَ:
- «يَا أَبَا إِسْحَاقَ، أَخْرِجْ عَنْ مَدِينَتِنَا وَإِلَّا حَارِبْنَاكَ بِمَا لَا تَقُومُ لَهُ.»
فَتَقَدَّمَ بِأَخْذِ الرَّجُلِ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ:
- «وَيْلَكَ بَعْنِ تَحَارِبُنِي وَمَا هَذَا الَّذِي لَا أَقُومُ لَهُ؟»
قَالَ: «نَحَارِبُكَ بِأَصَابِعِنَا إِذَا هَذَاتِ الْأَصْوَاتُ بِاللَّيْلِ» - يَعْنِي الدَّعَاءَ.
فَسَكَتَ عَنِ الرَّجُلِ وَلَمْ يَعْضِ لَهُ.
ثُمَّ خَرَجَ لَهْنِي سُرَّ مَن رَأَى.
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَضِبَ [208] الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ وَحَبَسَهُ.

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنِ غَضَبِهِ عَلَيْهِ وَحَبَسِهِ لَهُ

وَسَبَبَ اتِّصَالِهِ بِهِ وَتَفَاقِهِ عَلَيْهِ

كَانَ الْفَضْلُ هَذَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَرْدَانِ حَسَنِ الْحِفْظِ، فَاتَّصَلَ بِكَاتِبٍ
لِلْمُعْتَصِمِ يُقَالُ لَهُ يَحْيَى الْجَرْمَقَانِي. فَمَاتَ يَحْيَى وَصَارَ الْفَضْلُ فِي مَوْضِعِهِ
وَذَلِكَ قَبْلَ خِلَافَةِ الْمُعْتَصِمِ، ثُمَّ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى عَسْكَرِ الْمَأْمُونِ وَصَارَ مَعَهُ إِلَى
مِصْرَ، فَاحْتَوَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرَ وَكَثُرَتْ ذَخَائِرُهُ وَكُنُوزُهُ. ثُمَّ قَدِمَ الْفَضْلُ قَبْلَ
الْمَأْمُونِ بِبَغْدَادَ يُنْفِذُ أُمُورَ الْمُعْتَصِمِ وَيَكْتُبُ عَنْهُ وَعَلَى لِسَانِهِ مَا أَحَبَّ، حَتَّى
قَدِمَ الْمُعْتَصِمُ خَلِيفَةً، فَصَارَ الْفَضْلُ صَاحِبَ الْخِلَافَةِ وَالِدَوَاوِينَ كُلِّهَا تَحْتَ يَدَيْهِ
فَتَضَاعَتْ كُنُوزُهُ.

١ القاطول - نهر كان في موضع سامرا قبل أن يصر (مراسد الإطلاع).

فكان المعتصم يأمر بإطلاق الشيء لندمائه ومغنيه، فلا ينغذ الفضل، وربما رآه في الشيء إدلالاً عليه وأنساً به، وكان قد نزل منه وحل من قلبه المحل الذي لا يحدث أحد نفسه بملاحظته فضلاً عن منازعته ولا في الإعراض عليه إذا أراد شيئاً أو حلم به، فكانت هذه المتزلة تحمله على الدأه حتى كان يخالعه ويمنعه بعض أمره وبعض المال الذي [209] يصرفه في مهمته. فحكى عن أحمد بن أبي دؤاد أنه قال: كنت أحضر مجلس المعتصم فكثيراً ما كنت أسمع يقول للفضل بن مروان:

«إحمل إليّ كذا من الدراهم».

فيقول: «ما عندي».

فيقول: «فاحتلها من وجه، فليس منها بُد».

فيقول: «ومن أين احتالها ومن أين وجهها ومن يعطيني هذا القدر؟»

فكان ذلك يسوءه وأعرفه في وجهه فلما كثر هذا من فعله ركبت يوماً إليه فقلت له مستخلياً به:

«يا با العباس إني أعرف أخلاقك، وعلى ذاك ما أدع بصيحتك وأداء ما يجب عليّ من حقك، وقد أراك كثيراً ما تردّ على أمير المؤمنين أجوبة غليظة ترمضه وتقذح في قلبه والسلطان لا يحتمل هذا لإبنه، لا سيما إذا كثر ذلك وغلظ».

قال: «وما ذاك يا با عبد الله؟»

قلت: «أسمعه كثيراً، كثيراً^(١) ما يقول لك: نحتاج إلى كذا من المال لنصرفه في وجه كذا، فتقول من يعطيني هذا وهذا ما لا تحتمله الملوك».

قال: «فما أصنع إذا طلب مني ما ليس عندي؟»

قلت : « تصنع أن تقول : أحتال يا أمير المؤمنين في ذلك فتدفع ^(١) عنك أليماً ثم تحمل إليه بعض ما يطلب وتسوّفه الباقي . »
 قال : « نعم أفعل وأصير إلى ما أشرت به . »
 قال : فوالله لكأنني كسب [210] أغريه بالمنع . فكان إذا عاود مثل ذلك أقول عاد إلى مثل ما يُكره من الجواب .

وكان مع المعتصم رجل مضحك يستخفّ روحه وكان قديم الضحكة له يقال له : إبراهيم الهفتي ، فأمر له بهال وتقدّم إلى الفضل بن مروان في إعطائه فلم يعطه الفضل شيئاً . فبينا الهفتي يوماً يتمشى مع المعتصم في بستان داره التي بُنيت له ببغداد ، وقد نقل إليه أنواع من الرياحين والغروس ^(٢) ، وكان الهفتي يصحب المعتصم قبل أن تفضى إليه الخلافة ، فيقول له فيما يداعبه :
 - « والله لا أفلحت . »

وكان الهفتي مربوعاً ذا كدنة والمعتصم رجلاً معرقاً خفيف اللحم فجعل المعتصم يسبق الهفتي في المشي فإذا تقدّمه ولم ير الهفتي معه إلّفت إليه فقال له :

- « ما لك لا تتشى ؟ » يستعجله .

فلما كثر ذلك من أمر المعتصم على الهفتي قال له الهفتي مداعباً له :
 - « أصلحك الله ، كنت أراني أماشي خليفة ولم أكن أراني أماشي فيجأ ^(٣) والله لا أفلحت . »

فضحك المعتصم وقال :

١. كذا في الأصل ومط . في آ : فتدفع

٢. في آ العروش (بالشين المعجمة)

٣. الفيح رسول السلطان الذي يسمى على رجليه . والكلمة معربة عن « بيك » الفارسية ، التي أصبحت في الإنجليزية والفرنسية . وهو بمعنى المعنى .

- «ويلك وهل بقي من الفلاح شيء لم أدركه بعد الخلافة؟»

فقال له الهفتي:

- «أتحسب أنك قد أفلحت الآن؟ إنما لك من الخلافة الإسم، والله ما

يجاوز أمرك أذنيك. [211] وإنما الخليفة الفضل بن مروان الذي يأمر فينفذ

أمره من ساعته.

قال المعتصم:

- «وأي أمر لي لم ينفذ؟»

فقال: «أمرت لي بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت مما أمرت به منذ

ذلك حبة.»

وكان هذا أول ما حرك المعتصم في القبض على الفضل بن مروان.

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من

عمل الفساطيط وآلة الجمارات^(١) ويكتب عليها مآ جرى على يدي محمد

بن عبد الملك. وكان يلبس إذا حضر الدار الدراعة السوداء والسيف

بالحمائل.

فدعاه الفضل يوماً وقال له:

- «ما هذا الزي إنما أنت تاجر فما لك والسواد والسيف؟»

فترك ذلك محمد. وأخذ الفضل برفع حسابه إلى دليل بن يعقوب

النصراني فأحسن دليل إليه ولم يزراه شيئاً. وعرض عليه محمد هدايا فأبى

دليل أن يقبل منها شيئاً. ثم غضب المعتصم على الفضل بن مروان وأهل بيته

وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم وصير محمد بن عبد الملك مكانه.

فلما صار محمد بن عبد الملك وزيراً استدعى الفضل يوماً وقد دخل دار

١. الجمارات: ما في الأصل مهمل. في آحازات. وفي مط: خسارات فخطبناها حسب تد

السلطان بسواد وسيف وهو إدارك مغضوب عليه يحاسب، فقال :
 « ما هذا الزئ ؟ إلزم منرك، فإن احتيج إليك [212] استدعيت »

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

وقعة كانت بين بُغا وبابك

وفي هذه السنة كانت بين بُغا الكبير وبابك وقعة بناحية هشتاذسر فهُرِم
 بُغا واستبيح هُكروه.^(١)

ذكر الخمر عن ذلك

كان بُغا قديم بالمال الذي مضى ذكره ففرقه الأفشين على أصحابه وتجهّز
 بعد النيروز عند زوال البرد ومكروه الثلج، ووجّه بغا في عسكر ليدور حول
 هشتاذسر وينزل في خندق محمد بن حميد ويحكمه ويخفّره، ووجّه أبا
 سعيد من وجه آخر ورجل الأفشين من برزند، فتجهّز بغا من غير موافقة^(٢)
 الأفشين وسار حتّى نزل قرية البذ في وسطها وأقام بها يوماً واحداً واحتاج
 إلى الميرة والأعلاف، فوجّه ألف رجل في علافة له، فخرج عسكر من
 عساكر بابك فاستباح العلافة وقتل البعض وأسر البعض ورجع بغا إلى خندق
 محمد بن حميد شبيهاً بالمنهزم وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ويسأله المدد
 فقال الأفشين :

« ما عمل شيئاً وأقدم بغير أمرنا. »

ثمّ وجّه إليه أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابس
 حوشن وصاحب شرطة الحسن وقرابة [213] للعصل بن سهل. ثمّ كتب

١. انظر الطبري (١١٨٦:١١)

٢. كذا في الأصل موافقة في آ موافقة وفي مط موافقة

الأفشين إلى بغا يعلمه أنه يعزو بابك في يوم سمّاه له ويأمره أن يعزوه في ذلك اليوم بعينه ليحاربه من كلا الوجهين. فخرج الأفشين في ذلك اليوم يريد بابك وخرج بُغا، فعسكر على دعوة فهاجت ريح شديدة ومطر شديد فلم يكن للناس صبر على البرد وشدة الريح فانصرف بُغا إلى عسكره وواقعهم الأفشين من القُد وبقا غير حاضر، فهزّمه الأفشين وأخذ عسكره وخيمته، ونزل الأفشين في معسكر بابك.

ثمّ تجهّز بُغا من القُد وصعد هشتاد سرّ، فوجد العسكر الذي كان مقيماً بإزائه قد انصرف إلى بابك فترك بغا في موضعه وأصاب قماشاً وحُرْتِيّاً^(١) قد تركوه، ثمّ انحدر من هشتاد سرّ يريد البَدّ وكان على مقدّمته داود سياه فبعث إليه :

- «إنا قد توسّطنا الموضع الذي تعرفه يعنى الذى كنا فيه فى المرّة الاولى وهذا وقت المساء وقد تعب^(٢) الرجال، فانظر جبلاً حصيناً يسع معسكرنا حتّى نعسكر فيه ليلتنا هذه.»

فالتمس داود سياه ذلك، فصعد إلى قلّة جبل فأشرف فرأى أعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال^(٣) فقال :

- «هذا موضعنا.»

فجاءهم فى تلك الليلة سحب وبرد [214] ومطر وثلج كثير، فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن يزل من الجبل لأخذ ماء ولا سقى دابة من شدّة البرد وكثرة الثلج وكأنهم كانوا فى نهارهم ذلك فى ليل من الضباب المتراكم وشدة الظلمة. فلمّا كان اليوم الثالث قال الناس لبغا :

١ الحرّفى أردأ المتاع وسقطه فى آ: حرثاً.

٢ فى مط: بحث.

٣ فى مط: شبه الجبال.

« قد فنى ما معنا من الزاد وأضر بنا البرد فانزل على أية حال كانت، إنا راجعين وإنا نحو الكافر. »

تبليت بابك الأفشين

وقد كان فى يوم الضباب يبت بابك الأفشين ونفض عسكره وانهزم الأفشين وانصرف إلى معسكره فحارب بقا بالطبل وانحدر يريد البذ، فلما صار إلى بطن الوادى نظر إلى السماء منجلية والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذى كان عليه. فعياً بقا أصحابه ميعنة وميسرة ومقدمة وتقدم يريد البذ وهو لا يشك أن الأفشين فى موضع معسكره فمضى حتى صار لرق^(١) جبل البذ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على آيات البذ إلا صعود قدر نصف ميل، وكان على مقدمته غلام لابن البعث، وكان ابن البعث هذا ذا نكاية فى بابك وأصحابه وكان للغلام قرابة بالبذ، فلقينهم طلائع لبابك، فعرف بعضهم الغلام فقال له :

« فلان ؟ »

قال : « نعم. »

قال : « من هذا هاهنا ؟ »

فسمى له [215] من معه من أهل بيته فقال :

« ادن منى حتى أكلمك. »

فدنا منه الغلام فقال له :

« ارجع وقل لمن تمنى به يتنحى فإننا قد يئسا الأفشين وهزمناه، ونحن

قد تهيأنا لكم فى عسكرين، فعجل الانصراف لعلك أن تنفلت »

١. فى مط : فوق جبل.

فرجع الغلام فأخبر صاحبه ابن البيث، فأخبر ابن البيث بغا بذلك، فوقف بغا يشاور أصحابه، فقال بعضهم:

- «هذا باطل وهذه خدعة، ليس من هذا شيء».

وقال بعض الكوهانيين^(١):

- «إن هذا جبل أعرفه، من صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفيش».

فصعد بغا والفضل بن كاوس وجماعة منهم ممن نشط، فأشرفوا على الموضع فلم يروا فيه أحداً، فيقن أنه مضى وتقرر رأيه على أن ينصرف في صدر النهار قبل أن يجتهد الليل، فأمر داود سياه بالانصراف، فجد في السير ولم يعد في الطريق الذي دخل منه مخافة المضايق والعقاب، وأخذ الطريق الذي دخل منه في المرة الأولى يدور حول هشتاذسر وليس فيه مضيق إلا في موضع واحد. فسار بالناس وبعث الرجال فرموا بأسلحتهم وطرحوا الرماح في الطريق ودخلتهم وحشة شديدة ورعب عظيم وصار بغا والفضل بن كاوس وجماعة [216] من القواد في الساقة، وظهرت طلائع باهك ونزل بغا فتوضاً وصلى ووقف في وجوههم وتخوف بغا على عسكره أن يواقفه^(٢) الطلائع من ناحية ويدور عليهم في بعض الجبال والمضايق قوم آخرون فشاور من حضره وقال:

- «لست آمن أن يكون هؤلاء الدين بإزائنا مشغلة بحبسوتنا عن المسير

ويسبقوننا إلى المضايق قوم آخرون».

فأشار الفضل بن كاوس أن يوجه إلى داود سياه وهو على المقدمة أن يسرع السير ولا ينزل حتى يجاوز المضيق ولو في نصف الليل، فأتا نحن

١. كدامي الأصل ومط، الكوهانيين ما في الطبري (١١١٠-١١١٩). الكوهانيين

٢. في مط: أن تواقفه

فبقف هاهنا ونماطلهم حتى تجيء الظلمة^(١)، فإن هؤلاء لا يعرفون حيثن
لنا موضعاً، فإن أحد علينا المضيق تخلصنا بأفراسنا من طريق هشتاذسر أو
من طريق آخر.

وأشار غيره على بنى فقال :

- «إن العسكر قد تقطع وليس يدرك أوله آخره والناس قد رموا بسلاحهم
وقد بقى المال والسلاح على البغال وليس معه أحد ولا نأمن أن يخرج علينا
من يأخذ المال والسلاح والأسير الذى معنا» - وكان معهم ابن جويدان^(٢)
أسيراً.

فلما ذكر ذلك لبنا أشفق منه ووجه إلى داود سياه : «حينما رأيت جبلاً
حصيناً فعسكر عليه».

فعدل داود إلى جبل مؤزب لم يكن للناس [217] فيه موضع للجلوس
من شدة نصوبه^(٣)، فعسكر عليه وضرب لبنا مضرب على طرف الجبل في
موضع شبيه بالعائط ليس فيه مسلك، فنزل فيه وأنزل الناس وقد كلوا
وفنيت أزوادهم، فباتوا على تعبئة يتحارسون من ناحية المصمد وجاءهم
العدو من الناحية الأخرى، فعلقوا بالجبل حتى صاروا إلى مضرب لبنا،
فكبسوه وبيتوا العسكر وخرج لبنا راجلاً حتى نجا وخرج الفضل بن كاوس
ونجا وقتل ابن جوشن وقرابة الفضل بن سهل وجماعة غيرهم، ووجد لبنا
بعد خروجه من العسكر دابة فركبها، ومز بها ابن البعيت فأصعده على
هشتاذسر حتى انحدر به على عسكر محمد بن حميد وخندقه، فوافاه في
جوف الليل وأخذ الخزمية المال والعسكر والأسير ولم يتبعوا الناس

١ في مط : حتى تجيء الليل والظلمة.

٢ جويدان = جاريدان.

٣ في الطبري (١١: ١١٩٢) : هبوطه.

ومرّ الناس متقطعين حتّى وافوا بُغا. وأقام بُغا خمسة عشر يوماً فى خندق محمد بن حُميد حتّى أتاه كتاب الأفشين يأمره بالرجوع إلى المراغة. وانصرف الفضل أخو الأفشين وجمع من كان فى عسكر الأفشين إلى الأفشين، وفرّق الأفشين الناس فى مشاتهم تلك السنة [218] حتّى جاء الربيع من السنة المقبلة.

ثمّ دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

وفىها وجّه المعتصم بالله إلى الأفشين جعفر بن دينار الخياط مدداً له، ثمّ أتبعه بإيتاخ ووجّه معه ثلاثين ألف ألف درهم للجند والتفقات. فلما جاء الربيع ووصل إلى الأفشين ما وجّه من المال والمدد فوافاه^(١) ذلك كلّهُ وهو بيرزند سلّم إليه إيتاخ المال والرحال وانصرف وأقام جعفر الخياط إلى أن حضر الوقت الذى يمكن فيه الغزو وطاب الزمان.

فتح البُدّ مدينة بابك واستباحتها

وفى هذه السنة فتحت البُدّ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

لما عزم الأفشين على الدنو من البُدّ جعل يزحف قليلاً قليلاً على خلاف زحفه قبل ذلك إلى المنازل التى كان ينزلها وكان يتقدّم الأميال الأربعة فيمسك فى موضع على طريق المضيق الذى ينحدر إليه ولا يحفر خندقاً ولكنه يقيم معسكراً [219] فى العسك، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل

١. فوافاه : كذا فى الأصل وآ ومط : فوافاه.

الناس نواب كراديس، تحف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل، فبعض القوم معسكر وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار، مخافة البيات، كي إن دهمهم أمر كان الناس على تعبئة والرجالة في العسكر، فضج الناس من التعب وقالوا:

- «كم نقعد هاهنا في المضيق ونحن قعود في الصحراء وبيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل فعال من يرى العدو بإزائه؟ قد استعطينا من الناس والجواسيس الذين يحزون بنا، وبين العدو وبيننا أربعة فراسخ ونحن قد متنا من الفزع، إقدم بنا فإما لنا وإما علينا.»

فقال: «أنا والله أعلم أن ما تقولون حق، ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا ولا أجد بُدًّا منه.»

فلم يلبث أن ورد عليه كتاب المصم يأمره أن يتحرى بدراجة الليل، فانهدر في خاصته حتى نزل روذ الروذ وتقدم حتى شارف الموضع الذي واقع عليه بابك في العام الماضي، فنظر إليه فإذا عليه كردوس من الخرمية فلم يحاربوه ولم يحاربهم فقال بعض العلوج: [220]

- «ما لكم تجهنون وتقرّون، أما تستحيون؟»

فأمر الأفسشين ألا يجيبوهم ولا يبرز إليهم أحد، فلم يزل مواقفهم إلى قريب من الظهر ثم رجع إلى عسكره فلم يزل على ذلك أيتاماً وكان يأمر أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم ولا يحركهم ولا يهيجهم وأمر الفعلة وكانوا يسمّون الكَلْمَرِيَّة^(١) أن يحملوا شكاء الماء والكعك.

فلما صاروا إلى روذ الروذ أمر أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم على حسب ما كان يواقفهم، وأمر الفعلة أن ينقلوا الحجارة ويحصنوا الطرق التي تسلك إلى

١ والصبط من الطبري (١١٩٩١١) حيث جاء فيه: الكَلْمَرِيَّة، وهم الفعلة ويحتمل أن يكون

أصلها الفارسي: گلگران، أي عمال الطين

تلك الأُجبال، وكانت ثلاثة أُجبال حصينة كان اختارها ففعل ذلك فصارت شبه الحصون، ثم أمر قاحتفر على طريق وراء تلك الحجارة على المصعد حندقاً، ولم يترك إليها إلا مسلكاً واحداً، ثم أمر أبا سعيد بالإنصراف.

فلما كان الثامن من الشهر وعلم أن ضوء القمر قد أمتع. دفع إلى الرُجالة الكعك والسويق ودفع إلى الفرسان الزاد والشعير ووكل بمعسكره من يحفظه، وانحدر وأمر الرُجالة بالصعود إلى رؤوس تلك الجبال، وأن يحملوا معهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد، ووجه أبا سعيد [221] ليوافق القوم على عادته وأمر الناس بالدخول في السلاح وآلا يأخذ الفرسان سروج دوابهم، ثم خط الخندق وأمر الفعلة بالعمل فيه، ووكل بهم من يستحثهم، وكان يأمر بالغشي أن يصعد الفعلة مع الرُجالة إلى رؤوس الجبال التي حصنها، ثم يأمر الرُجالة أن يتحارسوا ولا يناموا ويدعوا الفعلة فوق الجبال ينامون، ويأمر الفرسان أن يصيروا كراديس بين كل كُردوس وكردوس مقدار رمية سهم، وتقدم إلى جميع الكراديس:

«آلا يلتفتن واحد منكم إلى الآخر وليحفظ كل رجل منكم ما يليه. فإن سمعتم هذة فلا يلتفتن أحد منكم إلى أحد فكل كُردوس قائم بما إليه^(١)، ونحن لا نمدّه بأحد.»

ملاطفة بين بابك وأفشين في تلك الحال

فلم تزل الكراديس وقوفاً على ظهور دوابهم إلى الصباح والرُجالة فوق رؤوس الجبال يتحارسون، فلبثوا كذلك عشرة أيام حتى فرغوا من حفر الخندق، ودخله اليوم العاشر وأمر القواد أن يبعثوا إلى أنقالهم وأنقال أصحابهم

١ كذا في الأصل وأعط إليه ما في الطبري (١٢٠٠١١) بما يليه

على الرفق فيفلوه. وأتاه رسول بابه معه قتاء ويطبخ وخيار بعلمه أنه في أيامه هذه في جفاء، إنما يأكل الكعك والسويق [222] هو وأصحابه، وأنه إن أحب أن يلطفه بذلك فعل.
فقال الأفشين للرسول :

- «قد عرفت أي شيء أراد أخى بهذا. إنما أراد أن ينظر إلى العسكر، وأنا أقبل برّه وأعطي شهرته، فقد صدق، أنا في جفاء..»
وقال للرسول :

- «أما أنت فلا بد لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا وترى ما وراءنا.»
فأمر بحمله على دابة، وأن يصعد به، حتى يرى الخندق، وينظر إلى خندق كلان روذ. وخندق برزئذ ويتأمل الخنادق الثلاثة ولا يخفى عليه منها شيء لينبهر به صاحبه.
ففعل به ذلك. ثم أطلقه ووصله وقال :

- «اذهب واقرأه مني السلام.»^(١)

ثم إن الأفشين كان في كل أسبوع يضرب الطبول نصف الليل ويخرج بالشمع والنقاطات إلى باب الخندق، وقد عرف كل إنسان كردوسه من كان في الميمنة ومن كان في الميسرة. فيخرج الناس فيقفون في مواقعهم.
وكان الأفشين يحمل أعلاماً سوداء كباراً على البغال وكان اثني عشر علماً وكانت أعلامه الصغار نحو خمسمائة علم وكانت طيوله الكبار اثنين وعشرين طيلاً، فيقف أصحابه على مراتبهم حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه [223] فيؤذن المؤذن بين يديه ويصلي الناس بفلس، ثم يأمر بضرب الطبول ويسير زحفاً، وكانت علامة السير ضرب الطبول، فإن

أراد أن يقف أمسك عن ضربها فيقف الناس من كل ناحية في جبل أو وادٍ. وكان يسير هذه الستة الأميال التي بين معسكره وهو روذ الروذ وبين البَدْ ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأكبر، فإذا أراد أن يصعد إلى الموضع الذي كانت الحرب عليها في العام العاشر خلف بخاراخذاه^(١) على رأس العقبة مع ألف وستمئة رجل يحفظون الطريق، لا يخرج أحد من الخرمية، فيأخذ عليهم الطريق.

وكان بابك إذا أحس بمساكر الأفشين أنها قد تحركت من الخندق ترده فترق أصحابه كُمتاً، ولم يبق معه إلا نفير يسير، ولم تكن تعرف المواضع التي يكمنون فيها. وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع أشرف على قصر بابك وجلس على كرسي، وفترق الرجال في طلب الكُماء ووقف الفرسان على ظهور دوابهم إلى بعد الظهر، والخرمية بين يدي بابك يشربون الشراب ويمزرون بالسرنايات ويضربون بالطبول، حتى [224] إذا صلى الأفشين انحدر إلى خندقه بروذ الروذ.

ونفخ أصحاب بابك في بوقانهم وضربوا بصنوجهم استهزاءً ولا يبرح بخاراخذاه حتى يجوزه الناس جميعاً، ثم ينصرف في آثارهم حتى إذا كان في بعض الأثام ضجرت الخرمية من التفتيش وانصرف الأفشين كعادته وانصرفت الكراديس. فلما انتهى إلى جعفر الخياط نوبة العبور فتح الخرمية خندقهم وخرج منهم عدة فحملوا على من بقي من أصحاب جعفر الخياط، وارتفعت الضجة في العسكر ورجع جعفر مع كردوس من أصحابه بنفسه وحمل على أولئك الفرسان حتى ردهم إلى باب البَدْ، ثم وقعت الضجة في العسكر فرجع الأفشين وجعفر من ذلك الجانب يقاتل في أصحابه وقد جرح

من أصحابه عدّة ومن أصحاب بابك عدّة من الفرسان مع فرسان ليس بينهم رجالة، فرجع الأفشين حتّى طرح الكرسيّ له على الطع في موضعه الذي كان يجلس فيه وهو يتلفّظ^(١) على جعفر ويقول:

«قد أفسد تعبتي وما أريد.»

وكان مع أبي ذؤلف في كردوسه قوم من المطوّعة من البصرة وغيرها، فلما ارتفعت الضجّة ونظروا إلى جعفر يحارب [225] انحدر أولئك المطوّعة بغير أمر الأفشين وعبروا إلى الجانب الآخر من الوادي حتّى صاروا إلى حائط البذّ فتعلّقوا به وأثروا فيه آثاراً، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذّ. ووجه جعفر إلى الأفشين أن:

«أمدني بخسمانة راجل من الناشبة، فإنّي أدخل البذّ إن شاء الله، فقد عرفت القوم وعلمت مآتهم.»

فبعث إليه الأفشين:

«قد أفسدت علىّ أمرى كلّ، فتخلّص قليلاً قليلاً وخلّص أصحابك وانصرف.»

وارتفعت الضجّة من جهة المطوّعة حتّى تعلّقوا بالبذّ وظنّ الكُمناء من أصحاب بابك أنّها الحرب قد اشتبكت، فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بحاراً خذاً، ووثب آخرون وراء الركوة التي كان الأفشين عليها يقعد، فتحرّكت الخرمية والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم أحد. فقال الأفشين:

«الحمد لله الذي بين لنا مواضع هؤلاء.»

ثمّ انصرف جعفر وأصحابه والمطوّعة، فجاء جعفر فقال للأفشين

- «إنما وجهنى أمير المؤمنين للحرب التى ترى لا للعمود هاهنا، وأراك تقعد بى فى أوقات حاجاتى. قد كان يكفينى خمسمائة رجل حتى أدخل الهمذ^(١) أو جوف داره لأننى قد رأيت من بين [226] يديّ.»
فقال الأفشين :

- «لا تنظر إلى من بين يديك ولكن انظر إلى من خلفك وما قد وثبوا ببخاراخذاء وأصحابه.»

فذهب جعفر يتكلم، فقال له الفضل بن كاوس :
- «لو كان الأمر إليك ما كنت تصعد إلى هذا الموضع الذى أنت عليه واقف حتى تقول كنت^(٢).»
قال له جعفر :

- «هذه الحرب وها أنا^(٣) واقف لمن جاء.»

فقال له الفضل :

- «لولا مجلس الأمر لمزفتك نفسك الساعة.»

فصاح بهما الأفشين فأمسكا وأمر أبا دلف أن يرد المطوعة عن السور.
فقال أبو دلف للمطوعة !
- «انصرفوا.»

فجاء رجل منهم ومعه صخرة فقال :

- «أتردنا وهذا الحجر من السور أخذته ؟ ولو أخذ معى كل واحد مثله لأزلنا السور عن موضعه.»
فقال له :

١. فى آ : «البناء جوف داره» بدل «الهمذ»، أو جوف داره.

٢. كنت : كذا فى الأصل وآ ومط فى الطبرى (١١: ١٢٠٧). كنت وكنت.

٣. كذا فى آ ومط، أنا، والمصط فى الأصل والطبرى (١١: ١٢٠٧) : هانا (يهدف الهمة للتخفيف)

« إذا انصرفت الساعة تدري على من طريقك » - يعنى العسكر الذى وثب على بخارا حذاء من ورائه.

ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر :

« أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين. ليس كل من خف رأسه فيقول، يفى بما يقول.^(١) إن الوقوف فى الموضع الذى نحتاج إليه حير من المعاربة فى الموضع الذى لا نحتاج إليه. لو وثب هؤلاء الذين تحتك - وأشار إلى الكمين - كنت تدري هؤلاء المطوعة الذين هم فى القمص [227] أى شئ كان يكون حالهم، فالحمد لله الذى سلمهم، قف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى هاهنا أحد. »

وانصرف الأفشين وكان من سنته أن يصرف على تعبئة كردوس بعد كردوس ويكون آخرهم. وأقام الأفشين فى حنقه برود الروذ أياماً. فشكا إليه المطوعة الضيق فى العلوفة والزاد، فقال لهم :

« من صبر فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام، فإن معى من جند أمير المؤمنين ومن هو فى أرزاقه من يقيم معى فى الحر والبرد، ولست أبرح من هاهنا حتى يسقط الثلج. »

فانصرف المطوعة وهم يقولون :

« لو ترك الأفشين جعفرأ وتركنا لأخذنا اليد، ولكنه يشتهى المعاطلة. »

أفشين والرويا التى رءاها بعض المطوعة

فبلغه ذلك وما أكثر فيه المطوعة وتناولوه بالسنتهم حتى قال بعضهم :

١ - فيقول، يفى بما يقول : كذا فى الأصل، وهو التصحيح من مط - فيقول ولا يفى بما يقول فى آ - يقول، يفى بما يقول والمبارة فى الطبرى (١١: ١٢٠٨). « ليس كل من خف رأسه يقول إن الوقوف... »

- «رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه فقال لي: قل للأفشين إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في أمره، وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة.»

فتحدثت الناس بذلك في العسكر حتى صار جلّ حديثهم به علانية كأنه مستور.

فبعث الأفشين إلى رؤساء المطوعة فأحضرهم وقال لهم:
- «أحب أن تُروني هذا الرجل.»

فأتوه به، فانحشر [228] معه الناس فقرّبه وأدناه ثم قال:
- «قصّ عليّ رؤياك ولا تحتشم. فإنك إنما تؤذي.»
قال: «رأيت كذا وكذا.»

فقال: «الله يعلم بنيتي وما أريد للمسلمين وبهؤلاء الخلق، وإن الله عز وجلّ لو أراد أن يأمر الجبال بترجم أحد لرجم الكافر وكفابا مؤمنته، فكيف يرجمني حتى أكفيه مؤمنته، كان يرجمه ولا يحتاج أن أقاتله، وأنا أعلم أنّ الله مطلع على قلبي وما أريد بكم يا مساكين.»
فقال رجل من المطوعة من الوجوه:

- «أيها الأمير، لا تحرمنا شهادة إن حضرت^(١)، فإنما قصدنا ثواب الله ووجهه، ولو أردنا الحياة لقمنا في منازلنا، فدعنا وحدنا حتى نتقدّم بعد أن يكون بأذنك، قلعلّ الله أن يفتح علينا.»
فقال الأفشين:

- «أرى نيّاتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريد الله، وقد نشطتم ونشط أصحابي وقد حدث لي الساعة رأي في ذلك وهو خير إن شاء الله، اعزموا

١. كذا في الأصل. ما في الطبري (١١: ١٢١٠): إن كانت قد حضرت.

على بركة الله أي يوم شمس حتى تناهضه. لا حول ولا قوة إلا بالله. «
فخرج القوم مستبشرين، فمن كان أراد الإصراف أقام ومن كان خرج ثم
سمع بذلك رجع.

ووعده الناس ليوم، وتقدم إلى الناس بأخذ الأهبة ثم خرج [229] وأخرج
المعاول على البغال لمن لعله يُجرح، وأخرج المستطبين، وزحف الناس،
حتى صعد إلى المكان الذي كان يجلس فيه وطرح له النطع ووضع عليه
الكرسي كما كان يفعل وقال لأبي دلف:

- «قل لأصحابك أي ناحية هي أسهل عليهم فليقتصروا عليها.»

وقال لجعفر:

- «العسكر كله بين يديك والناشبة والنفاطون أمامك، فخذ حاجتك واعزم

على بركة الله، ادن من أي موضع شئت.»

قال: «أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه.»

قال: «امضي.»

ثم دعا أبا سعيد فقال له:

- «قف بين يدي أنت وجميع أصحابك ولا يبرحن منكم أحد.»

ودعا أحمد بن الخليل فقال له:

- «قف أنت أيضاً وجميع أصحابك ها هنا ودعوا جعفرأ يعبر ومن معه من

الرجال، فإن أراد رجالاً وفرساناً أمددناه.»

توجه أبي دلف نحو حائط البذ

فتوجه أبو دلف مع المطوعة نحو حائط البذ وعلقوا بالحائط على حسب
ما كانوا فعلوا ذلك اليوم وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ كما فعل
تلك الدفعة ووقف على الباب وواقفه الخرمية ساعة، فوجه الأفشين برجل

معه بشرة دنائير وقال :

- « قل لأصحاب جعفر : من تقدّم حنوت له ملّ كفى. »

ودفع بكرة [230] أخرى دنائير إلى آخر، وقال :

- « اذهب إلى موضع المطوعة وقل مثل ذلك. »

وبعت بأطواق وأسورة مع البدرتين، واشتبتت الحرب، ثم فتح الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحّوهم عن الباب وشدّوا على المطوعة من الناحية الأخرى فرموهم عن السور، وأخذوا علمين لهم وشدّوهم بالصخر حتّى أثروا فيهم ورقّوا عن الحرب. وصاح جعفر بأصحابه فبدر منهم نحو مائة رجل فبركوا^(١) خلف تراسهم التى كانت معهم وواقفهم متعاجزين لا هؤلاء يقدمون ولا هؤلاء، حتّى صلى الناس الظهر يختلف بينهم النشاب والحجارة.

فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطعم العدو فى الناس، فوجّه إلى

جعفر بكر دوس فقال جعفر :

- « لست أوتى من قلة الرجال، مى رجال ولكن لست أرى للحرب

موضعا وقد انقطعت الحرب. »

فبعث إليه :

- « انصرف عني بركة الله. »

فانصرف جعفر وتقدّم الأفشين بحمل الجرحى ومن به وهن من الحجارة فى المحامل التى على البغال وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ ويشس الناس من الفتح فى تلك السنة وانصرف [231] أكثر المطوعة.

١. فبركوا كذا فى الأصل والطبرى (١٢١٣، ١١) فى أ. مائة رجل قتلوا

ثُمَّ إِنَّ الْأَفْشِينَ تَحَهُزُّ بَعْدَ جُمُعَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ بَعَثَ الرَّجَالَ النَّاشِبَةَ وَهُمْ مَقْدَارُ أَلْفِ رَجُلٍ، فَدَفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شِكْوَةً^(١) وَكَعْكَاً، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ أَعْلَاماً سَوِداً وَقَالَ:

- «سَبَرُوا حَتَّى تَصِيرُوا خَلْفَ التَّلِّ الَّذِي عَلَيْهِ آذِينَ» - وَهُوَ صَاحِبُ جَيْشِ بَاهِك.

وَأَرْسَلَ مِنْهُمْ الْأَدْلَاءَ وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَعْلَمَ بِهِمْ أَحَدٌ حَتَّى يَرَوْا أَعْلَامَ الْأَفْشِينَ عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَحِينَئِذٍ فَرَكَبُوا الْأَعْلَامَ عَلَى الرِّمَاحِ وَاضْرَبُوا بِالطَّبُولِ وَانْهَدَرُوا مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ وَارْمَوْا بِالنَّشَابِ وَالصَّخْرِ عَلَى الْخَرْمِيَّةِ وَإِنْ هُمْ لَمْ يَرَوْا الْأَعْلَامَ لَمْ يَتَحَرَّكُوا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُ.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَوَافُوا رَأْسَ الْجَبَلِ عِنْدَ السَّحَرِ وَجَعَلُوا فِي تِلْكَ الشِّكَاةِ الْمَاءَ مِنَ الْوَادِي.

فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ وَجَّهَ الْأَفْشِينَ إِلَى الْقَوَادِ أَنْ:

- «ارْكَبُوا فِي السَّلَاحِ» -

فَرَكَبُوا، وَأَخْرَجَ النَّقَاطِينَ وَالنَّسَمَ وَضَرَبَ بِالطَّبُولِ حَتَّى وَافَى الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ وَبُيِّطَ النُّطْعُ وَوُضِعَ الْكُرْسِيُّ لِمَادَتِهِ، وَكَانَ بِخَارَاخْذَاهُ يَقِفُ عَلَى الْعُقْبَةِ الَّتِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ صَيَّرَ بِخَارَاخْذَاهُ فِي الْمَقْدَمَةِ مَعَ أَبِي سَعِيدٍ وَجَعْفَرِ الْخَطَّاطِ وَأَحْمَدَ بْنِ الْخَلِيلِ، فَأَنْكَرَ النَّاسُ هَذِهِ التَّعَبُّةَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَدْنُوا [232] مِنَ التَّلِّ الَّذِي عَلَيْهِ آذِينَ فَيَحْدِقُوا بِهِ، وَقَدْ كَانَ يَنْتَاهِمُ عَنْ هَذَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. فَمَضَوْا جَمِيعاً حَتَّى صَارُوا كَالْحَلْفَةِ حَوْلَ التَّلِّ وَارْتَفَعَتِ الضَّجَّةُ وَتَحَرَّكَ الْكَمِينَ وَاسْتَبَكَّتِ الْحَرْبُ. فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجَالُ النَّاشِبَةَ الَّذِينَ نَقَدَمُوا صَوْتَ الطَّبُولِ وَرَأَوْا الْأَعْلَامَ

١ الشِّكْوَةُ - وَغَاءٌ مِنْ جِلْدِ الْبَعِثَةِ أَوْ اللَّيْنِ.

ورَكَّبُوا أَعْلَامَهُمْ وَانْحَدَرُوا عَلَى أَصْحَابِ آذِينَ وَحَمَلَ جَعْفَرُ الْخِطَاطُ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى صَعَدُوا إِلَيْهِمْ ثُمَّ حَمَلُوا حِمْلَةَ مَنْكَرَةٍ، قَلْبُوهُ^(١) وَأَصْحَابَهُ فِي الْوَادِي. وَكَانَ آذِينَ قَدْ هَيَّأَ فَوْقَ الْجَبَلِ عَجَلًا عَلَيْهَا صَخْرَةٌ. فَلَمَّا حَمَلَ النَّاسُ دَفَعَ الْعَجَلُ عَلَى النَّاسِ، فَأَفْرَجَ النَّاسُ عَنْهَا حَتَّى تَدَحَّرَجَتْ ثُمَّ حَمَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

بَابُكَ يَرِيدُ الْأَمَانَ

فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ كَثُرُوا وَنَظَرُوا بِبَابِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ أَحْصَدَقَ بِهِمْ، فَخَرَجَ مِنْ طَرَفِ الْبَدْنِ مِنْ بَابٍ يَلِي الْأَفْشِينَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَا الْبَابِ وَبَيْنَ التَّلِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَفْشِينَ قَدْرُ مِيلٍ، فَأَقْبَلَ بِبَابِكَ يَسْأَلُ عَنِ الْأَفْشِينَ فَقَالَ لَهُمُ الْمَطْوُوعَةُ وَأَصْحَابُ أَبِي دُلْفٍ:

«مَنْ هَذَا؟»

فَقَالُوا: «بَابُكَ، يَرِيدُ الْأَفْشِينَ.»

فَأَرْسَلَ أَبُو دُلْفٍ إِلَى الْأَفْشِينَ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ. فَأَرْسَلَ الْأَفْشِينَ رَجُلًا يَعْرِفُ بِبَابِكَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ:

«نَعَمْ هُوَ بِبَابِكَ.»

فَرَكِبَ إِلَيْهِ الْأَفْشِينَ، فَدَنَا مِنْهُ حَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَكَلَامَ أَصْحَابِهِ، وَالْحَرْبُ مُشْتَبِكَةٌ [233] فِي نَاحِيَةِ آذِينَ، فَقَالَ لَهُ:

«أُرِيدُ الْأَمَانَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.»

فَقَالَ لَهُ الْأَفْشِينَ:

«قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْكَ هَذَا وَهُوَ لَكَ مَبْذُولٌ مَتَى شِئْتَ.»

١ قَلْبُوهُ: كَذَا فِي مَطِّ وَالظُّهْرِي (١١: ١٢١٦). مَا فِي آهَلِ

فقال : « قد شئت الآن على أن تؤجلنى أجلاً أحمل فيه عيالى وأتجهّز. »

قال له الأفسشين :

- « قد والله نصحتك غير مرّة وأنا أنصحك الساعة : خروجك اليوم فى

الأمان خير من غيب. »

قال : « قد قبلت أيتها الأمير. »

قال له الأفسشين :

- « ما بحث بالرهائن التى كنت سألتك. »

قال : « نعم. أمّا فلان وفلان فهم على ذلك الجبل. فمُر أصحابك بالتوقّف

عنهم. »

فجاء رسول الأفسشين ليردّ الناس. فقبل له :

- « من يرّد الناس ؟ إنّ أعلام الفراغة^(١) قد دخلت البذّ وصعدوا بها إلى

القصور. »

فصاح الأفسشين بالناس ودخل ودخلوا وصعد الناس بالأعلام فوق القصور

وقد كان بابك كمن فى قصوره وهى أربعة، ستمائة راجل. فوافاهم الناس

فصعدوا فوق القصور بالأعلام وامتلاً شارع البذّ وميدانها من الناس ولمش

أولئك الكمناء أبواب القصور وخرجوا يقاتلون الناس. ومرّ بابك حتّى دخل

الوادى الذى يلى هشتاذسر واشتغل الأفسشين وقوّاده بالحرب على أبواب

القصور وأحضروا الفاطين فصبّوا عليهم النفط والنار يهدمون [234]

القصور حتّى قتلوهم عن آخرهم.

وأخذ الأفسشين أولاد بابك وعيالاتهم وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا،

وكان عامّه الخرمية فى البيوت فرجع الأفسشين إلى الخندق بروذ الروذ.

١ فى أ ومط الفراغة (بالسين المهملة). والأصل مثل الطبرى (١١: ١٢١٨)

فذكر الناس أنَّ بابك وأصحابه حين علموا أنَّ الأفشين قد رجع إلى خندقه رجعوا إلى البذ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حمله وحملوا أموالهم، ثمَّ دخلوا الوادى الذى يلي هشتادسر، فلما كان من الغد خرج الأفشين حتَّى دخل البذ فوقف فى القرية وأصعد الكلغريّة^(١) فهذموا القصور وحرّقوها. فعل ذلك ثلاثة أيّام حتَّى أحرق خزائنه وقصوره ولم يدع بيتاً واحداً. ثمَّ رجع وقد علم أنَّ بابك قد أفلت فى بعض أصحابه. فكتب إلى ملوك أرمينية وأصحاب الأطراف يقول :

« إنَّ بابك قد هرب فى عدّة معه وهو ماّر بكم فلا يفوتكم. »

وجاءت الجواسيس إلى الأفشين فأخبروه بموضعه فى الوادى وكان وادياً مُعشياً كثير الشجر طرفه بأرمينية وطرفه الآخر بأذربيجان، ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه ولا يُرى من يستخفى فيه، إنَّما هو غيضة ملتفة الأشجار والأنهار فوجّه الأفشين إلى كلِّ موضع يعلم أنَّ منه طريقاً ينحدر إلى تلك الغيضة، إذ يمكن بابك أن يُخرج [235] منه عسكرياً، وكان يوجّه إلى كلِّ عسكر من هذه العساكر الميرة من عسكريه وكانت عدّة هذه العساكر خمسة عشر عسكرياً.

أمان مختوم بالذهب من المعتصم لبابك

وكانوا كذلك حتَّى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم بالله مختوماً بالذهب فيه أمان لبابك. فدعا الأفشين مَن كان استأمن إليه من أصحاب بابك وبالأسرى وفيهم ابن له كبير، أكبر ولده فقال لهم :

« هذا ما لم أكن أطمع له فيه، أن يكتب له أمير المؤمنين وهو فى هذه

١. فى خط : الكل مرّة وهو خطأ والكلمة شرحناها قبل.

الحال بأمان، فمن يأخذه ويذهب به إليه؟»

فلم يجسر على ذلك أحد منهم وقالوا:

- «أئها الأمير ما فينا من يجترئ أن يلقاه بهذا.»

فقال الأفشين:

- «ويحكم، إنه يفرح بهذا.»

قالوا: «أصلح الله الأمير، نحن أعرف بهذا منك.»

قال: «فلا بد من أن تهبوا لي أنفسكم وتوصلوا هذا الكتاب إليه.»

فقام رجلان منهم فقالا:

- «إضمن لنا أنك تجرى على عيالاتنا.»

فضمن لهما. وأخذوا الكتاب وتوجهوا، فلم يزالا يدوران في الغيضة حتى

أصاباه، وكتب معهما ابن بابك يعلمه الخبر ويسأله أن يصير إلى الأمان. فدفعوا

إليه الكتاب عن ابنه فقرأ كتاب ابنه وقال:

- «أى شيء صنعتم؟»

قال: «أيسر عيالاتنا [236] ولم نعرف موضعك فنأتيك.»

فقال للذي كان معه الكتاب:

- «أما هذا فلا أعرفه، ولكن أنت يا ابن الفاعلة كيف اجترأت أن تجيئني

من عند ابن الفاعلة؟» ^(١) يعني ابنه.

فأخذه وشد الكتاب على صدره مختوماً لم يفضّه وضرب عنقه.

ثم قال للآخر:

- «إذهب أنت فقل لابني^(١): يا ابن الزانية قد تحققت الساعة أنك لست

لي بابن، وأن أمك جاءت بك من عهري، لو عشت يوماً واحداً وأنت رئيس

١. ما لي الأصل، لانه فصحتاه حسب السياق، والمباراة ساقطة في كل من آ ومط. وهي في

الطبري (٢١٠١ - ١٢٢٠). «وقل لذلك ابن الفاعلة - يصي ابنه»

هذه الدعوة، كان خيراً لك من أن تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل، ولكنك من جنس لا خير فيه.»
وردة الرجل مع أدلاء حتى دلوه ورجعوا إلى بابك.

فناء زاد بابك

ثم إن بابك فنى زاده وخرج متاً بلى طريقاً فيه جبل لا يقم عليه عسكر لبعده من الماء، وكان الناس قد أقاموا هناك فارسين وكوهيين^(١) يحرسون الطريق بنوبة، فلما خرج بابك وأصحابه وكان معه أخواه عبد الله ومعاوية وامرأة له وساروا يريدون أرمينية، نظر إليهم الفارسان والكوهيَّان، فتوجهوا إلى العسكر وعليه أبو الساج، فأعلموه أنهم رأوا فرساناً خرجوا من الفيضة ومزوا لا ندرى من هم. فركب [237] الناس وساروا فنظروا إليهم من بُعد وقد نزلوا على عين ماء يتخذون عليها. فلما نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب من كان معه. فأقلت وأخذ معاوية وأم بابك والمرأة التي كانت معه، ومع بابك غلام له. فوجه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر ومز بابك حتى دخل جبال أرمينية يسر متكئاً في الجبال فاحتاج إلى طعام، وكان جميع بطارقة أرمينية قد تحفظوا بنواحهم وأطرافهم وأوصوا مسالحيهم^(٢): [أن] لا يجتاز عليهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه. وكان أصحاب المسالح كلهم متحفظين.

١ الكوهي. المنسوب إلى الكوه وهو بالفارسية: الجبل.

٢ في آ: مسالحيهم. وهو تصحيف.

٣. أن أصغناها من مط

بابك والحرّاث وما فعل ابن سنباط

وأصاب بابك الجوع فأشرف فإذا هو بحرّاث يحرت على فدان له في بعض الأودية. فقال للغلام له :

- «إنزل إلى هذا الحرّاث وخذ معك دراهم ودنانير، فإن كان معه خبز فخذ وأعطه.»

وكان للحرّاث شريك ذهب لحاجته. فنزل الغلام إلى الحرّاث يخاطبه. فنظر إليه شريكه من بعيد فوقف بالبعد يفرق أن يجيء إلى شريكه. فدفع الغلام إلى الحرّاث شيئاً، فجاء الحرّاث فأخذ الخبز فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر ويظنّ أنه إنما اغتصبه خبزه. فعدا إلى صاحب [238] المسلحة^(١) فأعلمه أنّ رجلاً عليه سيف وسلاح جاءهم وأخذ خبز شريكه من الوادي. فركب صاحب المسلحة وكان في جبال ابن سنباط، ووجه إلى سهل بن سنباط بالخبر. فركب ابن سنباط وجماعة معه حتّى جاءه مسرعاً، فوالى الحرّاث والغلام عنده فقال:

- «ما هذا؟»

قال الحرّاث :

- «هذا رجل مرّ بي فطلب خبزاً فأعطيته.»

فقال للغلام :

- «أين مولاك؟»

قال : «ها هنا.»

فأومأ إليه، فأتبعه فأدركه وهو نازل. فلما رأى وجهه عرفه، فترجّل له

١. في مط : المسلحة. وهو عصف.

ابن سنياط عن دابته ودنا منه فقبل يده ثم قال :

- « يا سيدي ^(١) إلى أين ؟ »

قال : « أريد بلاد الروم - أو موضعاً سقاه - »

فقال له :

- « لا تجد أحداً أعرف بحقك ولا أحق أن تكون عنده مني ، أنت تعرف

موضعي ، ليس بيني وبين السلطان عمل ولا يدخل عليّ أحد من أصحاب

السلطان ، وأنت عارف بقصتي وبلدي وكل من هاهنا من البطارقة ، إنما هم

أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد - »

وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند أحد البطارقة بنتاً أو اختاً جميلة وجهه

يطلبها ، فإن بعث بها وإلا بيته وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغيره .

ثم قال له ابن سنياط :

- « صرّ عندي في حصني [239] فإنما هو منزلك وأنا عبدك فكيف فيه

شتوتك هذه ثم ترى رأيك . »

وكان بابك قد أصابه الضرّ والجهد فركن إلى كلام سهل بن سنياط وقال

له :

- « ليس يستقيم أن أكون أنا وأخي في موضع واحد ، لعلّه أن يُعثر بأحدنا

فيبقى الآخر ، ولكنني أقيم عندك وتوجّه ^(٢) عيّد الله أخى إلى ناحية ابن

اصطفانوس ، لأنّه ليس لنا خلف يقوم بدعوتنا . »

فقال له ابن سنياط :

- « ولدك كثير . »

قال : « ليس فيهم خير . »

١. في الأصل ، يا سيده . في آ يا سيدي . وفي الطبري (١١: ١٢٢٣) : يا سيده .

٢. كذا في الأصل ، توجّه . في الطبري (١١: ١٢٢٣) - يتوجّه .

ابن سنياط يكتب الخبر إلى الأفشين وما كان بعد ذلك

وكان يثق بابن اصطعانوس. فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن اصطعانوس وأقام بابك عند ابن سنياط. فكتب ابن سنياط إلى الأفشين يعلمه أن بابك عنده في حصنه. فكتب إليه :

« إن كان هذا صحيحاً فلك عندي وعد أمير المؤمنين - أعزّه الله - الذي تحبّ. »

وكتب يجرّيه خيراً.

ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصّته ممّن يثق به ووجهه به إلى ابن سنياط، وكتب إليه يعلمه أنّه وجه إليه برجل من خاصّته يحبّ أن يرى بابك ليحكى للأفشين ذلك. فكبره ابن سنياط ذلك إشفافاً من أن يوحش ذلك بابك. فقال للرجل :

« ليس يمكنك أن تراه إلا في الوقت الذي يكون منكباً على طعامه يتغذى. فإذا رأيتنا قد [240] دعونا بالطعام فالس ثياب الطبّاخين الذين معنا على هيئة علوجنا ونعال كأنك تقدّم الطعام أو تتناول شيئاً، فإنّه يكون منكباً على الطعام فتفقد منه ما تريد، فاذهب فاحكه لصاحبك. »

ف فعل به ذلك في وقت الطعام فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره وقال :

« من هذا الرجل ؟ »

فقال له ابن سنياط :

« هذا رجل من أهل خراسان منقطع إلينا منذ زمان، نصراني. »

فقال له بابك :

« منذ كم أنت هاهنا ؟ »

قال : « منذ كذا وكذا سنة . »

قال : « وكيف أقمت هاهنا ؟ »

قال : « تزوجت هاهنا . »

فقال له :

- « صدقت، إذا قيل للرجل من أين أنت، قال : من حيث امرأتى . »

ثم رجع إلى الأفشين فأخبره ووصف له بابهك :

ووجه الأفشين أبا سعيد وهو زبازة^(١) إلى ابن سنباط وكتب إليه معهما

وأمرهما إذا صارا إلى بعض الطريق قدما كناهه^(٢) إلى ابن سنباط مع علاج من الأعلاج . وأمرهما ألا يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما .

ففعلا ذلك فكتب إليهما ابن سنباط في المقام بموضع قد سمّاه ووصفه

لهما إلى أن يأتيهما رسوله . فلم يزالا مقيمين في الموضع الذي وصفه لهما ،

وجه إليهما ابن سنباط بالمهرة والزاد حتى تمرك بابهك للخروج إلى الصيد

[241] فقال له :

- « هاهنا واد طيب وأنت مغموم في جوف هذا الحصن، فلو خرجت،

ومعنا باز^(٣) وباشق وما تحتاج إليه فتخرج إلى وقت الغداء بالصيد . »

فقال له بابهك :

- « إذا شئت فأنفذ ليركبيا بالغداء . »

وكتب ابن سنباط إلى أبي سعيد وهو زبازة يعلمهما ما عزم عليه ويأمرهما

أن يوافياه . واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر، وأن

١ كذا في الأصل وا : بوزبازة . في الطبري (١٢٢٥:١١) : بوزبازة . وفي سواحبه . بوزبازة .

٢ في الأصل وآ كتابهما ما في الطبري (١٢٢٥:١١) : كتابه . وهو الصحيح .

٣ كذا في الأصل وآ وسط : باز وباشق . هما في الطبري (١٢٢٥:١١) . باز وباشق وأصلهما الفارسي : بار وباشد .

يسيرا متكئين مع صلاة الصبح، فإذا جاءهما رسوله أشرفا على الوادي فأنعدرا عليه إذا رأوهم وأخذوهم.

فلما ركب ابن سنهاط وبابك وجه ابن سنهاط رسولاً إلى هذا وأراد أن يشبهه على بابك ويقول:

- «هذه خيل قد جاءتنا فأخذتنا ولم يحب أن يدفعه إليهما من منزله.»

فأشرفا على الوادي فإذا هما ببابك وابن سنهاط وكان على بابك دزاعة بيضاء. فأنعدرا وأصحابهما عليه هذا من هاهنا وهذا من هاهنا. فأخذاهما ومعهما البواشيق. فلما نظر بابك إلى المساكر قد أحذقت به وقف ينظر إليهم. فقالا له:

- «انزل.»

فقال: «ومن أنما؟»

قال أحدهما:

- «أنا أبو سعيد.»

وقال الآخر:

- «أنا بوزبازة.»

فقال: «نعم.»

وثنى رجله فنزل - وكان ابن سنهاط ينظر إليه - فرفع رأسه [242] إلى ابن سنهاط فشمته وقال:

- «إنما بعثني من اليهود بالشيء اليسير، لو أردت المال مني وطلبت له لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء.»

بابك يُحمل إلى الأفشين

ثم أركبوه وحملوه وجاءوا به إلى الأفشين. فجلس له الأفشين يترزّند في

خيمة بين يديها فائزة، فاصطف الناس له صفين، فأمر الأفشين ألا يتركوا غريباً^١ من الصفين فرحاً أن يجرحه إنسان أو يقتله ممن قتل أوليائه أو صنع به داهية.

وقد كان صار إلى الأفشين نساء كثير وصبيان ذكروا أن بابك كان أسرهم وأنهم أحرار من العرب والدهاقين. فأمر الأفشين بإفرادهم في حظيرة وأجرى عليهم أقواتهم وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم وكل من جاءه فعرف امرأة أو صبيّاً أو صبيّة وأقام شاهدين يعرفان أنها حرمة له أو قرابة دفعها إليه. فكان قد ذهب خلق كثير وبقي ناس كثير منهم ينتظرون أن تجيء أولياؤهم.

فلما كان ذلك اليوم وصار بين بابك وبين الأفشين قدر نصف ميل أنزل بابك، فمشى بين الصفين في درّاعته وعمامته وخفيه حتى وقف بين يدي الأفشين. فنظر إليه الأفشين ثم قال:

«إنزلوا به إلى المسكر.»

فنزلوا به راكباً.

فلما نظر النساء والصبيان الذين كانوا [243] أفردهم الأفشين في حظيرة لطموا وجوههم وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت أصواتهم.

فوجه الأفشين إليهم:

«أنتم بالأمس تقولون أسيرنا وأنتم اليوم تبكون عليه، لعكم الله.»

قالوا: «إنه كان محسناً إلينا.»

فأمر به الأفشين فأدخل بيتاً، ووكل به جماعة من ثقاته. وكان عبد الله أخو بابك مقيماً عند عيسى بن اصطفانوس، فأعلم الأفشين بمكانه فكتب

١ كذا في الأصل وآ - غريباً. وفي الطبري (١٢٢٧:٩١). عربياً

إليه بأمره أن يوجّه بعبد الله. فوجّه به عيسى بن اصطفانوس إلى الأفشين. فلما صار في يد الأفشين حبسه مع أخيه في بيت واحد ووكل بهما قوماً يحفظونهما. وكتب إليه المعتصم بأمره بالقدوم بهما عليه.

فلما أراد أن يصير إلى العراق وجّه إلى بابك :

« أنظر ما تشتهي من بلاد أذربيجان. »

قال : « أشتهى أن أنظر إلى مدينتي. »

فوجّهه مع قوم في ليلة مقمرة إلى البذ حتى دار فيه ونظر إلى البيوت والقتلى فيه إلى وقت الصبح ثم رُدَّ. فظنَّ أنه تأمل مواضع كوزه.

ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

قدوم الأفشين ببابك على المعتصم

وما فعل المعتصم به

فقدّم فيها الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه سرّ من رأى. وكان المعتصم يوجّه [244] إلى الأفشين كلّ يوم منذ فصل من برزند إلى أن وافى سرّ من رأى فرساً وخلعة.

وكان المعتصم لعنايته بأمر بابك وغضاد الطريق بالثلج وغيره رتب بين سرّ من رأى وبين عقبة حلوان خيلاً مضرة على رأس كلّ فرسخ فرساً معه مُجَرّ، وكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤدّيه واحد إلى واحد يبدأ بيد.

وأما ما وراء حلوان إلى أذربيجان فقد رتب فيه دوابّ المَرَج فكانت تركض يوماً أو يومين ثم تُبَدَّل. وكان لهم دِيَادِيَّةٌ^(١) على رؤوس الجبال بالليل والنهار ينعمون إذا جاءهم الخبر. فإذا سمع الذي يليه تعباً واستعدّ فلا

١. في الأصل : دَبَابَة وهو تعريف في آ : دِيَادِيَّة. وفي الطبري (١٢٢٩١١) دِيَادِيَّة وكلاهما صحيح وهو جمع مفردة الدِيَادِيَّة للرقيب المراقب. (فارسي سرّيب)

يبلغ إليه صاحبه حتى يقف له على الطريق فيأخذ منه الخريطة ويركض بها. فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سُرّ من رأى في أربعة أيام وأقلّ.

فلما صار الأفشين ببابك إلى سُرّ من رأى لم يصبر المعتصم أن يحمل إليه حتى ذهب متنكراً فرعاء وتأمله وبابك لا يعرفه. ثمّ قعد له المعتصم من الغد واصطفّ له الناس بين باب العامة إلى المطيرة وبها أنزل بابك.

وأراد المعتصم أن يُشهره فاستشار:

«على أىّ شيء يُحمل ويُشهر؟»

فقال: «يا أمير المؤمنين [245] لا شيء أشهر من الفيل.»

فأمر بتهيئة الفيل فحُضِب وحُمِل عليه بابك في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدوّرة هو وحده. فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قد حُضِبَ الفيلُ كعادته يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تُحُضِبُ أعضاؤه إلا لذي شأنٍ من الشأن

فاستشرفه الناس من المطيرة^(١) إلى باب العامة، ثمّ أدخل به على المعتصم وأُحضِر حرّار لقطع أعضائه، ثمّ أمر أن يُحضر سيّافه، وكان اسمه نوذ، فخرج الحاجب من باب العامة فقال:

«نوذ، نوذ.»

وارتفعت الضجّة:

«نوذ، نوذ.»

١. المطيرة: قرية من نواحي سامراء كانت متزّعاتها يبيت في أواخر خلافة العباسيين بناها مطير بن فرارة السجستاني فنسبت إليه (مرامد الإطلاع).

حتى حضر، فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط، فأمر أن يُشق بطنه، ثم حُزَّ رأسه. ووجهه به إلى خراسان وصلب بدنه بسُرٍّ من رأى. فموضع خشبته مشهور إلى الآن.

أخو بابك يحمل إلى بغداد

وحمل أخوه إلى بغداد فعزل به ما عمل بابك. ويقال إنه لما صار إلى البردان أنزل على ابن شروين في قصره، وابن شروين ملك طبرستان، فحمد الله أخو بابك وقال:

«أنا أشكر الله حيث وفق لي رجلاً من الدهاقين يتولى قتلى.»

قال: «إنما يتولى قتلك هذا.» [246]

وأشار إلى نود، وكان حاضراً وقد حمل معه.

فقال: «أنت صاحبي وإنما هذا عليج فاخبرني أمرت أن تطعمني شيئاً أم لا؟»

قال: «قل ما شئت.»

قال: «اضرب لي فالودجة.»

فأمر فضربت له فالودجة في جوف الليل فأكل منها حتى تملأ ثم قال:

«يا با فلان ستعلم غداً أنني دهقان إن شاء الله.»

ثم قال: «تقدر أن تسقيني نبيذاً؟»

قال: «نعم ولا تكثر.»

قال: «فإني لا أكثر.»

قال: فأحضر أربعة أرطال خمرأ، فشربها على مهل إلى قريب الصبح. ثم وافى به من الغد مدينة السلام وأحضر رأس الجسر. فأمر إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بقطع يديه ورجليه. فلم ينطق ولم يتكلم ولم يضطرب، ثم أمر

بصلبه فضلب في الجانب الشرقي.

واستخرج الأفشين لسهل بن سنباط من المعتصم ألف ألف درهم ومنطقة مفرقة بالذهب^(١) والجوهر وناج البطركة وكان هذا سبب بطرقة سهل بن سنباط. وأخذ الأفشين لمعاوية أخى بابك مائة ألف درهم.

توزيع المعتصم الأفشين بعد قتل بابك

وتوزع المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم : عشرة آلاف له وعشرة آلاف بفرقها في أهل عسكره، وعقد له على السند وأدخل إليه الشعراء يمدحونه وأمر لهم بصلات. فتمت مدح به [247] قول أبي تمام الطائي :

بَذَّ الْجِلَادُ الْبَذَّ فَهُوَ ذَفِينٌ مَا إِنَّ يَدَ الْوَحْشِ قَطِينٌ
قَدْ كَانَ عُذْرَةً يَسُودِي قَانَتْضَاهَا بِالسَّيْفِ فَحُلَّ الْمَشْرِقِ الْأَفْشِينُ
هَطَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَمَاجِمِ أَهْلِهَا دَيْمٌ إِمَارَتُهَا طُلَى وَشُؤُونُ

إيقاع ملك الروم بأهل زبطرة

وفي هذه السنة أوقع ملك الروم توفيل بن سيخائيل بأهل زبطرة^(٢) فأسرهم وحرب بلدهم ومضى من فوره إلى مَلَطِيَّة^(٣) فأغار على أهلها وعلى حصون كثيرة فسبأ من المسلمات خلقاً كثيراً ومثل بمن صار في يده من

١. الذهب : ليس لا في آ ولا في الطبري {١٢٣٢:١١}.

٢. زبطرة مدينة بين ملطية وسميساط (= شمشاط). (مراسد الإطلاع)

٣. مَلَطِيَّة والعامة تكرر الظاء وتشدد الراء من بلاد الروم مشهورة بتناحم الشام (مراسد الإطلاع).

المسلمين فسلم أعينهم وقطع آنفهم وآذانهم.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن بابك لما ضاق به الأمر وأشرف على الهلاك وأحسّ فيمن صحبه بالضعف، كتب إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل يعلمه : أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته إلى وشغلهم بي، حتى وجه خياطه - يعني جعفر بن دينار - ووجه طبّاخه - يعني ايتاخ - ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه [248] فاعلم أنه ليس في وجهه أحد يمنعك منه، طمعاً منه في أن ملك الروم إن تحرّك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتمد بعض من بازاءه من جيوشه إلى ملك الروم.

فخرج ملك الروم في مائة ألف وأكثر، فيهم من الجند تيف وسبعون ألفاً والباقيون حشر وأتباع، وأخرج معه المحقرة الذين كانوا أخرجوا بالجهال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وكان الملك صيرهم مقاتلته. فلما دخل ملك الروم زبطرة وقتل أهلها وسبى الذراري والنساء بلغ النفير سر من رأى، وحرّح أهل ثغور الشام والجزيرة إلا من لم يجد سلاحاً ولا دابة، واستعظم المعتمد ذلك، فلما انتهى إليه الخبر قال :

- «لَيْتِكَ لَيْتِكَ»-

وذلك أنه بلغه أن امرأة من السبى قالت :

- «وامعصماء»-

وصاح في قصره النفير. ثم ركب دابته وسقط خلفه شكالاً وسكة حديد وحقيبة، ولم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبنة فأحضر ثلاثمائة وبيفاً وعشرين من القضاة والعدول فأشهدهم على ما وقف من الضياع، فجعل ثلثاً لولده وثلثاً لله وثلثاً لمواليه، ثم عسكر بخرين دجلة ووجه عجيف بن عنيسة

وعمر [249] الفرغاني وجماعه أمثالهما من القواد إلى زبطرة إغاثة لأهلها فلحقوا وقد انصرف ملك الروم وقيل ما فعل. فلما ظهر المعتصم ببابك قال :
- «أى بلاد الروم أمنع وأحصن ؟»

ف قيل : «عمورية، لم يعرض لها أحد من المسلمين وهي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية.»

شخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم

فشخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم فتجهز جهازاً لم يتجهز مثله قط خليفة من السلاح والقذد والآلات وحياض^(١) الأدم والروايا والقرب والبغال وآلة الحديد وآلة النار والنفط، وجعل على مقدمته اشناس، ويتلوه محمد بن إبراهيم، وعلى ميمنته ايتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى القلب عجب بن عنيسة، وبعث الأفشين حميد بن كاووس إلى سروج وأمره بالتزود منها وسعى له يوماً أمره فيه بدخول درب الحدث وقدر لمسكره وعسكر اشناس يوماً يدخل فيه الأفشين بقدر ما بين المسافتين، ورأى أن تجتمع عساكره بأنقرة، فإذا فتحها الله صار إلى عمورية. فقدم اشناس من درب طرسوس وتبعه وصيحه وجمع مقدمات المسكر.

فلما صار اشناس بمرج الأسقف ورد عليه كتاب المعتصم يأمره بالمقام [250] ويعلمه أن الحواسيس آتته بأن الملك يريد أن يف على المخاصة ويكبسهم، وأعلمه أيضاً أنه ينتظر ساقته لأن فيها الأثقال والمجانيق والزاد، فأقام اشناس بمرج الأسقف ثلاثة أيام حتى ورد كتاب المعتصم يأمره أن يوجه قائداً في سرية يلتمسون رجلاً من الروم يسألونه عن خبر الملك ومن

١ كذا في الأصل وأ والطبري (١١: ١٢٣٦): حياض. في خط: حياظ.

معه. فوجهه شناس عمر الفرغانى فى مائتى رجل فرساناً، فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قُزّة وطافوا يلتصقون رجلاً حول الحصن فنذر بهم صاحب قُزّة، فخرج فى جميع من معه بأنقرة وكَمَن فى الجبل الذى بين قُزّة ودُزّة، وعلم عمر الفرغانى بما صنع. فتقدّم إلى دُزّة فتكَمَن بها ليلته

فلَمَّا انفجر عمود الصبح صهر عسكره ثلاثة كراديس وأمرهم أن يركضوا ركضاً سريعاً بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك وواعدتهم إلى موضع عرفه الأدلاء ووجهه مع كل كردوس دليلين ومضوا فتفرّقوا فى ثلاثة وجوه فأخذوا عدّة من عسكر الملك ومن الضواحي، وأخذ عمر فارساً من فرسان أنقرة فسأله عن الخبر، فأخبره أنّ الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللامس^(١) بأربعة فراسخ وهو نهر قريب من طرسوس على نحو فرسخ منها عليه يقع الفداء^(٢).

وذكروا أنّ الملك بلغه [251] دخول عسكر كثير بلاده فرحل إليه واستخلف على عسكره هناك ابن عمّ له ينتظر ورود الملك - يعنى المعتصم - ليواقعه فكان ذلك العسكر الذى توسط بلاد الروم عسكر الأفشين، فوجهه شناس بذلك الرجل إلى المعتصم فأخبره بجميع ذلك.

وبادر المعتصم من عسكره بقوم من الأدلاء وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوافقوا بكتابه الأفشين. وأعلمه أنّ أمير المؤمنين سقيم فليهم، وأشفق أن يواقعه ملك الروم. وكتب إلى شناس يأمره أن يوجه من قبله رسولاً مع الأدلاء العارفين بالطرق والجبال والمنتشبة بالروم، وبذل لكل واحد منهم عشرة آلاف ويكتب إلى الأفشين: «أنّ ملك الروم قد أقبل نحوه فليقم مكانه حتى يوافيه أمر أمير المؤمنين.»

١. كذا فى الأصل ومط اللامس. مى آ. اللامير وفى الطبرى (١١٣٩١١). اللبس

٢. كذا فى الأصل وآ ومط: الفداء

فتوجهت الرسل نحو الأفشين فلم يلحقه أحد منهم: لأنه كان وغل في بلاد الروم وتوافت آلات المعصم وأتقاله مع صاحب الساقة. فكتب إلى اشناس يأمره بالتقدم فتقدم والمعصم وراءه بينهما مرحلة ينزل هذا ويرحل هذا ولم يرد عليه خبر من الأفشين حتى صاروا بأنقرة على ثلاث مراحل، وصاق عسكر المعصم ضعيفاً شديداً من [252] الماء والعلف.

اشناس والشيخ

وكان اشناس قد أسر عدة أسرا في طريقه فأمر بهم فضربت أعناقهم حتى بقي منهم شيخ كبير فقال الشيخ:

- «ما تنتفع بقتلى وأنت في عسكرك في هذا الضيق من الماء والزاد والعلف وأنا أدلك على قوم بالقرب، قد هربوا من أنقرة خوفاً من أن ينزل بهم ملك العرب ومعهم من الميرة والطعام شيء كثير.»

فوعده اشناس أن يطلقه إن فعل ذلك. فسار بهم الشيخ إلى وقت العتمة فأوردهم على وادٍ وحشيش كثير، فأمرج الناس دوابهم حتى شبعت وتمشى الناس وشربوا حتى رووا.

ثم سار بهم حتى أخرجهم من القنضة^(١) بقية ليلتهم يدور بهم في جبل ولا يخرجهم منه. فقال الأدلاء:

- «هذا الرجل يدور بنا.»

فسأله عما قال الأدلاء. فقال الشيخ:

- «صدّقوا ولكنّ القوم الذين نريدكم خارج الجبل، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر فيهربوا، فإذا خرجنا

من الجبل ولم تر أحداً قتلتنى. فأنا أدور بك فى هذا الجبل إلى الصبح، فإذا أصبحنا خرجنا إليهم فأريتك إياهم.»
فقال له :

- «ويحك فأنزلنا فى الجبل حتى نستريح.»

فقال : «رأيتك.»

فأنزلنا على الصخر وأمسكنا لجم دوابنا حتى الفجر. فلما طلع الفجر قال :
- «وجهوا رجلين [253] يصعدان هذا الجبل^(١) فيبصران ما فوقه ويأخذان من أدركا فيه.»

فصعد أربعة فأصابوا رجلاً وامرأة فأنزلوهما وساتلهما الملح عن أهل أنقرة : «أين باتوا.» فسبوا الموضع. فقال الشيخ :
- «خلوا عن هذين فإننا قد أعطيناهما الأمان حتى دلونا.»

فدخل عندهما وسار بهم الملح إلى الموضع. فأشرف بهم على عسكر أهل أنقرة. فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان فدخلوا الملائحة^(٢) ووقفوا على طرفها يقاتلون وأخذوا منهم عدة أسرى وأصابوا فى الأسرى قوماً بهم جراحات فسألوهم عنها فقالوا :

- «كنا مع الملك فى وقعة الأفسين.»

فقالوا لهم :

- «فحدثونا بالقصة.»

فأخبروا أن الملك كان معسكراً بلامس حتى جاءه رسول فأخبره أن عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الارمنياق^(٣) فاستخلف على عسكره

١. فى آ : هذا الرجل

٢. انظر الطبرى (١١: ١٢٤٢).

٣. فى مط : الارمنيان.

رجلاً من أهل بيته وأمره بالقيام في موضعه، فإن ورد عليه مقدمة ملك الروم واقعه، إلى أن يذهب هو فيواقع هذا العسكر - يعني عسكر الأفشين. فقال أميرهم :

- «نعم وكنت معن سار مع الملك فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالاتهم كلهم وتقطعت عساكرنا في طلبهم. فلما كان [254] الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالاً شديداً حتى اختلطوا بنا فلم ندر أين الملك ولم نزل كذلك إلى العصر. ثم رجعنا إلى موضع معسكر الملك بالأمس فلم نصادوه، ووجدنا العسكر قد انتفض وانصرف الناس عن قرابة الملك الذي كان الملك استخلفه على العسكر، فأقمنا ليلتنا.

فلما كان الغد فإذا الملك في جماعة يسيرة فوجد عسكره قد اختل فطلب الذي كان استخلفه وضرب عنقه وكتب إلى المدن والحصون: لا يأخذوا رجلاً [من انصرف] ^(١) من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط حتى يرجع إلى موضع سماء لهم الملك. حتى إذا اجتمع الناس ناهض ملك العرب وأنفذ الملك خصياً له إلى عَمُورِيَّة إلى أن يلحقه بها.»

لحقق اشناس، ثم المعتصم.

ثم الأفشين بأنقرة

فانصرف المسلمون بما أخذوا وتركوا السبي والمقاتلة يريدون عسكر اشناس وساقوا في طريقهم غنماً وقرأ كثيراً، وأطلقوا ذلك الشيخ الأسير، وسار اشناس بالأسرى حتى لحق بأنقرة فمكث اشناس يوماً واحداً ثم لحقه المعتصم من غد فأخبره بجميع ما ذكره الأسير فسرَّ المعتصم فلما كان اليوم

١ ما بين المعقوفتين هو من آ والطبري (١٢٤٣-١١). وهو ليس لا في الأصل ولا في مط.

الثالث جاءت البشري من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة [255] وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة.

ثم ورد الأفشين فأقاموا أياماً ثم ساروا إلى عَمُورِيَّة وقد صير المعتصم العسكر ثلاثة عساكر وبين عسكر وعسكر فرسخان، فساروا يخربون ويسبون ما بين أنقرة إلى عَمُورِيَّة وبينهما سبع مراحل. ثم توافت العساكر بعَمُورِيَّة فكان أول من وردها أشناس فدار حولها دورة، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش. ولما كان من الغد جاء المعتصم فدار حولها دورة، ثم جاء الأفشين في اليوم الثالث فقسّمها أمير المؤمنين بين القواد كما يدور وصير إلى كل واحد منهم أبراجاً منها على قدر كثرة أصحابه وقتلهم. وتحصّن أهل عَمُورِيَّة وتحرّزوا، وكان بعَمُورِيَّة رجل من المسلمين أسره قديماً أهل عَمُورِيَّة فتنصر وتزوّج فيهم فحبس نفسه عند دخولهم الحصن. فلما رأى أمير المؤمنين ظهر وجاء إلى المعتصم فأعلمه أنّ موضعاً من المدينة حمل عليه الوادي من سيل عظيم فوق السور من ذلك الموضع، فكتب ملك الروم إلى عامل عَمُورِيَّة أن يبنى ذلك الموضع فتوانى في بنائه حتى كان خروج الملك من قسطنطينية إلى بعض المواضع، فتخوّف الوالي أن يمرّ الملك على الناحية فيمرّ بالسور فلا يراه بُنى فبنى وجه السور [256] بالحجارة حجراً حجراً وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان.

فوقف ذلك الرجل المعتصم على هذه الناحية التي وصف فأمر المعتصم بضرب مضربه في ذلك الموضع ونصب المجانيق على ذلك البناء، فانفرج السور من ذلك الموضع.

فلما رأى أهل عَمُورِيَّة انفراج السور علّقوا عليه الحُشب الكبار المصمومة بعضها إلى بعض فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الحُشب تكسّر، فعلقوا

فوق الخشب البراذع.

فلما ألحّت المجانيق على ذلك الموضع لم ينفع فيها شيء وتصدّع السور. فكتب ياطس والخصى إلى ملك الروم كتاباً يعلمانه أمر السور ووجّه الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلّام رومى فصبوا الخندق ووقعوا إلى ناحية عمر الفرغانى، فوجّه بهما إلى أشناس. فحين سألوهما:

«مَنْ أَنْتَما؟»

لم يعرفا أحداً من القوّاد بالمسكر يستميانه لهم. ففتّشا فوجد معهما الكتاب^(١). فقرأ وإذا فيه:

«إِنَّ الْمُسْكِرَ قَدْ أَحَاطَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ وَيَحْمِلَ خَاصَّةً أَصْحَابَهُ عَلَى الدَّوَابِّ الَّتِي فِي الْحَصَنِ وَيَفْتَحِ الْأَبْوَابَ لَيْلاً غَفْلَةً وَيُخْرِجَ مِنْ^(٢) الْمُسْكِرِ، كَأَنَّما فِيهِ مَا كَانَ أَقْلَتِ مِنْ أَهْلِهَا وَأَصِيبَ مِنْ أَصِيبِ، حَتَّى يَصِيرَ [257] إِلَى الْمَلِكِ.»

فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذى يتكلّم بالعربية وللغلّام الرومى بيده فأسلما وخلع عليهما وأمر بهما حين طلعت الشمس فأدارهما^(٣) حول عمّوريّة فقالا:

«يا طس يكون فى هذا القصر.» - يعنون البرج.»

فوفقا بهذاه طويلاً وعليهما الخلع وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم ومعهما الكتاب حتّى عرف خبرهما جميع الروم وسمعا شتمهم إيتاهما ثمّ نحّوهما.

ثمّ أمر المعتصم بحراسة الأبواب نواب يحصرها الفرسان يسبيتون على

١. فى مط: كتاب.

٢. فى مط: على.

٣. فى آ: فأداروهما.

دوائهم في السلاح لئلا يفتح الباب ليلاً فيخرج إنسان. فلم يزالوا كذلك حتى انهدم ما بين برجين في الموضع الذي وصف للمعتصم ممّا لم يُحكم عمله، فسمع أهل العسكر الوجبة، فارتاعوا وظنّوا العدو قد احتال بحيلة وخرج، حتّى أرسل المعتصم من طاف على العسكر يعلمهم أنّ ذلك صوت السور قد سقط فطُلبوا نفساً.

تدبير حربى فاشل

وكان المعتصم اتخذ مجانيق كباراً وجعلها على كراسى تحتها عجل وعملها كأوتى ما تكون، ثمّ فرّق غنماً مما استاقه على أهل العسكر ليأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً ثمّ أتى بالجلود مملوءة تراباً فطُرحت في الخندق، وعمل [258] دبابات كباراً تسع كلّ دبابة عشرة رجال على أن يدحرجوها على تلك الجلود حتّى يمتلئ الخندق. فلما طُرحت الجلود وقعت مختلفة فلم يمكن تسويتها^(١) خوفاً من حجارة المنجنيق، فأمر أن يُطرح فوقها التراب حتّى استوت، ثمّ قُدّمت دبابة دحرجوها. فلما صارت من الخندق في نصفه تعلّقت بتلك الجلود وبقي القوم فيها فما تخلصوا إلّا بعد جهد، ثمّ مكثت تلك العجلة مقيمة باقية هناك لا يمكن فيها حيلة حتّى فُتحت عمورية وبطلت الدبابات والمنجنقات والسلايم حتّى أُحرقت. فلما كان من الغد فاتلهم على الثلثة وكان المعتصم واقفاً على دابته بإزاء الثلثة وأشناس والأفشين وقوف رجالة.

١. في الأصل تسريبها. في آوتد (٤٩١) والطبرى (١٢٤٨: ١١). تسويتها

ذكر اتفاق سيء^(١) من كلام سبق

فقال المعتصم :

« ما كان أحسن الحرب اليوم ؟ »

فقال عمر الفرغانى :

« الحرب اليوم أجود منها أمس . »

فسمعها شناس وأمسك . فلما انصرف المعتصم وانصرف شناس وقرب من مضارب ترجل له القواد على عادتهم وفيهم عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام [259] فلما مشوا بين يديه قال لهم شناس :

« يا أولاد الزنا، أى شيء^(٢) تمشون بين يدي ؟ كان ينبغي أن تقاتلوا أمس حيث كان يقاتل غيركم . انصرفوا إلى مضاربكم . »
فلما انصرفا قال أحدهما لصاحبه :

« أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة - يعنى شناس - ما صنع بنا اليوم ، أليس الدخول إلى بلاد الروم أهون من هذا الذى سمعناه ؟ »
فقال عمر الفرغانى لأحمد بن الخليل :

« سيكفيك الله أمره عن قريب . »

فأوهم أحمد أن عنده خبراً . فالتح عليه أحمد يسأله فأخبره بما هم فيه ، وقال العباس بن المأمون :

« قد تم أمره وسيبأح له طاهر أو تقتل المعتصم وشناس وغيرهما عن

قريب . »

ثم قال :

١. فى تذ (٤٩١) : شيء .

٢. أى شيء . والنصب فى الطبرى (١٢٤٩:١١) : ايش (بالتحقيق اللهجوى) .

- «وأنا أشير عليك أن يأتي العباس فتقدم فتكون في عداد من قد مال إليه.»

فقال له أحمد:

- «هذا أمر لا أحسبه يتم.»

فقال عمر:

- «قد تم وفرغ منه.»

وأرشده إلى الحارث السمرقندي، وكان المنوّل لا يصل الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم، فقال له عمر:

- «أنا أجمع بينك وبين الحارث.»

فقال أحمد:

- «إن كان هذا الأمر يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام فأنا معكم، وإن تجاوز ذلك فليس بيني وبينكم عمل.»

فذهب الحارث فأعلم العباس أن عمر قد أدخل أحمد بن الخليل بيننا، فقال:

- «ما كنت أحب أن يطلع الخليلي على شيء منا نحن فيه، فأمسكوا عنه ودعوه [260] بهما،» فتركوه.

فلما كان الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين، ثم أحس ابتاخ والمغاربة والآتراك، والقيّم بذلك^(١) ابتاخ، فانسع لهم الموضع المشتمل وكثرت الجراحات في الروم وكان القائد الموكل بالموضع الذي انشلم يقال له: وندوا، وتفسيره بالعربية تور. فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه وكثر القتلى فيهم. فاستمد ياطس فلم يمهده هو ولا غيره وقال كل واحد -

١ في آ بذلك اليوم فانسع. في مط: بذلك أجمع ابتاخ فانسع.

- «نحن نحفظ ما بليتنا، فاحفظ أنت ما يليك.»

فقال :

- «يا قوم إنَّ الحرب إنما هي اليوم على وعلى أصحابي ولم يبق مني أحد إلا وقد جُرح، فصيِّروا أصحابكم على الثلعة برموز، وإلا افتضحتم وذهبت المدينة.»

فلما يلتفتوا إليه فاعتزم هو وأصحابه أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين ويسألوه الأمان على الذرية حتى يسلموا إليه الحصن بما فيه من السلاح والأثاث وغير ذلك. فلما أصبح أمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يخرج ويعود إليهم فخرج بأمان حتى صار إلى العسكر وحمل إلى المعتصم فصار بين يديه وقد أمسك الروم عن المحاربة أعنى أصحاب وندوا والناس يتقدمون إلى الثلعة ووندوا جالس بين يدي المعتصم.

فدعا المعتصم بفارس فحمله عليه وقاتل حتى صار [261] الناس معهم على حرب الثلعة وعبد الوهاب بن علي بين يدي المعتصم فأوماً إلى الناس بيده أن : ادخلوا

فدخل الناس المدينة. فالتفت وندوا وضرب بيده إلى لحيته، فقال له المعتصم :

- «ما لك؟»

قال - «جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامي ففدرت بي.»

فقال المعتصم :

- «كل شيء تريد أن تقوله فهو لك على. قل ما شئت، فلست أخالفك.»

قال : «كيف لا تخالفني وقد دخلوا المدينة؟»

فقال المعتصم :

- «احتكم وقل ما شئت فأتى أعطيكه.»

وصار خلق من الروم إلى كنيسة لهم عظيمة، فقاتلوا هناك قتالاً شديداً. فأحرق المسلمون الكنيسة فاحترقوا عن آخرهم وبقي ياطس في برج به حوله بقية الروم وأصحابه وقد أخذتهم السيوف. فجاء المعتصم حتى وقف حذاء ياطس^(١) فكان ممّا يلي شناس، فصاحوا:

- «يا ياطس هذا أمير المؤمنين واقف.»

فصاح الرومي من فوق البرج:

- «ليس ياطس هاهنا.»

قالوا: «هلي، فليُنزل إلى أمير المؤمنين.»

قالوا: «لا، ما هو هاهنا.»

فمرّ المعتصم مغضباً، فصاح الروم:

- «هذا ياطس، هذا ياطس.»

فنصبت بعض تلك السلايم المعمولة حتى صعد عليه الحسن الرومي وهو غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف فكلمه ياطس وقال [262] له:

- «هذا أمير المؤمنين، فانزل على حكمه.»

فنزل الحسن فأخبر المعتصم أنه رءاه وكلمه. فقال المعتصم:

- «فاصعد^(٢) إليه وقل له فليُنزل.»

فصعد الحسن ثانية فخرج ياطس من البرج متقلداً سيفاً حتى وقف على البرج قائماً والمعتصم ينظر إليه فخلع سيفه من عنقه فدفعه إلى الحسن ثم نزل فوقف بين يديّ المعتصم فقتله سوطاً وانصرف إلى مضربه فقال:

١. في الأصل: ياطس بالياء الموحدة إلى عدة مواضع، وكان حتى هنا بالياء التثنية، كما في تد والطبري، فوحدنا ضبطه.

٢. في الأصل والطبري (١٢٥٣، ١١): فاصعدوا. آ. ومط وتد (٤٩٤). فاصعد

« هاتوه (١) ».

فحشى قليلاً ثم جاءه رسول يقول :

« إحملوه ».

فحمل إلى مضرب أمير المؤمنين. ثم أهيل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه فأمر المعتصم أن يُحمّر الأسرى فيُعزل منهم أهل الشرف في ناحية، ثم أمر بالمقاسم أن ينادى عليها كل صاحب عسكر في ناحيته ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلاً من قبل أحمد بن أبي دؤاد يحصى عليه فيبعث المقاسم في خمسة أيام يبيع منها ما استباع وأمر بالباقي حُضِبَ بالنار.

ولمّا همّ المعتصم بالرحيل وثب الناس على مغنم ابتاغ الذي كان يسيعه وهو اليوم الذي عجيف وعد فيه الناس أن يشب بالمعتصم، فركض المعتصم بنفسه ركضاً وسلّ سيفه فتنحى الناس من بين يديه وكفّوا عن انتهاب المغنم، فرجع إلى مضربه [263] وأمر من الفد أن لا ينادى على الشيء إلا ثلاثة أصوات وإلا بيع العلق. فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة وعلى المتاع الكبير جملة واحدة.

وكان ملك الروم قد وجّه رسولاً في أوّل ما نزل المعتصم عتورية، فأنزله المعتصم على ثلاثة أميال حتى فتّح عتورية. فلما فتحها أذن له في الإنصراف ولم يصل إليه.

حبس العباس بن المأمون

وفي هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه

١ في الأصل وقد (٤٩٤) : هاتوه. في آ ومط وأ والطيرى (١٢٥٣:١١) : هاتوه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنَّ عجيف بن عنيسة حين وجهه المعتصم إلى بلاد الروم مع عمر الفرغانى لم يطلق يده في النفقات كما أطلقت يد الأفشين، واستقصر المعتصم أمر عجيف وأفعاله وحقد عجيف ذلك، فقال للعباس بن المأمون:

- «ما كان أضعف همتك عند وفاة أبيك المأمون حين بايعت أبا إسحاق؟»

ويذمه على تفريطه، وشجعه على أن يتلافى ما كان منه. فقبل العباس ذلك.

وكان الحارث السمرقندى أديباً له عقل ومدارة وكان العباس يأنس به قصيره واسطة بينه وبين القواد، فلم يزل [264] يدور في العسكر حتى بايعه جماعة من القواد والخواص، وسعى لكل واحد من قواد المعتصم رجلاً من ثقات أصحابه ممن بايعه وقال:

- «إذا أمرنا فليشب كل رجل منكم على من ضمناه^(١) أن يقتله.»

فوكّل من خاصّة الأفشين بالأفشين ومن خاصّة أشناس بأشناس وخاصّة المعتصم بالمعتصم، فضمنوا ذلك جميعاً. فلما أرادوا أن يدخلوا الدرب وهم يريدون أنقرة وعقورية ودخل الأفشين من ناحية ملطية، أشار عجيف على العباس أن يشب على المعتصم في الدرب وهو في قلعة من الناس وقد تقطعت عنه العساكر، فبقتله ويأمر الناس بالقول إلى بغداد فإنّ الناس يسرحون بانصرافهم، فأبى العباس عليه وقال:

١ والصبط في رد (١٩٥) والطبرى (١٢٥٧:١١): ضمناه.

« لا أفسد هذه الغزاة. »

فلما فتحوا عتورية قال عجيف للعباس :

« يا نائم كم تام ؟ قد قُتعت عتورية والرجل ممكن، دُس قوماً ينتهبون هذا الخرنئي، فإنه إذا بلغه ذلك ركب من ساعته، فتأمر من يقتله هناك. »

فأبى عليه العباس وقال :

« أنتظر حتى أصير إلى الدرب، فيخلو كما خلا في البدأة، فهو أمكن منه هاهنا. »

وكان عجيف قد أمر من ينتهب المتاع فانتهب الخرنئي في عسكر امتاخ وركب المعتصم وجاء [265] ركضاً فسكن الناس ولم يطلق العباس لأحد من أولئك الناس أن يتحركوا.

ذكر سوء تحفظ في القول عاد بهلكة

كان عمر الفرغاني قد بلغه الخبر ذلك اليوم، وكان له قرابة غلام أمرد في خاصة المعتصم. فجاء الغلام إلى أولاد عمر يشرب عندهم تلك الليلة، فأخبرهم أن أمير المؤمنين ركب مستجلاً وأنه كان يحدو بين يديه وقال :

« إن أمير المؤمنين غضب فأمرني أن أسل سيفي. »

وقال : « لا يستقبلك أحد إلا ضربه. »

فسمع عمر ذلك من الغلام فأسفق عليه أن يُصاب فقال له .

« يا بُني أنت أحق أقل من الكهنة عند أمير المؤمنين والزم خيمتك،

فإن سمعت صيحة مثل هذه الصيحة فلا تبرح من خيمتك، فإنك غلام غرّ. »

وارتحل المعتصم من عتورية يريد الثغر ووجه الأفشين صاحباً له في خلاف طريق المعتصم، وأمره أن يغير على موضع سناه له وأن يوافيه في بعض الطريق، وكان عسكر الأفشين على حدة من عسكر المعتصم بينهما

قدر ميلين. فتوجه صاحب الأفشين حتى أغار وسبي وغنم وأتى عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم.

واعتلّ اشناس فركب المعتصم يعود له ولم يكن الأفشين لحقه بعد. فلما عاد وانصرف تلقاه [266] الأفشين في الطريق، فقال له المعتصم:

«امض إلى أبي جعفر.»

وكان عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل عند منصور المعتصم من عبادة اشناس توجهها إلى ناحية^(١) الأفشين ولقيهما الأفشين يريد اشناس، فترجلا له وسلمما عليه ورءاهما حاجب اشناس من بعيد. فلما دخل الأفشين إلى اشناس وخرج توجهها إلى عسكر الأفشين لشراء السبي ولم يكن السبي أخرج بعد ووقفا ناحية ينتظران أن يُنادى على السبي فيشترها، ودخل حاجب اشناس على اشناس فقال له:

«رأيت عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل فلقيهما الأفشين وهما يريدان عسكره فترجلا له وسلمما عليه وتوجهها إلى عسكره. فدعا اشناس محمد بن سعيد وقال له:

«اذهب فانظر هل ترى هناك عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل، وانظر عند من نزلا وأى شيء قصتهما.»

فجاء محمد بن سعيد فأصابهما واقفين على ظهور دوابهما فقال:

«ما وقفكما هنا؟»

قالا: «وقفنا ننتظر سبي ابن الأقطع فنشتري بعضه.»

فقال لهما محمد بن سعيد:

«وَكَلَّا وَكَيْلًا يَشْتَرِي لَكُمَا.»

١. في آ: إلى ناحية عسكر الأفشين.

فقالا : « لا نحب أن نشترى إلا ما نراه ».

فرجع محمد فأخبر أشناس بذلك فقال لحاجبه :

- « قل لهؤلاء : الزموا عسكركم خير لكم - يعني عمر الفرغاني وأحمد بن

الخليل - لا تدوروا هاهنا [267] وهاهنا. »

فذهب الحاجب إليهما فأعلمهما واعتما لذلك وانفقا على أن يذهبا إلى

صاحب خبر العسكر فيستغيا^(١) من أشناس فصار إلى صاحب الخبر فقالا :

- « نحن عبيد أمير المؤمنين يضمنا إلى من شاء، فإن هذا الرجل يستخف

بنا، قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف أن يقدم علينا. »

فأنهى صاحب الخبر ذاك إلى المعتصم من يومه ذلك، واتفق الرحيل من

الغد وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حبالها وسار أشناس

والأقشين وجميع القواد في عسكر أمير المؤمنين ووكّلوا حلفاءهم^(٢)

بعساكرهم. فلما ذهب أشناس إلى المعتصم قال له :

- « أحسن أدب عمر الفرغاني وأحمد بن الخليل فإنهما قد حمقا

أنفسهما. »

فجاء أشناس ركضاً إلى معسكره فسأل عن عمر وأحمد بن الخليل

فأصاب^(٣) عمر وكان ابن الخليل قد مضى فأحضر عمر الفرغاني وقال :

- « هاتوا كسيتاً طلاءً »

فمكت طويلاً مجرداً ليس يؤتى بالسياط فتقدم عمه إلى أشناس وكلمه

فيه وكان عمه أعجمياً فقال :

١. كذا في الأصل : فيستغيا في الطبري (١١: ١٢٦) : فيستغيا وفي (٤٩٨) فيستغيا

٢. ما في الأصل وأ : حلفاءهم (بالهاء المهللة)، فأثبتناه حسب مط وتد (٤٩٨) والطبري (١١: ١٢٦).

٣. في آ : فأجاب. أ ومط والطبري (١١: ١٢٦) كالأصل : فأصاب.

- «احملوه وألبسوه قباطاق^(١) واحملوه على بغل في قبة».

وساروا به وجاء أحمد بن الخليل وهو يركض فقال :

- «احبسوا هذا معه».

فأنزل عن دابته وصير عديله فبقيا كذلك يُسار بهما على كرامة [268] وأثقالهما وغلمانهما في العسكر لم يحرك لهما شيء حتى سمع العلام العرغاني قرابة عمر بحبس عمر، فذكر للمعتصم ما دار بينه وبين عمر من الكلام في تلك الليلة وقوله : إذا سمعت صوتاً مثل هذا فالزم خيمتك.

فقال المعتصم لهما :

- «لا ترحل غداً حتى يجيء أشتاس فتأخذ منه عمر وتلحقني به».

وكان هذا بالصفصاف^(٢). فعزل لهما ذلك ومضى بعمر إلى المعتصم. فلما أفرد أحمد بن الخليل قلبه وأنفذ غلاماً له ليتبع عمر وينظر ما يصنع به. فرجع الغلام فأخبره أنه دخل على أمير المؤمنين. فمكث ساعة ثم دفع إلى أيتاخ وكان سائله أمير المؤمنين عن الكلام الذي قاله الغلام قرابته فأنكر وقال :

- «هذا الغلام كان سكران ولم يفهم وما قلت شيئاً مما ذكر».

وسار المعتصم حتى صار إلى باب مضائق البتندون فأقام أشتاس هناك ثلاثة أيام ينتظر أن تتخلص عساكر أمير المؤمنين، لأنه كان على الساقة فكتب أحمد بن الخليل رقعة إلى أشتاس يعلمه أن لا يمر المؤمنين عنده نصيحة. فبعث إليه أشتاس بأحمد بن الخصيب وأبي سعيد محمد بن يوسف يسألانه عن النصيحة فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين. فرجعا فأخبرا أشتاس بذلك فقال :

١. في مط : قباطا.

٢. في مط : بالصمصان.

- «ارجعنا فاحلِّقنا [269] له أتى حلفت بحياة أمير المؤمنين إن هو لم يخبرني بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت.»
 فرجعا فأخبراه بذلك فأخرج جميع من كان يحفظه وبقي^(١) أحمد بن الخصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمر الفرغاني من أمر العباس وشرح لهما جميع ما كان عنده من خبر الحارث السمرقندي فأنصرفا إلى أشناس وأخبراه بذلك فبعث أشناس في طلب الحدادين فجاءوا بهم فدفع إليهم حديدًا وقال:

- «إعملوا لي قيداً مثل قيد أحمد بن الخليل وعجلوه لي الساعة.»
 ففعلوا ذلك فلما كان وقت العتمة ذهب حاجب أشناس إلى خيمة الحارث السمرقندي فأخرجه منها وجاء به إلى أشناس فقَّيده وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين فحمله إليه. واتفق رحيل أشناس صلاة الغداة فجاء أشناس إلى موضع معسكره فتلقاه الحارث ومعه رجل من قبل المعتصم وعليه خلع، فقال له أشناس:

- «مت؟»

قال: «القيد الذي كان في رجلي [صار]»^(٢) في رجل العباس.»
 وكان المعتصم سأل الحارث عن أمره فأخذ عهده إن صدقه ونصحه أطلقه، ثم أقر له بجميع أمره وجميع من بايع العباس من القواد، فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم [270] وكثرة من سعى منهم. وتحرر المعتصم قدعا به حين خرج من الدرب فأطلقه ومناه وأوهمه أنه قد صفح عنه وتغذى معه وصرفه إلى مضربه.

١. في آ: ومضى

٢. ما بين السمرقنديين من الطبري (١١: ١٢٦٣)

ثم دعاه بالليل فنادته [على] ^(١) الشراب وسقاه حتى أسكره واستحلفه أن لا يكتمه من أمره شيئاً. فشرح له قصته وسمى له جميع من كان دَبَّ في أمره فكتبه المعتصم وحفظه. ثم دعا الحارث السمرقندي بعد ذلك فسأله عن الأسباب. فقص عليه مثل ما قص العباس.

ثم أمر بعد ذلك بتقييد العباس.

ثم قال للحارث :

- «قد رَضْتُكَ على أن تكذب فأجد السبيل إلى سفك دمك فلم تفعل.»
ثم دفع العباس إلى الأفشين وتبع المعتصم أولئك القواد فأخذوا جميعاً.
فأما أحمد بن الخليل فأمر أن يُحمل على بغل بأكاف ^(٢) بلا وطاء ويُطرح في الشمس إذا نزل ويُطعم في كل يوم رعيفاً واحداً.
وأما عجيف بن عنبسة فدفع مع جماعة من القواد إلى ابتاخ ودفع أحمد بن الخليل إلى أشناس وأخذ الشاه بن سهل فأحضره المعتصم والعباس بين يديه، فقال له :

- «يا ابن الزانية، أحسنت إليك فلم تشكر.»

فقال الشاه :

- «ابن الزانية هذا الذي بين يديك - يعني العباس - لو تركني هذا كنت أنت يا هذا لا تقدر [271] أن تقعد في هذا المجلس وتقول ما تقول.»
فأمر به المعتصم فضربت عنقه ودفع عجيف إلى ابتاخ فعلق عليه حديداً كثيراً وحمله على بغل في محمل بلا وطاء.

وأما العباس فكان في يد الأفشين، فلما نزل المعتصم منبج ^(٣) وكان

١. ما بين المعقولتين من الطبري (١١: ١٢٦٢).

٢. الأكاف : البردعة.

٣. في آ : منبج، وفي مط : منبج. وكلاهما تصحيف.

العباس جائعاً فسأل عن الطعام فقُدّم إليه طعام كثير فأكل فلما طلب الماء مَنَعَ وأدرج في مسج فمات.

وأما عمر الفرغاني فإنه لما نزل المعتصم بنصير بن هاشم في بستان دعا صاحب البستان فقال له :

- « احفر بئراً في موضع أوماً إليه »

ثم دعا بعمر وقد تناول أقداحاً. فلما قتل بين يديه جُرّد وضرب بالسياط فلما انتهى حقار البئر ممّا أمره به أمر المعتصم أن يُضرب وجه عمر بالخشب. فلم يرل يُضرب حتى سقط أنفه وأسانه ثم قال :

- « جُزّوه إلى البئر فاطرحوه فيها. »

فلم يتكلم عمر ولم يطلق بحرف حتى طُرح في البئر وطُمّت عليه. وأما عجيف فإنه مات في المحمل بباعيناثا^(١) فطُرح عند صاحب المسلحة فدفن هناك. وذكر أن عجيفاً كان في يد محمد بن إبراهيم بن مصعب فسأله المعتصم عنه فقال :

- « يا محمد لم يمت عجيف يا با صالح؟ »

قال : « يا سيدي اليوم يموت. »

فمات ذلك اليوم. [272]

وأما التركي الذي ضمن للعباس قتل أشناس فإنه كان كريماً على أشناس يناديه ولا يحصب عنه. فأمر أشناس بحبسه فيله في بيت مظلم وسدّ عليه الباب وكان يُلقى إليه كلّ يوم رغيف وكوز ماء. فأثناء إبنه في بعض أيامه. فكلّمه من وراء الحائط فقال له :

- « يا بني لو كنت تقدر على سكين كتب أقدر أن أخلص من موضعي

١ في الأصل باغيناثا (بالعين المعجمة) في الطبري (١١: ١٢٦٥) باغيناثا قرية كبيرة كالمدينة فوق جريدة ابن عمر، لها نهر كبير يصب في دجلة (مراد الإطلاع)

هذا.»

فلم يزل ابنه يتلطف للموكلين حتى قُتِحَ له بمقدار دُونِ الدرهم ضوء فطرح إليه من هناك سكيناً فقتل بها نفسه.

وأما أحمد بن الخليل فإنه دفعه اشناس إلى محمد بن سعيد فحضر له يثراً وأطبق عليه وفتح فيها كوة ليرمى إليه منها الخبز والماء فقال له المعتصم:

« ما حال أحمد بن الخليل؟ »

فأخبره بحاله، فقال المعتصم:

« أحسبه قد سمن على هذه الحال. »

فنقل إلى غيره فسمه حتى مات.

وقُتِلَ باقى القواد إلا هرثمة بن النصر الحُتلى فإنه كان يُحمل فى الحديد من المراغة لأنه كان هناك. فتكلم فيه الأفشين واستوهبه من المعتصم فوجه له وولاه البلد الذى يصل إليه الكتاب فيه، فوصل إلى الدينور عند العشاء مقيداً مفلولاً فطرح فى خان فوفاه الكتاب فى بعض الليل وأصبح هو والى الدينور. [273]

وقتل من الأتراك والفراغنة وغيرهم ممن لم يُحفظ اسمه خلق كثير وورد المعتصم سرٌّ من رأى سالماً بأحسن حالٍ.

ودخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

وفيهما أظهر مازيار بن قارن الخلاف على المعتصم بطهرستان

ذكر السبب فى ذلك

كان مازيار^(١) منافراً لآل طاهر لا يحمل الخراج إليهم وكان المعتصم

يكتب إليه يأمره بحمله إليهم فلا يحمل ويقول:

«أحمله إلى أمير المؤمنين».

فكان المعتصم يأمر بالمال إذا بلغ همدان أن يستوفيه عامله، ثم يسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليرده إلى خراسان. ولما ظفر الأفشين ببابك ونزل من المعتصم المنزلة التي لا يتقدمه فيها أحد وبلغه منافرة ماريار آل طاهر طمع في ولاية خراسان ورجا أن يكون ذلك سبباً لعزل عبد الله بن طاهر.

فدس الكتب إلى مازيار يعلمه ميله إليه بالدهقنة ويظهر مودته ويقول أنه قد وعد بولاية خراسان.

فدعا ذلك مازيار إلى الاستمرار في عداوة [274] آل طاهر وترك حمل الخراج إليه، وما شك الأفشين، إن كاشف وحالف، سيطاول عبد الله بن طاهر حتى يحتاج المعتصم أن يوجهه وغيره إليه ولم يزل يكاتب مازيار ويبعثه على محاربة عبد الله بن طاهر ويهون أمره عنده حتى خالف وأخذ رهائن أكابر أهل ناحيته وأمر الأكرّة بانتهاب أموال أرباب الضياع وغلاتهم والأفشين في كل ذلك يكاتبه ويعرض عليه النصرة.

وأخذ ماريار الناس بالخراج فجبى جميع الخراج في شهرين وكان يُجبي كل سنة الثلث في أربعة أشهر. وهرب رجل ممن أخذت رهينته فجمع أبو صالح سرخاستان خليفة الماريار الناس بسارية^(١) وهال.

«كيف يثق بكم الملك وهذا فلان ممن حلف وأعطى الرهينة ثم نكث وخرج فأنتم لا تفنون ولا تكرهون العنت فكيف يرجع لكم الملك إلى ما تحبّون؟»

فقال بعضهم :

« نقتل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الهرب . »

فقال : « أو تفعلون ؟ »

قالوا : « نعم . »

فكتب أبو صالح إلى صاحب الرهائن يأمره أن يوجهه بابن الهارب . فلما حمل إلى سارية ندم الناس على ما قالوا وجعلوا يرجعون على من أشار بذلك باللوم ، فجمعهم أبو صالح وقال :

« قد ضمنت [275] لى قتل الرهينة وها هو قد حضر فاقتلوه . »

فقال بعضهم :

« أصلح الله الأمير ، إنك أجلت من خرج عن البلد شهرين وهذا الرهينة قبلك فنسألك أن تؤجله شهرين فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك . »
لفضب ودعا بصاحب حرسه فأمر بصلب الغلام . فسأله الغلام أن يأذن له حتى يصلى ركعتين ، فأذن له فطوّل في صلاته وهو يُرْعَدُ^(١) وقد مدّ له جذع ، فجذبوا الغلام من صلاته ومدّوه حتى اختنق ومات .

ثم أمر أهل سارية أن يخرجوا إلى آمل وتقدّم إلى أصحاب المسالح في إحضار أهل الخنادق من الأبناء والمرب فأحضروا ومضى معهم إلى آمل وقال لهم :

« إننى أريد أن أشهدكم على أهل آمل وأشهد أهل آمل عليكم وأردّ ضياعكم وأموالكم ، فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما أخذناه منكم . »

فلما وافوا آمل ميّز أهل سارية ناحية ناحية ووكل بهم وكتب أسماء

جميع أهل آمل حتى لم يخف عليه منهم أحد، ثم عرضهم على الأسعاء حتى اجتمعوا، وتقدم إلى أصحاب السلاح حتى أخذوا بهم ووكل بكل رجل رجلين وساقهم مكتفين حتى وافى بهم جبلاً يُعرف بهزْمُذْيَار^(١) وكتبهم [276] بالحديد وبلغت عدتهم عشرين ألفاً فحبسهم هناك، وفعل مثل ذلك بوجوه العرب والأبناء وكتبهم وحبسهم ووكل بهم.

فلما تمكّن مازيار واستوى أمره وحبس كل من يخشى غائته وأمن جميع أصحابه وأمر سرخاستان بتخريب سور مدينة آمل فخرّبه بالطبول والمزامير ثم سار إلى ساريه ففعل بها مثل ذلك ثم فعل بطميش^(٢) - وهي على حدّ جرجان من عمل طبرستان - مثل ذلك وعمل سوراً من طميش إلى البحر مقدار ثلاثة أميال. وكانت الأكاسرة بنته بينها وبين الترك لأنّ الترك كانت تغير على أهل طبرستان في أيامها.

ونزل سرخاستان معسكراً بطميش وصيّر حولها خندقاً وثيقاً وأبراجاً للحرس وصيّر عليها باباً وثيقاً ووكل به الثقات، ففرغ أهل جرجان فهرب منهم قوم إلى نيسابور. وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر عامل المعتصم على خراسان، فوجّه إليه عمّه الحسن بن الحسين بن مصعب مع جيش كثيف لحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق. فنزل الحسن بن الحسين على الخندق معسكراً وصار بينه وبين سرخاستان عرض الخندق، ثم بعث إليه [277] عبد الله بن طاهر حيان بن جبلة في أربعة آلاف فارس إلى قومس فمعسكر على حدّ جبال شروين.

ووجّه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن

١ كذا في الأصل وأ. ومط. و (٤-٥) هرمزديار. في الطبري (١١: ١٢٧٤) هرمرد آباد.

٢ طميش؛ كذا في الأصل وأ. ومط. في الطبري (١١-١٢٧٥) طميش [= طهمسة] (بالسين المهملة)

إبراهيم في جمع كثيف وضمّ إليه الحسن بن قارن الطبري العابد^(١) ومن كان
بالباب من الطبرية، ووجه مصور بن الحسن صاحب دنباوند إلى الري
ليدخل طبرستان من ناحية الري ووجه أبا الساج إلى اللار^(٢) ودنباوند
فاحدقت الخيل بحاربار من كل جانب فبعت مازيار إلى أهل المدن
المحبسين عنده:

- «إِنَّ الخيل قد زحفت إلَيَّ من كلِّ جانب وإِنَّمَا حبستكم ليمت أميركم
فيسأل فيكم - يعني المعتصم - فلم يكثر بكم وأنتم عشرون ألفاً ولست
أُتقدّم إلى حربهم وأنتم ورائي، فأدّوا إلَيَّ خراج سنتين وأُخلى سبيلكم، ومن
كان منكم شاباً قوياً قدّمته للقتال، فمن وفي رددت عليه ماله ومن لم يصب
أكون قد أخذت دينه، ومن كان شيخاً ضعيفاً صيرته من الحفظة والحراس
والبوّابين.

ثم إن سرخاستان جمع من أبناء القواد وغيرهم من أهل آمل ممن فيه قوّة
وشجاعة مائتين وستين فتى ممن يخاف ناحيته وأظهر أنّه يريد مناظرتهم
وبعث إلى الأكرّة [278] الدهاقين، قال لهم:

- «إِنَّ هؤلاء هواهم مع العرب ولست آمن غدرهم وهم أهل الفطنة قد
جمعتم فاقتلوهم لتأمنوا ولا يكون في عسكريكم من يخالفكم.»
ثم كتّفهم ودفعهم إلى الأكرّة الدهاقين، فصاروا بهم إلى قناة هناك قد
خربت فقتلوهم ورموا بهم في آبار القماء، ثم عطف سرخاستان إلى
المحبسين من أهل المدن فطالهم بمال المواقفة فقالوا:

- «إِنَّ صاحبك لم يُبق لنا مالاً ولا ذخيرة ولو علم أنّ وراءنا درهماً

١. كذا في الأصل وآ. ومط وند (٥٠٥): العابد. في الطبري (١٢٧٦، ١١) القائد

٢. في الطبري: اللار

واحداً^(١) لاستخرجه ولكننا نعطي ضياعنا وأملأنا بقيمة ما نطلب.»
فقال لهم:

«الضياع للملك ولا حق لكم فيها فاحتالوا للملك.»

فلم يجد عندهم شيئاً. فقال لأولئك الأكرّة الذين قتلوا من قتلوا:

«إني قد أبحتكم منازل أرباب الضياع وحرّمهم إلا ما كان من جارية جميلة من بناتهم فإنها تصير للملك.»
وقال لهم:

«صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضياع أولاً ثم حوزوا ما وهب لكم من منازلهم وحرّمهم.»

فَجَبَنَ القوم ولم يُقدموا على عشرين ألفاً، فلم يقبلوا منه.

وكان الموكّلون بالسور من أصحاب سرخاستان يتحدّثون ليلاً مع حرس [279] الحسن بن الحسين بن مصعب حتّى استأنس بعضهم ببعض وتأمروا على تسليم السور فسلموه، ورحل أصحاب الحسن بن الحسين من موضعهم إلى عسكر سرخاستان على غفلة من غير أن يعلم بذلك صاحبهم. فنظر الناس بعضهم إلى بعض فثاروا يدخلون من العائط. وبلغ الحسن بن الحسين ذلك فأشفق أن تكون حيلة فجعل يصيح ويمنع من الدحول وهم لا يقبلون حتّى نصبوا أعلامهم على السور في معسكر سرخاستان.

وانتهى الخبر إلى سرخاستان وهو في الحقام وسمع الضجيج فلم تكن له همة إلا الهرب فخرج هارباً في غلاله ودخل الناس من غير مانع حتّى استولوا على جميع ما في العسكر ومضى قوم في الطلب.

فتحدّث رزاره بن يوسف قال: بينا أنا في الطريق إذ صرت في موضع

يسرة الطريق فوجلت منه ثم اقتحمته بالرمح ولم أرَ أحداً ولكنى صحت .

« من أنت ويلك . »

فإذا رجل بصيح :

« زينهارة . »

يعنى : الأمان . فأخرجته وإذا هو شيخ جسم فقلت :

« من أنت ؟ »

فقال : « أنا شهر يار . »

وإذا به أخو سرخاستان صاحب العسكر .

فحملته إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه .

وأما سرخاستان فإنه مضى على وجهه وكان عليلاً فلما جهده العطش

نزل عند غيضة واستلقى وصاح بعض أصحابه ممن تبعه :

« يا فلان [280] اسقنى ماء فقد جهدنى العطش . »

فقال : « ليس معى ما أغرف به ^(١) من هذا الموضع . »

فقال له سرخاستان :

« خذ رأس جعبتى فاسقنى به . »

فنظر الرجل إلى أصحابه وقال لهم :

« هذا الشيطان قد أهلكنا . فلم لا نتقرب به إلى السلطان ونأخذ لأنفسنا

أماناً ؟ »

فأجابوه إلى ذلك ووثبوا عليه وشدّوه كتافاً فقال لهم :

« خذوا منى مائة ألف واتركونى فإن العرب لا تعطىكم شيئاً . »

قالوا : « أحضرها . »

١ فى آ . ليس معى إناء أغرف به

قال: «هاتوا ميزاناً.»

فقالوا: «من أين لنا هذا ميزان؟»

قال: «فمن أين لي هذا ما أعطيكم. ولكن صبروا معي إلى المنزل وأعطيتكم اليهود والعوامنيق أني أفي لكم بذلك.»

فصاروا به إلى الحسن بن الحسين واستقبلهم خيل الحسن بن الحسين، فضربوا رؤوسهم وأخذوا سرخاستان منهم فهتتم أنفسهم، ومضى به أصحاب الحسن إلى الحسن فدعا بوجوه أصحابه وسألهم:

«هل هذا سرخاستان؟»

قالوا:

«نعم هو هو.»

فأمر به فضربت عنقه.

وكان^(١) حيان بن جبلة من ناحية طميش قارن بن شهر بار ورعيه في الطاعة وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجدّه وكان قارن هذا ابن أخي مازيار وقد قوّده مع أخيه [281] عبد الله بن قارن وضمّ إليه عدّة من ثقات قوّاده وقربائه، فلما اسماله حيان اطمأنّ إليه وضمن له قارن أن يسلم إليه الجبال أو مدينة ساريه إلى حدّ جرجان على أن يملكه على مملكة أبيه وجدّه إذا وفّى الله بالضمّان.

وكتب بذلك حيان إلى عبد الله بن طاهر فسجل له عبد الله بن طاهر بكلّ ما سأل، وكتب إلى حيان يأمره بالتوقّف ولا يدخل الجبل ولا يوغل حتّى يكون من قارن ما يستدلّ به على الوفاء لئلا يكون منه مكر، وكتب حيان إلى هارن بذلك.

فدعا قارن بعمه عبد الله بن قارن أخى مازيار ودعا جميع قواده إلى طعامه. فلما أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأثوا أحرق بهم أصحابه فى السلاح، وكنفهم ووجه بهم إلى حيان بن جبلة. فلما صاروا إليه استوثق منهم وركب حيان فى جمعه حتى دخل جبال قارن وبلغ مازيار الخبر. فاعظم وقيلق وقال له أخوه قوهيار^(١) :

- «فى حبسك عشرون ألفاً من المسلمين ما بين اسكاف وخياط وقد شغلت نفسك بهم، وإنما أتيت من مأمك وأهل بيتك وقربائك. فما تصنع بهؤلاء المحبسين عندك.»

فأمر بأن يخلى جميع من فى [282] محبسه. ثم دعا بكتابه وخلفاءه وصاحب خراجهم وصاحب شرطه وقال لهم :

- «إن حرمكم ومنازلكم وضياعكم بالسهل وقد دخلت العرب إليه، وأكره أن أسومكم^(٢) فاذهبوا إلى منازلكم وخذوا الأمان لأنفسكم.» وواصلهم وأذن لهم فى الإنصراف.

ولما بلغ قوهيار أخا مازيار دخول حيان ساريه، أطلق محمد بن موسى عامل طبرستان من حبه وحمله على بغل ومركب ووجهه إلى حيان ليأخذ له الأمان ويجعل له جبال أبيه وجدّه، على أن يسلم إليه مازيار ويوثق له بذلك. وضم إليه أحمد بن الضفير وهو من مشايخ الناحية ووحوها. فلما سار محمد بن موسى إلى حيان وأحبره وسأله قوهيار قال له حيان :

- «من هذا؟» - يعنى أحمد.

قال : «هذا شيخ هذه البلاد يعرفه الخلفاء ويعرفه الأمير عبد الله بن طاهر.»

١. فى الطبرى (١٢٨٣:١١) القوهيار

٢. فى الطبرى (١٢٨٤:١١) - أسومكم

ورأى حيان تحت أحمد يرذوناً ضخماً نبيلاً، فبعث إليه يسأله أن يقوده إليه ليراه، فبعث به، فلما نأمله وجده مشطّب اليمين فزهد فيه وقال لرسول أحمد:

- «هذا لمازيار ومال مازيار لأمر المؤمنين.»

فرجع الرسول فأخبر أحمد، فغضب [283] من فعل حيان به ذلك، وكتب إلى قوهيار:

- «ويحك لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمّ الأمير عبد الله بن طاهر وتدخل في أمان هذا العبد الحائك وتدفع إليه أخاك وتضع من قدرك ويحقد عليك الحسن بن الحسين بتركك إتياء وميلك إلى عبد من عبده.»

فكتب إليه قوهيار:

- «قد غلطت في أول الأمر وواعدت الرجل أن أصبر إليه بعد غدٍ ولا آمن إن خالفته أن بناهضني ويحاربني ويستبيح منازل وأموالي وإن قاتلته وقتلت من أصحابه وجرت الدماء بيننا وقعت الشحنة ويطل ما نحن فيه.»

فكتب إليه أحمد:

- «إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلاً من أهل بيتك، واكتب إليه أنه عرضت لك علة منعتك من الحركة وأنتك تتعالج ثلاثة أيام فإن عوفيت وإلا صرت في محمل وسنحمله نحن على قبول ذلك منك.»

ثم إن أحمد بن الصقير ومحمد بن موسى كتبوا إلى الحسن بن الحسين وهو في معسكره بطميش ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميش^(١) فكتب إليه أن:

١. في تد (٥٠٨). طميش. بالسين المهملة. كالطبرى

- «اركب إلينا لنُدفع إليك قارن والحبل وإلا فاتك فلا تسم.»

فلما وصل الكتاب إلى الحسن ركب من [284] ساعته وسار مسير ثلاث ليالٍ في ليلة حتى انتهى إلى ساريه. ولما أصبح سار إلى خرّماباذ وهو يوم موعد قوهيار، وسمع حيّان وقع طبول الحسن فركب وتلقاه على رأس فرسخ. فقال له الحسن:

- «ما تصنع هاهنا ولم توجه إلى هذا الموضع وقد فتحت جبال شروين وتركتها وراءك فما يؤمنك أن يغدر بك القوم جميع ما عملت عليك، ارجع إلى الجبل وأشرف على القوم إشراقاً لا يمكنهم الغدر إن همّوا به.»
فقال له حيّان:

- «أنا على الرجوع وأريد أن أحمل أثقالى وأتقدّم إلى رجالي بالرحيل.»
فقال له الحسن:

- «امض أنت فإني باعث بأثقالك ورجالك خلفك وبث الليلة بساريه حتى يوافوك ثم يكر من غد.»

فخرج حيّان من فوره ولم يقدر على مخالفة الحسن. ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر وهو يلبون^(١) من جبال ونداهزْمُزْد من أحسن جباله وكان أكثر مال مازيار بها، وأمره عبد الله ألا يمنع قارن ممّا يريد من تلك الجبال والأموال. فاحتمل قارن ما كان لمازيار هناك من المال من ذخائر مازيار وسرخاستان وباستاندرة ومقدح السلطان^(٢) واحتوى على ذلك كلّهُ فانتفض

١ ما في الأصل مهمل في آ: ملثون في عط يلسون (مهملّة) في تـ (٥١٠) يلبون في الطبري (١٢٨٧:١١) : يلبور.

٢ ما في الأصل مهمل والصبط في الكلمات الأخيرة من تـ (٥١٠) والعبارة في الطبري (١٢٨٨:١١) فاحتمل قارن ما كان لمازيار هناك من المال، والذي كان «بأستاندرة» من ذخائر مازيار وما كان لسرخاستان «مقدح السلطان» واحوى.

على حيّان جميع ما [285] كان سح له بسبب ذلك البرذون.
ثم أمر محمد بن موسى وأحمد بن الصغير الحسن وناظره سرّاً فجزاهما
خيراً، وكتب إلى قوهيار قوافاء ويزّه وأكرمه وأجابه إلى كلّ ما سأل واتعد
إلى يوم ثم صرفه. وصار قوهيار إلى مازيار فأعلمه أنّه قد أخذه الأمان
وتوثّق له ثمّ ورد عليه المازيار وقوهيار.
وتقدّم المازيار فسلم عليه بالإمرة فلم يرد عليه الحسن وتقدّم إلى طاهر
بن إبراهيم وأوس البلخي فقال:
- «خذاه إليكما».

كتاب بتسليم مازيار وإخوته وأهل بيته إلى المعتصم

ثمّ ورد كتاب عبد الله بن طاهر بتسليم مازيار وإخوته وأهل بيته إلى
محمد بن إبراهيم ليحملهم إلى المعتصم، ولم يعرض عبد الله لأموالهم، وأمر
أن يستقصى جميع ما للمازيار، فبعث الحسن إلى المازيار وأحضره وسأله
عن أمواله، فسّمى قوماً ذكر أنّ أمواله عندهم، فأحضر قوهيار وكتب عليه
كتاباً وضمنه المال الذي ذكر مازيار أنّه عند ثقافته وخزّانه وأصحاب كنوزه
وأشهد على نفسه ثمّ إنّ الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى
المازيار ليشهدوا عليه، فذكر عن بعضهم أنّه قال: لما دخلنا على المازيار
لنشهد عليه قال المازيار:

- «إنّ جميع ما حملت من أموالى وصحبني ستّة وتسعون ألف دينار،
وسبع عشرة قطعة [286] زمرد، وستّ عشرة قطعة ياقوتاً أحمر، وثمانية
أوقار سبلاً مجلدة فيها ألوان الثياب وتاج وسيف محلى بذهب وجوهر،
وحنق كبير مملوء جوهراً».

وقد وضعه بين أيدينا وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح وهو جبار
عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى قوهيار.
قال: فخرجنا إلى الحسن بن الحسين فقال:
«أشهدتم على الرجل؟»

قال: «نعم».

فقال: «هذا شيء أخبرت به فأحببت أن تعلموا قلته»^(١)

وذكر علي بن زبّين كاتب مازيار أن ذلك الحق كان شراء جوهره وحسبه
على المازيار وشروين وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان مازيار
حمل جميع ذلك إلى الحسن بن الحسين على أن يظهر أنه خرج إليه في
الأمان وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده وجعل له جبال أبيه فامتنع
الحسن بن الحسين من ذلك وعف عنه وكان أعف الناس عن أخذ درهم أو
دينار. فلما أصبح أنفذ مازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلي بن إبراهيم الحربي
وورد كتاب عبد الله بن طاهر في إنفاذه مع يعقوب بن منصور، وقد ساروا
بما ريار لمبعث الحسن فردّه وأنفذه مع يعقوب بن منصور. [287]

قتل قوهيار

ذكر ترك حزم بالدالة^(٢) عاد بهلاك

ثم أمر الحسن القوهيار أخا مازيار بحمل الأموال التي ضمنها ودفع إليه
بعالاً من العسكر وأمر بانفاذ جيش معه وامتنع القوهيار وقال: إنه لا حاجة
لي فيهم. وأخرج وأخرج الأموال ليحملها، فوثب عليه مماليك المازيار من
الديالمة وكانوا ألفاً ومائتين فقالوا:

١. المبارة تحتلف عتاً في الطبري (١١: ١٢٩٣).

٢. كذا في الأصل وتد (٥١٢) وفي آ. حزم بالدالة عاد بهلاك (!).

- «غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت لتحمل أمواله.»
فأخذوه وكتبوه بالحديد، فلما جئته الليل قتلوه وانتهبوا تلك الأموال
والبغال.

فانتهى الخبر إلى الحسن فوجّه جيشاً إلى الذين قتلوا القوهيار، ووجّه
قارن جيشاً آخر من قبله في أخذهم، فأخذ منهم صاحب قارن عدّة فيهم
ابن عمّ للمازيار يقال له شهریار بن المصفان وكان رأس العبيد ومحرّضهم،
فوجّه به قارن إلى عبد الله بن طاهر فمات في الطريق، وكان جماعة أولئك
الديالمة أخذوا على السفح والعيصة يريدون الديلم فنذر بهم محمد بن إبراهيم
بن مصعب، فوجّه من قبله الطبرية وغيرهم حتّى عارضوهم وأخذوا عليهم
الطريق، فأخذوا على طريق الروذبار إلى الرويان.

سبب فساد أمر مازيار

وكان سبب فساد [288] أمر مازيار أنّ جبال طبرستان ثلاثة يتوارثها
ثلاثة أولاد لكسرى جيل ونداذ هرمز وجبل أخيه ونداذ سخنان^(١) بن الانداد
بن قارن وجيل شروين بن سرخاب بن باب.

فلما قوى أمر المازيار هبت إلى ابن عمّه فألزمه بابه وإلى أخيه قوهيار
وأنفذ إلى هناك والياً من قبله، فلما احتاج مازيار إلى رجال لمحاربة عبد
الله بن طاهر دعا ابن عمّه وأخاه وقال:

- «أنتما أعلم بعيلكما من غيركما.»

وقال: «صيرا في ناحية الجبل.»

١ فيه غموض في الطبرى (١٢٩٥) ونداستيجان ما في تد يوافق الأصل ولكن بالإجمال
الكامل

وكتب إلى الدرني^(١) وضم إليه العساكر وولاه السهل ليحارب عبد الله بن طاهر وطمأن أنه قد توثق من الجبل بآبن عمته وأخيه القوهيار، وذلك أن الجبل لم يكن يظن أنه يؤتى منه لأنه ليس فيه للعساكر والمجاربة طريق لكثرة المصايق والشجر الذي فيه، وتوثق من الموضع الذي يتخوفه بالدرني فلما وجهه عبد الله بن طاهر عمته الحسن بن الحسين بن مصعب في عسكر عظيم من خراسان ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ووجه معه صاحب خبر يقال له: يعقوب بن إبراهيم مولى الهادي، ويعرف بقوصرة وزحلت العسكر وأحدثت بمازيار دعا ابن عم مازيار نار الحقد الذي كان في قلبه [289] على مازيار وتنحيته له عن جبله، إلى أن كاتب الحسن وأعلمه جميع ما يتطلعه من الأخبار وأخبر خبر الأفشين، وكذلك فعل قوهيار أخوه.

وكانت هذه الأخبار ترد على عبد الله بن طاهر وعبد الله يكاتب بها المعتصم،

فشرط عبد الله بن طاهر لابن عم مازيار إن هو وثب بالمازيار أن يرد عليه جبله وما ورثه عن آبائه فلا يعرض له فيه ولا يحارب. فرضى بذلك وكتب له بذلك كتاباً وتوثق له فيه فلم يشع المازيار حتى سلّمت الجبال التي كان يأمنها وأتى من مأمنه وأنزل على حكم المعتصم والعسكر الذي مع الدرني بالسهل غارون في حريهم فأتاهم الحرب من وراءهم وقد أسر مازيار وهلك، فأعطوا حيثن بأيديهم حتى هلكوا بأسرهم.

وكان عبد الله بن طاهر لما أسر مازيار وحصل في يده مئة ووعده إن هو أظهره على كتب الأفشين، أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وأعلمه عبد

١ كذا في الأصل وتد - الدرني. في الطبري: الدرني.

الله أنه قد علم أن الكتب عنده، فأمر المازيار بذلك فطلب الكتب ووجه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وأمره أن لا يخرج الكتب من يده والمازيار إلا إلى [290] يد المعتصم لئلا يحتال المازيار في الكتب. ففعل إسحاق ذلك فأوصلها من يده إلى يد المعتصم فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فلم يقرّ بها فأمر بضربه حتى مات فصُلب إلى جانب بابك.

نهاية الدرني

فأمّا الدرني^(١) فإنه كان في نفسه شجاعاً بطلاً والتقى مع محمد بن إبراهيم بن مصعب، وكان جمع أموالاً ورجالاً يريد أن يدخل بها بلاد الديلم فلمّا عارضه محمد بن إبراهيم بين الجبل والعيضة والبحر - والفيضة متصلة بالجبل والديلم - حمل الدرني على أصحاب محمد فكشفهم، ثم سار معارضةً من غير هزيمة ليدخل الفيضة ولم يزل يحمل ويكشف الناس ويقرب من الفيضة حتى حمل عليه رجل من أصحاب محمد يقال له فند بن حاجيل^(٢) فأخذه أسيراً واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما صحبه من المال والأثاث والدواب والسلاح وأمر محمد بقتل أخيه بُرْزُجُشْنَس^(٣) ودعا الدرني فقطعت يده من مرفقه ومُذّت رجله فقطعت من الركبة وكذلك الهد الأخرى والرجل الأخرى فقعده الدرني على استه ولم يتكلّم ولا تغيّر، فأمر بضرب عنقه، فأمّا أصحابه فحملوا مكبلين.

١. في الطبري (١١: ١٣٠٠). الدرني

٢. كذا في الأصل وأ: فند بن حاجيل. في تد (٥١٥): فند بن حاجيل. في الطبري (١١: ١٣٠٠) فند بن حاجته.

٣. ما في الأصل وتد مهمل في الثلاثة الأولى.

خلاف منكجور الأشروشنى بأذربيجان

وفي هذه السنة خالف منكجور الأشروشنى قرابة الأفشين بأذربيجان.

[291]

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أن الأفشين لما فرغ من بابك ولى أذربيجان منكجور هذا، فأصاب في قرية بابك في بعض منازلها مالاً عظيماً فاحتجته^(١) ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم، وكان على الهريد بأذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمان، فكتب إلى المعتصم بخبر، المال فكتب منكجور فيه فأبكره وهم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمان، وذلك أنه وقعت بينهما في مناظرة فهرب عبد الله وامتنع بأهل أردبيل فنعوه وقتلوا، وبلغ ذلك المعتصم فوجه إليه عسكرياً عظيماً وبلغ منكجور فخلع وجمع إليه الصعاليك وخرج من أردبيل، وقصده القائد مع العسكر الذي خرج من جهة المعتصم وواقفه فانهزم منكجور وصار إلى حصن لبابك في جبل منيع فبناه وأصلحه وتحصن فيه ووثب به أصحابه بعد شهر وأسلموه إلى القائد الذي يحاربه، فقدم به سر من رأى.

ودخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

وفيها اجلس المعتصم اشناس على كرسى وتوجه ووشحه.

وفيها أحرق غنام المرتد.

١ كذا في الأصل والطبري (١١٠-١٣٠) - فاحتجته. في تد (٥١٥) فاحتجبه احتج بالمال ضمه إلى نفسه واحتواه.

وفيها قدم مازيار سر من رأى وحمل على الفيل.
وكنّا ذكرنا [292] أنّ محمد بن عبد الملك قال بيتين في بابك لما حمل
وهو بهذا أشبه أعنى مازيار وهما :

قد خُصِبَ الفيلُ كمادايهِ يحملُ شيطانُ خراسانِ
والفيلُ لا تُخصِبُ أعضاؤه إلّا لئذَى شأنٍ منَ الشأنِ

وقيل : إنّ مازيار امتنع من ركوب الفيل فحمل على بغل بأكاف، وأمر
المعتصم فجمع بينه وبين الأفشين فأقرّ مازيار أنّ الأفشين حمّله على
العصيان وكاتبه وصوّب له ما فعل، فضرب مازيار أربعمائة سوط وطلب ماءً
فسقى ومات من ساعته فصلب.
وفيها حبس الأفشين.

حبس الأفشين

ذكر السبب في ذلك

كان الأفشين أيام حرب بابك ومقامه بأرض النخريّة لا تأتيه هديّة من
أهل أرمينية ولا من غيرهم إلّا وجه بها إلى أسروشنة فيجتاز ذلك بعبد الله
بن طاهر فيكتب عبد الله بخبره إلى المعتصم فيكتب المعتصم بتعرف جميع
ما يوجه به الأفشين من الهدايا إلى أسروشنة، فيفعل عبد الله ذلك.
وكان الأفشين كلّما تهيّأ عنده مال حمّله [293] في أوساط أصحابه من
الدنانير والهمالين^(١) ويقدر طاقتهم كان الرجل يحمل ما بين الألف وما فوقه

١ الهمالين : جمع مفرد : الهميان - فارسيّ معرب - كيس تجعل فيه النفقة ويؤشّد على الوسط

من الدنانير في وسطه فأخبر عبد الله بذلك فبينما هو كذلك إذ نزل رسل
الأفشين مع الهدايا بنيسابور ووجه إليهم عبد الله بن طاهر فأخذهم وقتلهم
فوجد في أوساطهم هامين فأخذها منهم وقال لهم :
« من أين لكم هذا المال ؟ »

فقالوا : « هذ، هدايا الأفشين وهذه أمواله . »

فقال : « كذبتُم لو أراد أخى الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب
إلى يعلمنى ذلك لأمر بحراسته ويدركه لأن هذا مال عظيم وإنما أنتم
لصوص . »

وأخذ عبد الله المال وأعطاه الجند قبله وكتب إلى الأفشين بما قال القوم
وقال :

« أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى أسروشنه ولم تكتب إلى
لأبدرقه، فإن كان المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذى وجهه
به أمير المؤمنين فى كل سنة، وإن كان المال لك كما زعم القوم فإذا جاء
المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك، وإن يكن غير ذلك فأمر المؤمنين
أحق بهذا المال، وإنما دفعتك [294] إلى الجند لآتى أريد أن أعزو الترك . »
فكتب إليه الأفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله
إطلاق القوم ليمضوا إلى أسروشنه، فأطلقهم عبد الله وكان ذلك سبب الوحشة
بين عبد الله وبين الأفشين .

ولما تواترت أمثال هذه من الأفشين تغير له المعتصم وأحس الأفشين
بتغير حاله عند المعتصم .

ذكر حيلهم بها الأفشين

فحزم الأفشين على أن يهتئ أطواقاً فى قصره ويحتال لأن يشغل المعتصم

وقوّاده ثمّ يأخذ طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الأطواف حتّى يصير إلى طريق أرمينية إلى بلاد الخزر مستأمناً، ثمّ يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أسروشته أو يستميل الخزر على أهل الإسلام.

فكان في تهيئة ذلك فطال عليه الأمر وعُسر، فهِتأ سقاً كثيراً وعزم على أن يدعو المعتصم وقوّاده فيستهم فإن لم يجبه المعتصم استأذنه^(١) في قوّاده فيستهم مثل اشناس وإيتاخ ويثا وأمثالهم في يوم تشاغل المعتصم، فإذا ستم وانصرفوا حمل في أوّل الليل [295] تلك الأطواف والآلة على ظهور الجمال حتّى يجيء إلى الزاب فيمر بأثقاله على الأطواف ويحتر الدوابّ سباحة وكانت أرمينية ولايته.

وكان الأفشين تنوب قوّاده في دار المعتصم كما تسوب أمثالهم، وكان واجن الأسروشنى قد جرى بينه وبين من يطلع على سرّ الأفشين حديث، فقال له واجن :

« ما أرى هذا الأمر يتمّ لبعده وكثرة ما ينبغي أن يُمدّد له^(٢) ».

فذهب الرجل فعكاه للأفشين، فهم الأفشين بقتل واجن وأحسن واجن بذلك فركب من ساعته التي أحسّ بها أحسّ - وكان ليلاً - وأتى دار المعتصم وقد كان نام فصار إلى إيتاخ وقال :

« إنّ لأمير المؤمنين عندي نصيحة ».

فقال له إيتاخ :

« أليس كنت ها هنا ؟ قد نام أمير المؤمنين ».

فقال واجن :

١. في الأصل : استأذنتهم - وهو سهو من الكاتب.

٢. كذا في ٥١٨. ما في الأصل - يُمدّد (بالضبط).

- «ليس يمكنني أن أصير إلى غد».

فدق إيتاخ الباب على بعض من يخبر أمير المؤمنين بخبر واجن، فقال المعتصم :

«ليت عند إيتاخ ثم يكرني».

فبات عنده. ولما أصبح بكر به إلى المعتصم فأخبره بجميع ما كان عنده، فدعا المعتصم الأفشين، فجاء الأفشين في سواد، فأمر المعتصم بنزع سواده وحبسه. وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر في الإحتيال للحسن بن الأفشين حتى لا يفوته. وكان الحسن [296] قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر في نوح بن أسد يعلمه تعامله عليه وظلمه له في ضياعه.

فكتب عبد الله إلى نوح يعلمه ما كتب به المعتصم في أمره ويأمره بجميع أصحابه والتأهب له حتى إذا ورد عليه الحسن بن الأفشين استوثق منه وحمله، وكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين -

- «إني قد عزلت نوح بن أسد ووليتك الناحية».

وكتب إليه بكتاب فيه عزل نوح وولايته، فخرج الحسن في قلته من أصحابه حتى ورد على نوح وعنده أنه وال، فأخذه نوح فشده وثاقاً ووجهه إلى عبد الله فوجهه عبد الله إلى المعتصم.

وكان المعتصم بنى حبساً للأفشين شبيهاً بالمنارة وفي وسطها مقدار مجلسه والرجال يسوبون تحتها كما تدور.

فحكى هارون بن عيسى بن المنصور أنه شهد المجلس الذي عقده المعتصم في داره لمناظرة الأفشين^(١).

ذكر مناظرات وُبُخ بها الأفشين واحتجاجاته فيها

أحبّ المعتصم أن يُبَكَّت الأفشين وينظره ولم يكن بعد في الحبس الشديد. فأُخْلِيت الدار إلّا من ولد المنصور وأحضر قوم من الوجوه وحضر أحمد بن أبي دؤاد [297] وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فأُتِيَ بالأفشين وأتى بمازيار والموبذ والمرهبان بن تركش وهو أحد ملوك السغد ورجلين من أهل السغد، وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات.

بين محمد الزيات والأفشين

فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثة. فقال لهما :
- « ما شأنكما ؟ »

فكشفا عن ظهورهما، فإذا هي عارية من اللحم فقال محمد :
- « أتعرف هذين الرجلين ؟ »

فقال : « نعم، هذا مؤذن وهذا إمام، بنيا بأسروشنه مسجداً فضربت كل واحد منهما ألف سوط، وذلك أن بيني وبين ملوك السغد عهداً وشرطاً أن أترك كل قوم على دينهم، فوثب هذان على بيت لهم كان فيه أصنامهم فأخرجوا الأصنام واتخذاه مسجداً، فخفت أن ينتفض عليّ أمر تلك البلدان فضربتهما على ذلك لتعديهما. »

فقال محمد :

- « ما كتاب عندك قد زينتته بالحرير والجوهر والديباج فيه الكفر بالله عزّ

وجلّ. »

قال: «هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه آداب العجم وفيه دين القوم الذي هو اليوم كفر، وكنت أستمع منه بالآداب وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلي فلم تضطرني الحاجة إلى أخذ الحلية [298] منه فتركته بحاله، ككتاب كليله ودمته وكتاب مزدك في منزلك، وما ظننت هذا يخرج من الإسلام.»

بين الموبذ والأفشين

ثم تقدم الموبذ فقال:

- «إن هذا كان يأكل المخنوقه ويحملني على أكلها ويزعج أنها أرطب لهما من المذبوحة، وكان يأخذ كل يوم شاة سوداء يضرب وسطها بالسيف ثم يمشي بين نصفها ويأكل لحمها. وقال لي (يوماً)^(١):
إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل، غير أنني إلى هذه الغاية لم تسقط مني شعرة - يعني أنه لم يهتتن^(٢)».

فقال الأفشين:

- «خبروني عن هذا المتكلم أئنه هو عندكم في دينه؟» - وكان الموبذ بعد مجوسياً ثم أسلم على يد العتوكل.
قالوا: «لا».

قال: «فما معنى قولكم شهادة من لا تثقون به ولا ترون عدالته؟»

ثم أقبل على الموبذ فقال:

- «هل بين منزلي وبين منزلك باب أو كوة تطلعني منها وتعرف أخباري؟»

١. مريد من الطبري (١١: ١٣٠٩).

٢. كذا في الأصل ١. وتد (٥٢١). وفي الطبري (١١: ١٣١٠) يعني. لم يهتتن ولم يهتتن.

قال : « لا . »

قال : « أفليس كنت أدخلك إلى فأتيتك سرى وأخبرك بالأعجمية وميلى إليها وإلى أهلها ؟ »

قال : « نعم . »

قال : « فليست بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك ، إذ أفشيت على [299] سراً أسررتك إليك . »
ثم تنحنى الموبذ .

بين المرزبان والأفشين

وتقدم المرزبان . فقالوا للأفشين :

« هل تعرف هذا ؟ »

قال : « لا . »

فقال للمرزبان : « هل تعرف هذا ؟ »

قال : « نعم هذا الأفشين . »

فقالوا له : « هذا المرزبان . »

ثم قال له المرزبان :

« يا ممخرق^(١) كم تنموه وتدافع ؟ »

فقال الأفشين :

« يا طويل اللحية ما تقول ؟ »

قال : « كيف يكتب إليك أهل مملكتك ؟ »

قال : « كما كانوا يكتبون إلى أبي وحدي . »

١ مخرق فهو مسحق كذب وموه واحتل . (وكانها مأخوذة من مخاربى الصبيان ، أى الحرق المقتولة التى يلعبون بها

قال : « قتل . »

قال : « لا أقول . »

قال المرزبان :

« أليس يكتبون إليك بالأسروشتية بكذا وكذا ؟ »

قال : « بلى . »

قال : « أفليس بالعربية : إلى إله الآلهة ، من عبده فلان بن فلان ؟ »

قال : « بلى . »

قال محمد بن عبد الملك :

« والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ، فما بقيت لفرعون حين قال

لقومه : أنا ربكم الأعلى ؟ ^(١) »

قال : « كانت هذه عادة القوم لأبي وجدى ولى قبل أن أدخل فى الإسلام ،

فكرهت أن أضح نفسى دونها فتفسد على طاعتهم . »

فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب :

« كيف تحلف لنا بالله فنصدقك ونصدق يمينك وسجريك مجرى

المسلمين وأنت تدعى ما ادعى فرعون ؟ »

فقال : « يا بالحسن هذه سورة قرأها عفيف على بن هشام وأنت

تقرأها [300] على ، فانظر غداً من يقرأها عليك ؟ »

بين مازيار وأفشين

قال : ثم قُدِّمَ مازيار صاحب طبرستان . فقالوا للأفشين :

« تعرف هذا ؟ »

قال: «لا».

قالوا: «هذا المازيار».

قال: «نعم قد عرفته الآن».

قالوا: «هل كاتبته؟»

قال: «لا».

قالوا لمازيار:

«هل كتب إليك؟»

قال: «نعم كتب أخوه حاش إلى أخى قوهيار أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغير أخيك وأنه بحمقه قتل نفسه، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلّاه فيما وقع فيه، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى من الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وُجّهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب والمغاربة والأتراك، والعربى بمنزلة الكلب^(١)، اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب يعنى المغاربة إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين - يعنى الأتراك - فإنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام المعجم».

فقال الأفشين:

«هذا يدعى على أخى وأخيه ودعوى لا تجب على، ولو كتبت هذا الكتاب [301] لأستعمله إلى وليثق بناهيتى لكان غير مستنكر، لأنى إذا نصرت الخليفة بيدى لكنت بالجملة أخرى أن أنصره لأخذ قفاه وآتى به الخليفة فأحظى به عنده كما حظى عبد الله بن طاهر بمجىء المازيار».

١ ما فى الأصل مهمل والإعجام من تد (٥٢٢) والخطرى (١٣١١١١).

بين ابن أبي دؤاد والأفشين

ولمّا قال الأفشين لمازيار ما قال وقال لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ما قال زجر ابن أبي دؤاد الأفشين. فقال له الأفشين :
- «أنت يا يا عبد الله لا ترفع طيلسانك بيدك ولا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة.»

فقال له ابن أبي دؤاد :

- «أمطهر أنت ؟»

قال : «لا.»

قال : «فما منعك من ذلك، وبه تمام الإسلام والظهور من النجاسة ؟»

قال : «أو ليس في دين الإسلام استعمال التقيّة ؟»

قال : «بلى.»

قال : «فإني خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت.»

قال : «أنت تُطمئن بالرمح وتُضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون في الحرب وتجزع من قطع غُلفة^(١).»

قال : «تلك ضرورة أدفع إليها فأصبر عليها إذا وقعت، وهذا شيء أستجلبه فلم آمن معه بخروج نفسي ولم أعلم أنّ في تركها خروجاً^(٢) من الإسلام.»
فقال ابن أبي دؤاد :

- «قد بان لكم.» [302]

ثمّ التفت إلى بُغا الكبير وكان الأفشين تابعاً له. فقال :

- «يا يا موسى عليك به.»

١. الغُلفة والغُلّة جُلينة ينطشها الحائن

٢ في الأصل خروجٌ

فضرب بيده إلى منطقته فجذبيها. فقال :

- «قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم.»

فقلب بفا القباء على رأسه، ثم أخذ بمجامع القباء عند عنقه وأخرجه إلى

محبيه.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

وفيهما مات الأفشين.

ذكر الخبر عن موته

لما جاءت الفاكهة جمع المعتصم من الفواكه شيئاً كثيراً في طبق وقال

لابنه هارون الوائلي :

- «اذهب بهذه الفواكه إلى الأفشين.»

فحملت مع هارون حتى صعد بها إليه في الباء الذي بُني له وحُبس فيه،

فنظر إليه الأفشين، ثم قال للوائلي :

- «لا إله إلا الله، ما أحسنه لولا أني فقدت منه ما أشتهيه.»

وكان قد منعه الشاهلوج. فقال الوائلي :

- «وما هو؟»

فقال : «الشاهلوج.»

فقال : «هو ذى، أنصرف فأوجّه به إليك.»

ولم يمس من الفاكهة شيئاً. فلما أراد الوائلي الإنصراف قال له الأفشين :

- «اعرفاً على سيدي السلام وحل له : أسألك أن توجه إلى ثفة من قبلك

يوذى عني ما أقول.» [303]

فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل. وكان حمدون في أيام المتوكل في

حبس سليمان بن وهب فحدث بهذا الحديث.

بين هارون الواثق والأفشين

قال هارون: فبعث بي المعتمد إلى الأفشين وقال لي:

- «إنه سيطول^(١) عليك فلا تحبس».

قال: فدخلت عليه وطبق الفاكهة بين يديه ولم يمس واحدة فما فوقها.

فقال لي:

- «اجلس».

فجلست فاستمالتني بالدهقنة. فقلت:

- «لا تطول، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى ألا أحتبس عندك، فأوجز».

فقال لي:

- «قل لأمر المؤمنين يا مولاي، أحسنت إليّ وشرفتنى وأوطأت الرجال

عقبى ثم قبلت في كلاماً لم يتحقق عندك ولم تدبره بعقلك، كيف يكون هذا

وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك عني؟ تُخبر بآتي دست منكجور

أن يخرج وتقبله، وتُخبر أنني قلت للقائد الذي وجهته إلى منكجور: لا

تحاربه واعذر^(٢) به، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه، أنت رجل

قد عرفت الحرب وحاربت الرجال وسُست المساكر، هذا يمكن، رأس

عسكر يقول لأحد أن يفعله؟ ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من

عدو، وقد عرفت سببه، ولكن مثلي ومثلك يا أمير المؤمنين مثل رجل ربي

عجلاً له حتى أسمته وكبر وحسنت حاله [304] وكان له أصحاب اشتهوا أن

١. كذا في الأصل سيطول في تد (٥٢٤) والطبري (١١: ١٣١٥). سيطول (بالضبط، وكذلك في

الموضع الآتي). أطول: أطال: طول.

٢. كذا في الأصل وآ وتد (٥٢٥) والطبري (١١: ١٣١٥). لعذر

يأكلوا من لحمه. فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبههم إلى ذلك، فانفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم:

- «ويحك لم ترى هذا الأسد هذا سبع وقد كبر والسبع إذا كبر يرجع إلى

جنسه.»

فقال لهم:

- «ويحكم هذا عجل ما هو سبع.»

فقالوا له:

- «هذا سبع، سل من شئت عنه.»

وقد كانوا تقدّموا إلى جميع من يعرفونه فقالوا لهم:

إن سألكم عن العجل فقولوا: هذا سبع.

فكلما سأل الرجل إنساناً قال له:

«هذا سبع.»

فأمر بالعجل فدُبح. ولكن أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسداً؟ الله

الله في أمرى اصطنعتنى وشرفنى وأنت سيدى ومولاي أسأل الله أن يعطف

بقلبك علىّ.»

قال حمدون: فقامت وانصرفت وتركت الطبق على حاله لم يمس منه

شيئاً. ثم ما لبثنا إلا قليلاً حتى قيل: إنه مات.

فقال المستصم:

- «أروه ابنه.»

فأخرجوه فطرحوه بين يدى ابنه، فتنف لهبته وشعره، ثم حُمِلَ إلى منزل

إيتاح ثم صُلب على باب العامة ليراه الناس ثم طُرح مع خشبته وأحرق

وحُمِلَ الرماد فطُرح في دجلة.

ووجد في داره لما أحصى متاعه تمثال إنسان من خشب عليه حلية كثيرة

وجوهر. فمما أخرج من منزله أطواف الخشب [305] التي أعدها، وأصنام وكتب فيها ديانته.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين
خروج المبرقع اليماني بفلسطين
وفيهما خرج المبرقع اليماني بفلسطين على السلطان.

ذكر السبب في ذلك

كان سبب خروجه أن بعض الجند أراد الزول في داره وهو غائب عنها وفيها إمّا زوجته وإمّا أخته، فمانعته ذلك، فضربها بسوط معه فأنقته بذراعها فأثر فيها. فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكّت وشكّت إليه ما فعل بها وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه. فأخذ الياف ومشى إلى الجندی وهو غاراً^(١) فضربه فقتله ثم هرب وألبس وجهه برقاً كي لا يُعرف، فصار إلى جبل من جبال الأردن وطلبه السلطان فلم يعرف له خبراً.

وكان يظهر متبرقاً على الخيل فراء الرائي فيأتيه ويذكره ويحرضه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر السلطان ويحييه، فما زال حتى استجاب له قوم من الحرّاثين وأهل القرى، وكان يزعم أنه أمويّ وقال الذين استجابوا [306] له :

« هذا هو السفّيانى. »

فلما كثرت غاشيته وتبّاعه من هذه الطبقة دعا أهل البيوتات، فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية وقوم من أهل دمشق، واتصل الخبر بالمعصم

١. لا تشديد على الزاء لا مى الأصل ولا فى الطبرى (١٣١٩ ١١) وهو من تد (٥٢٦).

وهو عليل علته التي مات فيها، فوجه إليه رجاء بن أيوب الحضاري في نحو ألف رجل من الجند، وكان أبو حرب في نحو مائة ألف، وكره رجاء^(١) مواقمته فمسكر بهذاه وطاوله حتى إذا كان في وقت عمارة الأرضين تفرق عنه أكثرهم وبقي أبو حرب في نحو ألفين فناجزه الحرب، وتأمل رجاء عسكر المبرقع فلم يجد فيه من له فروسية غيره. فقال لأصحابه:

« لا تعجلوا عليه فإنه سيظهر لأصحابه بعض ما عنده. »

فما لبث أن حمل فقال لأصحابه:

« أفرجوا عنه. »

فأفرجوا، ثم حمل ثانية فقال رجاء:

« أفرجوا له فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك وخذوه. »

ففعل ذلك وأحاطوا به فأنزلوه عن دابته وأسروه وحمله رجاء إلى المعتصم.

وفاة المعتصم

وفيها كانت [وفاة المعتصم].

ولما حضرته الوفاة جعل يقول:

« ذهبت الحيل ليست حيلة. » حتى مات.

وذكر عنه أنه قال:

« لو علمت أن عمري قصير ما فعلت ما فعلت. »

ودفن بسر من رأى. فكانت خلافته ثمانين سنين [307] وثمانية أشهر وهو

ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس، وولد سنة ثمانين ومائة ومات عن

١ في الأصل: رجاء. وفي نسخة (٥٢٧): رجاء.

ثمانية وأربعين سنة وله ثمانية بنين وبنات.
 وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مُشَرَّبَ اللون خُمرَةً حَسَنَ
 العينين.^(١)
 وبيع يوم توفي ابنه هارون الواثق بن محمد المعصم وكان يكْنَى أبا
 جعفر.



١. انظر الطبري (١١ ١٣٢٤). حيث نجد فصلاً عن بعض أحوال المعصم وسيره.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

خلافة هارون الواثق

ودخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين
ولم يجر فيها على ما بلغنا شيء يثبت في مثل هذا الكتاب.

ودخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
حبس الكتاب وإلزامهم أموالاً

وفيه حبس الواثق الكتاب وألزمهم أموالاً، فأخذ من سليمان بن وهب
وهو كاتب إيتاخ أربعمائة ألف دينار، ومن أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف
دينار بعد أن أمر بضربه كل يوم عشرة أسواط فضرب نحو ألف سوط، وأخذ^(١)
من أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه
مائة ألف دينار، ومن محاح ستين ألف دينار ومن الحسن بن وهب وأبي
الورير مائتي ألف دينار، وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب غشالاتهم،
ونصب محمد بن [308] عبد الملك لابن أبي ثؤاد وسائر أصحاب المطالم
فكشفوا وحُبسوا وأُقيموا للناس فلقوا كل جهد، وجلس إسحاق بن إبراهيم
لهم ينتظر في أمرهم ويطالبهم.

١ - والعبارة في مط - وأحد ابن الخصيب [بالصاد للمعجمة] وكتابه (بالحذف والتصحيف).

ذكر سبب ذلك

كان سبب ذلك أنَّ الوراق جلس ليلة مع ندمائه فقال :

« إني لست أشتهي الليلة النبيذ، فهلتموا نتحدث. »

فتحدثوا عامة الليل فقال الوراق :

« من منكم يعلم السبب الذي وثب من أجله جدى الرشيد على الهرامكة

حتى أزال نعمتهم ؟ »

فقال له بعضهم :

« أنا والله أحدثك يا أمير المؤمنين. »

وحديثه حديث الجارية وما جرى فى أمر ثمنها وإحضار الهرامكة قيمة

مائة ألف دينار دراهم^(١) ليستكرها فلا يشتريها. فلما رآها ضمتها إلى بعض

خدمه وبحث عن الأموال ليجمع بيت مال خاصة^(٢) فوجد الهرامكة قد أتنفوا

كل ما فى بيوت أمواله وقد ذكرنا نحن هذا الحديث مشروحاً فيما مضى.

فما مرَّ على ذلك أسبوع حتى أوقع بكتابه واستخرج منهم ومن عتاله

أموالاً عظيمة.

ودخلت سنة ثلاثين ومائتين [309]

وفىها مات عبد الله بن طاهر وكان إليه يوم ذاك العربيه والشرطة والنسواد

وخراسان وأعمالها والرى وطبرستان وما يتصل بها وكرمان، فولى الوراق

هذه الأعمال كلها ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر.

١. انظر الطبرى (١١: ١٣٣٣).

٢. كذا فى تد أيضاً (٥٢٨).

ودخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

تحرك قوم

وأخذهم البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي

وفيهما تحرك قوم في رضى عمرو بن عطاء وأخذوا البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي.

ذكر السبب في ذلك

السبب في ذلك أن أحمد بن نصر بن مالك [بن الهيثم] ^(١) الخزاعي - ومالك بن الهيثم أحد ثقباء بني العباس وقد تقدم ذكره فيما مضى - يفتش أصحاب الحديث. وكان أحمد بن نصر هذا يباين من قال بخلق القرآن وبإينه مثل يحيى بن معين وإبنا الدورقي وأبو خيثمة، وله مرتبة كبيرة في أصحاب الحديث، وبسط لسانه فيمن يقول بخلق القرآن، مع غلظة الواصل كانت على كل من يقول ذلك وامتنعانه إياهم فيه وغلبة ابن أبي دؤاد عليه. فجعل أحمد بن نصر لا يذكر الواصل إلا بالخنزير فيقول:

- «فعل هذا الخنزير.. وصنع هذا الكافر».

وفشا ذلك [310] حتى خوفه، وقيل له: قد اتصل أمرك به وحركه المطيفون به متن ينكر القول بخلق القرآن من أصحاب السلطان ومن عامة بغداد، وحركوه لإنكار القول بخلق القرآن وقصده الناس لرتبته في أصحاب الحديث ولما كان لأبيه وجده في دولة بني العباس من الأثر فكانت له أيضاً رئاسة ببغداد في سنة إحدى ومائتين.

١ ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، فأصغناه من تد (٥٢٨) والطبري (١١١ ١٢٤٣)

وبويج على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كثر الدغار وطهر الفساد والمأمون بهراسان ولم يزل على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد في سنة أربع، فرجوا إذا تحرك استجابة الناس له للأسباب التي ذكرت.

وكان فيمن بايعه هوم من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب صاحب الشرطه يرون رايه ففرقوا في قوم مالا وأعطوا كل رجل ديناراً ديناراً، وواعدهم أحمد بن نصر ليلة يضربون فيها بالطليل للإجتماع والوثوب بالسلطان، وكان قوم منهم بالجانب الشرقي وقوم بالجانب الغربي، فانتبذ بعض من أخذ الدينار واجتمع عدة منهم على شربه، فلما ثملوا ضربوا بالطليل ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة وكان الموعد ليلة الخميس وهم يحسبونها ليلة الخميس [311] التي اتعدوا لها، فأكثروا ضرب الطليل فلم يجبههم أحد.

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب غائباً عن بغداد وحليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم، فوجه إليهم محمد بن إبراهيم صاحبه فأتاهم فسألهم عن قصتهم فلم يظهر له أحد فدله الجيران على رجل حتمى فأخذه وتهدده بالضرب فأمر على أحمد بن نصر وجماعة سقاهم، فاتبع القوم من ليلتهم فأخذ بعضهم من الجانب الشرقي وبعضهم من الجانب الغربي وقيد وجوههم وأصيب في منزل أحدهم غلمان أحضران فيهما حمرة، ثم أخذ خصي لأحمد بن نصر، فتهدد فأقر بما أقر به عيسى الحتمى.

فأخذ أحمد بن نصر وحمل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب مع أولاده وجماعة من ينشاه، فحملهم إلى الواثق بسر من رأى على بغال بأكاف لا وطاء تحتهم وهم مقيدون.

فجلس لهم الواثق مجلساً عاماً وأحضر أحمد بن أبي دؤاد ليبحثوا مكشوفاً. فأحضر القوم وحضر معهم أحمد بن نصر فلم يناظرهم الواثق في

الشغب ولا فيما روى عليه من إرادته الخروج عليه ولكنه قال ^(١) :

« يا أحمد ما تقول في القرآن ؟ »

قال : « كلام الله . »

قال : « أفضل خلق هو ؟ »

قال : « [هو] ^(٢) كلام الله . »

قال : « فما تقول في ربك ، أترأى يوم القيامة ؟ »

قال : « يا أمير المؤمنين [312] جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه

أنه قال ترون ربكم يوم القيامة لا تضامون في رؤيته . »

وحدثني سفيان بن عيينه بحديث يرفعه أن قلب ابن آدم بين إصبعين من

أصابع الله . فقال له إسحاق بن إبراهيم :

« ويملك انظر ما تقول . »

قال : « أنت أمرتني بذلك . »

فأشفق إسحاق من كلمته .

قال : « أنا لمرتك بذلك ؟ »

قال : « نعم أمرتني أن أنصح لك ولأمر المؤمنين ومن نصيحتي له ألا

يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه . »

فقال الواثق لعمري ^(٣) حوله :

« ما تقولون فيه ؟ »

فأكثرُوا . فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضياً على الجانب الغربي

وهو صديق لأحمد بن نصر :

« يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . »

١. انظر الطبري (١٣٤٧١١) .

٢. ما بين المعطوفتين أعضاء من تد (٥٣١)

وقال آخر :

- «اسقنى دمه يا أمير المؤمنين»-

فقال له الواصل :

- «القتل يأتي على ما تريد»-

وقال أحمد بن أبي دؤاد :

- «كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغيّر عقل، كأنه كره أن يقتل بسببه»-

فقال الواصل :

- «إذا رأيتموني قد قمت إليه فلا يقومنّ معي أحد، فإنّي أحسب خطاي

إليه»-

ودعا بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب وكان في الخزانة، فأتى به فمشى إليه في وسط الدار ودعا بنطع فضير في وسطه وحبل فشدّ به رأسه ومثدّ الحبل [313] فضربه الواصل فوقعت الضربة على حبل عاتقه، ثمّ ضربه أخرى على رأسه، ثمّ انتضى سيما الدمشقي سيفه فضربه فأهان رأسه،

ويقال : إنّ بغا ضربه صربة أخرى وطعنه الواصل بطرف الصمصامة في بطنه فحمل معترضاً حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك، فصلب فيها وفي رجله قيود وحمل رأسه إلى بغداد فنُصب في الجانب الشرقي أياماً ثمّ حوّل إلى الغربي وحُظر على الرأس حظيرة وأقيم عليه الحرس وكتب في أذنه رقعة :

- «هذا رأس الكافر المشرك الضالّ أحمد بن نصر، قتله الله على يدي

عبد الله هارون الإمام الواصل بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام الحجّة عليه في خلق القرآن ونفى التشبيه، وعرض عليه التوبة فأبى إلا المعاندة، فمَجَّلَ الله به إلى ناره وأليم عقابه»-

وتتبع من عرف بصحبة أحمد بن نصر ومن بايعه فوضعوا في الحبوس ومنعوا من أخذ الصدقة التي يعطاها أهل السجون ومنعوا من الرّوّار وثقلوا بالحديد.

الفداء بين المسلمين وصاحب الروم

وفى هذه السنة^(١) تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الروم واحتتمع [314] المسلمون والروم على نهر يقال له اللامس على مسيرة يوم من طرسوس. وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن، فقالوا جميعاً بخلفه إلا أربعة نفر فأمر الواثق بضرب أعناقهم. وأمر لأهل الثغور بجوائز على ما رآه خاقان، وكان خادم الرشيد نشأ بالثغر وكان ورد رسول ملك الروم فى طلب المفاداة وكان جرى بينهم اختلاف فى الفداء قالوا:

« لا نأخذ فى الفداء عجوزاً ولا شيخاً ولا صبيّاً. ثمّ رضوا عن كلّ نفس بنفس فوجّه الواثق فى شراء من يُباع ولم يمتّ العدة فأخرج الواثق من قصره عجائز روميات وغيرهم حتّى تمتّ العدة. »

وأمر الواثق بامتحان الأسارى. فمن قال بخلق القرآن فودى به ومن أبى ترك فى أيدي الروم.

وأمر أن يُعطى جميع من فودى وقال بخلق القرآن ديناراً فبلغ عدة من فودى به أربعة آلاف وستمائة إنسان فيهم من أهل النعمة نحو أربعمائة.

ولما جمعوا الفداء وقف المسلمون من جانب النهر الشرقى والروم من الجانب الغربى وعُقد جسر على النهر للمسلمين وجسر آخر للروم.

قال . فكنا نرسل الرومى على حسرتنا ويرسل الروم المسلم على جسرههم [315] فيصير هذا إلينا وذاك إليهم.

وفى هذه السنة مات أبو عبد الله ابن الاعرابى الراوية وهو ابن ثمانين

سنه .

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وعائتين
وفيهما كان مسير بغا الكبير إلى بنى نمير^(١)
ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أنَّ عماره بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي امتدح
الوائق بقصيدة، فدخل عليه وأنشده إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم وينزل.
فكلم عماره الوائق في بنى نمير وأخبره بعينهم وفسادهم في الأرض
وإغارتهم على اليمامة وما قرب منها، فكتب الوائق إلى بغا بأمره بحربهم.
وكان بغا بالمدينة لأن بني سليم كانوا عاثوا بالعجاز واكثروا الغارات والقتل،
فتوجه صاحب المدينة وجمع لهم الخيل والسودان ومن استجاب لهم من
قريش والأنصار، فواقعتهم بنو سليم فقتلوهم وقتلوا أمير المدينة وأكثر من
كان خرج معه من قريش والأنصار. فأخرج الوائق بالله بغا الكبير إلى المدينة
[316] فأوقع بيني سليم وأسر منهم وقتل، فكان لذلك مقيماً بعد بالمدينة.

فلما أراد بغا الشحوص إليهم من المدينة حمل معه دليلاً ومضى نحو
اليمامة فلقي منهم جماعة بموضع يقال له: الشريف، فحاربوه فقتل بغا منهم
نحواً من ستين رجلاً وأسر نحواً من أربعين. ثم سار وتابع إليهم الرسل
فعرض عليهم الأمان ودعاهم إلى السمع والطاعة وهم في ذلك يمتنعون عليه
ويشتمون رسله ويتفلتون إلى حربه.

فسار بغا حتى ورد بطن نخل ثم دخل نخيلة، فاحتملت بنو ضبة من بنى
نمير فركبت جبالها، فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه، وأرسل إليهم سرية وأتبعهم
بجماعة من معه، فحشدوا لحربه وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف رجل.

١. انظر الطبري (١١: ١٣٥٨).

فلقوهم ببطن السر فهزموا مقدّمته وكشفوا ميسرته وقتلوا من أصحابه مائة وثلاثين رجلاً وعقروا من إبل عسكره سبعمائة ومائة دأبه، وانتهبوا الأثقال وبعض ما كان مع بغا من الأموال فهجم عليهم وعليه ليلٌ. فعمل بغا يباشدهم ويدعوهم إلى الرجوع إلى طاعة الوائى فشتموه وتوعدوه. فلَمَّا دنا الصبح أُشير على بغا بأن يوقع بهم قبل أن يضىء الصبح ففروا قلّة عدد من معه ويجترثوا عليه، فأبى بغا. فلَمَّا أضاء الصبح [317] ونظروا إلى عدد من معه حملوا عليهم فهزموهم حتّى بلغت هزيمتهم معسكرهم وأيقنوا بالهلكة.

ذكر اتفاق حسن

وبلغ بغا أنّ خيلاً لهم بمكان من بلادهم، فوَحّه من أصحابه نحواً من مائتى رجل إليها. فبينما هم فيما هم من الإشراف على العطب وقد انهزم بغا إذ خرجت تلك الجماعة منصرفة من تلك الحيل وأقبلت متفرقة فى ظهور بنى نعيم. فنفخوا فى صفّارتهم فالتفتوا ورأوا الخيل وراءهم، فولّوا منهزمين وأسلم فرسانهم رجّالتهم وطاروا على ظهور الخيل.

وكان منهم جماعة تشاغلوا بالنهب، فثاب إلى بغا أصحابه فكُرّ عليهم وقتل منهم منذ زوال الشمس وإلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل. وأقام بغا حتّى جمعت له رؤوس من قُتل واستراح هو وأصحابه ببطن السرّ ثلاثة أيّام. ثمّ أرسل إليه من هرب من فرسان نعيم من الوقعة يطلبون الأمان فأعطاهم الأمان فصاروا إليه فقيدهم وأشخصهم معه، فشغبوا فى الطريق وحاولوا كسر قيودهم والهرب. فأمر بإحضارهم واحداً بعد واحدٍ فيضربه ما بين الأربعمئة إلى الخمسمئة، فلم ينطق منهم ناطق بتوبّع ولا تأوؤ. ثمّ جمعهم مع من لحق به [318] من طلب الأمان وحملهم إلى

البصرة.

موت الوائق

وفيهما مات الوائق وكان موته بالإستسقاء فعولج بالإقعاد في تنّور مسخن فوجد لذلك راحة، فأمر من غد ذلك اليوم بأن يزاد في إسحان ذلك التنّور ففعل وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله فحمى عليه، فأخرج منه وصيّر في محفّه، وحضره جماعة من الهاشميين ثم حضر محمد بن عبد الملك الزيّات وأحمد بن أبي دؤاد. فلم يعلموا بموته حتّى ضرب بوجهه المحفّة، [فعلموا أنّه قد مات] ^(١)

وكان أبيض مشرباً حمرة جميلة أربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بياض.

فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وسنّه ست وثلاثون سنة.

١ ما بين المعقوفين أصفناه من الطبرى (١١: ١٣٦٣). ما في الأصل وعد (٥٣٥) ومات

خلافة جعفر المتوكل

وفي هذه السنة بويع لجعفر المتوكل بالخلافة وهو جعفر بن محمد بن هارون بن^(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

لَمَّا تَوَفَّى الْوَائِقِ حَضَرَ الدَّارَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ وَإِيتَاخُ وَوَصِيفُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَحْمَدُ بْنُ خَالِدِ أَبِي الْوَزِيرِ. فَعَزَمُوا عَلَى الْبَيْعَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْوَائِقِ فَأَحْضَرُوهُ وَهُوَ غُلَامٌ أَمْرَدٌ قَصِيرٌ. فَأَلْبَسُوهُ دُرَّاعَةً^(٢) سَوْدَاءَ وَقَلَنْسُوته رُصَافِيَّةً^(٣) فَإِذَا هُوَ قَصِيرٌ. فَقَالَ لَهُمْ وَصِيفُ:

- «أَمَا تَتَّقُونَ اللَّهَ تَوَلَّوْنَ مِثْلَ هَذَا الْخِلَافَةِ وَهُوَ لَا تَجُوزُ مَعَهُ الصَّلَاةُ.»
فَتَنَاضَرُوا [319] فِي مَنْ يَتَوَلَّوْنَهَا. فَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ جَعْفَرًا أَخَا الْوَائِقِ فَأَحْضَرَهُ وَأَلْبَسَهُ الطَّوِيلَةَ وَعَمَّمَهُ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ:
- «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.»

ثُمَّ غَسَلَ الْوَائِقِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَذُقْنَ وَلَقِّنَهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ . الْمَتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْكِتَابِ بِهِ إِلَى النَّاسِ فَوَقَعَ بِهَذَا.

١- هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. فأتيتاه حسب ما في (٥٢٥) والطبري (١٣٦٨-١١).

٢- الدُرَّاعَةُ - جُبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمُقَدَّمُ

٣- في مط وصابية بدل رصافيته والأصل كالطبري (نفس الصفحة).

«بسم الله الرحمن الرحيم - أمر أبقاك الله - أمير المؤمنين أعزّه الله، أن يكون الرسم الذي يجرى به ذكره على أعواد منبره وكتبه إلى قصاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وسائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه: من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين. قرأبك في العمل بذلك وإعلامي وصول كتابي إليك موثقاً إن شاء الله.»

وأمر للأتراك برزق أربعة أشهر وأمر بأن يوضع العطاء للجند لثمانية أشهر وأخذت البيعة عليهم وبويح له وله ست وعشرون سنة.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

وفيهما غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبيسه.

ذكر سوء نظر محمد بن عبد الملك في العاقبة

وتجهّمه للمتوكل حتى أهلكه [320]

كان السبب في غضبه عليه أن الواثق لما استوزر محمد بن عبد الملك فوّض إليه الأمور وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر لبعض الأمور، فوكل به عمر بن فرج الرخّجي ومحمد بن العلاء، فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره. فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم أخاه الواثق ليرضى عنه. فلما دخل عليه مكث واقفاً بين يديه لا يكلمه، ثم أشار إليه أن يقعد فلما فرغ من نظره في الكتب إلتفت إليه كالمتهدّد له فقال له .

« ما جاء بك ؟ »

قال : « جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضا عني . »

فقال لمن حوله :

«انظروا إلى هذا يُغضب أخاه ويسألني أن أسترضيه له اذهب، فأنت إذا صلحت رضى عنك.»

فقام جعفر كثيراً حزناً لما لقيه به من قبح اللقاء والتقصير به، فخرج من عنده وأتى عمر بن فرج يسأله أن يختم له صكاً لبعض أرزاقه، فلقيه عمر بن فرج بالتجهّم وأخذ الصك ورمى به، فصار جعفر حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دؤاد، فدخل عليه فقام له أحمد بن أبي دؤاد واستقبله وقبله والتزمه وقال له :

« ما جاء بك جعلني الله فداك ؟ »

قال : « جئت لتسترضى أمير المؤمنين . »

قال : « أفعل ونعمة عين . »

فكلّم أحمد بن أبي دؤاد الوائقي بالله فيه، فوعده ولم يرض عنه، فأعاد أحمد الكلام [321] بعد ذلك وسأله بحق المعتصم إلا رضى عنه، فرضى عنه من ساعته وكساه واعتقد جعفر لأحمد بن أبي دؤاد بذلك بدءاً ميثاقاً فأحفظاه عنده لئلا ملك.

وإنّ محمد بن عبد الملك حين خرج جعفر من عنده كتب إلى الوائقي يذكر : أنّ جعفرأ أتاني فسألني أن أسئل أمير المؤمنين الرضا عنه في زى المخشّين، له شعر قفا، فكتب إليه الوائقي :

« اهبث إليه فأحضره ومز من يجرّ شعر قفا، ثم مر من يأخذ شعره ويضرب به وجهه، واصرّفه إلى منزله . »

فحكى عن المتوكل أنّه قال : لمّا أتاني رسوله لبست سواداً جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضى، فلمّا حصلت بين يديه قال :

« يا غلام ادع لى حبّاماً . »

فدّعى به، فقال :

- «خذ من شعره فأجمعه»-

فأخذه على السواد الجديد ولم يأت به بتدليل، فأخذ شعره وضرب وجهه به.

فقال المتوكل:

ما دخلني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حيث أخذ شعري على السواد الجديد وقد جنته فيه طامعاً في الرضا عني فأخذ شعري عليه.

فلما بُيع جعفر أهل وهو يفكر في مكروه يناله به. ثم أمر إيتاخ بأن يأخذه ويعذبه فيبعث إليه إيتاخ فظن أنه يُدعى للخليفة، فركب مبادراً. فلما حاذى منزل إيتاخ، قيل له:

- «إعدل إلى هاهنا»-

فعدل وأوجس [322] في نفسه خيفة. فلما جاء إلى الموضع الذي كان نزل فيه إيتاخ عدل به عنه فأيقن بالسر ثم أدخل حجرة وأخذ سيفه ودزاعته وقلنسوته فدفع إلى غلمانه، وقيل لهم:

- «انصرفوا»-

فانصرفوا وهم لا يشكون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب.

ووجه المتوكل إلى أصحابه ودوره، فقبض عليهم فأخرج جميع ما كان في منزله من متاع وجوار وغلمان ودواب، فصار ذلك كله في الهارومي، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت. فأما ما كان بسر من رأى فحمل إلى خزائنه واشترى للخليفة جميعه وقيل لمحمد بن عبد الملك.

- «وكل ببيع متاعك»-

وأتوه بمن وكله بالبيع عليه ثم قيد، وامتنع من الطعام فلا يذوق شيئاً. وكان شديد الجزع في حبسه كثير البكاء قليل الكلام كثير التفكير. فمكث

أياماً ثم سُوِّهَ ومنع من النوم وينخس بمسلة، ثم تُرك يوماً وليلة فنام وانتبه فاشتبهى فأكهة وعنباً فأُتِيَ به فأكل، ثم أُعيد إلى المساهرة.

وكان محمد قاسى القلب يزعم أن الرحمة خور فى الطبيعة وكان قد اتخذ ثوراً من خشب فيه مسامير حديد قيامٌ يُعَذَّب فيه مَنْ يطالبه. فكان هو أول مَنْ عمل ذلك، وعُذَّب فيه ابن سُبَاط المِصرى حتَّى استخرج منه جميع ما كان عنده، ثم [323] ابتلى به فُعْذَّب فيه حتَّى مات.

ودخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

هروب محمد بن البعيث

وفىها هرب محمد بن البعيث بن خُليس، وكان جرىء به أسيراً من أذربيجان وخُبس، وكانت له قلعتان تدعى أحدهما شاهاً^(١) والأخرى يَكْذُر، فأما شاهها فهى وسط البحيرة وأما يَكْذُر فهى خارج البحيرة وهذه البحيرة قدر عشرين فرسخاً من حدِ أرمينية إلى بلاد محمد بن الرواد، وشاهها قلعة حصينة تحيط بها البحيرة ويركب فيها الناس من أطراف المِراغة إلى أرمينية وغيرها. وكانت مدينة محمد بن البعيث مَرند فهرب إلى مدينته فجمع بها الطعام وفيها عيون ماءٍ قرم ما كان وهى^(٢) من سورها، وأتاه من أراد الفتنة من كل ناحية من ربيعة وغيرها فصار فى نحو ألفى رجل.

وكان الوالى بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة فقصر فى طلبه. فولى المتوكل حمدويه بن على أذربيجان ووجهه من سُر من رأى على البريد.

فلما صار إليها جمع الجند والشاكرية ومن استجاب له فصار فى عشرة آلاف فرحف إلى ابن البعيث فأتجأ إلى مدينة مَرند وهى مدينة استدارتها

١. شاهها كذا فى الأصل وتد (٥٣٩) فى كلا الموضعين فى الطبرى (١١-١٣٨٠) شاهى

٢. كذا فى الأصل وتد (٥٤) فى الطبرى (١١-١٣٨١) مائتى ألف فارس

فرسخان في داخلها بساتين كثيرة ومن خارجها كما تدور شجر إلا في مواضع أبوابها. وقد جمع فيها [324] ابن البعيت آلة الحصار، وفيها عيون ماء.

فلما طالت مدته وجه إليه المتوكل زيرك التركي في مائتي^(١) فارس من الأتراك فلم يصع شيئاً فوجه المتوكل عمر بن سليل^(٢) بن كال في جماعة من الشاكريه فلم يخن شيئاً.

فوجه إليه بغا الشرايبي في أربعة آلاف ما بين تركي وشاكري ومعربي، وقد كان الجند قد زحفوا إلى مدينة مرند وقطعوا ما حولها من الشجر فسقطوا نحواً من مائة ألف شجرة من شجر الفياض وغيره ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً وبنوا بهذاء المدينة ما يستكنون فيه ونصب عليهم محمد بن البعيت من المجانيق مثل ذلك. وكان من معه من علوج رساتيقه يرمون بالمقاليع، فكان الرجل لا يقدر على الدنو من الور فكانوا يفادونه القتال ويروحوه، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيت يتدلون بالجبال معهم الرماح فيقاتلون، فإذا حمل عليهم أصحاب السلطان لجأوا إلى الحائط بالمقاليع وكانوا ربما فتحوا باباً يقال له باب الماء فيخرج منه عدة يقاتلون ثم يرجعون.

فلما قرب بغا الشرايبي من مرند بعث عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيت ولابن البعيت على أن ينزلوا وينزل على حكم المتوكل، وإلا قاتلهم [325] فإن ظفر بهم لم يستبق منهم أحداً. ومن نزل فله الأمان.

وكان عامة من مع ابن البعيت من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ، فنزل

١. كذا في الأصل وقد (٥٤٠) في الطبري (١١: ١٢٨١) : مائتي ألف فارس.

٢. في تد (٥٤٠) : سليل بن كال.

منهم قوم كثير بالجبال وتزل ختن ابن البعيث، ثم فتحوا باب المدينة فدخل أصحاب حمدويه وزيك وخرج ابن البعيث من منزله هارباً يريد أن يخرج من وجه آخر فلحقه قوم من الجند فأخذوه أسيراً وانتهبوا منزله ومنازل أصحابه وأخذ له أختان وثلاث بنات وخالته والبواقي سراري ونحو مائتي رجل وهرب الباقيون ووافاهم بغا فمنع من النهب وكتب بغا بالفتح لنفسه. ثم قديم بغا باين البعيث وأصحابه وهم نحو مائتي رجل. فلما قربوا من سر من رأى حملوا على الجمال ليستشرفهم الناس. فأتى المتوكل محمد بن البعيث فأمر بضرب عنقه فطرح على نطع، وجاء السيفيون فلوّحوا فقال المتوكل :

« ما دعاك يا محمد إلى ما صنعت ؟ »

قال : « الشقوة وأنت الحبل الممدود بين الله وخلقه وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك وهو العفو. »

ثم اندفع بلا فصي :

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلى	إمام الهدى والتقى ^(١) فى الله أجمل [326]
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة	وعفوك من نور النبوة أجمل
فإنك خير السابقين إلى العلى	ولا شك أن خير العالمين تفعل

فالتفت المتوكل فقال لمن عنده :

« إن معه لأدياً. »

فقال بعضهم ويادر :

« بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما ويمن عليك. »

١. كذا فى الأصل وقد (٥٤١) وأ. والخو. فى الطبري (١٣٨٧:١١) : والصحيح.

فقال المتوكل :

- « أرجع إلى منزلك. »

ويقال إن ابن البعيث لما تكلم بما تكلم به شفع فيه المعتز واستوهمه فوهبه له.

وكان محمد بن البعيث أحد شجعان أذربيجان وله شعر كثير جيد بالعربية والفارسية. (١)

وحج في هذه السنة إيتاخ وكان والي مكة والمدينة والموسم، ودعى له على المنابر.

ذكر سبب ذلك

كان إيتاخ غلاماً طباحاً خزرياً لسلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم، وكان لإيتاخ بأس ورجلة، فرفعه المعتصم ومن بعده الواثق وولى الأعمال الكبار، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتله حبس عند إيتاخ.

فلما ولى المتوكل كان إلى إيتاخ الحبس والمغاربة والأتراك والهريرد والحجابة ودار الخلافة، فخرج المتوكل بعد الخلافة متنزهاً [327] إلى ناحية القاطول فشرب ليلة فريد على إيتاخ، فهم إيتاخ بقتله، فلما أصبح المتوكل قيل له، فاعتذر إلى إيتاخ والتزمه وقال :

- « أنت أبى وأنت ربيتنى. »

فلما صار المتوكل إلى سر من رأى دس إليه من يشير عليه بالاستئذان للحج ففعل وأذن له وصيره أمير كل بلدة يدخلها وخلع عليه وركب القواد معه، فحين خرج صيرت الحجابة إلى وصيف.

ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين
وفيهما كان مقتل إيتاخ
ذكر سبب مقتله

لَمَّا انصرف إيتاخ من مكة راجعاً إلى العراق وجّه المتوكل إليه سعيد بن صالح^(١) الحاجب مع كسوة وأطاف، وأمره أن يلقاه بالكوفة وقد تقدّم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه.

فذكر إبراهيم بن المدبر أنه خرج مع إسحاق بن إبراهيم في تلقى إيتاخ وكان أراد أن يأخذ طريق الفرات إلى الأنبار ثم يخرج إلى سُرّ من رأى، فكتب إليه إسحاق :

« إِنَّ أمير المؤمنين قد أمر أن يدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس وأن تقدم لهم في دار خزيمة بن خازم فتأمر لهم بجوائز. »

قال : فخرجنا حتّى إذا كنّا بالياسريّة [328] وقد شحن إسحاق بن إبراهيم الجسرين بالجند والشاكرية، وخرج في خاصته وطُرح له بالياسرية صُفّة فجلس عليها وأقبل قوم قد رتبهم في الطريق. كلّمّا صاروا إلى موضع أعلموه، حتّى قالوا :

« قد قرب لمنكدة »

فركب فاستقبله. فلَمَّا نظر إليه أهوى إسحاق لينزل. فحلف عليه إيتاخ أن لا يفعل. وكان إيتاخ في نحو ثلاثمائة من أصحابه وعليه قباء أبيض متقلداً سيباً بحمائل، فساروا جميعاً حتّى إذا صار عند الجسر تقدّمه إسحاق عند الجسر وعبر حتّى وقف على باب خزيمة بن خازم. فقال لإيتاخ :

١. انظر الطبري (١٣٨٨: ١١)

- «تدخل أعز الله الأمير»-

وكان الموكلون بالجسر كلما مر بهم غلام من غلمانه قَدَموه حتى بقي في خاصّة غلمانه، فدخل بين يديه قوم وقد فرشت له دار خزيمة بن خازم، وتأخر إسحاق وأمر ألا يدخل الدار من غلمانه إلا ثلاثة أو أربعة وأخذت عليه الأبواب وأمر بحراسته من ناحية الشط وكُسرت كل درجة في قصر خزيمة، فعين دخل أغلق الباب، خلفه فنظر فإذا ليس فيه إلا ثلاثة غلمان. فقال:

- «قد فعلوها»-

ولو لم يؤخذ^(١) ببغداد ما قدروا على أخذه، ولو صار إلى سر من رأى فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك.

ثم ركب إسحاق حراقة وأعدّ [329] لإيتاخ أخرى، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الأخرى وأمر بأخذ سيفه، فحذروه إلى الحراقة وصير قوم معه بالسلاح، وصاعد إسحاق إلى منزله، وأخرج إيتاخ حين بلغ دار إسحاق فأدخل ناحية منها، ثم قيّد وثقل بالحديد في عنقه ورجليه، ثم قدم بابنيه: منصور والمظفر وبكائيه: سليمان بن وهب وقُدّامة بن زياد الصرائي ببغداد وكان سليمان على أعمال السلطان وقُدّامة على ضياع إيتاخ خاصّة فحبسوا ببغداد.

وذكر ترك مولى إسحاق قال: وقفت على باب البيت الذي فيه إيتاخ محبوس فقال:

- «يا ترك»-

قلت:

١ في مطبوع لم يوجد.

« ما تريد؟ »

قال : « أقرأ على الأمير السلام وقل له قد علمت ما كان يأمرني به المعتصم والوائق في أمرك فكنت أدفع عنك ما أمكنني فلينفعن ذلك عندك، أمّا أنا فقد مرّ بي شدة ورخاء فما أبالي ما أكلت وما شربت، وأمّا هذان الغلامان فإتھما عاشا في نعمة ولم يعرفا البؤس فصير لھما لحماً ومرة وشيئاً يأكلان منه. »

قال ترك : فذهبت إلى مجلس إسحاق فوقفت، فقال لي :

« ما تريد ؟ فأرى في وجهك كلاماً. »

قلت : « نعم. »

قال لي :

« إيتاخ كذا وكذا. »

وكانت وظيفة إيتاخ في كلّ يوم رغيفاً وكوزاً من ماء، ويؤمر لإبنيه بخوان [330] عليه سبعة أرغفة وخمسة ألوان^(١) فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق. ثمّ هلك إيتاخ بالعطش فإتھ أطمع ومُنح الماء حتّى مات وأحضر إسحاق القضاة والفقهاء وعرضه عليهم لا ضرب به ولا أثر. وأمّا إبناه فبقيا في الحبس حياة المتوكل. فلما أفضى الأمر إلى المعتصم أخرجهما.

ما عامل به المتوكل أهل الذمة

في ملابسهم ومنازلهم

وفي هذه السنة أمر المتوكل بأخذ التنصاري وأهل الذمة بلبس العسلي

١. كذا في الأصل وتد (٥٤٥) وآ : ألوان. في الطبري (١٢٨٦، ١١) : عُرِف.

والزنانير وركوب السروج بركب الخشب ويتصير كرتين على مؤخر السروج، ويتغير القلائس لمن لبس قلنسوة، ويتغير زي النساء في أزهرن العسلية ليُعرفن، وكذلك ممالهكهم، ومنعهم لبس المناطق، وإن دخلوا الحمام كان معهم جلاجل ليُعرفوا، وأمر يهدم بيعتهم المستحدثة وبأخذ العشر من منازلهم. فإن كان الموضع واسعاً صُيِّر مسجداً وإن لم يصلح أن يكون مسجداً صُيِّر فضاء، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمومة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين، ونهى أن يُستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي تجرى فيها أحكامهم على المسلمين، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتابيب المسلمين [331] وألا يعلمهم مسلم، ونهى أن يُظهروا في أعيادهم صليباً وأن يشمعوا^(١) في الطريق، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض لئلا يُشبه قبورهم قبور المسلمين، وكتب إلى العتال في الآفاق بذلك.

عقد المتوكل البيعة لبيه الثلاثة

وفي هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبيه^(٢) الثلاثة: لمحمد وسماه المنتصر، ولأبي عبد الله واسمه الزبير وسماه المعتز، ولإبراهيم وسماه المؤيد، بولاية العهد. وذكر ذلك للشعراء وكتبت بينهم كتب وفُرقت في الأمصار.

ودخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ومن حوادثها هدم قبر الحسين عليه السلام

وفيهما توجه الفتح بن خاقان عند المتوكل ووُلّي أعمالاً منها أخبار الخاصة

١. كذا في الأصل: يشمعوا شمع. لمب ومرح. في تد (٥٤٥) والطبري (١٣٩٠). يشمعوا شمعوا: تفرقوا مرحاً ونشاطاً.

٢. في الأصل: لاهيه. وهو سهو. ما أثبتناه يوافق ما في تد (٥٤٥) وآ

والعامّة بسرّ من رأى وما يليها.

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور وأن يُبذر ويمنع الناس من إتيانه.^(١)

وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف فجأة، وكان قد ولى أذربيجان ومسكر بكرخ فيروز، وأراد الركوب فلبس أحد حُفّيه ومدّ الآخر ليلبسه فسقط ميتاً، فولى المتوكل ابنه يوسف ما كان يتولاه أبوه من الحرب وولاه مع ذلك خراج الناحية وضياعتها، فشخص إلى الناحية فضبطها. [332]

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

وفيها وثب أهل أرمينية بيوسف بن محمد بن يوسف فيها

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّه لما صار إلى عمله من أرمينية خرج رجل من البطارقة يقال له بقراط بن أشوط وكان يقال له: بطريق البطارقة. فطلب الأمان فأحذه يوسف بن محمد وقيده وبعث به إلى باب السلطان. فأسلم بقراط وابنه واجتمع على يوسف ابن أخى بقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة أرمينية فتحالفوا ونذروا دمه لما حمل بقراط فنهى أصحاب يوسف يوسف عن المقام وعزّقوه اجتماع القوم فلم يقبل، وأقام فحاصروه من كلّ وجه.

وسقطت الثلوج فخرج يوسف إلى ظاهر المدينة وكان أصحابه مستترّفين في الأعمال، فقاتلهم فقتلوه وقتلوا من معه. فأما من لم يقاتل فإنه قالوا لهم: «ضع ثيابك وانج عرياناً».

١. انظر الطبري (١١: ١٤٠٧).

فطرحوا ثيابهم وسجوا عُرّة حُفّاة فمات أكثرهم من البرد وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا.

فوجّه المتوكّل بغا الكبير إلى أرمينية طالباً بدم يوسف. فتمنّص إليها فبدأ بأرزن. وكان موسى بن زرارة قد واطأ قتلة يوسف فقبض بغا على موسى واخوته وحملهم إلى السلطان ثم سار فأناخ على الخويشّة^(١) وهم جمّة أهل أرمينية، وقتل يوسف بن محمد فحاربهم فظفر بهم وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً وسبى خلقاً فباعهم. ثم سار إلى بلاد الباق فأسر أشوط بن حمزة أبا العباس، ثم سار إلى ديبل ثم إلى تفلّيس.

غضب المتوكّل على أبي دؤاد

وفيها غضب المتوكّل على أحمد بن أبي دؤاد وأمر بالتوكيل بضياعه وحبسه وأولاده واخوته، فحمل أبو الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرأ كثيراً، ووصلح بعد على ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم جميعاً ببيع كلّ ضيعة لهم وكان أحمد بن أبي دؤاد قد ملّج فقال أبو العتاهية :

لو كُنْتُ فِي الرَّأْيِ مَنْسُوباً إِلَى رَشْدٍ وَكَانَ عَزْمُكَ عَزْماً فِيهِ تَوَلُّيُّ
لَكَانَ فِي الْمَفْقَةِ قَسْلٌ لَوْ قَسَمْتُ بِهِ عَنْ أَنْ تَقُولَ : كِتَابُ اللَّهِ مَسْخُوقُ
مَاذَا عَلَيْكَ وَأَصْلُ الدِّينِ يَجْمَعُهُمْ مَا كَانَ فِي الْفِرْعِ لَوْ لَا الْجَهْلُ وَالْمَوَقُ

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

وفيها ظفر بغا الكبير بإسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية بتفليس فأحرق

١ الخويشّة . كذا في ته (٥٤٧) والطبري (١١: ٩-١٤) : في الأصل الخويشّة

مدينة تفلّيس. وكان [334] إسحاق بن إسماعيل - ويكنى أبا العباس - قد تحصّن بتفلّيس وهي مدينة أكثر بنائها خشب الصنوبر. فلَمَّا قصدها بغا أمر النفاطين فضربوها بالنار وهاجت الريح وأحاطت النار به بقصر إسحاق وجواريه.

ثم أناه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً مع ابنه وأتوا به بغا، فأمر بضرب عنقه صبراً، وصُلب جسّته واحترق في المدينة نحو خمسين ألف إنسان. ثم نهض بغا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت اصطفانوس حاربه في كورة السلطان ثم تحصّن في قلعة كتيش^(١). ففتحها وأخذه وحمله وحمل ابنه وسباط بن أشوط بطريق أزان، وحمل معه آذرنسي بن إسحاق.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

ولم يجر فيها ما يكتب.

ودخلت سنة أربعين ومائتين

وتلك سبيلها.

ودخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

إغارة البُجّة وحرب المتوكل إياهم

وفيها أغارت البُجّة على حرش^(٢) من أرض مصر، فوجّه المتوكل لحربهم

محمد بن هبّد الله القمي.

١. كذا في الأصل: كتيش. في تد (٥٤٨): كيش. وفي حواشيه عن ابن خلدون: كيش

٢. كذا في الأصل: حرش. ما في تد (٥٤٨) حوش.

ذكر ما آلت إليه أمورهم

كانت البُجّة لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديعة [335] وهم جنس من أجناس الحبشة وفى بلادهم معادن ذهب. فهم يقاسمون من يعمل فيها ويؤثّون إلى عمّال مصر فى كل سنة شيئاً معلوماً. فلما كان فى أيام المتوكّل امتنعت البُجّة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية وهذه المعادن منها ما هو على النجوم فيما بين أرض مصر وبلاد بُجّة. فقتلوا عدّة من المسلمين ممّن كان يعمل فى المعادن ويستخرج الذهب، وسبوا عدّة من ذراريهم ونسائهم. وذكروا أنّ المعادن لهم فى بلادهم وأنهم لا يأذنون للمسلمين فى دخولها، وأنّ ذلك أوحش المسلمين الذين كانوا يعملون هناك حتّى انصرفوا عنه، فانقطع ما كان يؤخذ للسلطان بحقّ الخمس الذى كان يُستخرج من المعادن.

فلما بلغ ذلك المتوكّل أحفظه، وشاور فى أمر البُجّة فأنهى إليه أنّهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية، وأنّ الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن أن تسلك إليهم الجيوش لأنّها معاوز وصحار، وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر فى أرض قفر وجبال وعرة لا ماء فيها ولا زرع ولا معقل ولا حصن، وأنّ من يدخلها من أولياء السلطان [336] يحتاج أن يتزوّد لجميع من معه المدة التى يتوقّف أنّه يقيمها فى بلادهم حتّى يخرج إلى أرض الإسلام. فإن تجاوز تلك المدة هلك وجمع من معه وأخذتهم البُجّة بالأيدي دون المحاربة، وأنّ أرضهم لا تردّ على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره.

فأمسك المتوكّل عن التوجّيه إليهم وجعل أمرهم يتزيّد وحربهم يكثر حتّى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم. فولّى المتوكّل محمد بن عبد الله القسى محاربهم وولّاه معادن تلك الكور، وتقدّم إليه فى

محاربة البجّة وكتب إلى عنبسة بن إسحاق الضبيّ العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والساكبة بمصر. فأزاح عنبسة علته في ذلك، وخرج إليه من جميع ما اقترحه عليه. وانضمّ إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المطوّعة، وكانت عدّة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موفّرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوماً من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتّى يوافوه في سواحل البحر [337] من أرض البجّة.

ولم يزل محمد بن عبد الله القميّ يسير في أرض البجّة حتّى جاوز المعادن التي يحمل فيها وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم واسمه : علي بابا، وله ابن يُسمّى بغسي^(١) في جيش كثير وعدد أضعاف من كان مع القميّ وكانت البجّة على إيلهم ومعهم الحراب وإيلهم فُرّه تشبه المهارى في النجابة. فجعلوا يلتقون أياماً متوالية فيتناوشون ولا يصحّحون القتال.

وجعل ملك البجّة يتطارد للقميّ ويطول الأيام طمعاً في نفاذ الأزواد والعلوفة التي معهم فلا يكون لهم قوّة، فتأخذهم البجّة بالأيدي. فلما توهم عظيم البجّة أنّ الأزواد قد نفدت أقبلت المراكب السبعة التي حملها القميّ حتّى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يُعرف بصنجة فوجه القميّ إلى ما هناك من أصحابه يحمون المراكب من البجّة وفرّق ما كان فيها على أصحابه فأتسعوا في الزاد والعلوفة.

فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجّة قصد لمعاربتهم وجمع لهم فالتقوا

١. كذا في الأصل بغسي. في تد (٥٥٠) : بغسي وفي الطبري (١١ ١٤٣١) : ليس.

واقْتتلوا قتالاً شديداً وكانت إيلهم ذِعيرةً تكثر الفزع من كلِّ شيءٍ. فلَمَّا رأى ذلك محمد بن عبد الله القمّي جمع أجراس الإيل [338] والخيّل، التي في معسكره كلّها فجعلها في أعناق الخيّل ثمّ حمل على البُجّة فنفرت إيلهم واشتدّ رعيهم فحملتهم على الجبال والأودية فمزّقتهم كلّ ممزّقة، واتبعهم القمّي بأصحابه قتلاً وأسرّاً حتّى غشاهم الليل ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم. فلَمَّا أصبح القمّي وجدهم قد جمعوا جمعاً من الرّجاله ثمّ صاروا إلى موضع آمنوا فيه طلب القمّي.

فوافاهم القمّي في الليل في خيله فهرب ملكهم وأخذ تاجه ومتاعه ثمّ طلب الأمان على أن يُردّ إلى بلاده ويؤدّي الخراج للسنين التي عليه. فأعطاه القمّي ذلك وأدى ما عليه واستخلف على مملكته ابنه بغسي.

وانصرف القمّي بعلى بابا إلى المتوكّل فوصل إليه في آخر سنة إحدى وأربعين فكانت غيبته دون سنة.

وكسا القمّي على بابا درّاعة ديباج وعمّامة سوداء وكسا جملة رجاله مدبّجاً وجلال ديباج ليميّز عن أصحابه، ووقف بباب العائمة مع قوم من البُجّة على الإيل بالحراّب وفي رؤوس حرايهم رؤوس القوم الذين قتلهم القمّي. فأمر المتوكّل أن يُقبضوا من القمّي.

ثمّ ولّى المتوكّل البُجّة وطريق ما بين مصر ومكّة سعداً الحسّاد [339] الإيتاحي. فولّى سعد محمد بن عبد الله القمّي، فخرج القمّي بعلى بابا وهو مقيم على دينه.

ودخلت سنة اثنتين وأربعين

وثلاثة وأربعين [ومائتين]

ولم يجر فيهما ما يُكتب.

ودخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

وفيهما دخل المتوكل دمشق وكان عزم على المقام بها، ووُصف له من فضائلها وطيبها ما شوقه إليها. فأمر بالبناء فيها ونقل دواوين الملك إليها ثم استوبأ البلد وذلك أن الهواء بها بارد ندي^(١)، والماء ثقل والريح تهب مع العصر، فلا تزال تشتد حتى تمضي عامة الليل، وهي كثيرة البراغيث، وغلت الأسعار وحال^(٢) الثلج بين السابلة والميرة وتحركت الأتراك يطلبون أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم.

فرجع المتوكل إلى سُر من رأى وكان مقامه بدمشق شهرين وأياماً.

ودخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

وفيهما أمر المتوكل ببناء الجعفرى وأقطع قواده وأصحابه فيها وجد في بنائها وأنفق عليها ألفى دينار، وكان يسميها هو وأصحابه المتوكلية. وفيها كان هلاك [340] نجاح بن سلمة الكاتب.

ذكر سبب هلاكه

كان نجاح إليه ديوان التوقيع والتبج على المال فكان المسأل. يستقونه ويقضون حوائجه ولا يمنعونه من شيء يريد. وكان المتوكل ربحاً نادماً وكان عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل والأمور مفوضة إليه، وكان الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك منقطعين إلى الوزير، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع وموسى على ديوان الخراج.

١. وصبط ما في الأصل وأ. وت. ندي. فصحتنا لضبط كما في الطبري (١٤٣٦، ١١)

٢. كذا في الأصل و. ومط. وت. حال. وفي الطبري (١٤٣٦، ١١) حل.

وكتب نجاح بن سلمة رقعة إلى المتوكل يذكر له، أنه يعرف وجه أربعين ألف ألف درهم يستخرجها من وجوها من خيانات^(١) قوم، فيتسع بها أمير المؤمنين في نفقة البناء. فأدناه المتوكل وشاربه تلك العشية وقال :

- «سم لي من تستخرج منه الأموال»-

فسقى الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك وقال :

- «يصح من جهة هذين أربعون ألف ألف درهم»-

ثم سمى قوماً آخرين من الكتاب وضمن مالا عظيماً يصح بعد ذلك منهم. فوقع ذلك من المتوكل موقعا عظيماً وأعجبه وقال له :

- «أخذ علي»-

فلما أصبح لم يشك في أمره.

ونظر المتوكل عبید الله بن يحيى وزيره في ذلك فقال :

- «يا أمير المؤمنين هؤلاء أعيان المملكة وكتابك وعمالك، فإن أوقعت بهم فمن يقوم بأعمالك وأنا أدبر [341] ذلك»-

فلما غدا نجاح إلى المتوكل وقد رتب أصحابه وقال : «يا فلان خذ أنت الحسن وأصحابه ويا فلان خذ أنت موسى وأصحابه» حجه عبید الله وتقدم في ذلك فلقى، نجاح عبید الله فقال له :

- «انصرف يا أبا الفضل حتى تنظر وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح»-

فقال : «ما هو؟»

قال : «أصلح بينك وبينهما وتكتب رقعة إلى أمير المؤمنين تذكر فيها أنك كنت شارباً وأنت تكلمت بما يحتاج إلى معاودة النظر فيها، وأنا أصلح أمرك عند المتوكل»-

١. كذا في الأصل : خيانات في آ : جنایات. في قد (٥٥٢) ومط : جبايات. والعبارة في الطبري (١٤٤١:١١) : يذكر أنهما قد خانا وقصرا-

فلم يزل يخذعه حتى كتب ما قال. ثم دعا عبيد الله الحسن بن مغلد وموسى بن عبد الملك وقال لهما :

- «ابذلا خطأ في نجاح وأصحابه بألفي ألف دينار، وإلا فإنه سيلكمما إليه ويهلككما.»

فكتبها له ذلك ودخل عبيد الله على المتوكل وقال :

- «يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عتاً قاله البارحة وهذا خطه وهذه رقعة موسى بن الحسن يتقبلان به ممّا بذلا به خطوطهما فتأخذ ما ضمنا عنه ثم تعطف عليهما فتأخذ قريباً ممّا ضمن لك عنهما.»

فسرّ المتوكل وطمع فيما قال عبيد الله وقال :

- «أدفعه إليهما.»

فأمرا بأن تؤخذ قلنسوته. وقبضا على كتابه فاستخرجا من يومهما ذلك مائة وأربعين ألف دينار اعترف بها [342] ابنه. وذلك سوى قيمة ضياعه وقصوره وفرشه ومستغلاته وآلاته. فقبض جميع ذلك وضرب مراراً بالمقارع وعذّب ثم خنق أو عصرت خضاه فأصبح ميتاً. وطولب أولاده ووكلأؤه، وأخذ بسببه قوم ينفذاد وبسرّ من رأى وبمكة وبناحية السواد فحبسوا وصودروا.^(١)

ثم دخلت سنة ست^(٢) وأربعين ومائتين

ولم يجر فيها شيء يُكتب.

١. انظر الطبري (١١: ١٣٤٨).

٢. في الطبري (١١: ١٤٥٢) : ثلاثين. وهو سهو.

ودخلت سنة سبع وأربعين ومائتين
وفيهما كان مقتل المتوكل على الله
ذكر السبب في قتله

كان سبب ذلك أنَّ المتوكل أمر بقبض ضياع وصيف بإصيهان والجبل
وأقطعها الفتح بن خاقان، فكتب الكتب بذلك وبلغ ذلك وصيفاً.
وكان المتوكل واقف العتق بن خاقان على أن يفتك بابنه المنتصر لأشياء
كانت تبلغه عنه ويفتك أيضاً بوصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ممن
كان يُتهم فكثير عتب المتوكل قبل الموعد على ابنه المنتصر، كان يقول له :
« سُميتك : المنتصر، فسَمَّاك الناس لحققك : المنتظر. »

فمرة كان يشتبه ومرة يسقيه فوق طاقتة ومرة يصفه.
فتحدث بعض من كان [343] في ستارة المتوكل قالت : التفت المتوكل إلى
الفتح وهو لعل فقال :
« برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله إن لم تلطمه. » - يعني
المنتصر.

فقام الفتح فلطمه. ثم قال :

« اصطعحه »

فأمر يده على قفاه.

ثم قال المتوكل لندمائه :

« اشهدوا جميعاً أنني قد خلعت المستعجل » - يعني المنتصر.

فقال المنتصر^(١) :

١. كذا في أ ومط وند (٥٥٥) والطبري (١٤٥٧، ١١) المنتصر. في الأصل «الفتح» المصغر إلى
«المتصر» في كلمة واحدة، بحيث يُقرأ كلاهما على حدة ووضوح.

- «يا أمير المؤمنين لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ ممّا تفعله

بي.»

فقال : «أسقوه.»

وأمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل فجعل يأكل هو والفتح وهو
سكران يلقم ويسقي المنتصر وهو يشتمه.

ثم خرج المنتصر وأخذ بيد زُرّافة الحاجب وقال :

- «امض معي.»

قال : «يا سيّدي، إنّ أمير المؤمنين لم يقم بعد.»

فقال : «إنّ أمير المؤمنين قد أخذ منه الشراب، والساعة يخرج بغا
والندماء، وقد أحببتُ أن تجعل أمر ولدك إليّ فإنّ أوتامش سألمى أن أزوّج
ابنه من ابنتك وابنتك من ابنته.»

قال له زُرّافة :

- «نحن عبيدك يا سيّدي فمر بأمرك.»

وأخذ المنتصر بيده وانصرف به معه فقال بُنّان المغنّى^(١) :

فما بُعد المنتصر حتى سمعنا الضجّة والصراخ وكنت مع المنتصر قد قمت

لأشهد الأملاك والنفار.

فلما سمع المنتصر الصراخ خرج فاستقبله بغا فقال له المنتصر :

- «ما هذه الضجّة.»

قال : [344]

- «خير يا أمير المؤمنين.»

قال : «ما تقول ويلك ؟»

قال: «أعظم الله أجرك في سئدنا أمير المؤمنين. كان عبداً لله دعاه فأجابه.»

فجلس المنتصر وأمر بباب البيت الذي قُتل فيه المتوكل والمجلس فأغلق وغلقت الأبواب كلها وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتز والمؤيد عن رسالة المتوكل.

فذكر عثت أن المتوكل بعد قيام المنتصر استدعى رطلاً وكان بُغا الصغير المعروف بالشرابي قائماً عند الستر وبُغا الكبير يومئذ بسُمتِساط وخليفه موسى ابنة فدخل بُغا الصغير وأمر الندماء بالإنصراف إلى حجرهم. فقال له الفتح:

- «لَسَ هَذَا وَقْتُ انْصِرَافِهِ.»

فقال بُغا:

- «إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي إِذَا جَاوَزَ السَّعَةِ أَرْطَالُ الْآ أَتْرَكَ أَحَدًا فِي الْمَجْلِسِ، وَقَدْ جَاوَزَ الْعَشْرَةَ.»

فكره الفتح قيامهم. فقال له بُغا:

- «إِنَّ حُرْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَلْفَ السَّتَارَةِ وَقَدْ سَكَرَ، فَقَوْمُوا فَأَخْرِجُوا.»
فقاموا ولم يبق إلا عثت والفتح وأربعة من خدم الخاصّة وغلق بُغا الصغير الأبواب كلها إلا باب الشطّ ومنه دخل القوم الذين وقفوا^(١) على قتله فلما دخل القوم وسلّوا سيوفهم نظر إليهم عثت فقال المتوكل:

- «قَدْ فَرَغْنَا مِنَ الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ وَالْأَسَدِ وَصَرْنَا إِلَى السَّيُوفِ.» [345]
وذلك أن المتوكل كان ربّما أرسل هذه الأشياء على ندمائه ليفترعهم ويضحك هو. فلما ذكر عثت السيوف قال:

١. كذا في الأصل: ووقفوا في أ رط: وقفوا. في تد (٥٥٧): ووقفوا (يتقدم الفاء) في الطبري (١٤٥٩-١١): عَنُوا لقتله.

«ويلك ما تقول أيّ سيف؟»

فما استتمّ كلامه حتّى دخلوا عليه، فابتدروا بقلوبهم فضربه ضربة على كتفيه وأذنه فقدّه، فقام الفتح فى وجهه ووجوه القوم وقال :

«وراءكم يا كلاب.»

فقال له بُعا :

«لا^(١) تسكت يا جلفى^(٢).»

فرمى الفتح بنفسه على المتوكل، فاعتوره القوم بسيوفهم فقتلوهما معاً وقطعوهما حتّى اختلطت لحومهما. وهرب عثت بعد ما أصابته ضربة ونجا الخدم وراء الستارة وتظاهروا وكان عبّيد الله بن يحيى فى حجرته لا يعلم بشئ من أمر القوم وهو ينفذ الأمور بالشموخ.

وذكر أنّ بعض نساء الأتراك ألقت رقعة بما عزم عليه القوم فوصلت إلى عبّيد الله بن يحيى وشاور الفتح فيها وعرف الخير أيضاً أبو نوح كاتب الفتح واتفق رأيهم على كتمان المتوكل يومهم ذلك لما كانوا رأوا من سروره فكرهوا أن ينقصوا يومه، وهان عليهم أمر القوم، وكانوا وثقوا بأنّ ذلك لا يُجسر عليه ولا يتمّ. فبينما عبّيد الله ينفذ الأمور إذ طلع عليه بعض الخدم فقال :

«يا سيّدى أنت ما [346] جلوسك؟»

قال : «وما ذاك؟»

قال : «الدار سيف واحد.»

فأمر بعض خدمه بالخروج. فخرج ونظر، ثمّ عاد فأخبره أنّ المتوكل والفتح قد قُتلا فخرج فى من معه من خدمه وخاصّته. فأحبر أنّ الأبواب

١. فى الأصل وآ ومط والطبرى (١١: ١٤٦) : لا تسكت. فى تد (٥٥٦) - ألا تسكت.

٢. كذا فى الأصل وآ ومط : يا خلتى. فى تد (٥٥٦) والطبرى (١١: ١٤٦) : يا جلفى

مغلقة، فأخذ نحو الشطّ فإذا أبوابه أيضاً مغلقة، فأمر بكسر ما كان يلي الشطّ فكُسرت ثلاثة أبواب حتى خرج إلى الشطّ ووجد زورقاً، فقعده فيه ومعه جعفر بن حامد وغلّام له. فصار إلى منزل الممترّ فسأل عنه فلم يصادفه فقال :

- «إنا لله وإنا إليه راجعون قتلني وقتل نفسه.»

وتلّاه عليه.

واجتمع إلى عبيد الله أصحابه غداة غدٍ من الأبناء والعجم والأرمن^(١) والزواقل من الأعراب وغيرهم وقد اختلف في عدّتهم. فقال بعضهم كانوا عشرة آلاف، وزاد بعضهم ونقص بعض. فقالوا :

- «إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم فأمر بأمرك وأذن لنا نيل على القوم ميّلة فنقتل المنتصر ومن معه من الأتراك وغيرهم.»

فأبى وقال :

- «ليس في هذا حيلة، والرجل في أيديهم.» - يعني الممترّ.

وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وكان أسير نحيفاً حسن المينين خفيف العارضين.

١ في مط . والأرمن آ ومط و (٥٥٧) كالأصل . والأرمن .

خلافة محمد بن جعفر المنتصر

وبويع للمنتصر يوم الأربعاء لأربع حلون من شوال وهو ابن خمس وعشرين سنة. ^(١) [347]

واستوزر أحمد بن الخصيب وهو الذي قرأ على الناس كتاباً، فختّر ^(٢) عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفر المثلوك فقتله به وحضر ^(٣) عبيد الله بن الفتح بن خاقان فبايع وانصرف.

ودخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين
وفيهما أغزى المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب وبين وصيف شحنا ^(٤)
وتباغض، فأشار على المنتصر بإخراجه غازياً. فقال المنتصر :
« انذرن لمن حضر الدار ؟ »

١. انظر الطبري (١٤٧١ ١٢).

٢. كذا في الأصل ومط فختّر في أ بخير في ج (٥٥٧) بخير

٣. في مط : حضر (بالصاد المهملة)

٤. في مط - شحنا (دون الهجزة)

فأذن لهم، وفيهم وصيف. فأقبل عليه وقال :

« يا وصيف أتنا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور، وهذا أمر لا يمكن أن يحسبك عنه، فإما شخصت وإما شخصت. »
فقال وصيف :

« بل أشخصُ يا أمير المؤمنين. »

فقال لأحمد بن الخصيب :

« انظر ما تحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له. »

قال : « نعم يا أمير المؤمنين. »

قال : « ما معنى نعم، قم الساعة يا وصيف ومُر كاتبك أن يواقفه ^(١) على جميع ما يحتاج إليه حتى تُريح علته. »

فقام أحمد ووصيف حتى خرج فما أفلح ^(٢).

وكتب المنتصر [348] كتاباً إلى محمد بن عبيد الله بن طاهر وكان ببغداد منصرفاً من الحج يُعزِّفه فيه إغزائه وصيماً ويعلمه أنه خارج إلى ثغر ملطية للنصف من حزيران ويأمره أن يكاتب عماله في نواحي عمله، ليقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلهم ويحثهم على الجهاد ويستفزهم ويلحقهم به في الوقت المحدود.

ثم كُتب عن المنتصر كتاب إلى وصيف يأمره بالمقام ببلد الثغر أربع سنين يغزو في أوقات إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين.

خلق المعتز والمؤيد أنفسهما

وفي هذه السنة خلق المعتز والمؤيد أنفسهما وأظهرا ذلك.

١. في الطبري (١٤٨١:١٢) : أن يواقفه

٢. في الطبري (١٤٨١:١٢) : فما أفلح ولا أنجح.

ذكر سبب خلعهما

لَمَّا اسْتَقَامَت الْأُمُورُ لِلْمُنْتَصِرِ بِاللهِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ لِبُنَا :
 - «إِنَّا لَا نَأْمَنُ الْحَدَثَانِ، وَأَنْ يَمُوتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُلَى الْأَمْرَ الْمُعْتَزُّ فَلَا
 يَبْقَى مَتَا بَاقِيَةٍ. وَالرَّأْيُ أَنْ نَعْمَلَ فِي خَلْعِ هَذَيْنِ الْغَلَامِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْفِرَا بِنَا.»
 فَجَدَّ الْأَثْرَاكُ فِي ذَلِكَ وَأَلْحَوْا عَلَى الْمُنْتَصِرِ بِاللهِ وَقَالُوا :
 - «نَخْلَعُ هَذَيْنِ وَنَبَايِعُ لَابْنِكَ عَهْدَ الْوَهَابِ.»
 وَكَانَ مَكْرَمًا لِلْمُؤَيَّدِ وَالْمُعْتَزِّ. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَحْضَرَهُمَا الدَّارَ، وَذَلِكَ
 بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ وِلَايَتِهِ. فَلَمَّا حَصَلَ فِي [349] دَارٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الدَّارِ قَالَ
 الْمُعْتَزُّ لِلْمُؤَيَّدِ :

- «يَا أَخِي لِمَ أَحْضَرْنَا؟»

قَالَ : «يَا شَقِيٍّ لِلْخَلْعِ.»

فَقَالَ : «لَا أَظُنُّهُ يَفْعَلُ بِنَا ذَلِكَ.»

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُمُ الرِّسْلُ بِالْخَلْعِ.

فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ :

- «السَّمْعُ وَالْطَّاعَةُ.»

وَقَالَ الْمُعْتَزُّ :

- «مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ. فَإِنْ أَرَدْتُمْ قَتْلِي فَشَأْنُكُمْ.»

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ فَأُخْبِرُوهُ. ثُمَّ عَادُوا بِغِلْظَةٍ شَدِيدَةٍ وَأَخَذُوا الْمُعْتَزَّ بِعُنْفٍ
 وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتٍ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُمُ الْمُؤَيَّدُ بِجَرَأَةٍ وَاسْتِطَالَةٍ :

- «مَا هَذَا يَا كِلَابَ قَدْ ضَرَبْتُمْ عَلَيَّ دِمَائِنَا، تَتَبَوْنَ عَلَيَّ مَوَالِيَكُمْ هَذَا

الْوُثُوبُ، اغْرِبُوا قَبْحَكُمْ اللهُ، دَعُونِي حَتَّى أَكَلِمَهُ.»

فَكَاعُوا عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالُوا :

«إفقه إن أحببت.» - فيظن أنهم اسأمروه لأنهم أقاموا ساعة ثم أذنوا له .
فقام إليه .

قال المؤيد : فوجدته يبكي فقلت :

«يا جاهل، تراهم قد نالوا من أبيك ما نالوا ثم تمتنع^(١) إخلع ويلك.»

فقال : «سبحان الله أمر قد طار في الآفاق ووثق منه. أخلعه؟»

قلت : «هذا قد قتل أباك وسيقتلك، فاخلعه وعش، فوالله لئن كان فسي

سابق علم الله أن تلي كتمان.»

قال : «أفعل.»

فخرجت وقلت :

«قد أجاب.»

فمضوا وعادوا فجزوني خيراً. ودخل معهم كاتب ومعه دواة وقرطاس.

فجلس ثم أقبل على أبي عهد الله [350] الممتر، فقال :

«اكتب بخطك.»

فتلكأ، فقال المؤيد للكاتب :

«هات قرطاسك، أملل ما شئت.»

فأمل عليه كتاباً للمتضرر يعلمه فيه ضعفه عن هذا الأمر. وأنه قد علم أنه

لا يحل له تقلده، ويكره أن يأثم المستوكل بسببه، إذ لم يكن موضعاً له

ويقول : «إني قد حلعت نفسي وأحللت الناس من بيعتي.»

ثم قال المؤيد :

«اكتب يا أبا عهد لله.»

فكتب وخرج الكاتب.

١. وراد في الطبري (١٢: ١٤٨٧) : علمهم.

قال المؤيد: ثم دعا بنا، فدخلنا عليه وهو في مجلسه والناس على مراتبهم، فسلمنا فرد علينا وأمر بالجلوس ثم قال:

- «هذا كتابكما».

فبدرت وقلت:

- «نعم يا أمير المؤمنين هذا كتابي بمسألتى ورغبتى».

وقلت للمعتز:

- «تكلم».

فقال مثل ذلك، فأقبل علينا والأترار وقوف، فقال:

- «أتريناني خلعتكما طمعاً في أن أعيش ويكر ولدی وأصير الخلافة إليه؟ والله ما طمعت في ذلك قط وإذا لم يكن لي في ذلك طمع فوالله لأن يلى بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمي ولكن هؤلاء - وأوماً إلى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد - ألحقوا علي في حلمكما فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بعددة. فما ترياني صانعاً؟ أقتله فوالله ما تلى دماؤهم كلهم بدم بعضكم فإن إجابتهم إلى ما سألوا [351] أسهل علي».

فأكتبنا على يده بقبلاها وضحهما إليه، ثم انصرفا.

وكتب بنسخة خلعهما وبما أنشئ عن المنتصر بالله في ذلك كتب إلى العمال في الآفاق:

وفي هذه السنة توفي المنتصر بالله.

ذكر وفاة المنتصر وسرعة الإدالة منه

قد اختلف الناس في وفاته. فقال قوم أصابته الذبحة. وقال آخرون أصابه ورم في معدته وقال آخرون فُصد بمهض مسموم وأن طبيبه لَمَّا فُصده دهش

فلم يُخَيَّرَ^(١) مبضعه المسموم. ثم اعتلّ هو ققصده تلميذه به فمات. وقيل
وُجد علّة في رأسه ففطر طبيبه ابن طيفور في أذنه دهناً، فورم رأسه ففولج
فمات.

ولم يزل الناس منذ ولى الخلافة وإلى أن مات يقولون :
إنما مدّة حياته ستة أشهر مدّة شيروية بن كسرى قاتل أبيه. « مستفيضاً
ذلك على السن العامة والخاصة.

وكان المنتصر استفتى في قتل أبيه الفقهاء من غير أن يُسمّيه، وحكى
أموراً قبيحة لا تُكتب في كتاب^(٢)، فأفتوا بقتله.
فلما قتله رآه في النوم وكأنه يقول :

- «ويلك يا محمد، قتلتنى وظلمتنى، والله لا تمتعت بالخلافة إلا أثمّاً
يسيرة، ثم مصيرك إلى النار.»

فأنابه وهو لا [352] يملك عينه ولا جزعه، فكان يُسَلّى ويقال له :
- «هذا استنعار وهو حديث النفس.»

فلا يسلو، وما زال منكسراً إلى أن توفي.

ولما اشتدّت علته خرجت العامة فسألته عن حاله، فقال :

- «ذهبت والله منى الدنيا والآخرة.»

وتوفى وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر. فكانت خلافته ستة
أشهر.

وكان أعين قصيراً جيّد البضعة، وكان مهيباً. وطلبت أمّه أن يُظهر قبره.
فهو أول خليفة من بنى العباس عُرف قبره، وكنيته أبو جعفر.

ومن طريق ما اتفق عليه أنّ محمد بن هارون كاتب محمد بن على برد

١. انظر الطبري (١٤٩٦:١٢).

٢. انظر الطبري (١٤٩٦:١٢)، حيث استضحت ولم تُذكر تلك الأمور

الخيار^(١)، وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد أصيب مقتولاً على فراشه، به عدة ضربات بالسيف. أحضر ولده خادماً أسود كان له، ووصيماً. فأقر الوصيف على الأسود فأدخل إلى المنتصر وأحضر قاضي القضاة وهو يومئذ جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، فستل الأسود عن قتله فأقر ووصف فعله به وسبب قتله إياه. فقال له المنتصر:

«ويلك لِمَ قتلته؟»

فقال له الأسود:

«كما قتلت أباك المتوكل.»

فتقدم بضرب عنقه عند خشية بابه.

وفي هذه السنة تحرك يعقوب الصفار من سجستان [353] فصار إلى هراة.

١ الكلمتان مهملتان في الأصل فأعجمناهما حسب ما في (٥٦١) وفيها بن برد الخيار. في الطبري (١٤٩٩١٢) برد الخيار وفي حواشيه تصحيحات متناقضة.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

خلافة أبي العباس المستعين

وفيهما يُوبع أحمد بن محمد بن المعتصم.

ذكر السبب فيبيعة المستعين

والعدول عن وَلَدِ المتوَكِّل

لَمَّا تَوَفَّى المنتصر اجتمع الموالي وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش ومن معهم. فاستحلفوا جميع القواد على أن يرضوا بمن رضى به بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الغصيب. فحلفوا كلهم وتشاوروا بينهم وكرهوا أن يتولَّى الخلافة أحد من ولد المتوَكِّل، لقتلهم المتوَكِّل وخوفهم أن يقتلهم من يتولَّى الخلافة منهم فأجمع أحمد بن الغصيب ومن حضر من الموالي على أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا:

« لا نُخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم. »

فبايعوه وله ثمان عشرة سنة، وتكنى أبا العباس، وأُقب - المستعين بالله فاستكتب أحمد بن الغصيب^(١) واستوزر أوتامش.

فلما صار إلى دار العامة في زى الخلافة وقد صف أصحابه صفين وقام منهم مع وجوه أصحابه وحضر الدار ولد المتوكل والعباسيون والطلبون وأصحاب المراتب، إذا صحبة من ناحية الشارع وجماعة من الفرسان، ذكر أنهم من أصحاب أبى العباس محمد بن عبد الله بن طاهر، [354] وفيهم فرسان من الطبرية وأخلاط من الناس والفوغاء والسوقة، قد شهروا السلاح وصاحوا:

- «معتز يا منصور» -

وشدوا فتضعضوا^(١) وانضم بعضهم إلى بعض، ثم حملوا عليهم وشببت الحرب بينهم، وأقبلت المعتزية والفوغاء يكترون، فوقع بينهم قتلى، ثم تحاجزوا.

وخرج المستعين - وقد بايعه من حضر الدار من أصحاب المراتب - إلى الهاروني ودخل الفوغاء والمنتبهة دار العامة، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والسيوف النفرية والتراس الخيزران، ثم جاءهم جماعة من الأتراك فيهم بغا الصخير فأجلوهم من الخزانة وقتلوا منهم عدة وخرج العامة والفوغاء وكان لا يمر بهم أحد من الأتراك يريد باب العامة إلا انتهبوا سلاحه وقتلوا جماعة منهم.

وكان عامة من انتهب أصحاب الناطف والفقاع وأصحاب الحمامات وغوغاء الأسواق.

ثم وضع العطاء في ذلك اليوم الذي يبيع فيه وبعت بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فبعت إلى الهاشميين والقواد والجند ووضع الأرزاق.

١ في مط مطططوا آ توافق الأصل ما في تد بالصادين المهملتين.

وورد في هذه السنة نعي طاهر بن عبد الله [355] بخراسان في رجب، فعقد المستعين لابنه أبي عبد الله محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر علي خراسان، وعقد لمحمد بن عبد الله بن طاهر عمه علي العراق وجعل إليه الحرس والشرطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به.

وفيها مات بها الكبير فعقد المستعين لابنه علي أعمال أبيه كلها واسمه موسى.

ولها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع مالهما من الدور والمنازل والقصور والفرش والآلة وغير ذلك من الضياع والعقار وأشهد عليهما القضاة والعدول ووجوه الهاشميين، وترك لأبي عبد الله المعتز قيمة عشرين ألف دينار، ولإبراهيم المؤيد ما قيمته خمسة آلاف دينار وذلك في السنة الواحدة. فكان ما ابتاع من أبي عبد الله عشرة آلاف ألف^(١) دينار وعشر حبات لؤلؤ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف دينار وثلاث حبات لؤلؤ. وكان الشراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ووكل بهما وجعل أمرهما إلى بها الصغير، وكان الأتراك قد أرادوا حين شغب الشاكرية والغوغاء قتلها، فمنعهم أحمد بن الخصيب وقال: ليس لهما ذنب.

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب فاستُصفي ماله ومال [356] ولده ونُفي إلى أقرطش، وصير المستعين شاهك الخادم على داره وكراعته وحرمة وخزائنه وحاض أموره، وقدمه أوتامش على جميع الناس.

١ كد. في الأصل والطبري (١٥٠٧١٢) - آلاف ألف. وكذلك ما بعده في تد (٥٦٤ - ٥٦٣).

آلاف. وكذلك ما بعده

ودخلت سنة تسع وأربعين ومائتين
وفيهما شغب الجند والشاكرية
ذكر السبب في شغبهم

كان السبب في ذلك أَنَّ جعفر بن دينار كان غزا الصائفة، فاستأذنه عمر بن عبید الله الأقطع في المصير إلى ناحية من الروم ومعه خلق كثير من الروم نحو مائة ألف. فقتل عمر ومَن معه من المسلمين وبلغ خبر مقتله على بن يحيى الأرمني وسمع بما جرى على حرم المسلمين من الروم واستكلاهم على الثغور الخزرية بعد عمر فنفر إليهم مع جماعة من أهل ميثافارقين، فقتل أيضاً في جماعة من المسلمين.

فلَمَّا اتصل خبرهما بأهل مدينة السلام وشَرَّ من رأى وسائر مدن الإسلام، فعظم عليهم مقتل هذين وهما نابان من أنياب المسلمين، شديد بأسهما عظيم نكايتهما وغناؤهما في الثغور، فشَقَّ على الناس ذلك [357] وعظم في الصدور وانضاف إلى ذلك ما لحقهم من الأتراك وفي قتلهم المستوكل واستيلائهم على أمور المسلمين وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء واستغلافهم من أحبوا استعلاعه من غير رجوع منهم إلى ديانة ولا نظير للمسلمين.

فأجمعت العامة ببعداد بالصراخ والنداء بالنفر، وانضمت إليها الأبناء والشاكرية، تُظهر أنها تطلب الأرزاق، ففتحوا السجون وأخرجوا رفوع^(١) خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحجرة وغيرهم، وقسطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار، وانتهبت الدواوين وقُطعت الدعائر وألقيت في

١ ما في الأصل رفوع (بالعين المهملة)، في ٥٦٥) والطبري (١٢: ١٥١٠) رفوع الرفيع
سعة العيش وطيبه

الماء وانتهب عدّة دور. ثم أخرج أهل اليسار من أهل بغداد وسرّ من رأى أموالاً كثيرة من أموالهم. فهُوُوا من خفّ للنهوض إلى النخور لحرب الروم، وأقبل الناس من كلّ ناحية من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها ولم يكن من السلطان فيه معونة ولا نكير^(١) على الروم.

ووثب العامة بسرّ من رأى على أصحاب السجون فأخرجوا من فيها فأركب زرافة ووصيف وأوتامش فوثبت العامة بهم فهرمتهم وألقى على وصيف [358] قدر مطبوحة فأمر وصيف النفاطين فرموا ما قرب من ذلك الموضع من حوائث التجار ومنازل الناس بالنار فاحترق ذلك كلّه وقُتل من العامة خلق وانتهت دور جماعة منهم.

وفي هذه السنة قتل أوتامش وكاتبه شجاع

ذكر السبب في قتلها

لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلاَفَةُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ أَطْلَقَ يَدَ أَوْتَامَشَ وَشَاهَكَ الْخَادِمَ فِي بَيْتِ الْأَمْوَالِ وَأَبَاحَ لَهَا إِيَّاهَا. وَفَعَلَ ذَلِكَ أَيْضاً بِأَمِّ نَفْسِهِ، فَكَانَتِ الْأَمْوَالُ الَّتِي تَرَدُّ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الْآفَاقِ إِنَّمَا تَصِيرُ إِلَى هَؤُلَاءِ.

فَأَمَّا أَوْتَامَشُ فَأَنَّهُ صَعِدَ إِلَى مَا فِي بَيْتِ الْأَمْوَالِ فَاسْتَسْعَى. وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ يَجْعَلُ ابْنَهُ الْعَبَّاسَ فِي حِجْرِ أَوْتَامَشَ وَكَانَ وَصِيفٌ وَبِغَا مِنْ ذَلِكَ بِمَعزِلٍ فَأَغْرَبَا الْمَوَالِي بِهِ وَلَمْ يَزَالَا يَدْبِرَانِ الْأَمْرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَحْكَمَا التَّدْبِيرَ. فَتَذَمَّرَتِ الْأَتْرَافُ وَالْفَرَاغَةُ عَلَى أَوْتَامَشَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدُّورِ وَالْكَرْخِ إِلَى الْمَعْسَكِ، ثُمَّ زَحَفُوا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْجَوْسِقِ مَعَ الْمُسْتَعِينِ، فَأَرَادَ الْهَرَبَ فَلَمْ يُمْكِنَهُ وَاسْتَجَارَ بِالْمُسْتَعِينِ فَلَمْ يُجْرِهِ. فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ يَوْمِي [359]

١ كذا في الأصل وآ: نكير في تد (٦٥٤)، نكير في الطبري (١٥١١-١٢) تعبير وفي حواشيه:

الخميس والجمعة.

فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق فاستخرجوا أوتامش من الموضع الذي توارى فيه فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم وانتهت دورهم فأخذ منها أموال جلييلة ومتاع وفرش وآنية.

فلما قتل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ووليه عيسى بن فرخانشاه ثم غضب بها الصغير على أبي صالح ابن يزداد فهرب أبو صالح إلى بغداد، وصير المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجرائي^(١).

ودخلت سنة خمسين ومائتين

ظهر يحيى بن عمر في الكوفة وقتله فيها

وفيهما ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن ريد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المكنى بأبي الحسين بالكوفة وقتل فيها^(٢).

ذكر السبب في خروجه

كان السبب في ذلك أن أبا الحسين يحيى بن عمر نالته ضيقة شديدة، ولزمه دين ضاق به ذرعاً. فلقى عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبين عند مقدمه من خراسان [360] وكلمه في صليته. فأغلظ له عمر في القول. فغذفه يحيى في مجلسه فحبس فلم يزل محبوساً إلى أن كفل به أهله فأطلق. ثم صار إلى سر من رأى فلقى وصيفاً في رزق يجري له. فأغلظ له وصيف في

١. كذا في الأصل وآ وتد (٥٦٦) والطبري (١٥١٤:١٢) الجرجرائي في مطبوع الجرجاني

٢. انظر الطبري (١٥١٥:١٢).

الرد، وقال:

- «لأَيِّ شَيْءٍ يُجْرَى عَلَى مِثْلِكَ.»

فانصرف عنه.

فذكر الصوفي الطالبى أَنَّهُ أَتَاهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي خَرَجَ فِي صَبِيحَتِهَا، فَبَاتَ عِنْدَهُ وَلَمْ يُعْلِمِهِ بِشَيْءٍ مِمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَتَبَيَّنَ فِيهِ أَنَّهُ جَانِعٌ، فَأَمَّا أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ:

- «إِنْ عَشْنَا أَكَلْنَا.»

قَالَ: فَتَبَيَّنَتْ أَنَّهُ قَدْ عَزَمَ عَلَى فَتْكَةٍ. وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِي فَجَعَلَ وَجْهَهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَتَى الْفُلُوجَةَ فَصَارَ إِلَى قَرْيَةٍ تُدْرِكُ بِالْعَصَدِ. فَكَتَبَ صَاحِبُ الْخَبَرِ بِخَبَرِهِ.

فَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى مُعَاوَنِ السَّوَادِ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَحْمُودِ السَّرْخُوسِيِّ وَإِلَى عَامِلِ الْكُوفَةِ وَهُوَ أَيُّوبُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَأَمَرَهُمَا بِالاجْتِمَاعِ عَلَى مَحَارِبَتِهِ.

فَمَضَى يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ تَسْعَةَ نَفَرٍ مِنَ الْفَرَسَانِ إِلَى الْكُوفَةِ فَدَخَلَهَا وَصَارَ إِلَى بَيْتِ مَالِهَا، فَأَخَذَ مَا فِيهِ وَبِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا وَأَلْفًا دِينَارًا، وَأَظْهَرَ أَمْرَهُ بِالْكَوفَةِ [361] وَفَتَحَ السَّجُونَ وَأَخْرَجَ عَقَالَ السُّلْطَانِ عَنْهَا. فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَحْمُودٍ [وَكَانَ] فِي عِدَادٍ^(١) مِنَ الشَّاكِرِيَّةِ، فَضْرِبَهُ يَحْيَى عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةً أَثْخَنَهُ، فَأَنْهَرَمَ ابْنُ مَحْمُودٍ مَعَ أَصْحَابِهِ وَحَوَى يَحْيَى مَا كَانَ مَعَ ابْنِ مَحْمُودٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْمَالِ.

ثُمَّ خَرَجَ يَحْيَى مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى سَوَادِهَا وَلَمْ يَقَمْ بِالْكَوفَةِ وَلَحَقَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ وَأَعْرَابِ أَهْلِ الطُّفُوفِ وَالسَّيْبِ إِلَى ظَهْرِ وَاسِطٍ، وَكَثُرَ جَمْعُهُ. وَوَجَّهَ

١. كذا في الأصل وآ ومط والطبري (١٢: ١٥١٧): عداد. في عد (٥٦٧) - عباد

محمد بن عبد الله بن طاهر الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب وضم إليه من ذوى البأس والتجدة من قواده جماعة، وشخص الحسين بن إسماعيل فنزل بإزاء يحيى بن عمر لا يقدم عليه.

فمضى يحيى بن عمر فى شرقى السبب والحسين فى غربيه حتى عبر إلى ناحية سورا، وسار حتى قرب من جسر الكوفة، فلقى عبد الرحيم بن الخطّاب وجه الفلس، فقاتله قتالاً شديداً وانهزم وجه الفلس، فصار إلى ناحية شاهى ووافاه الحسين بن إسماعيل فسكر بها.

ودخل يحيى بن عمر الكوفة واجتمعت إليه الزيدية وكثف أمره واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبوه وتولّاه العامة من أهل بغداد خاصّة، ولا نعلم أنهم تولّوا من أهل [362] بيته غيره، وتدبّر الناس فى تشييعهم. وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهى واستراح وأراح أصحابه دوابهم واتصلت بهم الميرة والأمداد والأموال.

وأقام يحيى بالكوفة يمدّد العدد ويطبع السيوف ويجمع السلاح. فاجتمع عامة من الزيدية ممن لا علم لهم بالحرب وأشاروا على يحيى بن عمر بمعالجة الحسين وألحّت عليه عوامّ أصحابه بمثل ذلك، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ومعه الهيزم العجلى فى فرسان بنى عجل وأناس من بنى أسد ورجالة من أهل الكوفة ليسوا بذوى علم ولا شجاعة ولا تدبير،

فصيّحوا الحسين وأصحابه وأصحاب الحسين مستريحون مستعدّون. فثاروا إليهم وذلك فى الفلس، فرموا ساعة ثمّ حمل عليهم فرسان الحسين، فانهزموا، ووضع فيهم السيف. فكان أول أسير الهيزم بن العلاء بن حمهور العجلى، وانهزم رجالة أهل الكوفة وأكثرهم عراة بغير سلاح ضعفاء القوى خلقان التياب فداستهم الخيل وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر وقد تقطّر

به البرذون الذي أخذه من عبد الله بن محمود وعليه [363] جوشن تَبَيَّ. فوقف عليه ابنان لحالد بن عمران ولم يعرفه أحدهما وظنَّ أنه خراساني لأجل الجوشن فقال له الآخر:

« يا أخى هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبه وهو نازل ما يعرف القصة لانفراج قلبه. »

فأمرا رجلاً من أصحابهما فنزل إليه وأخذ رأسه وادّعى قتله جماعة، وحمل رأسه إلى دار محمد بن عبد الله وقد تعيّر. فطلبوا من يقرّ رأسه ويخرج الحذقة والغلصمة. فلم يقدرُوا عليه، وهرب الجرّارون وطلب من في السجن من الخزمية الذبّاحين من يفعل ذلك، فلم يقدم عليه أحد إلا رجل من عقّال السجن الجديد^(١) فإنه جاء فتولّى إخراج دماغه وعينه وقوّره وخشى بالصبر والكافور.

ثم أمر بحمل الرأس إلى المستمين وكتب إليه بيده بالفتح ونُصب رأسه بباب العامة بسُر من رأى. فاجتمع الناس وتذمّروا فحُطَّ ورُدَّ إلى بغداد لينصب هناك، فلم يتهتأ ذلك. وذكر لمحمد أن الناس قد كثروا واجتمعوا على أخذه فلم ينصبه.

فحكى بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر وهو يهتئ بقتل يحيى وبالفتح وعنده جماعة الهاشميين من [364] العباسيين والطالبين وغيرهم من الوجوه. فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفرى فسمعهم يهتئون، فقال:

« أيها الأمير، إنك لتهتأ بقتل رجل لو كان رسول الله، صلى الله عليه، حياً لعزّى به. »

١. في الأصل العديد فأثبتناه كما في تد (٥٦٦) والطبرى (١٥٢١)

فما ردّ عليه محمد شيئاً فحلّم عنه. فخرج وهو يقول :

يا بني طاهر كلّوه وبيّاً إنّ لخنم الثبّي غير مريّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين التركيّ مدداً للحسين ومستطهراً به، فلاحق حسينا بعد أن انهزم القوم وقتل يحيى بن عمر ولحق في طريقه قوماً معهم الأسواق والأطعمة يريدون عسكر يحيى. فوضع فيهم السيف فقتلهم ودخل الكوفة وأراد أن ينهبها ويضع السيف في أهلها، فمنعه من ذلك الحسين وآمن الأسود والأبيض بها وأقام إقاماً حتى آمن الناس ثمّ انصرف عنها.

خروج الحسن بن زيد

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام^(١).

ذكر السبب في خروجه [365]

كان سبب ذلك أنّ محمد بن طاهر لما جرى على يده ما جرى من قتل يحيى بن عمر ودخول أصحابه الكوفة، أقطعه المستعين من صوافي السلطان بطبرستان قطائع، وكان فيها قطعة تقرب من ثغرى طبرستان ما يلي الديلم وهما كلار^(٢) وشالوس وكان بحدائقها أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافق

١. انظر الطبري (١٥٢٣: ١٢).

٢. في الأصل كلان. وهو تصحيف «كلار» كما في تد (٥٧١) والطبري (١٢ ١٥٢٤) وكذلك في المواضع الآتية.

محتطبهم ومراعى مواشيهم ومسرح سارحتهم ليس لأحدٍ عليها ملك وإنما هي صحراء من موتان الأرض، غير أنها غياض وأشجار وكلاً. وكان وجه محمد بن عبد الله بن طاهر أخاً لكاتبه بشر بن هارون النصراني يقال له جابر، لحيازة ما أقطع هناك، وعامل طبرستان سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله ابن أخي محمد بن عبد الله بن طاهر والمستولى على سليمان بن عبد الله والغالِب على أمره محمد بن أوس البلخي، وقد فرّق محمد بن أوس ولده في مدن طبرستان وجعلهم ولائها وهم أحداث سفهاء. فتأذى بهم الرعيّة وأنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سيرهم وسوء أثرهم فيهم، ووتر مع ذلك محمد بن أوس الديلم بدخوله إليهم من حدود طبرستان وهم أهل سلم وموادة (366) على اغترار من الديلم، فأغار عليهم وسبى منهم وقتل فكان ذلك ممّا زاد أهل طبرستان عليه حنقاً وغيظاً.

فلما صار النصراني إلى طبرستان لحيازة ما أقطع صاحبه محمد حاز أيضاً ما اتصل به من موات الأرض الذي يرتفق به أهل تلك الناحية، وكان يقرب ثغرين كما ذكرت، وكان بتلك الناحية يومئذٍ رجلان معروفان بالشجاعة والرأى المذكوران قديماً بضبط تلك الناحية ممّن رامها من الديلم، وبإطعام الناس والإحسان إلى من ضوى إليهما يقال له: محمد وجعفر ابنا رستم، فأكرا ما فعل جابر من حيازة الموات الذي ذكرت وقطع مرافق الناس منه، وكان ابنا رستم مطاعين، فاستهضا من أطاعهما وقصدا جابراً ليعنّاه، فهرب جابر ولحق بسليمان بن عبد الله بن طاهر وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم في منعهما جابراً ممّا حاوله بالشر وذلك أنّ عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو أخو محمد بن عبد الله وعمّ محمد بن طاهر بن عبد الله وإلى خراسان والريّ والمشرق. فلما أيقنا بالشرّ راسلاً

الديلم وذكّراهم [367] وفاءهما لهم بالعهد الذى بينهم وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبى وأنهم لا يأمنون عودته ويسألانهم مظاهرتهم عليه وعلى من معه.

فأعلمهم الديلم أن ما يلى أرضهم من جميع نواحيها من الأرضين هم عمال آل طاهر والسلطان الأعظم وأن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل إليه إلا بزوال الخوف عنهم من أن يؤتوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله، فأعلمهم أنهم لا يفلان عن كفائتهم ذلك حتى يأمنوا ما خافوه. فأجابهم الديلم إلى ما سألوه وتعاقدوا وأهل كلار وشالوس على حرب من قصدهم. ثم أرسل ابننا رستم إلى رجل من الطالبيين المقيمين يومئذ بطبرستان يقال له: محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البيعة له، فأبى وقال لهم:

«أنا لا أجيب إلى ما سألتكم، ولكنى أدلكم على رجل منا هو أقوم بما دعوتمنى إليه.»

فقالوا: «من هو؟»

فأخبرهم أنه الحسن بن زيد، ودلهم على منزله بالرى. فوجه القوم إلى الرى برسالتهم ورسالة العلوى محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى الشخص إلى طبرستان [368] فشخص إليهم الحسن بن زيد وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وشالوس والرويان على بيعة واحدة فلما وافاهم بايعه ابننا رستم وجماعة أهل الثغرين ورؤساء الديلم كجاييا والاشلام^(١) ووهسودان بن جستان.

ثم ناهضوا من فى تلك النواحي من عمال ابن أوس فطردوهم عنها

١ كداهى الأصل: لجاييا والاشلام فى تد (٥٧٢): كجاييا والاشلام. فى الطبرى (١٢، ١٥٢٨): كجاييا ولا شلام

فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله وهما بمدينة سارية، وانضوى إلى الحسن بن زيد مع من بايعه لما بلغهم ظهوره كل من بجهال طبرستان، كلها إلا سكان جبل فریم، فإن ملكهم قارن بن شهریار كان مستنماً بجبله وأصحابه، فلم ينقد للحسن بن زيد وقواده نحو مدينة أمل وهي أول مدينة طبرستان ممّا يلي كلار وسالوس من السفح.

وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها فالتقى جيشاهما في بعض نواحي مدينة أمل ونشبت الحرب بينهم وخالف الحسن بن زيد وجماعة معه موضع المعركة إلى ناحية أخرى، فدخلوها واتصل خبرهم بابن أوس وهو مشغول بحرب من هو في وجهه من رجال الحسن بن (369) زيد. فلم يكن له هم إلا النجاء بنفسه واللاحاق بسليمان وسارية.

فلما دخل الحسن بن زيد أمل كنف جيشه وغلظ أمره وانقضّ إليه كل طالب نهب من الصعاليك والخوزية وغيرهم. فأقام الحسن بن زيد بأمل أتياماً حتى جبي الخراج واستعدي.

ثم نهض بمن معه نحو سارية يريد سارية ومن بها من سليمان وابن أوس، فخرجوا بمن معهم والتقى القوم خارج مدينة سارية ونشبت الحرب بينهم، فخالف الوجه الذي التقى فيه الجيشان بعض قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية فدخلها برجاله، وانتهى الخبر إلى سليمان ومن معه فطاروا على وحوهم ونجوا بأنفسهم وترك سليمان أهله وعياله وثقله وكل ما كان له بسارية من مال وأثاث، فلم تكن له عرجة دون جرجان، وغلب جند الحسن بن زيد على ما كان له ولغيره.

فأما عيال سليمان وأهله وآباؤه فإن الحسن أمر لهم بمركب حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان واجتمع للحسن أمر طبرستان كلها. ثم وحه الحسن خيلاً مع رجل من أهل بيته يقال له: الحسن بن زيد، إلى

الرئ فصار إليها وطرد عنها عاملها [370] من قبل الطاهرية واستخلف بها بعض الطالبين وانصرف عنها فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرئ إلى حد همدان.

فورد الخبر بذلك على المستعين ومدبر أمره وصيف التركى وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد. فوجه إسماعيل بن فراشة في جمع كثير إلى همدان وأمره بالمقام بها وضبطها وذلك أن ما وراء عمل همدان كان إلى محمد بن طاهر، بن عبد الله بن طاهر وبه عماله وإليه إصلاحه.

فلما استقر خليفة الحسن بن زيد القرار بالرئ واسمه محمد بن جعفر، ظهرت منه أمور كرهها أهل الرئ. فوجه محمد بن طاهر قائداً من خراسان يقال له: محمد بن ميكال وهو أخو الشاه بن ميكال، في جمع عظيم من الخيل والرجالة إلى الرئ فالتقى هو ومحمد بن جعفر العلوى، فأسر محمد بن ميكال محمد بن جعفر وفض جمعهم ودخل الرئ.

فوجه إليه الحسن بن زيد خيلاً عليها ويجن قائد من قواد أهل الأرض^(١) فخرج إليه محمد بن ميكال فهزمه ويجن والتجأ محمد بن ميكال إلى الرئ معتصماً، بها فاتبعه ويجن قبل أن يشخص حتى قتله وعادت الرئ إلى أصحاب الحسن بن زيد. [371]

ودخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

وفيها قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركى واضطرب الموالي

ذكر السبب في قتله

كان سبب ذلك^(٢) أن باغر كان أحد قتلة المتوكل فزيد في أرزاقه وأقطع

١. في مد (٥٧٤) والطبرى (١٢: ١٥٣٢): للارز.

٢. انظر الطبرى (١٢: ١٥٣٥).

قطائع. فكان ممّا أقطع ضياع بسواد الكوفة، فتضمن تلك الضياع رجل من دهاقين بأزوسما ونهر الملك بألفى دينار، فوقع بين هذا الدهقان وبين رجل بتلك الساحة يقال له ابن ماريّة شرّ فتاولة ابن ماريّة بمكروه. فحبس ابن ماريّة وقيد فعمل حتّى خلّص من الحبس وصار إلى شرّ من رأى، فلقى دليل بن يعقوب النصراني وهو يومئذ كاتب بغا الشرابي وصاحب أمره وإليه العسكر يركب إليه القوّاد والعمّال، وكان ابن ماريّة صديقاً لدليل وكان باغر أحد قوّاد بغا فمنع دليل باغر من ظلم أحمد بن ماريّة وانتصف له منه فأوعر ذلك بصدر باغر وباين كلّ واحد من دليل وباغر صاحبه بذلك السبب.

وكان باغر شجاعاً بطلاً [372] عظيم القدر في الأتراك يتوقّاه بغا وغيره ويخافون شرّه، فجاء باغر يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة خمسين ومائتين إلى بغا وهو في الحمام وباغر سكران فانتظره حتّى خرج من الحمام، ثم دخل إليه فقال له :

- «والله ما لي من قتل دليل من بدّ».

ثمّ شتمه. فقال له بغا :

- «لو أردت قتل ابني فارس ما منعتك منه، فكيف دليل النصراني، ولكن

أمر الخليفة وأمرى في يده فتصبر حتّى أصير مكانه إنساناً ثمّ شأنك به».

ثمّ وجه بغا إلى دليل يأمره ألا يركب فاستخفى، وبعث بغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز، وكان ابن فيروز يكتب له قديماً، فجعله مكان دليل يومهم باغر أنّه قد عزل دليلاً فسكن باغر. ثمّ أصلح بغا بين باغر ودليل، وباغر يتهدّد دليلاً إذا خلا بأصحابه، ثمّ تلطّف باغر للمستعين ولزم الخدمة في الدار وكره المستعين مكانه لجرأته وقتله المتوكّل. فلمّا كان نوبة بغا في منزله قال المستعين :

- «أىّ شيء كان إلى إيتاخ من الأعمال ؟»

فأخبره وصيف فقال :

- « ينبغي أن تصير هذه الأعمال إلى أبي محمد باغر .»

فقال وصيف :

- « نعم .»

وبلغت القصة دليلاً فركب إلى بُغا وقال له :

- « أنت في بيتك وهم في تدبير عزلك عن جميع أعمالك، وإذا عُرِلت لما

بقاؤك [373] إلا أن يقتلوك.»

فركب بُغا إلى دار الخليفة في اليوم الذي نوبته في منزله بالعشى فقال

لوصيف :

- « أردت أن تعطيني عن مرتبتي فتجيء بباجر وتُصيرهُ مكانى، وإنما باغر

عبد من عبيدى.»

فقال وصيف :

- « ما أردت ذلك ولا علمت ما أراد الخليفة من ذلك.»

ثم تعاقد وصيف وبُغا على تنحية باغر من الدار وأرجفوا أنه يؤمر ويضم

إليه جيش سوى جيشه ويُحلح عليه ويُجلس مجلس بُغا ووصيف وهما

بسميان الأمرين، وكان قصد المستعين التقرب إليه ليأمن ناحيته فأحسن هو

ومن في جنيته^(١) بالشر فجمع إليه الذين كانوا بابعوه على قتل المتوكل مع

غيرهم. ثم ناظرهم ووكد البيعة عليهم كما كان وكدها في قتل المتوكل ثم

قال :

- « الزموا الدار حتى تقتل المستعين وبُغا ووصيفاً ونجىء بمن نقعده خليفة

ليكون الأمر لنا كما هو لهذين اللذين قد استوليا على الدنيا وبقينا نحن في

١ كذا في الأصل وآ وند (٥٧٦) : في جنيته. في الطبري (١٢: ١٥٣٧). في ناحيته

غير شئ».

فبعث إلى المستعين ووصيف فقال لهما :

- «إني ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة وإنما فعلتما أنتما ذلك وأصحابكما ثم تريدون أن تقتلوني؟»
فحلفا أنهما ما علما بذلك.

فيقال : إن امرأة مطلقه لباغر بعثت إلى المستعين [374] وبُغَا بما عزم عليه باغر وبكر دليل إلى بُغَا. ووصيف حاضر منزل بُغَا مع كاتبه. فاتفق رأيهم على أخذ باغر وتفسير من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيهم. فأحضر باغر فأقبل في عدة.

فلما دخل دار بُغَا منع من الوصول إلى وصيف وبُغَا وعُدل به إلى حَتَّام فحبس فيه ودُعي له بقيد فامتنع عليهم. وبلغ ذلك الأتراك ووثبوا على إصطبل السلطان فأخذوا ما فيه من الدواب وانتهبوها وركبوا وحضروا الجوسق بالسلاح. فلما أمسوا بعث بُغَا ووصيف إلى باغر بجماعة وشدخوه بالطبرزيينات حتى يرد وعملوا على أن يرموا برأسه إليهم إن أقاموا على الشف.

فلما انتهى قتله إلى الأتراك أقاموا على ما هم عليه وأبوا أن ينصرفوا واجتمع رأي المستعين ووصيف وبُغَا وشاهك على أن ينحدروا إلى بغداد ففعلوا ذلك وانكسر الأتراك لذلك وأظهروا الندم.

ثم صاروا إلى دار دليل بن يعقوب ودور أهل بيته وانتهبوها ونقضوها ثم منعوا من الإتحدار إلى بغداد من هم بذلك، وأخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته فصلبوه على دقل سفينته، [375] فامتنع الملاحون من الإتحدار بعده

واجتمع من كان من الجند والأتراك بسر من رأى على المعتز فبايعوه

وأقام من كان ببغداد على الوفاء للمستعين^(١).

ذكر الفتنة التي وقعت بين الأتراك

وأهل بغداد وما انتهى إليه

لَمَّا انحدر المستعين وبُغَا ووصيف وشاهك وأحمد بن صالح بن شيرزاد إلى بغداد نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره. ثم وافى بغداد القوّاد سوى جعفر بن دينار وسليمان بن يحيى بن معاذ مع جَلَّةِ الكُتَّاب والمَعَال وبنى هاشم. ووافى أيضاً قوّاد الأتراك الذين في ناحية وصيف وبُغَا.

وكانت رسل وصيف وبُغَا تتردد إلى شَرٍّ من رأى باستدعاء من بها وإصلاح نياتهم وكان كلٌّ من يرد بغداد يؤمر أن ينزل الجزيرة التي حيال دار محمد بن عبد الله بن طاهر وآلًا يصيروا إلى الجسر فيُرْعَبُوا العاقّة. فإذا اجتمعوا وجّه إليهم زواريق حتّى يعبروا فيها.

فلَمَّا دخل الأتراك الوردون من شَرٍّ من رأى إلى المستعين رموا بأنفسهم بين يديه وخلصوا مناطقهم من أوساطهم تَذَلُّلاً وخضوعاً وكَلَمُوا المستعين وسألوه الصّح عنهم فقال لهم :

« أنتم أهل بغى وبطّر [376] واستقلال للنعم. ألم ترفعوا إلى في أولادكم فألحفتهم بكم، وهم نحو من ألفي غلام، وفي بناتكم فأمرت بأجرائهن مجرى المتزوّجات وهنّ نحو من أربعة آلاف صبيّة، سوى المدركين، وأدررت عليكم الأرزاق حتّى سبكت لكم آنية الذهب والفضّة، ومنعت نفسي شهواتها ولداتها، كلّ ذلك طلباً لرضاكم وصلاحكم وأنتم تردّدون بغياً وفساداً وتهديداً

وإيعاداً.»

فتضرّعوا وقالوا:

- «أمير المؤمنين صادق وقد أخطأنا ونحن الآن نسأله العفو.»

فقال المستعين:

- «قد عفوت عنكم.»

فقال له بايكباك^(١):

- «فإن كنت رضيت عنا وصفحنا، فقم معنا إلى سُر من رأى، فإن

الأتراك ينتظرونك.»

فأوماً محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون، فلكرز في حلق بايكباك

وقال له:

- «هكذا يقال لأمر المؤمنين: قم معنا فاركب؟»

فضحك المستعين وقال:

- «هؤلاء قوم عجم، لا يؤخذون بمعرفة حدود الكلام وأدائه.»

ثم قال لهم المستعين:

- «يصير^(٢) من رأى فأرزاقتهم دائرة عليهم، وأنظر أنا في أمرى

ها هنا.»

فانصرفوا وقد أغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله ومضوا إلى سُر من

رأى وحرّضوا الأتراك على مخالفته، واجتمع رأيهم على إتمام البيعة [377]

لأبي عبد الله المعتز فأخرجوه والمؤيد من الحبس فأخذوا من شعرهما.

وكان قد طال، ويأبى وأمر لهم بمال البيعة وكان المستعين خلف بسر من

١ ما في الأصل مهمل، مع احتمال الأخير منه أن يكون لاماً. في تد (٥٧٨) بايكباك. فائتداء.

حسب ما في الطبري (١٢: ١٥٤٤).

٢ في تد (٥٧٩) يصير في الطبري (١٢: ١٥٤٥) يصيرون إلى سامراً.

رأى ما كان حُمل من الموصل ومن الشام وهو خمسمائة ألف دينار وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألفى ألف دينار وفي بيت مال ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار وكتب نسخة البيعة التي أخذت للمعتز بسر من رأى على النسخة المعروفة.

وأحضر أبو أحمد بن الرشيد محمولاً في محقة وأمر بالبيعة فامتنع، وقال للمعتز:

- «بل كنت مُكرهاً وخفت السيف..»

فقال أبو أحمد:

- «ما علمت أنك أكرهت وقد بايعنا هذا الرجل. أتريد أن نطلق نسائنا وتخرجنا عن أموالنا ولا ندرى ما يكون أن تركنتي على أمرى حتى يجتمع الناس وإلا فهذا السيف..»

فقال المعتز:

- «اتركوه..»

فرد إلى منزله من غير بيعة.

ولما بايع المعتز الأتراك ولّى عمّاله وأصحاب دواوينه، واتصل محمد بن عبد الله خبر البيعة للمعتز وتوجيهه العتال. فأمر بقطع الميرة عن أهل سُر من رأى وكتب إلى مالك^(١) بن طوق بالمصير إلى بغداد هو ومن معه من [378] أهل بيته وحنده والى نجوبة^(٢) بن قيس وهو على الأنبار بالجمع والإحشاد وإلى سليمان بن عمران الموصل في جمع السفن ومنع الميرة أن تنحدر إلى سُر من رأى ومنع أن يصعد شيء من الميرة من بغداد، وأخذت سفينة فيها أرز وسقط فهرب الملاح وبقيت حتى غرفت.

١. ضبط الأصل: ملك.

٢. كذا في تد (٥٧٩) والطبري (١٢، ١٥٥٠) نجوبة ما في الأصل: بعونة.

وأمر المستعين محمد بن عبد الله بأن تُحصَن بغداد فتقدَّم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتَّى أوردته دجلة، ومن باب قطيعة أم جعفر حتَّى أوردته قصر حميد. ورتَّب على كلِّ باب قائداً وجماعة من أصحابه وغير أصحابه، وأمر بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحرِّ والمطر. فبلغت النفقة على السورين والخنادق والمظلات ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار،

وجعل على باب الشماسية خمس شذآخات بعرض الطريق فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة، وجعل من خارج الباب الثاني باباً معلقاً^(١) بقدر الباب ثخيناً وقد ألبس صفائح الحديد وشدَّ بالحبال كي إن وافى أحد من ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق فقتل من تحته [379] وجعل على الباب الآخر عزادة، وعلى الباب الآخر خمسة مجانيق كباراً وفيها واحد كبير سمَّوه: الغضبان، وست عزادات يُرمى بها إلى ناحية رقة الشماسية وصيِّر على باب البردان ثمانى عزادات في كلِّ ناحية أربع، وأربع شذآخات، وكذلك كلِّ باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، ووكل بكلِّ باب قواد برجالهم وجعل لكلِّ باب من أبوابها دهليزاً عليه السقائف يسع مائة فارسي ومائة راجل، ولكلِّ منجنيق وعزادة رجالاً مرتين يمدُّون حباله، ورامياً يرمى إذا كان قتال، وقرض فروصاً من قوم من أهل خراسان قدَّموا حجاجاً فسُتِلوا المعونة على قتال الأتراك فأعانوا.

وأمر محمد بن عبد الله أن تُقرض من العيارين فروض وأن يجعل عليهم عريف ويُعمل لهم تراس من البوارى المقيرة وأن تُعمل لهم مخالٍ تملأ

١ في الأصل: معلقاً في ٥٨٠ (٥٨٠) والطبري (١٢: ١٥٥١): معلقاً، وهو الصحيح

حجارة. ففعل ذلك وكان الرجل منهم يقوم خلف البارية فلا يرى منها عُمِلت نساءجات أتفق عليها زيادة على مائة دينار، وكان العريف على أصحاب المقبرة من العيارين رجلاً يقال له : يتويه.

خليفتان في زمن واحد

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وبكل موضع أن يكون حملهم [380] ما يحملون من الأموال إلى السلطان ببغداد دون غيرها، وكتب إلى الأتراك والجنود الذين بسر من رأى يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعته، ويذكّرهم أياديه عندهم وبيناهم عن معصيته ونكث بيعته.

وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله يدعو إلى خلع المستعين ويذكره بما أخذه أبوه المتوكل عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة

وأجابه محمد يدعو إلى الرجوع إلى طاعة المستعين. واحتج كل واحد منهما باحتجاجات يطول شرحها ويتق محمد بن عبد الله المياه بطسوح الأنبار وبأدورياً ليقطع طريق الأتراك حين تخوف ورودهم الأنبار.

وكتب كل واحد من المعتز والمستعين إلى موسى بن بفا وهو مقيم بأطراف الشام لأنه كان أخرج إلى حمص لقتال أهلها حين قتلوا عاملهم وعصوا وامتنعوا على السلطان.

وبعث كل واحد منهما بعثة ألوية يحقدها لمن أحب. ^(١) فانصرف إلى المعتز وصار معه ولم يزل الأتراك الكبار يصيرون مرة من حزب المستعين ومرة من حزب المعتز.

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد ابن المتوكل على حرب المستعين وابن

١. وزاد في الطبري (١٢: ١٥٥٤): «ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ويستعطف على عمله من رأى، فانصرف...»

طاهر وصمَّ إليه الجيش وجعل إليه [381] الأمر واليهى وتدير الحرب إلى كلياتكين فمسكر بالقاطول فى خمسة آلاف من الأتراك والفراغة وألفين من المغاربة فوافوا عكبرى فصلّى أبو أحمد ودعا للمعترّ وكتب بذلك فتحاً إلى المعترّ وجعل الأتراك ينتهبون القرى ما بين عكبرى وبغداد وأوانا وهرب الناس منهم وحلّوا عن العلات والضياح فخربت وهدمت المنازل وسلب الناس وجرى فى ذلك أمر فظيع قبيح.

ولقا وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وكّل بباب الشماسية. ثم وافى أبو أحمد فى عسكر الشماسية ووافت طلائع الأتراك إلى قريب من باب الشماسية فوجّه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال فيمن معهما.

فلما عاين الأتراك الأعلام والرايات قد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم وانصرف الحين والشاه. ثم وافى باب الشماسية اثنا عشر فارساً من الأتراك فشتّموا من هناك ورموهم بسهامهم، وكان محمد تقدم ألا يبدأهم بقتال، فلما فعلوا ذلك وأكثروا من الشتم والرمى أمر علك^(١) صاحب المنجنيق، فرموا بحجر أصاب فقتل واحد منهم فنزل أصحابه فحملوه وانصرفوا إلى معسكرهم. ثم وافى الأتراك باب^(٢) الشماسية فرموا بالسهم [382] وبحجارة المنجنيق والمزادات وكان بينهم قتلى وجرى.

وحمل محمد بن عبد الله الصلوات لمن أبلى فى الحرب، وأطوقه وأسورة من ذهب، وكان الجرحى فى الفريقين متقاربين فى العدد، وانهمز عامة أهل بغداد وثبت أصحاب البواري وأحضرت الأتراك منجنيقاً ففلبهم عليه العوغاء وكسروا قائمة من قوائمه وأمر بحمل الاجر من قصر الطين وتلك الناحية إلى

١. كذا فى الأصل : علك. فى الطبرى (١٢٠١٥٩) : علك (دون تشديد)

٢. حذف من تد ما يبادل عدة صفحات

باب الشماسية، وفتح باب الشماسية وأخرج إلى الأجر من لقطه وردّوه إلى هذا الجانب من السور.

ثم وجه محمد بن عبد الله الشاه بن ميكال من باب القطيعة وبنداراً وخالداً وأمددا بالمبيضة من أهل بغداد، فحمل الشاه والمبيضة حملة أراثوا بها الأتراك والمغاربة ومن معهم عن موضعهم وحملت عليهم المبيضة، فأصعروا بهم. وحمل عليهم الطبرية فخالطوهم وخرج عليهم بدار وخالد بن عمران من الكمين وكانوا كمناء من ناحية باب قطريل، فوضعوا في أصحاب أبي أحمد السيف قتل الأتراك وغيرهم فقتلوهم أبرح قتل ولم يفلت منهم إلا القليل.

وانتهب المبيضة عسكرهم وما كان فيه من العتاع والأنفال والمضارب والخُرثى. فكان من أفلت منهم من السيف [383] ورمى بنفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد أخذه أصحاب السمریات^(١) وكانت السمریات قد شحنت بالمقاتلة فقتلوا وأسروا وجعلت القتلَى والرؤوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق، فنُصبت بعضها في الجسر وبعضها على باب محمد بن عبد الله.

وأمر محمد لمن أهلى في هذا اليوم بالأسورة. فسور قوم كثير من الحند وغيرهم وطلبت المنهزمة فبلغ بعضهم أوانا وبعضهم إلى عسكر أبي أحمد، وبعضهم نفذ إلى سُر من رأى. وخلع محمد على قواده على كل واحد أربع خلع وخرج المبيضة والعتارون في طلب ما خلفه المنهزمة.

فوجه محمد في آخر هذا اليوم أخاه عبيد الله بن عبد الله في إثرهم حياطة لأهل بغداد لأنّه لم يأمن رجعتهم عليهم وأشير على محمد بن عبد

الله أن يتبعهم بمسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة لبوغل في آثارهم، فأبى ولم يتبع موالياً ولم يأمر أن يُجهز على جريح، وقبل أمان من استأمن وأمر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر هذه الواقعة، فقرأ على أهل بغداد في مساجد جوامعها.

وقدم محمد بن خالد بن يزيد بَلَد^(١) ينتظر من يصير إليه وكان بالجزيرة. فلما كان اضطراب الأتراك ودخول المستعين بغداد [384] لم يمكنه المصير إلى بغداد إلا من طريق الرقة، فصار إليها بمن معه من خاصته، ثم انحدر منها إلى بغداد، فصار إلى محمد بن عبد الله فخلع عليه خمس خلع: ديبقى وملحم وخزّ ووشى وسواد، ثم وجه به في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد، فأخذ على طريق الفرات محاربة أيوب في نفر يسير فهزمه. فلما انتهى خبر هزيمته إلى محمد بن عبد الله قال:

«ليس يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبيّ ينصره الله به.»

وكان للأتراك وقعات بباب الشّمسية كثيرة يكون مرّة لهم ومرّة عليهم. وإنما تركنا ذكرها لأنها لم تجر بحيلة ولا مكيدة ولا تدبير صائب، وإنما كانت كالفتن التي تجري على ما يتفق.^(٢)

وكان العوغاء اجتمعوا بسرّ من رأى بعد هزيمة الأتراك الأولى لما رأوا ضعف المعتزّ، فأنتهبوا سوق أصحاب العلى والصيارف، فأخذوا جميع ما وجدوا فيها. فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخى المعتزّ فشكوا ذلك وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم. فقال لهم المؤيد:

«كان ينبغي لكم أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم ولم تكن عنده لذلك

كبيرة.»

١ بَلَد: اسم مدينة. انظر الطبري (١٢-١٥٧٧)

٢ بيته مسكويه على منتهجه في كتابة التاريخ مرّة أخرى

وورد من البصرة سفن بحرية تسمى البوارج وهي عشرة، فيها [385] نقاطون وفي كل واحدة نجار وخبّاز ومقاتلة. فكانوا يرمون الأتراك وعساكرهم بالنيران فانتقلوا من معسكرهم.

ظفر سليمان بعسكر الحسن بن زيد

وفي هذه السنة ظفر سليمان بن عبد الله بعسكر الحسن بن زيد فتنحى الحسن عن طبرستان ولحق بالديلم. ووردت الكتب على السلطان بالفتح، وكتب نسخة كتاب الفتح على يد محمد بن طاهر. وكان سبب ذلك أن أهل آمل لقوا من عسكر الحسن بن زيد عبثاً فأتوا سليمان بن عبد الله مظهرين توبة وإنابة، وتاب إليهم خلق كثير من جيشه فنهض إلى الحسن بن زيد بتعبئة وعدة فهرمه واستولى على بلاد طبرستان وانقطعت أسباب الفتنة عنه. وظفر محمد بن طاهر أيضاً بالطالبي الذي كان بالري وأخذه أسيراً وكتب بالفتح.

وفرق محمد بن عبد الله في الكافركوبات واستصل منها شاكراً فرقه فيهم. فأثروا في الأتراك أثراً كبيراً وأحضر ينتوبه رئيس العيارين وسور ووصل بخمسمائة درهم وقدم من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان فلتقاء بنو هاشم وكان قديم معه من الخراسانية والأتراك والمغاربية ألف رجل معهم عتاد الحرب من كل صنف. فدخل بغداد ووصف عن يمينه وبغا عن شماله ولما وصل خلّع [386] عليه سبع خلع وقلّد سيفاً وخلّع على كل واحد من ابنيه خمس خلع.

ثم كثرت الوضعات أيضاً من أصحاب محمد بن عبد الله وأصحاب أبي أحمد وصرى العيارون وأصحاب السوارى عليهم، فكانوا ينتصفون منهم فرتى غلام لم يبلغ الحلم معه مخلاة فيها حجارة ومقلاع يرمى عنه فلا

يخطئ وحوه الأتراك ووجوه دوابهم واجتمع عليه أربعة من الفرسان الناشبة جعلوا يرمونه فيخطونه وجعل يرميهم فلا يخطئ وتتقطر بهم دوابهم من رميه، فمضوا وحملوا معهم أربعة من رخالة المغاربة بالرماح، فدخله إثنان منهم فرمى بنفسه في الماء ودخلا خلفه فلم يلحقاه وعبر إلى الجانب الشرقي وصيح بهما وكثر الناس فرجع جميعهم ولم يصلوا إليه.

قدوم أبي الساج

وفي هذه السنة قديم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملاً فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب في الأغلال فدخل هو وأصحابه بغداد في زى حسن وسلاح ظاهر فخلع عليه خمس خلع وانصرف إلى منزله.

وقديم أيضاً بغداد حبشون ومعه يوسف بن يعقوب قوصرة مولى الهادي فيمن كان مع موسى بن بغا من الشاكزية وانضم [387] إليه عامة الشاكزية المقيمون بالرقّة وهم ألف وثلاثمائة، فخلع عليه خمس خلع وعلى جماعة من الوجوه وانصرفوا إلى منازلهم.

وخلع على أبي الساج ديوداذ وعلى ابن فراشه، وعسكر أبو الساج في سوق الثلاثاء وأعطى بغالاً من بغال السلطان حمل عليها الرجالة وأمر بالخروج إلى المدائن لضبطها. فحكى أن أبا الساج لما أمره محمد بن عبد الله بالشخص إلى المدائن قال له :

«أيها الأمير عندي مشورة أشير بها.»

قال : «قل يا أبا جعفر فإنك غير منهم.»

قال : «إن كنت تريد أن تجاة هؤلاء القوم فالرأى لك ألا تفارق قواده ولا تفرقهم، واجمعهم حتى تنفض هذا العسكر الذي بأزاءك، فإنك إذا فرغت من

هؤلاء لما أقدرك على من وراءك.»

فقال: «لى تدبير والله الكافى.»

فقال له أبو الساج:

- «السمع والطاعة.»

ومضى لما أمره به.

فلما صار إلى المدائن ثم إلى الصّيادة ابتدأ فى حفر خندق كسرى وكتب يستمدّ فوجّه إليه خمسمائة رجل. وكان شغوصه فى ثلاثة آلاف فارس وراجل ثم استمدّ حتّى حصل فى عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل.

ووجه محمد بن عبد الله إلى الأنبار نجوبة بن قيس فى الأعراب وأمره بالمقام بها والفرض [388] لأعراب الناحية، فأثبت نحواً من ألفى رجل وأقام بالأنبار وضبطها فبلغه أنّ قوماً من الأتراك قصدوه فبتق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار وفاض من الصحارى إلى ناحية السيلحين. فصار ما يلى الأنبار بطيحة، وقطع القناطر وكتب يستمدّ فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين فى ألف رجل وأمدّه ابن طاهر بثلاثمائة رجل انتخبهم من القادمين من النعمور. فرحل، وأخرج المعترّ أبا نصر بن بعا من سرّ من رأى على طريق الإسحاقى فسار يومه وليلته، وصبّح الأنبار ساعة وصل رشيد فنزل رشيد خارج المدينة وكان نجوبة نازلاً المدينة.

فلما واهى أبو نصر عاجل رشيداً وهم عازون على غير تعبئة فوضع فيهم السيف وثار أصحاب رشيد إلى سلاحهم فقاتلوا الأتراك والمغاربة أشدّ قتال وقتلوا منهم جماعة، ثم انهزم الشاكرية ورشيد على الطريق الذى جاءوا منه وبلغ نجوبة^(١) ما لقى رشيد وأصحابه، فعبر إلى الجانب الغربى وقطع جسر

١ فى الأصل بحونة والصبط من الطبرى وتد، كما سبق. ما فى آ مهمل دون أى نطق

الأببار وصار رشيد إلى المحوّل وسار نجوبة في الجانب الغربي حتّى واهى بغداد ودخل رشيد في هذه العشية إلى دار ابن طاهر وأعلم نجوبة محمد بن عبد الله أنّه عند [389] مصير الأتراك إلى الأببار وجّه إلى رشيد يسأله أن يوجّه إليه مائه رجل من الناشبة ليرتّبهم قُدّام أصحابه فأبى ذلك، ثمّ سأل أن يضمّ إليه ناشبة ليصير إلى بنى عمّه فأتهم مقيمون على الطاعة في الجانب الغربي وضمن أن يتلافى ما كان منه، فضمّ إليه ثلاثمائة رجل من الناشبة والفرسان مع وجّالة منهم.

فمضى إلى قصر أبي هبيرة يستعدّ هناك واخبار محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل للأببار ووجّه معه محمد بن رجاء الحصارى وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس وجماعة من أهل النجدة وأمر للناس برزق أربعة أشهر ممّن يخرج مع الحسين. فامتنع من قديم من الثغور من قبض رزق أربعة أشهر لأنّ أكثرهم كانوا يغير دوابّ وقالوا نحتاج أن تقوى في أنفسنا ونشتري دوابّ، فوعدهم. ثمّ أرضوا برزق أربعة أشهر كما بدؤوهم.

ثمّ أحضر الحسين مع قوّاده الكبار وهم نحو من عشرين قائداً فخلع عليه وقُدّمت مرتبته إلى الفوج الثانى وكان فى الفوج الرابع وصيّ رشيد على المقدّمة ومحمد بن رجاء على الساقة وخرج الحسين إلى معسكره وأمر وصيف وبغا بتشبيعه وأخرج لأهل العسكر من المال ستّة وثلاثون ألف دينار [390] وسار الحسين وكان أهل الأببار حين تنحّى نجوبة ورشيد وصار الأتراك والمغاربة إلى الأببار ونادوا:

«الأمّان.»

وأمرُوا بفتح حوايتهم والتسوّق فيها، إطمأنّوا إلى ذلك منهم وسكنوا وطعموا فى أن يفوا لهم، فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتّى أصبحوا ووافقت الأببار سفن من الرقّة فيها دقيق وأطواف فيها زيت، فأخذوا جميعه وانتهبوا

ما وجدوا وأخذوا الإيل والبالغ والحمير ووجهوا بذلك مع من يؤذيه إلى منازلهم بشر من رأى مع رؤوس من قتل من أصحاب رشيد ومن أسروا، وكان الأسارى مائة وعشرين رجلاً والرؤوس سبعين رأساً، وسار الحسين وانضم إليه نجوبه وكان بقصر ابن هبيرة وسأل لأصحابه مالاً، فحمل إلى عسكر الحسين ثلاثة آلاف دينار لأصحاب بجونه^(١) وحمل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة لمن أهلى وأمد بالرجال فجاءه أبو السنا محمد بن عبدوس والجعفاف بن سودة في ألف فارس وراجل وجند انتخبوا من قيادات^(٢) شتى ونزل الحسين بعسكره إلى قريب من ديمنا^(٣).

ذكر رأى أشير به عليه صواب

فأشار عليه رشيد والقواد أن ينزل عسكره بذلك الموضع لسعته وحصانته وأن يسير [391] في قواده في خيل جريئة. فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره، وإن كان عليه انحاز إلى عسكره ثم راجع عدوه.

فلم يقبل الرأى وحملهم على المسير من موضعهم ومن الموضعين فرسخان. فلما بلغوا الموضع الذى أراد الحسين النزول فيه أمر الناس بالنزول وكانت جواسيس الأتراك في عسكر الحسين فصاروا إليهم فأعلموهم رحيل الحسين، وضيق معسكره الذى نزل به، فوافوهم والناس يحطون أشغالهم. فثار أهل المعسكر فكانت بينهم قتلى، ثم حمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق. وكان

١. نهاية ما حذف من تد (٥٨٢).

٢. في تد (٥٨٣ الصفحة الأخيرة) : بتادات.

٣. الى هنا تنتهى تد، وهى القطعة التى نشرها دى حويه من أجزاء تجارب الأمم مشفوعة بقسم من كتاب اليون والسدائق (بريل ٧١ - ١٨٦٩).

الأتراك قد كمنوا قوماً فخرج الكمين على بقية العسكر فلم تكن لهم همة إلا الهرب ولا مدجاً إلا الفرات. ففرق خلق وقتل جماعة. فأما الفرسان فضربوا دوابهم لا يلوون على شيء والقواد ينادونهم يسألونهم الرجعة فلم يرجع أحد. وأبلى محمد بن رجاء ورشيد وتجوبة بلاء حساً ولم يكن لمن انهرم معقل دون الياسرية على باب بغداد فلم يملك القواد أمور أصحابهم فأشفقوا حينئذٍ على أنفسهم فانتنوا راجعين وراءهم يحمونهم من أديارهم أن يُتبعوا وحوى الأتراك عسكر الحسين. [392]

ولقى رجل من التجار في جماعة متن ذهبت أموالهم في عسكر الحسين. فقال له :

- «الحمد لله الذي يبيض وجهك أصعدت في إثني عشر يوماً ورجعت في يوم واحد.»
فتخافل عنه.

وأمر ابن طاهر الشاه بن ميكال في صبيحة الليلة التي وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد، فلقبه في الطريق فردّه إلى بستان الحروى فأقام يومه. فلما كان الليل صار إلى دار ابن طاهر فوثقه ابن طاهر وأمره بالرجوع إلى الياسرية، ثم أمر بإخراج مالٍ لإعطاء شهر واحد لأهل هذا العسكر، فحُمِلت تسعة آلاف دينار وصار كتاب ديوان العطاء وديوان العرض إلى الياسرية لعرض الجند وإعطاءهم.

ونُودي ببغداد فيمن يدخلها من الجند الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في عسكره وأجلوا ثلاثة أيام فمن وُجد منهم ببغداد بعد ثالثة ضُرب ثلاثمائة سوط وقرض اسمه من الديوان فخرج الناس.

وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يُعسكر بأصحابه بالمحوّل ورحل الحسين وكتب إلى خالد بن عمران أن يرحل متقدماً أمامه

فامتنع خالد من ذلك وذكر أنه لا يبرح حتى يأتيه قائد في جند كشف فيقيم مكانه لأنه يتخوف أن [393] يأتيه الأتراك من خلفه من عسكرهم. وصار إلى الحسين رجل فأخبره أن الأتراك قد دلّوا على عدّة مواضع من الفرات يخاض إلى عسكره. فأمر بضرب الرجل مائتي سويط ووكّل بمواضع المخاض رجلاً من قوّاده يقال له الحسن بن عليّ بن يحيى الأرمني في مائة فارس ومائة راجل، فطلع أول القوم فخرج إليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علماً، فقاتل أصحابه ساعة ووكّل بالقنطرة أبا السنا وأمر أن يمنع من انهزم من العبور فأبى الأتراك المخاضة فرأوا الموكّل بها فتركوه واقفاً وصاروا إلى مخاضة أخرى من خلف الموكّل فصير الحسين بن عليّ وقاتل وقيل للحسين بن إسماعيل، فقصده نحوه فلم يصل إليه حتى انهزم وانهزم خالد بن عمران ومنعهم أبو السنا من العبور على القنطرة، فرجع الرجال والخراسانية فرموا بأنفسهم في الفرات ففرق من لم يكن يحسن السباحة وعبر من كان يحسنها فنجا عريان، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشاطئ لما عليه من الأتراك.

فذكر عن بعض جند الحسين أنه قال: بعث الحسين بن عليّ الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل

ـ «إنّ الأتراك قد وافوا المعاضة.»

فأما الرسول فقال الحاجب:

ـ «الأمير نائم.»

فرجع الرسول [394] فأعلمه فردّ رسولاً ثانياً. فقال له الحاجب:

ـ «الأمير في المخرج.»

فرجع فأخبره فردّ رسولاً ثالثاً فقال:

ـ «قد خرج من المخرج ونام.»

وجاءت الصبيحة وعبر الأتراك فقام الحسين في زورق وانحدر واستأمن قوم من الخراسانية رموا ثيابهم وسلاحهم وقعدوا على الشاطئ عراة وشدة أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين واقتطعوا السوق ولحق الأتراك أصحاب الحسين فوضعوا فيهم السيف فقتلوا وأسروا نحواً من مائتين وعرق خلق كثير ووافى الحسين والمنهزمة نصف الليل ووافى فلهم وبقيتهم بالنهار وفيهم جرحى كثير وفقد جماعة من القواد.

وورد كتاب أبي الساج بوقعة كانت له مع الأتراك ورئيسهم بايكباك فهزم الأتراك وقتل بايكباك وغرق منهم خلق كثير فحمل إليه محمد بن عبد الله بن طاهر عشرة آلاف دينار صلة ومعونة وخمسة أبواب خلعية وسيف.

وفي هذه السنة تقبض الأتراك السور الذي عليه أصحاب ابن طاهر من ناحية بغواريا^(١) في موضعين ودخلوها وقتلهم أصحاب ابن طاهر فهزموهم حتى وافوا باب الأنبار وعليه إبراهيم بن محمد بن مصعب وابن أبي خالد وغيره وهم لا يعلمون بما وراءهم ويقاثلون من بين أيديهم [395] قتالاً شديداً. ثم إنهم علموا بهم فانهزموا لا يلوون على شيء فضرب الأتراك باب الأنبار بالنار فاحترق وأحرقوا ما كان هناك من المجانيق والمعدات ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد من الشارع إلى موضع الدواليب فأحرقوا كل شيء قرب من ذلك الموضع من أمامهم ووراءهم ونصبوا أعلامهم وانهرم الناس.

فركب محمد بن طاهر في السلاح ووافاه القواد فوجههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التي في الجانب الغربي وشحنها بالرجال، وركب ثقا ووصيف والنساء بن ميكال ونوجهوا إلى هذه الأبواب. فقتل من

الأتراك خلق كثير ووجه يرؤوسهم إلى ابن طاهر وكاثرهم الناس حتى أخرجوهم من بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير. فلما انصرفوا وكلُّ بُغا بالباب من يحفظه ووجه في حمل الآجر والجص وأمر بسده

وفيها وافى بغداد بالفردك بن ابرنكجيل^(١) الأسروشنى فأمر له محمد بن عبد الله بفرض وضّم إليه رجالاً من الشاكرية وأمر أن يحسّر بالكاسية ويجمع مع المظفر بن سبيل^(٢) بالأسرية في ضبط تلك الناحية ويكون أمرهما واحداً فاختلفا وكتب كل واحد [396] منهما يشكو الآخر ويستعفى من المقام بالكاسية فأفرد بالموضع بالفردك وأعفى المظفر.

مقتل بالفردك

وفي آخر ليلة بقيت من شهر رمضان من هذه السنة قتل بالفردك.

ذكر السبب في ذلك

كان سبب قتله أنّ أبا نصر ابن بفا لما غلب على الأنبار وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية فأجلاهم [عنها] بثّ خيله ورجاله في أطراف بغداد وصار إلى قصر ابن هبيرة وبها نجوبه بن قيس من قبل ابن طاهر، فهرب منه من غير قتال. ثم صار أبو نصر إلى نهر صرصر واتصل بأبن طاهر خبیره وخبر وقعة كانت بين أبي الساج والأتراك بجرجرايا وخذلان من معه إياه ندب بالفردك إلى اللحاق بأبي الساج والمصير إليه بمن معه، فسار في أصحابه لليلتين بقيتا من شهر رمضان فإر يومه وصبح المدائن فوافاها مع موافاة الأتراك وبالمدائن أصحاب ابن طاهر، فقاتلهم الأتراك فانهزموا ولحق

١. في الأصل عموش وما في الطبري أعمش. انظر الطبري (١٦٢٣: ١٢).

٢. انظر الطبري (١٦٢١: ٨٢).

مَنْ فِيهَا مِنَ الْقَوَادِ بِأَبِي السَّاجِ وَقَاتِلَ قِتَالاً شَدِيداً. فَلَمَّا رَأَى انْهْزَامَ مَنْ هُنَاكَ مَضَى مُتَوَجِّهاً نَحْوَ أَبِي السَّاجِ فَأَدْرَكَ قَتْلَ وَقِيلَ إِنَّهُ غَرِقَ.

انهزام الترك في وقعة بغداد

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد هزموا فيها الأتراك وانتهبوا فيها عسكرهم.

وكان سبب ذلك أَنَّ أبواب بغداد كُلَّهَا فَتَحَتْ مِنَ الْجَانِبِينَ وَنَصَبَتْ الْعِجَانِيْقَ وَالْعَرَادَاتِ فِي الْأَبْوَابِ كُلَّهَا وَالسَّيَّارَاتِ^(١) فِي دَجَلَةٍ وَخَرَجَ مِنْهَا الْجُنْدُ كُلُّهُمْ وَخَرَجَ ابْنُ طَاهِرٍ وَبُغَا وَوَصِيفٌ وَتَرَاخَفَ الْفَرِيقَانِ وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ إِلَى بَابِ الْقَطِيعَةِ، ثُمَّ عَبَرُوا إِلَى بَابِ الشَّعْثَاسِيَةِ وَقَعَدَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي قَبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ وَأَقْبَلَتِ الرَّمَاةُ مِنْ بَغْدَادَ بِالنَّوْكِيَةِ فِي الزَّوَارِقِ، فَرُبَّمَا انْتَضَمَ السَّهْمُ الْوَاحِدُ عِدَّةً مِنْهُمْ فَقَتَلْتَهُمْ فَهُزِمَ الْأَتْرَاكُ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ بَغْدَادَ حَتَّى صَارُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ، فَانْتَهَبُوا سَوْقَهُمْ وَهَرَبَ الْأَتْرَاكُ عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَلُوْنُ عَلَى شَيْءٍ وَخُمِلَتِ الرُّؤُوسُ حَتَّى كَثُرَتْ، فَجَعَلَ وَصِيفٌ وَبُغَا يَقُولَانِ:

«كَلَّمَا جِئْتُ بِرَأْسٍ ذَهَبَ وَاقَّةُ الْمَوَالِي وَاتَّبَعَهُمْ أَهْلُ بَغْدَادَ إِلَى الرُّوْذِبَارِ.»

وَوَقَفَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ الْمُتَوَكَّلِ بِرَدِّ الْمَوَالِي وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَكْرُوا لَمْ يَبْقَ لَهُمْ بَقِيَّةٌ وَأَنَّ الْقَوْمَ يَتَّبِعُونَهُمْ إِلَى شَرْءٍ مِّنْ رَأْيٍ. فَتَرَأَّجَعُوا وَثَابَ بَعْضُهُمْ وَأَقْبَلَتِ الْعَامَّةُ تَحَزُّرُ رُؤُوسٍ مِّنْ قَتْلِ وَجَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَطُوقُ كُلَّ مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ وَيُصِلُهُ حَتَّى كَثُرَ ذَلِكَ وَبَدَتْ الْكَرَاهَةُ [398] فِي وَجُوهِ مَنْ كَانَ مَعَ بُغَا وَوَصِيفٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَالْمَوَالِي.

للأتراك يقدمها علم أحمر^(١)

وأقبلت أعلام للحسن بن الأفشين مع الأعلام التي قد استلبه غلام لشاهك
فنسى أن ينكسه. فلما رأى الناس العلم الأحمر ومن خلفه توهّموا أن
الأتراك قد رجعوا عليهم فانهزموا وأراد بعض من وقف أن يقتل غلام شاهك،
ففهمه ونكس العلم والناس قد ازدحموا مسهزمين وتراجع الأتراك إلى
معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فحملوا عليهم ووضعت العرب
أوزارها فلم تكن بعد ذلك وقعة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن ابن طاهر كان يكاتب المعترّ في الصلح، فلما
كانت هذه الواقعة أنكرت فكتب أنه لا يعود بعدها.
ثم أغلقت أبواب بغداد فاشتدّ عليهم الحصار فصاحوا على أبواب ابن
طاهر:

«الجوع، الجوع».

وكان الناس يجتمعون في الجزيرة التي تلاء دار ابن طاهر ويشتمونه.
فراسل ابن طاهر المعترّ في الصلح واضطرب أمر أهل بغداد فوافى من سُرّ
من رأى حمّاد بن إسحاق بن حمّاد [399] ووجه مكانه رهنة عنه أبو سعيد
الأنصاري، فلقي حمّاد ومحمد بن طاهر فخلا به ولم يذكر ما جرى بينهما
ثم انصرف حمّاد إلى عسكر أبي أحمد ورجع أبو سعيد إلى بغداد وأمر ابن
طاهر بإطلاق جميع من في الحبوس متى كان خيس بسبب ما كان بهمه

١. في الأصل وأ بدل ما بين المعقوفين: «التي للحسن بن الأفشين» (بالتكرار). مع أن العبارة
ناقصة معدود المكرّر واكملنا العبارة بما في الطبري (١٦٢٧: ١٢)

وبين أبي أحمد من الحروب ومعاونته إِيَّاه فأُطلبوا
وفي غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجالة الجند وكثير من العامة. أمَّا
الجند فطلبوا أرزاقهم وأمَّا العامة فشكت سوء الحال التي هم بها من الضيق
وغلاء السعر وشدة الحصار وقالوا:

«إمَّا خرجت فقاتلت وإمَّا تركتنا نمضي في البلاد.»

فوعدهم الخروج أو فتح الباب للصلح ورفق بهم ومَنَّاهم، ثم اجتمع الجند
والناس من العوام مرة أخرى، وكان ابن طاهر قد شحن الجزيرة بالخيول
وكذلك باب داره والجسر، فحصر الجزيرة بشر كثير فطردوا من كان ابن
طاهر رتبهم فيها.

ثم صاروا إلى الجسر فطردوا من كان هناك من أصحاب ابن طاهر
وصاروا إلى الحبس فماتهم أبو مالك الموكَّل بالمحبس الشرقي فشجَّوه
وجرحوا دابَّتين لأصحابه فدخل داره وخَلَّاهم فانتهبوا ما في مجلسه. [400]
ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون فضمن للجند ررق أربعة أشهر فانصرفوا.
ووجه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقتَّ إلى ابن
طاهر فوصلت إليه، ثم علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلعه المستعين
وبيعته للمعتزَّ ووجه ابن طاهر قواده إلى أبي أحمد حتى بايعوه للمعتزَّ فخلع
على كل واحد منهم أربع خلع، وظنَّت العامة أن الصلح جرى بأنَّ الخليفة
المستعين وأنَّ المعتزَّ وليَّ عهده بعده.

فلَمَّا كان بعد ذلك خرج رشيد بن كاوس مع قائدَيْن آخرين ووجهوا إلى
الأتراك بأنَّه على المصير إليهم ليكون معهم فوافاه من الأتراك زهاء ألف
فارس فخرج إليهم على أنَّ الصلح قد وقع فسلم عليهم وعانق من عرف
منهم وأخذوا بلجام دابَّته ومضوا به وبابنه في إثره. فلَمَّا كان من الغد صار
رشيد إلى باب الشماسية وقال حين كَلَّمَ الناس:

- «إنَّ أمير المؤمنين وأبا أحمد يقرءان عليكم السلام ويقولان لكم : من دخل في طاعتنا قَرَّبناه ووصلناه ومن أبى ذلك فهو أعلم.»

فشتمه العامة ثم طاف على جميع الأبواب الشرقية بمثل ذلك وهو يُشتم [401] في كلِّ باب [ويُشتم] ^(١) المعتز. فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر، فمضت إلى الجزيرة التي بحيال دار ابن طاهر فصاحوا به وشتموه أقبح شتم، ثم صاروا إلى بابه ففعلوا مثل ذلك. فخرج إليهم راغب الخادم فحضَّهم على ما فعلوا بالمستعين ثم مضى إلى الحظيرة التي فيها الجيش فحضَّهم، فصاروا إلى باب ابن طاهر فكشفوا من عليه وردَّوهم فلم يبرحوا وقاتلوهم حتَّى صاروا إلى دهليزه وأرادوا حرق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً وقد كانوا بالجزيرة الليل كلَّه يشتمونهم ويتناولونه بالقبيح.

فذكر عن ابن شجاع البلخي قال : كنت عند الأمير و يحدثني ويسمع ما يُقذف به من كلِّ إنسان حتَّى ذكروا اسم أمته. فضحك ثم قال :

- «يا يا عبد الله والله ما أدرى كيف عرفوا اسم أمي. ولقد كان كثير من جوارى أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمها»
فقلت له :

- «أيها الأمير ما رأيت أوسع من حلمك.»

فقال لي :

- «ما رأيت أوفق من الصبر عليهم، ولا بدَّ من ذلك.»

فلما أصبحوا وافوا الباب وصاحوا وصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع عليهم ويسكنهم ويعلمهم ما هو عليه.

- «فأشرف عليهم من أعلى الباب [402] وعليه الثَّردة والطويلة وابن طاهر

إلى جانبه. فحلف لهم بالله : ما أنتممّه وإني لفي عافية، ما علىّ منه بأس وأنته
لم يخلع.»

ووعدهم أن يخرج في غد وهو يوم الجمعة فيصلي بهم ويظهر لهم.
فانصرف عاقبتهم بعد قتلى وقعت.

فلما كان يوم الجمعة بكر الناس بالصياح يطلبون المستعين وانتهبوا دواب
على بن جهشيار وجميع ما كان في منزله وهرب ولم يزل الناس وقوفاً إلى
أن ارتفع النهار، فوافى وصيف وبغا وأولادهما وقوادهما ومواليهما وأحوال
المستعين، فصاروا مع الناس جميعاً إلى الباب فدخل وصيف وبغا في
خاصتهما ودخل أحوال المستعين معهم إلى الدهليز فوقفوا على دوائهم وأعلم
ابن طاهر بمكان الأخوال فأذن لهم فأبوا وقالوا :

- « ليس هذا يوم نزولٍ عن ظهور دوابنا إلا بعد أن نعرف نحن والعامّة
حقيقة أمرنا. »

فلم تزل الرسل تختلف إليهم وهم يأبون. فخرج إليهم محمد بن عبد الله
بنفسه وسألهم النزول والدخول إلى المستعين فأعلموه أن العامّة قد ضجّت
منا يبلنّها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلع المستعين والبيعة للمعترّ
وإرادتك [403] التهويل ليصير الأمر إليه وإدخال الأتراك والمغاربة بغداد
فيحكموا فيهم بحكمه واستراب بك أهل بغداد واتهموك على حليفهم
وأموالهم وأولادهم وأنفسهم وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكذبوا ما
بلعهم فيه. (١)

فلما تبين محمد بن عبد الله ذلك الأمر ونظر إلى كثرة اجتماع الناس
وضجّتهم سأل المستعين الخروج إليهم فخرج إلى دار العامّة التي كان يدخلها

جميع الناس فنُصب له فيها كرسيٌّ وأُدخل إليه جماعة من الناس فطروا إليه. ثمَّ خرجوا إلى من وراءهم فأعلموهم صحته فلم يقتنعوا بذلك وعرف ابن طاهر كثرة الناس وأنهم لا يسكنون فأمر بإغلاق باب الحديد الخارج فأُغلق وصار هو وأخواله ومحمد بن موسى المنجّم وغيرهم إلى الدرجة التي تفضي إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح. ثمَّ نُصبت لهم سلالم على سطوح المسجد الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله فأشرف المستمعين على الناس وعليه سواد وعوق السواد بُردة النبي صلى الله عليه ومعه القضييب وتكلم الناس وكلّمهم وناشدهم وسألهم بحق صاحب هذه البردة إلّا انصرفوا، فإنه في أمن وسلامة [404] ولا بأس عليه من محمد بن عبد الله.

فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله، فإنهم لا يأمنونه عليه. فأعلمهم أنّه على النقلة منها إلى دار عمته أم حبيب بنت الرشيد بعد أن يصلح له ما ينبغي، وبعد أن تُحوّل أمواله وخزائنه وسلاحه وفُرشه وجميع ما له في دار محمد. فانصرف الناس وسكن أهل بغداد.

ولمّا فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إتياء المكروه وتقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قدروا عليه من الإبل والبغال والحمير ليستقلّ عندهم وأُشيع أنّه يقصد المدائن، فاجتمع إلى بابه مشايخ الحربية والأرباض يعتذرون إليه ويسألونه الصّفح ويذكرون أنّ ذلك كان من فعل الفوغاء والسفهاء لسوء الحال التي كانوا عليها من الضّر. فردّ عليهم ردّاً جميلاً وأثنى عليهم وصفح عمّا كان منهم وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شباههم وسفهاءهم والأخذ على أيديهم، وأجابهم إلى ترك النقلة وكتب إلى أصحاب المعاون بترك التسخير.

وانتقل المستمعين من دار محمد بن عبد الله وصار إلى دار رزق الخادم في الرصافة فوصل إليها مساءً فأمر [405] للفرسان من الجند حين صار إليها

بعشرة دنائير لكلّ فارس وللراجل بخمسة دنائير لكلّ واحد، وركب بركوب المستعين ابن طاهر وبيده الحربية يسير بها بين يديه والقواد حلقه، وأقام مع المستعين ليلة ثم انصرف، ولما انتقل المستعين اجتمع الناس والقواد وبو هاشم للمصير إلى ابن طاهر والتسليم عليه وأن يسيروا معه إذا ركب إلى الرصافة، فصاروا إليه وحضر الضحى الأكبر من ذلك اليوم، فركب ابن طاهر وجميع قواده في تعبئة وحوله ناشبة رجالة، فلما خرج من داره وقف الناس فعاتبهم ثم حلف لهم أنه ما أضمر لأمر المؤمنين أعزّه الله ولا لولده له ولا لأحد من الناس سوءاً وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم وما تدوم به النعمة عليهم وأنهم قد توهّموا عليه ما لم يعرفه حتّى أبكى عيون الناس فدعوا له. ثم ركب وعبر الجسر فصار إلى المستعين.

وذكر أنّ المستعين كان كارهاً للنقطة عن دار محمد بن عبد الله ولكنه انتقل من أجل أنّ الناس ركبوا الزواريق بالنقاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لما صُعب عليه فتح الباب وكان يسمع دائماً شتم الناس له وتناولهم عرضه بالقبيح. [406]

ثم إنّ قوماً وقفوا بباب المناسية من قبل أبي أحمد فطلبوا ابن طاهر ليكلّموه. فكتب صالح إلى وصيف يعلمه خبر القوم ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى، فردّ المستعين الأمر فيه إليه وقال:

«إنّ التدبير في جميع أموره مردود إليه.»

فتقدّم فيه محمد بما رأى.

ولم يزل بعد ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبد الله بن يحيى يفلون في الذرّوة والعارب ويشيرون على محمد بالصلح. فذكر قوم أنّهم سألو سعيّد بن حميد بعد ذلك يدهر وقالوا:

«ما ينبغي أن يكون محمد إلا مداهناً وأنه كان انطوى على غلّ في أوّل

أمره.»

فقال: «وددت أنه كان كذلك، لا والله ما هو إلا أن هزم أصحابه من المدائن والأنبار حتى توالى الهزائم عليه.»
فأجاب القوم بعد أن كان قد جادهم.

وحكى أحمد بن يحيى النحوى وكان يؤدب ولد ابن طاهر: أن محمد بن عبد الله لم يزل جاداً فى نصره المستعين حتى أحفظه عهد الله بن يحيى بن خاقان، فقال له:

- «أطال الله بقاءك، إن هذا الذى تنصره بجذك وجهدك من أشد الناس نفاقاً وأخبثهم ديناً. والله لقد أمر وصيفاً وثغاً بقتلك فاستعظما [407] ذلك ولم يفعلاه فإن شككت فى ذلك فسل تُخبر، ومن ظاهر نفاقه أنه كان بشر من رأى لا يجهر فى صلاته -: بسم الله الرحمان الرحيم، فلما صار إليك جهر بها مرأاة لك، وبترك نصره وليك وتربيتك وصهرك.»
ونحو ذلك من الكلام.

فقال محمد بن عبد الله:

- «هذا ما يصلح لدين ولا لدنيا.»

فكان أول ما صدّ محمداً عن الجد فى أمر المستعين. ثم ظاهر عبد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد حتى صرفوه عن رأيه فى نصره المستعين.

وركب محمد بن عبد الله يوماً إلى المستعين وحضر عدة من الفقهاء والقضاة، فقال للمستعين:

- «قد كنت فارقتنى على أن تُنفذ أمرى فى كل ما أعرم عليه، ولك عندي بخطك رقعة بذلك.»

فقال المستعين:

«أحضِر الرقعة».

فأحضَرها فإذا فيها ذكر الصلح وليس فيها ذكر الخلع فقال:

«نعم أنفذ الصلح».

فقام ابن الجبلي فقال:

«يا أمير المؤمنين إنَّه يسألك أن تخلع قميصاً قمصَكَ والله عزَّ وجلَّ». وتكلَّم قوم وتكلَّم عليّ بن يحيى المنبجَم فأغلظ لمحمد بن عبد الله فاحتمله ثمَّ ضُرب لمحمد بن عبد الله بباب الشَّعاسية مضرب كبير أحمر وخرج مع مائتي فارس ومائتي راجل إلى المضرب، وجاءه أبو أحمد فخرج إليه ودخل معه المضرب [408] ووقف الجند الذين مع كلِّ واحدٍ منهما ناحية، فتناظر ابن طاهر وأبوه أحمد طويلاً ثمَّ خرجا من المضرب وانصرف ابن طاهر إلى داره في دلالٍ. ثمَّ ركب من داره ومضى إلى المستعين يخبره بما دار بينه وبين أبي أحمد، فأقام عنده إلى العصر ثمَّ انصرف.

فحكى أنَّه فارقَه عليّ أن يعطى خمسين ألف دينار ويقطع غلَّة ثلاثين ألف دينار في السنة على أن يكون مقامه ببغداد حتَّى يحمل له مال يعطى الجند وعلى أن يُولى بُغَا مَكَّة والمدينة والحجاز ووصيف الجبل، ويكون ثلث ما يجيء من المال لمحمد بن عبد الله وجند بغداد والثلاثان للموالى والأتراك.

ثمَّ ركب ابن طاهر في ذِي الحِجَّة من هذه السنة ليسأظره في الصلح، فسأظره فامتنع عليه، وظنَّ المستعين أنَّ بُغَا ووصيفاً معه فكاشفاه. فقال المستعين:

«هذه عنقي والسيف [والطع]»^(١).

فلَمَّا رأى امتناعه انصرف عنه.

١. زيادة من الطبري (١٦٤١:١٢).

وبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلی بن يحيى وقوم من ثقاته وقال لهم .
 « قولوا . اتق الله إنما جئتكم لتدفع عني فإن لم تدفع عني فكف عني . »
 فرد عليه :

« أمّا أنا فأقعد في بيتي ولكن لا بدّ لك من خلعتها طائناً أو مكرهاً . »
 وذكر عن عليّ بن يحيى [409] أنّه قال :
 « قل له إن خلعتها فلا بأس عليها فوالله لقد تمزّقت تمزّقاً لا تُرفع أبداً
 وما تركت فيها فصلاً . »

إجابة المستعين إلى الخلع

فلما رأى المستعين ضعف أمره ولم يجد ناصراً أجاب إلى الخلع على
 شريطة أشياء سألها . ولم يقنع المستعين إلا بخروج ابن كردية إلى المعتز وهو
 من ولد المنصور وجماعة معه من ثقاته . وكان في شروطه أن ينزل مدينة
 الرسول عليه السلام وأن يكون مضطرباً من مكّة إلى المدينة ومن مدينة إلى
 مكّة . فأجابه إلى ذلك . وكان سبب استجابة المستعين إلى الخلع أن وصيفاً
 وبُعا وابن طاهر أشاروا عليه بذلك فأغلظ لهم . فقال له وصيف :
 « أنت أمرتنا بقتل باغر فصرنا إلى ما نحن فيه وأنت عرضتنا لقتل
 أوتامش وقلت إنّ محمداً ليس بناصح فاقتلوه . »
 فقال محمد :

« وقد قلت إنّ الأمر لا يصلح إلا بالإستراحة من هذين »
 فلما اجتمعت كلمتهم أذعن بالخلع .

ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة . ركب محمد بن عبد الله
 إلى الرصافة وجميع القضاة والفهاء . فأدخلهم إلى المستعين فوجاً فوجاً
 وأشهدهم عليه أنّه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله . ثم أدخل البوابين

والخدم وأخذ منه جوهر الخلافة [410] وأمام عنده حتى مضى هُوَيْ^(١) من الليل وأرجف الناس ضروب الأراجيف. ثم بعث ابن طاهر إلى فَوَّادَه فجاء كل قائد ومعه عشرة من وجوه أصحابه فأدخلهم إليه ومناهم وقال :

« إِنَّمَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ طَلَبَ صِلَاحِكُمْ وَسَلَامَتِكُمْ وَحَقَّنَ الدِّمَاءَ. »

ثم أخرج هوماً ثماناً إلى المعتز، فمضوا إليه بالكتاب الذي فيه شروط المستعين ومحمد، فوقع فيه المعتز بخطه وأمضى كل ما سألاه وشهدوا عليه بإقراره لهما بذلك كله، وخلع المعتز على الرسل^(٢) ولم ينظر لهم في حاجة ولا أطلق لهم جائزة ولم يأمر للجند بشيء.

وحمل إلى المستعين أمه وإبناه وعتاله، بعد ما فتش عياله، فأخذ منهم ما كان معهم.

١. هُوَيْ من الليل : هرب أو قسم منه

٢. والعبارة في الطبري (١٦٤٣ ١٢) وخلع المعتز على الرسل وقتلدهم سيوفاً وانصرفوا بحير

جائزة



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

خلافة المعتز

ثم دخلت سنة اثنتين وخسين ومائتين

وفيهما خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة وبايع المعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم فدعى للمعتز على منبرى بغداد^(١) ومسجدي جانبيها الشرقي والغربي، وأحدث البيعة على من كان بها من الجند.

فذكر أن ابن طاهر دخل على المسعين، ومعه سعيد بن حميد، حين كتب شروط الأمان [411] فقال له:

«يا أمير المؤمنين قد كتب سعيد بن حميد كاب الشرط ووكدته غابة التوكيد فيقرأه عليك وسمعه»

فقال له المصنف:

«لا عليك إلا ووكدته ما بالعباس، فما القوم بأعلم بالله منك، وقد وكدت على نفسك قبلهم، فكان ما قد علمت.»
فما ردّ عليه محمد شيئاً.

ولما بايع المستعين المعتز نقل من الرضافة إلى قصر الحسن ووكل به

١. في الأصل: بغداد (بإعجام الأخير).

وأخذ منه البردة والخاتم والقضيب ووَجَّه بها مع عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكتب معه كتاباً من محمد، نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله متمم النعم والهادي إلى شكره وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له من الفضل ما فرقه في الرسل قبله، وجعل تراثه راجعاً إلى مَنْ خَصَّه بخلافته وسلم تسليمًا. كتابي إلى أمير المؤمنين، وقد تمَّ الله له أمره وتسلمت تراث رسول الله صلى الله عليه متين كان عنده وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عُبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبدته.»

ومنع المستعين الخروج إلى مكة فاختار البصرة فنزلها. واستوزر المعتز أحمد بن إسرائيل وخلع عليه ووضع على رأسه تاجاً، وشخص أبو أحمد إلى سُرَّ مَنْ رأى [412] من معسكره وشيعة محمد بن عبد الله، وخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً ورجع من الروذبار. ولما وصل أبو أحمد إلى سُرَّ مَنْ رأى خلع عليه ستّ خلع وسيف وتُوج بتاج وقلنسوة مجوهرة ووُثِّع بوشاحي ذهب مجوهر وقُلِّد سيفاً آخر مرضعاً بالجوهر وأجلس على كرسيٍّ وخلع على القواد الذين كانوا معه. وكسب المعتز إلى محمد بن عبد الله أن يسقط وصيف ويُعا ومن برسمها من الدواوين. وتكلم أبو أحمد بن المتوكل في قتلها وخاطب محمد بن أبي عون في ذلك فوعده بقتلها، فكتب وصيفاً وبُعا بالخبر فركبا إلى ابن طاهر وقالوا :

«قد بلغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا والقوم قد غدروا، والله لو أرادوا قتلنا ما قدروا عليه.»

فحلف محمد لهما أنه ما علم بشيء من ذلك. وتكلم بها بكلام شديد ووصيف يكفه. ثم نهضا وأحذا في الاستعداد وشرى السلاح وتعرفا الأموال وكان وصيف وجه أخته فأخرجت من قصر أخيها وصيف ألف ألف دينار كانت مدهونة فيه. فدفعتهما إلى المؤيد فكلم المؤيد المعتز في الرضا عن وصيف، فكتب بالرضا عنه.

وتكلم أبو أحمد [413] في الرضا عن بها. ثم اجتمع الأتراك على المعتز فسألوه الأمر بإحضارهما، وقالوا:

«هما كبيرانا ورئيسانا».

فكتب إليهما بذلك، فلما صار إلى سر من رأى اجتمع الموالي، وسألوا ردهما إلى مراتبهما، فأجيبوا إلى ذلك وبعث إليهما فقلع عليهما خلع المرتبة ورُتبا في مرتبتهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد وأمر برده ضياعهما. وفي هذه السنة شغب الجند على محمد بن عبد الله بن طاهر، وطالبوا بأرزاقهم وعظم الخطب في ذلك حتى خرجوا إلى باب حرب وباب الشماسية ومعهم الأعلام والطبول وضربوا المضارب والخيم، وبنوا بيوتاً من بوارى وقصب، وجمع ابن طاهر أصحابه فيبيتهم في داره.

فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى المسجد الجامع فيمنعوه من الدعاء للمعتز. فأعلمهم جعفر أنه لا يقدر على الخروج إلى الصلاة، فانصرفوا عنه وصاروا إلى الشارع النافذ إلى دار الرقيق ثم قصدوا الجسر،

فوجه إليهم محمد بن عبد الله بن طاهر جماعة من القواد والجند ليناظرهم ويدفعوهم دفعاً رقيقاً. فحملوا عليهم وجرحوا منهم جماعة وجرحوا أبا السنّا [414] وكثروا وصاروا إلى دار ابن طاهر فقتلوا، وقتل من الفريقين جماعة.

وصار جماعة من الفوغاء إلى مجلس الشرطة، فكسروا بيت الرفوع وانتهبوا ما فيه، وكان هناك أصناف من المتاع، كثيرٌ جليل^(١)، وأحرق محمد بن طاهر الحسرين لما رأى الجند يعبرون وقد ظهروا على أصحابه وضرب عدّه من الحوانيت بالنار للتجّار فيها متاع كثير لهم، فحالت النار بين الفريقين، وانصرف القوم إلى مضاربهم بباب حربٍ والشعّاسية، وانصمّ إلى ابن طاهر جماعة وعاد إليه قوم من المشغبة وعبّأهم تعبئة الحروب خوفاً من كثرة الجند، فلم تكن لهم عودة، وتلطّف القواد في التضريب بينهم، حتّى تفرّقوا وصاروا إلى منازلهم.

خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد بعده.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ عامل أرمينية وأذربيجان، وهو العلاء بن أحمد، بعث إلى إبراهيم بن المتوكل المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره. فبعث ابن فرخان شاه إليها [415] فأخذها، فأغرى المؤيد الأتراك بعيسى بن فرخان شاه، فشكا ذلك إلى المعتز وعرفه الحال.

فبعث المعتز إلى أخويه المؤيد وأبى أحمد فحبسهما في الحوسق، وقبض المؤيد وصيّره في حجرة ضيقة وأدّر العطاء للأتراك والمفاربة وحبس كنجور صاحب^(٢) المؤيد، وتوفى إبراهيم المؤيد.

١. كذا في الأصل: كثيرٌ جليلٌ في آ: كثيرٌ جليلٌ. وليست العبارة موجودة في الطبري (١٦٦٥: ١١)

٢. في الطبري (١٦٦٨: ١٢): حاجب

ذكر سبب وفاة المؤيد

ذكر أن امرأة من نساء الأتراك^(١) جاءت إلى محمد بن راشد المغربي، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج المؤيد من العبيس فركب محمد بن راشد إلى المعتز، فأعلمه ذلك، فدعا موسى بن تينا وسأله فأكر وقال :
« يا أمير المؤمنين إنما أرادوا أن يُخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنهم كان به في الحرب التي كانت، فأما المؤيد فلا. »

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب، دعا بالقضاة والفقهاء والوجوه فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميتاً لا أثر به ولا جرح. فذكر أنه أدرج في لحاف سمور، ثم أمسك طرفاه حتى مات. وقيل : إنه أجلس على الثلج ونضدت حجارة الثلج عليه، فجمد برداً.

وفي سؤال منها قتل المستعين

ذكر السبب في قتله [416]

اختلف في قتله^(٢) فقال قوم : كوتب محمد بن عبد الله بتسليم المستعين إلى منصور بن حمزة وهو على واسط، ثم وجه أحمد بن طولون التركي في جيش فوافى به القاطول. وقيل بل كان أحمد بن طولون مؤكلاً بالمستعين، فوجه سعيد بن صالح في حمله فصار إليه سعيد فحمله. فيقال : إنه قتله سعيد بالقاطول. ويقال : بل حمله سعيد إلى منزله بسراً من رأى فمذبه حتى مات. ويقال : بل غرقه. ويقال : بل قتله. وأتى المعتز برأسه وهو يلعب بالشطرنج فقيل :

١. انظر الطبري (١٢: ١٦٦٩).

٢. انظر الطبري (١٢: ١٦٧٠).

- «هذا رأس المخلوع».

فقال: «ضعوه هناك».

ثم فرغ من لعبه فدعا به فنظر إليه ثم أمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسة آلاف درهم وولاه معونة البصرة.

وفي هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة

ذكر السهب في ذلك

كانت الأتراك وثبت على عيسى بن فرخان شاء فتناولوه بالضرب وأخذوا دوابه. فاجتمعت المغاربة وتكلمت ورئسهم محمد بن راشد ونصر بن سعيد. فقالوا:

- «في كل يوم تقتلون خليفة وتحلمون خليفة وتقتلون وزيراً وتشبهون
بآخر»^(١) [417]

فغلبوا الأتراك على الجوسق وأخرجوهم منه. ثم وثبوا على بيت المال، وأخذوا دواب الأتراك وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منهم. فالتقوا مع المغاربة وتقاتلوا، فقتل من المغاربة رجل واحد وأخذت المغاربة قاتله وأعانت العامة المغاربة. فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين فاصطلحوا على أن يكون في كل موضع يكون فيه واحد من قبل أحد الفريقين يكون معه آخر من الفريق الآخر. فمكثوا على ذلك مدةً مديدة^(٢) ثم اجتمع الأتراك إلى بايكباك فقالوا:

- «نطلب هذين الرأسين، فإن ظفرنا بهما فليس ينطق أحد».

يعنون محمد بن راشد ونصر بن سعيد. فبلغ أمر الأتراك هذين، فصارا

١. في آ: وتشبهون آخر

٢. في الأصل: مُدَيِّدَةٌ! وهو إما سهو من الكاتب، أو بعدد الموصوف «مدة» في آ: مديدة

إلى محمد بن عَزَّون فغمز بهما إلى بايكباك رجل، وعيل: بل كان ابن عَزَّون هو الذي دس إلى الأتراك من دَلَّهم عليها فقتلوهما. وبلغ ذلك المعتز من فعل ابن عَزَّون، فهم بقتله، ثم كَلَّم فيه فنفاه إلى بغداد ثم خاف فخرج إلى ضيعة له بالكوفة لها حصن. فوافاه فيها الأعراب فقتلوه.

وذكر أنَّ أرزاق الأتراك والمعاربة والشاكرية قُدِّرَت في هذه السنة، فكان مبلغ [418] ما يحتاجون إليه في السنة مائتي ألف ألف دينار وذلك خراج المملكة لستين.

ودخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

وفيهما عقد المعتز في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل لحرب عبد العزيز بن أبي دَلَف، ومع موسى يومئذ من الأتراك ومن يجرى مجراهم ألفان وأربعمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً، منهم مع مفلح ألف ومائة وثلاثون رجلاً. فأوقع مفلح - وهو على مقدمة موسى بن بُغا - بعبد العزيز بن أبي دَلَف ثمان بقين من رجب من هذه السنة، وعبد العزيز في زهاء عشرين ألفاً وكانت الوقعة بينهما خارج همدان، فهزمه مفلح ثلاث فراسخ يقتلون ويأسرون. ثم رجع مفلح مغوراً بمن معه وكتب بالفتح. فلما كان في شهر رمضان حباً مفلح خيله وتوجّه نحو الكرج^(١)، ووجه عبد العزيز عسكرياً في أربعة آلاف. وكمن مفلح كمينين، فقاتلهم مفلح وخرج الكمينان فانهزم أصحاب عبد العزيز ووضع فيهم السيف. وأقبل عبد العزيز

١ كرج قرية من ناحية روزراور بالقرب من همدان من نواحي الجبال بين همدان و نهاوند وهذه كرج أبي دلف، لأنه مضرها واستوطنها كرج دنان. من قرى الزبي كرج وأهلها يستقونها «كزّه». وهذه في رستاق يقال له «فاتق» غرب عن «هفته»، فوض من إحدى كورتى اصمهان (مراصد الإطلاع - يتصرف)

فى جيش Lieben أصحابه، فانهزم بانهمزاهم [1419] وترك الكرج ومضى إلى قلعه له فى جبل الكرج يقال لها: الزر^(١)، ونزل مفلح الكرج وأخذ جماعة من آل أبى ذلف ونساء من نساءهم. فذكر أنه وجه سبعين حملاً من الرؤوس إلى شر من رأى، وأعلاماً كثيرة.

وفى هذه السنة قُتل وصيف التركى

ذكر الخبر عن ذلك

كان الأتراك والفراغنة شغبوا. وطلبوا أوراقهم لأربعة أشهر. فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيماء الشاربى فى نحو مائة إنسان، فكلمهم وصيف وقال:

« ما تريدون. »

قالوا: « أرزاقنا. »

فقال: « خذوا تراباً، وهل عندنا مال ؟ »

فقال لهم بُغا:

« نعم نسأل أمير المؤمنين ذلك. ثم ينصرف عنكم من ليس منكم،

ومتناظر فى دار اشناس. »

فدخلوا إلى اشناس، ومضى سيما منصرفاً إلى شر من رأى وتبعه بُغا لاستثمار الخليفة فى إعطاءهم، وصار وصيف فى أيديهم. فضرب ضربتين بالسيف واحتمله نوشرى وهو أحد قواده إلى منزله، ثم أبطأ عليهم. فظنوا أنه فى التعمية عليهم وقصدهم. فاستخرجوه من منزل نوشرى وضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عضديه. ثم ضربوا عنقه [420] ونصبوا رأسه على معراك تنور، وقصدت العامة بشر من رأى لانتهاك منازل وصيف وولده،

١. فى الطبرى (١٢: ١٦٨٧): مز.

فرجع بنو وصيف فمنعوا منازلهم.

وجعل المعتز ما كان إليه، إلى بُغا الشرايى.

وفى هذه السنة مات محمد بن عبد الله بن طاهر، ليلة كسوف القمر، وذلك ثلاث عشرة خلت من ذى القعدة، غرق القمر كله، ومات محمد مع انتهاء عرقه. وكانت علته من قروح ذهبته فى حلقه.

انهزام الكوكبي

وفىها لقي موسى بن بُغا بقروين الكوكبي الطالبى على فرسخ من قزوین، فهزمه، ولحق الكوكبي بالديلم.

ذكر الخبر عن ذلك

كان أصحاب الكوكبي من الديلم أقاموا تراسهم فى وجوههم. فلما نظر موسى ورأى سهام أصحابه لا تصل إليها أمر بما معه من النفط، فصب فى الأرض على حشيش كان هناك. ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم. فلما فعلوا ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا فتبعوهم. فلما علم موسى أنهم قد توسطوا النفط أمر بالنار فأشعلت فأحذقت النار فيه، وخرجت من تحت أقدامهم، فجعلت تحرقهم وهرب [421] الباكون، فصارت هزيمة، ودخل موسى قزوین.

ودخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

وفىها كان مقتل بُغا الشرايى.

ذكر مقتل بُغا الشرايين

كان بُغا يحضّر المعتزّ على المصير إلى بغداد والمعتزّ يأبى ذلك. ثمّ إنّ بُغا اشتغل مع صالح بن وصيف في خاصّته لئرس جمعة بنت بُغا وكان صالح بن وصيف تزوّجها. فركب المعتزّ ليلاً ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سرّ من رأى يريد بايكباك ومن كان على رأيه في الإنحراف عن بُغا مستخفياً منه.

فلما وافى المعتزّ بمن معه الكرخ اجتمع مع بايكباك أهل الكرخ والدور، ثمّ أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق^(١) سرّ من رأى. وبلغ ذلك بُغا فخرج في غلمانهم وهم زهاء خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقوّاده. فصار إلى نهر نيزك ثمّ تتقلّ إلى مواضع، ثمّ صار إلى السين ومعه من المين تسع عشرة بدرّة ومائة بدرّة دراهم أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان، فأنفق منها يسيراً إلى أن قُتل.

ولما بلغه أنّ المعتزّ قد صار إلى الكرخ مع أحمد بن إسرائيل، خرج في خاصّته [422] إلى تلّ عُكْبَر^(٢). ثمّ مضى إلى السنّ فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من الصّف، وأنّهم لم يُخرجوا معهم مضارب ولا ما يتدأرون به من البرد وأنّهم في شتاء. وكان بُغا في مضرب له صغير على دجلة فكان يكون فيه، فأثناء أساتكين فقال:

«أصلح الله الأمير، قد تكلم أهل العسكر وخاضوا في كذا وأنا رسولهم

إليك.»

فقال: «كلّهم يقولون مثل قولك؟»

قال: «نعم وإن شئت فابعت إليهم حتّى يقولوا مثل قولي.»

١. الجوسق، فارسيّ مرّب. أصله بالفارسيّة: كوشك، أي القصر.

٢. كذا في الأصل وأعط: عُكْبَر. في الطبري (١٢: ١٦٩٥): عُكْبَرَة.

قال : «دعني حتى أنظر ويخرج إليكم أمرى بالغداة.»

فلَمَّا جَنَّهُ الليل دعا بزورق فركبه مع خادمين معه وحمل معه شيئاً من المال ولم يحمل معه سلاحاً ولا سكيناً ولا عموداً، ولا يعلم أهل عسكره بذلك من أمره. والمعتز في غيبة بُغا لا ينام إلا في ثيابه وعليه السلاح ولا يشرب نبيذاً وجميع جواريه على رجل. فصار بُغا إلى الجسر في الثلث الأول فلَمَّا قَرَّب الزورق من الجسر بعث الموكلون به من ينظر من في الزورق. ثم صاحوا بالغلام فرجع إليهم وخرج بُغا في البستان العاقاني، فلحقه عدّة منهم، فوقف لهم وقال :

- «أنا بُغا.»

ولحقه وليد المغربي فقال له :

- «ما لك جعلت هذاك؟» [423]

قال : «إِنَّمَا أَن تَذْهَب بِي إِلَى مَنْزِل صَالِحِ بْنِ وَصِيفٍ وَإِنَّمَا أَن تَصِيرُوا مَعِي حَتَّى أَحْسِنَ إِلَيْكُمْ.»

فَوَكَّلَ بِهِ وليد المغربي. ثُمَّ مَرَّ بِرَكْضٍ إِلَى الْجَوْسِقِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْمُعْتَزِّ، فَأُذِنَ لَهُ فَقَالَ :

- «يَا سَيِّدِي هَذَا بُغَا قَدْ أَخَذْتَهُ وَقَدْ وَكَّلْتُ بِهِ.»

قال : «وَبِكَ جِئْتَنِي بِرَأْسِهِ.»

فَرَجَعَ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِلْمُوكَلِّينَ :

- «تَنَحَّوْا عَنِّي حَتَّى أُبْلِغَهُ الرِّسَالَةَ.»

وَضْرَبَهُ ضَرْبَةً عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ عَلَى يَدِهِ فَقَطَعَهَا. ثُمَّ ضْرَبَهُ حَتَّى صَرَخَ وَذَبَحَهُ وَحَمَلَ رَأْسَهُ فِي بَرَكَةٍ^(١) قَبَائِثِهِ، وَأَتَى بِهِ الْمُعْتَزِّ، فَوَهَبَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ

١ كَذَا فِي الْأَصْلِ رَأً وَالطَّبْرِي (١٦٩٤ ١٢) بَرَكَةٌ. فِي مَط : تَرَكَةٌ.

دينار، وخلع عليه.

ونُصب رأس بُعَا بَشْرَ من رأى ثمّ ببغداد، ووثبت العامة على جسده فأحرقوه بالنار.

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد جعل مكان محمد بن عبد الله بن طاهر بوصيته، فتتبع بنيه وكانوا صاروا إليها هُزَاباً مع قوم يشقون بهم. فأثارهم وحبس قوماً في المطبق وقوماً في قصر الذهب، وكان سبب انحذار بُعَا إلى سُرٍّ من رأى مستراً أنه أشير عليه أن يصير إلى دار صالح بن وصيف، فإذا قرب العيد دخل أهل العسكر وخرج هو وأصحابه فوثبوا بالمعتر.

وفي هذه السنة وافى الأهواز دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي بتوجيه والده [424] عبد المرير إتياء. فجبى منها ومن جنديسابور وتُسْتَر مائتي ألف دينار وانصرف.

ودخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

وفيها دخل مُفلح طبرستان وواقع الحسن بن زيد الطالبي، فهزم مفلح الحسن فلحق بالديلم في طلب الحسن بن زيد.

وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس

وفيها كانت بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس وقعة خارج كرمان أسر فيها يعقوب طوقاً.^(١)

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنَّ عليَّ بن الحسين بن قريش بن شبل كتب إلى السلطان يخطب كرمان، وكان قبل من عتال آل طاهر، ثم كتب إلى السلطان يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم ما إليهم من البلاد، وأنَّ يعقوب بن الليث قد غلبهم على سجستان، وتباطأ على السلطان بتوجيه خراج فارس.

فكتب السلطان إليه بولايته كرمان وكتب أيضاً إلى يعقوب بولايته يلمس بذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه لتسقط مؤونة الهالك منهما عنه ويتفرد بمؤونة الآخر، إذ كان كل واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته. [425] فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب من سجستان يريد كرمان ووجه عليَّ بن الحسين طوق بن المغلس وقد بلغه خبر يعقوب وفصوله من سجستان. فصار من كرمان على مرحلة وبقي في معسكره ذلك شهراً أو أكثر يتجسس أخبار طوق ويسأل عن أمره كل من مرَّ به خارجاً من كرمان إلى ناحيته، ولا يدع أحداً يجوز بمعسكره من ناحيته إلى كرمان. فلا يزحف طوق إليه ولا هو إلى طوق.

ثم أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره إلى ناحية سجستان فارتحل عنه مرحلة وبلغ طوقاً ارتحاله. فظنَّ أنه قد بدا له في حربه وترك عليه كرمان وعلى عليَّ بن الحسين، فوضع آلة الحرب وقصّر وقعد للشرب ودعا بالملاهي ويعقوب في كل ذلك لا يغل عن البحث عن أخباره. فاقصص به وضع طوق آلة الحرب واقباله على الشرب واللهو لارتحاله، فكثر راجعاً وطوى المرحلتين إليه في يوم واحد فلم يشعر طوق وهو في لهوه وشربه في آخر يومه إلا بعبرة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كرمان فقال لأهل القرية :

- « ما هذه الغيرة. »

فقيل : « هذه غيرة مواشى أهل القرية منصرفة إلى أهلها. »
ثم لم يكن إلا كلاً ولا^(١) حتى [426] وافاه يعقوب في أصحابه فأحاط به
وبأصحابه. فذهب أصحاب طوق لَمَّا أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم.
فقال يعقوب لأصحابه :

- « أفرجوا عن القوم. »

فأفرجوا لهم فمروا هارين على وجوههم وغلّوا كل شيء لهم، وأسر
يعقوب طوقاً. وكان عليّ بن الحسين وجّه طوقاً وحمله صناديق في بعضها
أطوقه وأسورة وفي بعضها أموال وفي بعضها قيود وأغلال ليطوق ويحوز
ويسور من أهلى وأحسن وليقيد من أسر وأخذ من أصحاب يعقوب.
فلَمَّا أسر يعقوب طوقاً ورؤساء جيشه أمر بحيازة كل من كان مع طوق
وأصحابه من المال والأثاث والكراع والسلاح، فحيز ذلك كله وجمع إليه.
فلَمَّا أتى بالصناديق أمر بفتح بعضها فإذا فيه قيود وأغلال فقال لطوق :
- « يا طوق ما هذه القيود والأغلال ؟ »

قال : « حملنيها عليّ بن الحسين على رسم الماكر لأقيد بها الأسرى
وأغلّهم. »

فقال يعقوب : « يا فلان اجعل أكبرها وأثقلها في رجل طوق وعنقه،
والباقية في أرجل أصحابه وأعناقهم. »

ولم يزل يفتح الباقية من الصناديق حتى قُتعت صناديق الأطواق
والأسورة فقال :

- « يا طوق ما هذه ؟ »

١ كذا في الأصل وأوسط والطبرى (١٢ - ١٧). إلا كلاً ولا.

قال : « حَمَلَهَا عَلَيَّ [427] لَأَطَوِّقَ وَأَسُورَ أَهْلِ الْبَلَاءِ وَالْإِحْسَانِ »
 فقال : « يَا فَلَانُ خُذْ هَذِهِ الْأَطَوَاقَ وَالْأَسُورَةَ فَطَوِّقْ فَلَاناً وَسُورَهُ، وَفَلَاناً
 وَفَلَاناً. » حَتَّى فَرَّقَ تِلْكَ الْأَطَوَاقَ كُلَّهَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ذِرَاعِ طَوِيقٍ وَعَلَيْهَا عَصَابَةٌ
 فَقَالَ :

« يَا طَوِيقُ مَا هَذَا ؟ »

قال : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، كُنْتُ وَجَدْتُ حَرَارَةً فَفَصَدْتُ. »
 فَدَعَا يَعْقُوبَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ فَأَمَرَ بِمَذْخَفِهِ، فَتَنَازَرُ مِنْ خُفِّهِ كَيْسَرُ خَبَزٍ
 بِابِئَةِ فَقَالَ :

« يَا طَوِيقُ هَذَا خُفِّي لَمْ أَتَزَعَهُ مِنْ رِجْلِي مِنْذُ شَهْرٍ وَكَسِرَ خَبَزِي فِي
 خُفِّي، مَا وَطَأْتُ فَرَأَشِي وَلَا تَوَدَعْتُ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي الشَّرْبِ وَالْمَلَاهِي.
 أَفَبِهَذَا التَّدْبِيرُ أَرَدْتَ حَرْبِي وَقِتَالِي. »
 ثُمَّ دَخَلَ يَعْقُوبُ كَرْمَانَ فَحَازَهَا وَصَارَتْ مِنْ عَمَلِهِ مَعَ سَجِسْتَانَ.

دخول يعقوب بن الليث فارس

وفيهما دخل يعقوب بن الليث فارس فملكها وأسر علي بن الحسين بن
 قريش.

ذكر الخبر عن ذلك

ورد علي بن الحسين خبر وقعة يعقوب بن الليث بصاحبه طويق بن
 العنفلس ودخول يعقوب كرمَانَ واستيلائه عليها ورجع أهل الفل. فأهقن
 بإقبال يعقوب إلى فارس وعلي يومئذ بشيراز من أرض فارس فضم إليه
 حيشه والفل وغيرهم [428] وأعطاهم السلاح ثم برز من شيراز فصار إلى
 الكُرَّ خارج شيراز بين آخر طُرُقِهِ عَرْضاً مِمَّا يَلِي أَرْضَ شِيرَازَ وَبَيْنَ عَرْضِ

حبل بها من الفضاء، قدر ممزّ رجل أو دابة، لا يمكن أن يمرّ فيه أكثر من واحد من ضيقه. فأقام في ذلك الموضع وضرب عسكره على شاطئ الكُزّ ممّا يلي شيراز، وأخرج معه السوقة والتجّار من مدينة شيراز إلى معسكره وقال:

- «إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز فيه الفلاة إلينا لأنّه لا طريق له إلّا ذلك الفضاء الذى بين الجبل والكُزّ وإنّما هو ممزّ رجل إذا قام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه وإذا لم يقدر أن يجوز إلينا بقى فى البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علف لدوابهم.»

فأقبل يعقوب حتّى قرب من الكُزّ، فأمر أصحابه بالنزول أول يوم على نحو ميل من الكُزّ ممّا يلي كرمان. ثمّ أقبل هو وحده بيده رمح عُشارى، ما معه إلّا رجل واحد، فنظر إلى الكُزّ والجبل والطريق، وتأمل عسكر علىّ بن الحسين، فجعل أصحاب علىّ يشتمونه ويقولون:

- «لنردنك إلى تشعيب»^(١) القعاقم والمراجل يا صفّار.»

وهو ساكت لا يردّ عليهم شيئاً. فلما تأمل كلّ ما أراد [429] ورأاه انصرف راجعاً إلى أصحابه. فلما كان من القد عند الظهر أقبل بعسكره ورجاله حتّى صار إلى شاطئ الكُزّ ممّا يلي برّ كرمان فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم وحملوا أثقالهم.

ثمّ فتح صندوقاً كان معه والناس ينظرون إليه فأخرجوا منه كلباً ذئبياً، ثمّ ركبوا دوابهم أعراء وأخذوا رماحهم بأيديهم. قال: وقبل ذلك ما قد عبأ علىّ بن الحسين أصحابه وأقاموا صفوفاً على الممرّ الذى بين الجبل والكُزّ، وهم يرون أنّه لا سبيل ليعقوب ولا طريق له يمكنه أن يحوزه غيره، ثمّ جاءوا

بالكلب فرموا به في الكُرّ وأصحاب عليّ ينظرون إليه ويضحكون منه ومنهم. فلما رموا بالكلب فيه جعل الكلب يسبح في الماء إلى جانب عسكر عليّ بن الحسين، واقتحم أصحاب يعقوب دوابهم خلف الكلب، وبأيديهم رماحهم يسرون في أثر الكلب. فلما رأى عليّ بن الحسين أنّ يعقوب قد قطع عامّة الكُرّ إليه انتفض عليه تدبيره وتحير في أمره. ولم يلبث أصحاب يعقوب إلاّ أيسر ذلك حتّى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب عليّ بن الحسين. فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتّى هرب أصحاب عليّ يطلبون [430] الهرب إلى مدينة شيراز. لأنّهم كانوا إذا خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ، فلا يجدون ملجأ. فلما أن هزموا تقطّر بعليّ دأته فسقط إلى الأرض، ولحقه بعض السجزية، فرفع عليه سيفه ليضربه فصاح عليه غلام لعليّ:

«الأمير، الأمير.»

فنزل إليه السجزيّ فوضع عمامته في عنقه، ثمّ جرّه إلى يعقوب. فلما أتى به أمر بتقييده وأمر بما كان في عسكر عليّ من آلة الحرب من السلاح والكرّاع وغير ذلك، فجمع إليه. ثمّ أقام بموضعه حتّى أمسى وهجم عليه الليل.

ثمّ رحل من موضعه ودخل مدينة شيراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطبول، فلم يتحرك أحد. فلما أصبح أنهب أصحابه دار عليّ بن الحسين ودور أصحابه، ثمّ نظر إلى ما اجتمع في بيت المال من مال الخراج والضياع، فاحتمله ووضع الخراج فجاء.

ثمّ شخص متوجّهاً إلى سجستان وحمل معه عليّ بن الحسين بن قريش ومن أسر معه من قواده.

ووجه يعقوب بن الليث إلى المعتز بدوابّ ويزاة ومِسْكٍ وثياب هديّة

وفيهما ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر [431] سُرَّ مَنْ رَأَى مِنْ خِرَاسَانَ
وَدَخَلَ عَلَى الْمُعْتَزِّ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَانصَرَفَ، ثُمَّ وَلَّاهُ شُرْطَةَ بَغْدَادِ وَالسُّودِ.
وفيهما أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح
عميس بن إبراهيم، وهرب أحمد بن صالح بن شيرزاد إلى بغداد، فاستخفى
عند كاتب له يقال له : ابن واضح، فقيدهم وطلبهم بالأموال.

ذكر السبب في ذلك

كَانَ هَؤُلَاءِ الْكَتَّابُ اجْتَمَعُوا عَلَى شَرَابٍ لَهُمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ
الْعَدِ رَكِبَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْرَائِيلَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ الَّتِي يَقْعُدُ فِيهَا،
وَرَكِبَ ابْنُ مَخْلَدٍ إِلَى دَارِ قَبِيحَةَ^(١) أُمِّ الْمُعْتَزِّ وَهُوَ كَاتِبُهَا. وَحَضَرَ أَبُو نُوحٍ
الدَّارَ وَالْمُعْتَزَّ نَائِمًا. فَاتَّبَعَهُ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ وَأَذِنَ لَهُمْ. فَحَمَلَ صَالِحُ بْنُ
وَصِيفٍ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ فِي الْكَلَامِ فَقَالَ لِلْمُعْتَزِّ :
- « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ لِلْأَتْرَاكِ عَطَاءٌ وَلَا فِي بَيْتِ الْمَالِ مَالٌ، وَقَدْ
ذَهَبَ ابْنُ إِسْرَائِيلَ وَأَصْحَابُهُ بِأَمْوَالِ الدُّنْيَا. »
فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ :

- « يَا عَاصِيُ بْنُ الْعَاصِي. »

وَتَرَا جَعَلَ الْكَلَامَ.

وَكَانَ الْأَتْرَاكِ قَدْ شَغِبُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَطَلَبُوا أَرْزَاقَهُمْ. فَقَالَ أَبُو نُوحٍ لَصَالِحٍ
عِنْدَ مُرَاجَعَتِهِ أَحْمَدَ بْنَ إِسْرَائِيلَ وَقَوْلَ أَحْمَدَ : يَا عَاصِيُ بْنُ الْعَاصِي :
- « هَذَا الشَّغْبُ أَيْضًا تَدْبِيرُكَ عَلَى الْخَلِيفَةِ. »
فَفُتْسَى عَلَى صَالِحٍ وَسَقَطَ [432] إِلَى الْأَرْضِ مَعًا دَاخِلُهُ مِنَ الْفَيْظِ

١. تسمية باسم الصّدء كما سيأتى

والغضب، حتى رشوا على وجهه الماء وألقوا، وجرى بينهم كلام كثير وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب. فصاحوا صيحة واحدة واخترطوا سيوفهم ودخلوا على المعتز مصلتين فلما رأى ذلك المعتز دخل وتركهم فأخذ صالح ابن وصيف بن إسرائيل وابن مخلد وأبا نوح عيسى فقدهم وثقلهم بالحديد وحملهم إلى داره.

فقال المعتز لصالح قبل أن يحملهم :

- «هَبْ لِي أَحْمَد، فَإِنَّهُ كَاتِبِي وَهُوَ رَبَّانِي.»

فلم يفعل ذلك صالح ثم ضرب ابن إسرائيل حتى كسرت أسنانه ووطع ابن مخلد فضرب مائة مفرقة. وكان عيسى بن إبراهيم محتجباً فلم يزل يُصفع حتى جرت الدماء من محاجمه وأخذت خطوطهم بمال جليل قُسط^(١) عليهم.

وبعث المعتز إلى أبي عبد الله بن محمد بن يزيد المروزي فحمل ليستورره.

وبعث قبيصة أم المعتز إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل :

- «إِنَّمَا حَمَلْتَهُ إِلَى الْمُعْتَزِ وَإِنَّمَا رَكِبْتُ إِلَيْكَ فِيهِ.»

ثم قدم جعفر بن محمود ومال إليه الأتراك، ولم يكن للمعتز فيه أرب قولى الأمر والنهي.

خلع المعتز وموته

ولثلاث بقين من رجب خلع المعتز وللملئين خلعتا من شعبان أظهر

موته. (٢) [433]

١. كذا في الأصل والطبري (١٧٠٧٠٢) : قُطِطَ في مط : فسقط عليهم

٢. وزاد في الأصل وآ - «وكان السبب في خلعهم» فحذفناه. لأن العنوان الأنسب يأتي بعده. وما

ذكر سبب خلعه

لَمَّا جَرَى فِي أَمْرِ الْكِتَابِ وَأَمْرِ الْأَتْرَاكِ مَا جَرَى، لَمْ يَرْتَفَعْ مِنْ حَصَّتِهِمْ مَا طَلَبَهُ الْأَتْرَاكِ وَتَقَاعَدَ بِهِمُ الْكِتَابُ فَصَارُوا إِلَى الْمُعْتَرِّ يَطْلُبُونَ أَرْزَاقَهُمْ. وَقَالَ الْأَتْرَاكِ :

- «وَفَنَّا أَرْزَاقَنَا حَتَّى نَقْتُلَ لَكَ صَالِحَ بْنِ وَصِيفٍ وَنَسْتَنْظِمَ أَمْرَكَ.»
فَأَرْسَلَ الْمُعْتَرِّ إِلَى أُمِّهِ يَطْلُبُ مِنْهَا مَالاً يُرْضَى بِهِ الْأَتْرَاكِ فَقَالَتْ :

- «مَا عِنْدِي مَالٌ.»

فَلَمَّا نَظَرَ الْأَتْرَاكِ إِلَى امْتِنَاعِ الْكِتَابِ مِنْ أَنْ يَعْطُوهُمْ شَيْئاً وَلَمْ يَجِدُوا فِي بَيْتِ الْمَالِ شَيْئاً وَالْمُعْتَرِّ وَأُمِّهِ قَدْ امْتَنَعَا مِنْ أَنْ يَسْمَحَا لَهُمْ بِشَيْءٍ، صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً وَكَلِمَةُ الْفَرَاغَةِ وَالْمُفَارِقَةِ مَعَهُمْ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِ الْمُعْتَرِّ. فَصَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَرَعْهُ إِلَّا صِيَاحُ الْقَوْمِ. وَإِذَا صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ وَبَاهِكْبَاكِ وَمُحَمَّدُ بْنُ بُغَا أَبُو نَصْرٍ قَدْ دَخَلُوا فِي السِّلَاحِ، فَجَلَسُوا عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَنْزِلُهُ الْمُعْتَرِّ. ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ :

- «اخْرُجْ إِلَيْنَا»

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ :

- «إِنِّي أَخَذْتُ أَمْسَ دَوَاءً وَقَدْ أَخْلَقْنِي اثْنِي^(١) عَشَرَ مَجْلِساً، وَمَا أَقْدَرُ عَلَى الْكَلَامِ مِنَ الضَّعْفِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْهُ، فَلْيَدْخُلْ إِلَيَّ بِعِضْكُمْ وَلِيَعْلَمَنِي.»
وَهُوَ يَرَى أَنَّ أَمْرَهُ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ.

فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ وَالْدُورِ [434] مِنْ حُلَفَاءِ الْقَوَادِ، فَجَرَّوْا

→

حَدَّثَنَا شَيْخٌ مَوْجُودٌ فِي مَط.

١ فِي الْأَصْلِ اثْنَا عَشَرَ

برجله إلى باب الحجرة. قال: وأحسب أنهم تناولوه بالضرب. فإتته خرج وقميصه مخزق في مواضع واثار الدم على منكبيه. فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شدة الحر. فجعل يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه. ثم قام بعضهم إليه وجعل يلعلمه وهو يتقى بيده. وقالوا له:

«اخلعها.»

وكان الأتراك قبل مكاشفته التمسوا منه خمسين ألف دينار ليقتلوا صالح بن وصيف ويستقيم أمره. فطلب من أمه قبيحة هذا المقدار، فتسحت عليه به ومنعته وقالت:

«ليس عندي مال.»

ثم وجد لها من المال الصامت من الثمن والجوهر ثلاثة آلاف دينار سوى الآلات وسنذكر بعض ذلك في المستأنف. وكانت قبيحة حظته المتوكل، وسميت قبيحة لحسنها على طريق الضد. ويقال: إنه لم ير مثلها حسنًا. ثم إن الأتراك أحضروا ابن أبي الشوارب مع جماعة من أصحابه. فقال له صالح:

«اكتب عليه كتاب الخلع» يعني المعتز.

فقال: «لا أحسنه.»

وكان معه رجل إصبعاني فقال:

«أنا أكتب ويتخلص الرجل.»

فكسب وشهدوا عليه.

فقال ابن أبي الشوارب:

«إنهم شهدوا [435] على أن له ولأخيه ولابنه وأمه الأمان»

فقال صالح بكه:

- «أى نعم».

ووكّلوا به وبأتمه نساء، وكانت أمّه قد اتخذت في الدار سرهاً تنفذ إلى حيث تأمن وتخرج منه، فدخلت السرب وفرت هي وأخت المعتز. ثم عذب المعتز بعد الخلع، فلم يوجد له شيء. فحنّعه العذاب الطعام والشراب ثلاثة أيام فطلب حسوة من ماء البئر فمنعوه. ثم جصّصوا له سرداباً بالجصّ الشخين^(١) وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه بابه، فأصبح ميتاً. فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوماً وكان عمره كلّه أربعاً وعشرين سنة. وكان أبيض، أسود الشعر كثيفه، حسن الوجه والعينين، ضيق الجبين، أحمر الوجنتين، حسن الجسم طويلاً.

١. كما في الأصل وآ مط والطبري (١٢ ١٧١١) - الشخين (بالثاء للمثناة)

خلافة المهتدى بالله ابن الواثق

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب ببيع محمد بن الواثق وسُمّي المهتدى بالله، وكنيته أبو عبد الله. ولم يقبل بيعة أحدٍ حتّى أتى بالمعتز فخلع نفسه وباع محمد بن الواثق. وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه :
«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه الشهود المسمّون في هذا الكتاب، شهدوا جميعاً: أنّ أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المعتوكل على الله أقرّ عندهم [436] وأشهدهم على نفسه في صحّة من عقله وبدنه وجواز من أمره طائعاً غير مكره، وأنّه نظر هيما كان تقلّده من الخلافة والقيام بأمر المسلمين، فرأى أنّه لا يصلح لذلك ولا يكمل له، وأنّه عاجز عن القيام بما يجب عليه فيها، ضعيف عنه. فأخرج نفسه من الخلافة وبرأ منها وخلع نفسه وبرأ^(١) كلّ من كانت له في عنقه بيعة من جميع أوليائه وسائر الناس ممّا كان له في رعايتهم من البيعة والعفود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعاق والصدقة وسائر الأيمان، وحلّلهم من جميع ذلك، وجعلهم في سعة منه في الدنيا والآخرة بعد أن تبين له أنّ الصلاح له وللمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها. وأشهد على نفسه بجميع ما في هذا الكتاب جميع الشهود من

حضر بعد أن قرأ عليه حرفاً حرفاً، وأقرّ بفهمه ومعرفة ما فيه طائماً غير مكره. وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين..»

فوقع المعترّ في ذلك. أقرّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه.

وكتب محمد بن الواثق المهتدي باقة إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام، أنّ الناس [437] قد بايعوه. وكان هناك أبو أحمد بن المتوكل، فبعث سليمان إليه فأحضره داره، وسمع من بهغداد من الجند والغوغاء بالخبر، فاجتمعوا إلى باب سليمان وضجّوا فخطبوا أنّه لم يرد علينا خير نثق به، فانصرفوا إلى يوم الجمعة وخطبوا للمعترّ. فلما كان يوم السبت اجتمعوا وهجموا على دار سليمان في داره وسألوه أن يُريهم أبا أحمد بن المتوكل فأظهره لهم. ثمّ وعدهم أن يصير إلى محبتهم إن تأخّر عنهم ما يحبّونه فأكدوا عليه في حفظه وانصرفوا عنه.

ثمّ قديم بارجوخ ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند. فضجّ الناس ورجع بارجوخ ووقعت الفتنة والعصية ببغداد، وقصد دار سليمان وكان قد شحها بمن يحفظها. فعاربهم أهل بغداد في شارع دجلة وعلى الجسر، فقتل خلق وغرق خلق. ثمّ وجّه إلى بغداد مال رضوا به، وبايع الناس واستقامت الأمور وسكنت الفتنة.

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قبيحة ودلت على الأموال التي لها والذخائر والجواهر.

ذكر سبب ظهور قبيحة [438]

كانت قبيحة قذرت الفتك بصالح بن وصيف وواطأت على ذلك الفر من

الكبار الدين أوقع بهم صالح. فلما حصلوا في يد صالح وعُذِّبوا، علمت أنهم لا يطوون عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم به من العذاب. فأيقنت بالهلاك وكانت قد أطلعت الكتاب على ما تيزله في قتل أولئك الأتراك فعملت في التخلص.

فبادرت إلى صالح بن وصيف ووسّطت بينها وبينه المطّارة وكانت تثق بها وكان لها مال ببغداد. فكتبت في حمله فاستخرج وحُمِلَ قدر خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار ووقعوا على خزائن لها ببغداد، فحُمِلَ إلى السلطان منها متاع عظيم. ولم تزل خزائنها وأموالها متصلة والبيع منها دائماً وحوالة الجند عليها ببغداد وسُرَّ من رأى عدّة شهور. ثم وقف صالح على خزانة قبيحة فأرسل إلى رجل جوهرى قال الرجل: فدخلت إليه فقال:

«إنّ لقبيحة^(١) خزانة في موضع يرشدك إليها هذا. فامض ومعك أحمد بن خاقان وصر إليّ معه.»

قال: فمضينا إلى الصفوف بحضرة المسجد الجامع وجاء بنا ذلك الرجل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة فدخلناها وفتشنا كل موضع [439] فيها فلم نجد شيئاً. وجعل ذلك يغلظ على أحمد بن خاقان ويتهذد الرجل ويتوعده ويشتمه. فأخذ الرجل قاساً وجعل ينقر به الحيطان يطلب موضعاً قد صُيِّر فيه المال. فلم يزل كذلك حتى وقع القاس على موضع من الحائط استدلّ بصوته على أنّ فيه شيئاً. فهدمه وإنا من ورائه باب ففتحناه ودخلنا فأدّانا إلى سرب، وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها. فوجدنا من المال على رفوف في أسفاط ألف ألف دينار. فأخذ أحمد ومن كان معه قدر ثلاثمائة ألف دينار.

١. انظر الطبري (١٧١٥:١٢).

ووحدا ثلاثة أسقاط : سبطاً فيه مقدار مَكُوك زَمَرْدَأ لم أر للمتوكل ولا لغيره مثله، وسبطاً دونه فيه نصف ملوك حباً كِبَاراً ما ظننت والله أن مثله يكون، وسبطاً دونه فيه مقدار كيلجة ياقوتاً أحمر لم أر مثله ولا ظننت أن مثله يوجد في الدنيا. فقومت الجميع على البيع ألفي ألف دينار، فحملناه كله إلى صالح. فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى أحصى بحضرته ووقف عليه. فقال عند ذلك :

- «فعل الله بها وصنع، عرضت ابها للقتل في خمسين ألف دينار وعددها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنها». [440]

ولم تزل قبيلة مقيمة إلى أن حضر وقت الحج، فسُيرت إلى مكة مع أصحاب المهتدي بالله. فحكى من سمعها في طريقها وهي تقول اتدعو الله على صالح بن وصيف بصوت :

- «اللهم أخز صالح بن وصيف كما هلك سري وقتل ولدي وهدد شملي وأخذ مالي وغرّبنى عن بلدي وركب الفاحشة مني». ولما انصرف الناس عن الموسم احتُبست بمكة. وفي هذه السنة قُتل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح.

ذكر السبب في قتلها

إن صالح بن وصيف لما استغنى أموالها وأموال الحسن بن مخلد عذبهم وقرب كوائن الفحم المشعلة منهم في شدة الحر ومنعهم كل راحة، ولم يعارضه المهتدي. وكان عبد الله بن محمد بن يزداذ يقول لصالح :

- «اقتلهم فإنهم إن أفلتوا لم تؤمن بوائقهم في الأعقاب فضلاً عما وترهم».

فحكى الحسن بن مخلد قال : كان داود بن أبي العباس الطوسي يحضرنا

عند صالح بجميل فبقول :

- « وما هؤلاء - أعزك الله - حتى يبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ ، فظننه يرفقه ^(١) علينا حتى يقول ، على أنى والله أعلم [441] أنهم إن تخلصوا انتشر منهم شر كثير وفساد فى الإسلام عظيم ، فينصرف والله وقد أفتى بقتلنا وأشار عليه بإهلاكنا فيزداد علينا برأيه وكلامه غيظاً . »

ثم وكَّلَ بأحمد بن إسرائيل وأبى نوح ، عيسى أحمد بن محمد بن حنّاد دنقش فأسرف فى تعذيبهما ثم أقام أحمد بن إسرائيل يضرب وابن دنقش يقول :

- « أوجع . »

فكان كلَّ جلّاد يضربه سوطين يتنحى ، حتى وقوه خمسمائة سوط . ثم أقاموا أبا نوح فضربوه كذلك أيضاً ضرب التلف . ثم حملا على بغلين من بغال السقائين على بطونهما منكبة رؤوسهما ظاهرة ظهورهما للناس ، فترفا فى الطريق .

وأما الحسن بن مخلد فتعلّص بخصلتين إحداهما أنه صدقه عن جميع ما سأله عنه والآخر أن المهدي كلمه فيه وقال :

- « لأهله حرمة وأنا أحبّ صلاح شأنه . »

فنجوا من بينهما .

انصراف مفلح من طبرستان

وفىها انصرف مفلح من طبرستان بعد أن كان دخلها ، وأخرج الحسن بن زيد .

١. كذا فى آ والطبرى (١٧٢-١٧٢٤) يرفقه . فى الأصل ومط : يرفقه .

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن قبيصة كتبت إلى موسى بن بَغَا - لَمَّا رأت من الأتراك اضطراباً [442] وأنكرت أمرهم - تسأله القدوم إلى ما قبلها وأُملت بوروده فرجاً لها ولابنها. فعزم موسى على الإنصراف إليها وكتب إلى مفلح وهو بطبرستان يأمره بالإنصراف إليه وهو بالرى فورد عليه كتاب موسى وقد توجه نحو أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد.

فلَمَّا ورد عليه الكتاب انصرف راجعاً. فعظم ذلك على رؤساء طبرستان ومن كان هارباً قبل قدوم مفلح، وكانوا قد رجوا^(١) بقدومه الرجوع إلى منازلهم وأموالهم. وذلك أن مفلحاً كان يدهم اتباع الحسن بن زيد حتى يظفر به أو يُختَرَم^(٢) دونه. فلَمَّا رأى الناس انصرافه من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من الديلم، سألوه عن السبب الذي صرفه وجعلوا يكلمونه وهو كالمسبوت^(٣) لا يحييهم فلَمَّا أكثروا عليه قال لهم:

- «ورد على كتاب موسى بعزيمة منه أن لا أضع كتابه من يدي حتى أقبل إليه، وأنا معوم بأمركم، ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير»

ولم يتهيأ لموسى الشخص من الرى إلى سُرّ من رأى حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتز وقيام المهتدي بعده بالأمر. ففتاه ذلك عتاً عزم عليه من الشخص، لفوت ما كان قدّر إدراكه من أمر المعتز. [443]

ثم إن الموالى الذين هم عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسباب المعتز والمتوكل، فحسدوا العقيمين بسُرّ من رأى.

١. في مط: رجعوا.

٢. يخترم: كما في آ ومط والظهير (١٢: ١٧٣٧) والثاني يهمل في الأصل.

٣. سبوت الرجل: أغذه السبات.

فدعوا موسى إلى الإنصراف بهم إلى سُرَّ مَنْ رَأَى. فأمر موسى أن يُستخرج من أهل الري خراج سنة ست وخمسين ومائتين. فأصبح الخراج في شهر رمضان فجُهِى في يوم واحد خمسمائة ألف درهم فاجتمع أهل الري وقالوا: «أصلح الله الأمير ما سبب انصرافك عن هذا الثغر؟»

فقال: «إِنَّ الجند والموالى أبوا أن يقيموا، وإذا انصرفوا فما أَقِلَّ غنائى عنكم.»

فقالوا: «أصلح الله الأمير. إِنَّ الموالى يرجعون لما يقدرون هناك من كثرة العطاء وأنت وأصحابك ها هنا فى أكثر وأوسع ممَّا فيه أولئك هناك. فإن رأيت أن تقيم وتسدَّ هذا الثغر وتحسب فى أهله الأجر والثواب وتلزمنا من خراجنا فى خاصِّ أموالنا لمن معك ما ترى أننا نحتمله فعلت.» فلم يجيبهم إلى ما سألوا.

فقالوا: «أصلح الله الأمير فإذا كان الأمير على تركنا و^(١) الإنصراف عنا، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدأ بممارتها بعد، وأكثر غلَّة سنة خمس وخمسين التى قد استوفى الأمير خراجها منا فى الصحراء لا يمكننا [444] الوصول إليها، إن خرج الأمير عنا.»

فلم يلتفت إلى كلامهم وخرج.

واتصل خبر انصرافه بالمهتدي. فكتب إليه فى ذلك كتباً كثيرة فلم يؤثر شيئاً. فلمَّا نظر^(٢) المهتدي أن موسى يسير ويخلُّ بموضعه وأنَّ كبيه إليه لا تعنى شيئاً. وجَّه إليه رسولين من بنى هاشم وحملهما رسائل إلى موسى ووجوه قوّاده وإلى سائر عسكره يصدِّهم فيها عن الحركة ويصدِّقهم عن الحال بالحضرة وعن ضيق الأموال بها وما يعاذِر من ذهاب ما يخلِّفونه

١ كذا فى آ والطبرى (١٢ ١٧٣٩). والإنصراف. فى الأصل: من الإنصراف

٢ إلى هنا تنهى مخطوطة آ (أستان قدس).

وراءهم وغلبة الطالبين وأتباعه من الديلم عليه. فشخص الهاشميان مع جماعة من الوجوه والموالي وأقبل موسى يسير وصالح بن وصيف يُعظم ذلك على المهتدي وينسبه إلى العصيان والخلاف.

وكان المهتدي قد هجر الشرب وكسر آلات الشراب، وكان ينسك ويجلس على اللبود ويجلس للمظالم ويشغل بالصوم والصلاة ودرس القرآن. فذكر أن كتاب صاحب البريد يهذان ورد عليه بفصول^(١) موسى عنها. فرفع المهتدي يده إلى السماء وقال بعد حمد الله والثناء عليه :

- «اللهم إني أبرا إليك من فعل موسى بن بقا وإخلاله بالثغر وإباحته العدو وقد [445] أعذرت إليه فيما بيني وبينه اللهم تول^(٢) من كاد المسلمين. وانصر جيوش المسلمين حيث كانوا. اللهم إني شاخص نفسي إلى حيث نكب فيه المسلمون ناصراً لهم ودافعاً عنهم، فاجزني اللهم بنتي إذ فقدت صالح الأعوان وعدمت الناصرين.»

ثم تحذرت دموعه بيكي.

فذكر عن حضر مجلس المهتدي، أنه رأى سليمان بن وهب في ذلك اليوم يقول :

- «يا أمير المؤمنين، أأذن لي أن أكتب إلى موسى بما أسمع منك ؟»

فقال : «نعم أكتب بما تسمع مني وإن لمكنك أن تنقشه في الصخر فافعل.»

ولما تلقاه الهاشميان والرسل لم يغنيا، وضج العوالي وكادوا يشبون بالرسل ورد موسى في جواب الرسالة يعتذر بما عاين الرسل الموجهون إليه، وأنه ليس يرضى القوم إلا بورود باب أمير المؤمنين، وإن رام التخلف عنهم لم

١. في مط : بفصول.

٢. كذا في الأصل ومط . تول من كاد. في الطبري (١٢ :- ١٧٤). تول كيد من كاد

يأمنهم على نفسه.

وأوفد موسى مع الرسل وفداً من عسكره.

وكان كنجور نفي أيام المعتز إلى فارس ثم لحق بأبي ذلف وأثر بالأهوار
آثاراً قبيحة فلما أقبل موسى انضم إليه فبلغ ذلك صالحاً فكتب عن المهدي
في حمل كنجور مقيداً، فأبى ذلك الموالي. ووجه المهدي أخاه إبراهيم لأمه
في كنجور يعلمه أن [446] الموالي لا يقارون كنجور وبأمره بتقيده وحمله
إلى بغداد. فكان جوابهم أن قالوا:

«إذا دخلنا سر من رأى امتلنا رأى أمير المؤمنين في كنجور وغيره.»

وفي سؤال من هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل علوي فجمع زنج
البصرة الذين [كانوا]^(١) يكسحون السباح ثم عبر إلى دجلة.

ذكر خبر العلوي صاحب الزنج

ومبدأ أمره وسبب خروجه

هذا الرجل مولده قرية من قرى الري يقال لها ورزنيين وقد شكك قوم في
نسبه^(٢) وسمعت من لا أرتاب بخبره أنه صحيح النسب. وهو علي بن محمد
بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليهم السلام.

واتصل بقوم من حاشية المنتصر وغيرهم من كتاب السلطان فكان
يمدحهم ويستميحهم بشعره. ثم شغص إلى البحرين ودعا قوماً إلى طاعته،
فاتبعه جماعة من أهلها ووقعت بسببه عصبية قُتل فيها جماعة. فانتقل إلى
الأحساء. فحدث مثل ذلك بها فانتقل إلى البادية وأدعى السبوة ومعجزات

١ ما بين المعقوفين هو من الطبري (١٧٤٢، ١٢).

٢ في الأصل نفسه في مط. نسبه. كما يؤيد الطبري (١٧٤٢، ١٢).

ذكرها عن نفسه. أحدها أنه زعم أن صحابه أظلمته [447] بالبادية، فبرقت ورعدت، فاتصل صوت الرعد بسمعه قال: فخطوبت فقيلاً:
- «اقصد البصرة».

فقلت لأصحابي وهم مطيفون بي:

- «أمرتُ بكذا. وكان سبب خروجي إلى البصرة».

فتبعه قوم بالبصرة منهم عليّ بن أبان المهلبى وأخوه محمد بن الخليل وغيرهم وعامل البصرة يومئذ محمد بن رجاء الحضارى من قبل السلطان ووافق [ذلك] ^(١) فتنة البِلَالِيَّة والسَّعْدِيَّة. فطمع فى أحد الفريقين ووافى برنجل قصرأ فعرف بقصر القرشى. وأظهر أنه وكيل لولد الوائق فى بيع السِّتَاح، وأقام أياماً.

فذكر عن ربحان وهو أحد غلمان الشورجيين ^(٢) وهو أول من صحبه أنه قال: كنت موثقاً بغلمان مولاي، أثقل الدقيق إليهم من البصرة وأفرقه فيهم. فحملت إليهم يوماً الرسم فمررت به وهو مقيم ببرنجل فى قصر القرشى. فأخذنى أصحابه فصاروا بي إليه، وأمرونى بالتسليم عليه بالإمرة. لهفعلت فسألنى عن الموضع الذى جئت منه، فقلت:

- «من البصرة».

قال: «هل سمعت لنا بالبصرة خيراً؟»

فقلت: «لا».

قال: «فما حبر البِلَالِيَّة والسَّعْدِيَّة؟»

قلت: «لا أعرف خيراً».

١ ما بين المعقوفين هو من الطبرى (١٢: ١٧٤٥).

٢ كذا فى الأصل ومط. الشورجيين. فى الطبرى (١٢: ١٧٤٧): الشورجيين [سبباً إلى الشورج الآتى ذكره]

فسألتني عن أخبار الشورجيين وما يُجرى لكل غلام منهم من الدقيق والتمر، وعُتِنَ يعمل في الشورج [448] من الأحرار والعبيد، فأعلمته ذلك فدعاني إلى ما هو عليه فأجبتته. فقال لي :

«احتل فيمن قدرت عليه من العلماء فأقبل بهم إليّ.»

ووعدني أن يقودني على من آتبه به منهم وأن يُحسن إليّ، واستحلفني ألا أعلم أحداً بموضعه وأن أرجع إليه، فخلّى سبيلي فأتيت بالدقيق الذي معي إلى الموضع الذي كنت قصدته، وأقيمت فيه يومى، ثم رجعت إليه من غد فوافيته وقد قَدِمَ عليه غلمان كان وجههم إلى البصرة في حوائج له وفيما حُمِلَ له حريرة يتخذها لواء^(١) فأمر أن يُكتب عليها بحمرة وخضرة : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.» إلى آخر الآية.^(٢) وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها في رأس مُردئ^(٣) وخرج في البحر من ليلة السبت ليلتين بقيتا من شهر رمضان.

فلما صار في مؤخر القصر الذي كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين متوجهين إلى أعمالهم. فأمر بأخذهم فأخذوا وكتف وكيالهم وأخذه معهم، وكانوا خمسين غلاماً، وكان أهل البصرة في ذلك الزمان يشترون الزنوج ويخرجونهم إلى السباح فيكسحونها حتى يصلوا إلى التربة الطيبة فيعمرونها، وكسوح الزنج [449] بالبصرة معروفة تُشاهد فيها تلال كالجبال وكان في أنهار البصرة منهم عشرات ألوف يُحذَّبون بهذه الخدمة، وتجرى عليهم أقواتهم من الدقيق والتمر.

ثم إنَّ هذا الرجل العلويَّ سار من موضعه الذي ذكرنا، فصار إلى الموضع

١. في مط . ولما حمل إليه ليتخذها لواءً. (بحذف «حريرة»)

٢. ص ٩ التوبة : ١١١.

٣. المردي : خشبة تُدفع بها السفينة

الذى يعمل فيه البستاني، فأخذ منه خمسمائة غلام وأخذ وكيلهم فكتفه، ثم إلى موضع السيرافى فأخذ منه خمسمائة غلام، ولم يزل يومه يفعل ذلك حتى اجتمع له خلق من غلمان الشورجيين، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً، فمتاهم ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال. وحلف لهم بالأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع ممكناً من الإحسان إلا أتى إليهم. ثم دعا مواليتهم فقال:

- «أردت أن أضرب أعناقكم لإساءتكم إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم وحملتموهم ما لا يطيقون فكلّمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم.»

فقالوا: «إن هؤلاء الغلمان أتاى وهم يهربون منك، فلا يبقون عليك ولا علينا. فخذ منا مالاً وأطلقهم لنا.»

فأمر غلمانه فأحضروا شطباً، ثم بطح كلّ قوم مولاهم، فضرب كلّ رجل خمسمائة شطب، وأحلفهم بطلاق (450) نسانهم ألا يعلموا أحداً بموضعه ولا بعدد أصحابه. فأطلقهم.

ثم سار حتى عبر دُجيلا وصار إلى نهر ميمون في سفن سجاد وجدها، وأقام بجمع السودان إلى يوم الفطر. فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا وركّز المردى الذى عليه لواءه وصلى وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال، وأنّ الله قد استنقدهم من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور، ثم حلف لهم على ذلك.

فلما فرغ من صلاته وخطبته أمر الذين فهموا عته قوله أن يفهموه من لم يفهم من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك ودخل القصر.

ثم إنّ العميرى قصد جماعة من أصحابه فأخرجوهم إلى الصحراء.

فلحقهم صاحب الرنج فيمن معه فأوقع بالحميري وأصحابه فانهزموا، واستأمن إليه رجل من رؤساء الزنج يكتي بأبي صالح في ثلاثمائة من الزنج، فمناهم ووعدهم خيراً.

وكان ابن أبي عون قد قُتِلَ الأبلّة وكور دجلة، وانتهى إليه أن عقيلاً والحميري مع خليفة ابن أبي عون قد أقبلوا نحوه ونزلوا نهر طين، فأمر أصحابه بالمصير [451] إلى الزريقية فوصلوا إليها مع صلاة الظهر فصلّوا بها ثم استعدّوا للقتال وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف ونهض راجعاً نحو المحمدية فوافاها، وتلاحق إليه أصحابه وكان جعل عليّ بن أبان في آخر أصحابه وأمره أن يتعرّف خبر من يأتيه من ورائه. فأتاه وقال له :

- «كُنّا نرى من ورائنا بارقة ونسمع حسّاً لقوم يتبعوننا فلسنا ندري أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا.»

فلم يستتمّ كلامه حتّى لحق القوم وتنادى الزنج :

- «السلاح.»

فيبدر مُفَرِّج النوى وريحان وفتح الحجام - وكان فتح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه. وتقدّم أصحابه فلقوه رجل فحمل عليه وحذفه^(١) بالطبق الذي كان في يده، وذهب ليكبّ عليه فرمى الرجل بسلاحه وولّى وانهزم أصحابه، وكانوا أربعة آلاف. رجل فذهبوا على وجوههم وقُتِل من قُتِل منهم ومات بعضهم عطشاً وأتى منهم بأسرى فأمر بضرب أعناقهم وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من الشورجيين كانت تنقل الشورج، ومضى حتّى وافى القادسيّة وقت المغرب. فخرج رجل من موالى الهاشميين فقتل رجلاً من السودان وأتاه الخبر [452] فقال له أصحابه .

١. حذفه بالمصا أو العبر : ضربه ورماه.

« ايدن لما في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا. »

فقال : « لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم، وهل كان ذلك عن رأيهم، ونسألهم أن يدفعوه إلينا، فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالهم. »
وأعجلهم المسير حتى مضى إلى نهر ميمون إلى المسجد الذي كان فيه،
في بدائه، وأمر بالرؤوس التي حُمِلت معه فتُصبت، وأمر بالأدان أبا صالح
النوبى، فأذن وسلّم عليه بالإمرة فقام وصلى بأصحابه العشاء الآخرة وبات
بها.

ثم مضى إلى الكرخ فطواها. ثم عبر دُجَيْلاً بِجُبَى^(١) في مخاضة دَلَّ عليها
ولم يدخل القرية وأقام خارجاً منها وأرسل إلى مَنْ فيها فأتاه رؤساؤهم
ورؤساء الكرخ فأمرهم بإقامة الأتراك له ولأصحابه فأقيم لهم ما أراد وبات
ليلته.

فلَمَّا أصبح أهدى له رجل من أهل جُبَى فرساً كُمتاً فلم يجد له سرجاً
ولا لجاماً. فركبه بحبل وشَقَّة^(٢) بليف وسار حتى انتهى إلى العباس فأخذ
منه دليلاً إلى السبب وهرب أهل القرية فدخلها ونزل دار جعفر بن سليمان
وهي في السوق وتفرّق أصحابه في القرية، فأتوه برجل فآله عن وكلاء
الهاشميين فأخبره أنهم في الأجمة فوجّه وأحضر رئيسهم [453] فسألهم
وإيّاها عن المال فقال :

« لا مال عندي. »

فأمر بضرب عنقه. فلَمَّا خاف القتل أقرّ بمال دقنه. فوجّه معه قوماً، فأتاه
بعماشى وخمسين ديناراً وبألف درهم^(٣). فهذا أول مال صار إليه. ثمّ سأله

١. جُبَى : قرية. انظر الطبرى (١٢-١٧٥٣)

٢. شَقَّة : جذبه بزمائه وهو راكبه ورفع رأسه. فى الطبرى (١٢-١٧٥٣) سنه

٣ فى الطبرى (١٢-١٧٥٤) - دينار.

عن دواب وكلاء الهاشميين فدلّه على ثلّاته براذيين قدّمها إلى رؤساء أصحابه. ووجدوا داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح فانتهبوه وصار في أيدي الزنج سيوف وآلات وزقايات وتراس وبات ليلته.

فلما أصبح أتاه الخبر أنّ رُميساً والعميري وعقيلاً قد وافوا السيّب فوجّه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فيهم سليمان وريحان وصالح النوبيّ الصغير فلقوا القوم فهزموهم وأخذوا سيرة وسلاحاً وهرب من كان هناك ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر فأقام يومه ثم سار يزيد المذار. فلما صار بهامداد^(١) وهو نهر جاوزه حتّى أصحر فرأى بستاناً وتلاً فقصد التلّ فقدم عليه وأثبت^(٢) أصحابه في الصحراء وجعل لنفسه طليعة فأتاه الطليعة أو أرسل إليه يخبره أنّ رُميساً بشاطن دجلة يطلب رجلاً يؤدّي عنه رسالة. فوجّه إليه عليّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع، فلما أتوه قال: «اقرأوا [454] على صاحبكم السلام وقولوا له: أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض. أردّد هؤلاء العبيد على موالهم وأخذ لك عن كلّ رأس خمسة دنائير.»

فأتوه فأعلموه بما قال لهم رُميس فغضب وآلى ليرجمن فليقرن بطن امرأة رُميس وليحرقن داره وليخوضن الدماء هناك. فذهبوا إليه فأجابوه فانصرف عنه.

ثم تعرّض له رُميس والعميري وصاحب ابن أبي عون مراراً في كلّ ذلك يهزمهم ويقتل أصحابهم ويأسر منهم ويغنم وكان يجمع الرؤوس ويأمر بالاحتفاظ بها، حتّى إذا رجع إلى موضعه من نهر ميمون نصبها هنالك. ثمّ إنّه صار إلى القرية التي قُتل فيها رجل من أصحابه فأمر من بصير إليها

١. ما في الأصل مهمل. فأعجماء كما في الطبري (١٧٥٥:١٢)

٢. في مط والطبري (١٧٥٥:١٢): وأثبت.

فيسأل أهلها أن يسلموا إليه القاتل في ممّره كان بهم. فرجع إليه فأخبره أنهم زعموا أنه لا طاقة لهم بذلك الرجل لولائه من الهاشميين ومنعهم له. فصاح بالغلّمان وأمرهم بانتهاب القرية فأنهب منها مالا عظيماً عينا وورقا وجوهرأ وحلياً وأواني ذهباً وفضّة وسبي يومئذ غلماناً ونسوة. وذلك أول شيء سبي. وأتى بمولى الهاشميين القاتل فضرب عنقه [455] وأخذ أصحابه شراها وجدوه وبلغه ذلك فعزم النبيذ عليهم وقال لهم:

- «أنتم تلاقون الجيوش فدعوا شرب النبيذ.»

فأجابوه إلى ذلك.

وواقع من غد هذا اليوم أصحاب رُميس وأصحاب عقيل على الشطّ والدُّنْهَلَا^(١) في السفن يرمون بالشّاب فحمل عليهم الزنج فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهبّت ريع من غربيّ دجيل فحملت السفن إلى الشطّ فوثب إليها السودان فقتلوا من فيها وهرب رُميس فنزل سفينة فألّهبها أصحابه وأحرقها.

وَقَعْتَهُ مَعَ بَعْضِ الْأَتْرَاكِ

وكثُر بعد ذلك عيّه وعظمت شوكته وسبي وأفسد وعظمت نكايته.

فمن عظيم ما كان له من الوقائع مع السلطان وقعة كانت مع بعض الأتراك يكتّى أبا هلال في سوق الرّتان أو ذلك أن هذا الرّكّي واقاهم في هذه السوق ومعه أربعة آلاف رجل أو يزيدون وفي مقدّمتهم قوم عليهم ثياب مُشْهَرَة وأعلام وطبول. فحمل عليهم السودان حملة صادقة وانتهى بعض السودان إلى صاحب علم القوم فضربه بخشيتين كانتا في يده فصرعه وانهمز القوم وتلاحق السودان فقتلوا من أصحاب [456] ابن هلال ألف وخمسمائة وبجا

١ في الطبري (١٧٦٣١٢) - الديلا في مط: الديلا. وهو تصحيف

أبو هلال على دابة عربي^(١) وحالت ظلمة الليل بينهم. فلما أصبح أمر بتبّعهم ففعلوا وجاءوا بأسرى ورؤوس، فقتل الأسرى كلهم. وكانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة شبيهة بهذه ظفر فيها بأصحاب السلطان وكانت له وقعات عظام تركنا ذكرها لأننا لم نجد فيها غير إقدام الريح بجهلهم وطمعهم وسوء ثبات^(٢) الجند لهم وأنهم تهيّبهم فكانوا كالجزارين يقعون في الغنم فيقتلون كيف شاءوا ومثل هذه الحروب لا يستفاد منها تجربة، فلذلك أعرضت عن ذكرها إلى أن أضعف أهل البصرة فلم يبق فيهم من يخرج إليه وقتل أصحاب السلطان فتهيّب الناس.

أشدّ يوم لقيه صاحب الزنج

فحكى صاحب الزنج أنه لم يلق يوماً أشدّ من يوم الشذاة وهو يوم استشدّ له أهل البصرة فلم يبق فيها سعدى ولا بلالى ولا أحد من أصحاب السلطان ولا غيرهم إلا جمعوا له. وكان هناك رجل يُعرف بحقاد الساجى وكان من غزاة البحر في الشذوات وله علم بالحروب فيها، فجمع في شذاءاته المطوعة ورُماة الأهداف ولم يبق بالبصرة من يحمل [457] السلاح إلا خرج، إما في الشذاءات وإما على الظهر، وانصمّ إليه النظارة ومن لا سلاح معه ولم يشكّوا في اصطلام صاحب الزنج وأصحابه، فدخلت الشذاءات والسفن التي معها النهر المعروف بأُمّ حبيب، ومَرّت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر وقد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة. فقال بعد ذلك صاحب الزنج:

«إني لما رأيت ذلك الجمع عانيت أمراً هائلاً وراعني ذلك وملأ صدري

١. في الطبري (١٢١٦٦٦) - غزى

٢. كذا في مط: ثبات

رهبة وجزعاً وفزعاً إلى الدعاء وليس منا أحدٌ إلّا وقد خُيِّل إليه مصرعه فجعل مصلح يعجبني من كثرة الجمع وأنا أومئُ إليه بالسكوت وعيَّنت أصحابي وجعلت لهم كمينين وقلت لمن لقي القوم :

- « اجتثوا لهم واستتروا بتراسكم ولا يثورن أحد منكم حتى يوافيكم القوم ويومئوا إليكم بأسياقهم فحيثنؤ ثوروا. »

وأمرت نساء الزنج بجمع الآجر وإمداد الرجال به. ففعلوا^(١) ذلك. فلما رأوا أصحابي وخرج الكمينان من جنتي النهر ومن وراء السفن فصاحوا بهم. رأيت سُميرية قد انقلبت. وتبعها آخر. وانهرم من كان على الشط.

فقتلت طائفة وهربت طائفة وغرقت طائفة ومن هرب طمعاً في النجاة أدركه السيف والفرق [458] فأبى ذلك الجمع ولم ينج منهم إلّا الشريد وكثر المفقودون من البصرة وهذا يوم الشذا الذي عظمته الناس وذكروا كثرة من قتل فيه. فكان فيهم من ولد جعفر بن سليمان عدّة في خلق لا يُحصى عددهم. وأمر الخبيث بجمع الرؤوس وذهب إليه أولياؤه فعرضها عليهم فأخذوا ما عرفوا منها وعبأ ما بقى عنده في سفينة وأخرجها من النهر وأطلقها مع الماء فوافقت البصرة فوقفت في مشرعة تُعرف بمشرعة القيّار. فجعل الناس يأخذون ما عرفوا.

وقوى الحبيث بعد هذا اليوم وضعف طالبيه بل لم يبق له طالب. فقال له أصحابه :

- « إنّا قتلنا مقاتلة البصرة ولم يبق فيها إلّا من لا حراك به فأذن لنا في تفحّمها. »

فزبرهم وهجن آراءهم وقال :

- «بل ابعدوا عنهم فقد أربعناهم وأحفظناهم، والرأى أن تدعوا حربيهم حتى يكونوا هم الدين يطلبونكم.»
ثم انصرف بأصحابه إلى سبخة أي قُرّة، وهي بين نهرين وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ وهذه السبخة بين النخل والفرى والعمارات فكان أصحابه يغيرون يميناً وشمالاً ويسوقون مواشى الأكرّة وينتهبون أموالهم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين [459]

موافاة موسى بن بغا سر من رأى

وفيهما وافى موسى بن بغا سر من رأى واستخفى صالح بن وصيف لمقدمه وعقباً موسى أصحابه ميمّة وميسرة وقلباً فى السلاح حتى صار إلى باب الجسر ممّا يلي الجوسق. وكان المهدي ذلك اليوم جالساً للمظالم فأعلم بمكانه فأمسك عن الإذن لهم ساعة ثم أذن لهم. فدخلوا فجرى كلام نحو ما جرى يوم قدم الوفد. فلما طال الكلام تراطن الترك فيما بينهم وقالوا بالتركية :

- «هذه المطاولة إنما هي حيلة حتى يكبنا صالح.»

فخافوا ذلك فأقاموه من مجلسه وحملوه على دابة من دواب الشاكرية وانتهبوا ما كان فى الجوسق من دواب الخاصة ومضوا به إلى دار ياجور، ثم أخذوا هناك عليه العهد والمواثيق ألا يمايل صلحاً عليه ولا يضر لهم إلا مثل ما يظهره، وجددوا البيعة ووجهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة فوعدهم أن يصير إليهم وقال لهم بعض رؤساء الفراغنة :

- «ما الذى تطلبون من صالح بن وصيف؟»

فقال موسى :

- «دماء الكتاب وأموالهم ودم المعترّ وأمواله.»

فاستتر صالح بن وصيف فمضى ياجور فأتى بالحسن بن مَخلد من
الموضع الذي كان فيه محبوباً من دار صالح بن وصيف، ورَدَّ المهتدي
[460] إلى الجوسق ودفع عبد الله بن محمد بن يزداذ إلى الحسن بن مَخلد
وولي سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد وأظهر النداء على صالح.
وفي هذه السنة ثمان بقين من صفر قُتل صالح بن وصيف.

ذكر السبب في ظهور صالح

وقتل الموالى وموسى إِيَّاه

كان سبب ذلك أن امرأة جاءت بكتاب فدفعته إلى كافور الخادم الموكل
بالحرَم وقالت^(١) :

« فيه نصيحة و منزلي في موضع كذا من مكان كذا، فإن أردتموني
فاطلبوني هناك. »

فأوصل الكتاب إلى المهتدي وأمر بطلب المرأة في الموضع الذي وصفت
فلم يُعرف لها خبر ولم يُوقف لها على أثر. فدعا المهتدي بسليمان بن وهب
بعضرة جماعة فيهم موسى بن بفا ومفلح وياجور وبايكباك وغيرهم وقال
له :

« تعرف هذه الخطأ؟ »

قال : « نعم هذا خط صالح يذكر فيه أنه مستخف بسر من رأى وأنه إنما
استتر طلباً للسلامة وإيقاء على الموالى وخوفاً من اتصال الفتن لحرب إن
حدثت بينهم. »

ثم ذكر ما صار إليه من الأموال للكتاب وغيرهم وقال :

« إِنَّ عِلْمَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ مُخَلَّدٍ وَهُوَ [461] أَحَدُهُمْ »
 ثُمَّ ذَكَرَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَتَوَلَّى تَفْرِيقَهُ، وَذَكَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ قَبِيحَةٍ
 وَأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي صَالِحٍ بْنِ يَرْدَاذَ. ثُمَّ ذَكَرَ أَشْيَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهَا
 اعْتِذَارَاتُهُ وَبَعْضُهَا احْتِجَاجَاتُهُ.

فَلَمَّا فَرَعَ سَلِيمَانُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَصَلَهُ الْمَهْدِيُّ بِقَوْلٍ يَحْتَفِي فِيهِ عَلَى
 الْأُلُفَّةِ وَالصَّلَاحِ وَيُكْزِرُهُ إِلَيْهِمُ الْفَرْقَةُ وَالتَّفَانِي وَالتَّبَاعُضُ. فَدَعَاهُمْ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ
 إِلَى تَهْمَتِهِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَالِحٍ. فَكَانَ بَيْنَهُمْ فِي هَذَا كَلَامٌ كَثِيرٌ وَمِنَاطِرَاتٌ
 طَوِيلَةٌ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا مِنَ الْغَدِ كُلُّهُمْ فِي دَارِ مُوسَى فِي دَاخِلِ الْجَوْسِقِ يَتَرَاظِنُونَ
 بِالْتَّرَكِيَّةِ فَسَمِعَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ:
 « أَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى خَلْعِ الْمَهْدِيِّ. »

كَلَامُ الْمَهْدِيِّ لِلْمَجْمُوعِينَ عَلَى خَلْعِهِ

وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْمَهْدِيِّ فَخَرَجَ إِلَى مَجْلِسِهِ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَقَدْ لَبَسَ ثِيَابًا
 نَظَافًا وَتَطْيِيبًا ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِمْ إِلَيْهِ فَأَبَوْا ذَلِكَ مَلِيًّا ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ:
 « إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ كَمَنْ تَقْدِمُنِي مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
 الْمُسْتَعِينِ وَلَا مِثْلَ ابْنِ قَبِيحَةٍ وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ إِلَّا وَأَنَا مُتَحَنِّطٌ وَقَدْ
 وَصَّيْتُ وَهَذَا سَيْفِي فَوَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّ بِهِ مَا أَسْتَمْسِكُ قَائِمَهُ فِي يَدِي. وَبِحُكْمِ
 إِمَامٍ دِينٍ إِمَامٍ حَيَاءٍ كَمْ يَكُونُ الْخِلَافُ عَلَى الْخُلَفَاءِ [462] وَالْإِقْدَامُ وَالْجِرَاءَةُ
 عَلَى اللَّهِ سِوَاهُ عِنْدَكُمْ مَنَ أَبْقَى عَلَيْكُمْ وَأَرَادَ صَلَاحَكُمْ وَمَنْ إِذَا بَلَغَهُ مِثْلُ هَذَا
 عَنْكُمْ دَعَا بِأَرْطَالِ الشَّرَابِ فَشَرِبَهَا سُرُورًا بِمَكْرُوهِكُمْ وَحُبًّا لِبَوَارِكُمْ. خَبَرُونِي
 عَنْكُمْ. هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ شَيْءٌ أَمَّا إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا بَايَكْبَاكَ
 أَنَّ بَعْضَ الْمُتَصَلِّينَ بِكَ أَيْسَرُ مِنْ جَمَاعَةِ أَخَوَتِي وَوَلَدِي. وَانْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ

في منزل أحدٍ منهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جوارى أو لهم ضياع أو مستغلات ؟ سوءة لكم، ثم يقولون أتى أعلم علم صالح، وهل صالح إلا رجل من الموالى كواحد منكم، فكيف أكون معه إذا ساء رأيكم فيه ؟ إن أثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجميعكم وإن أبيتم إلا ما أتم عليه وشأنكم. اطلبوا صالحاً وابلغوا شفاء أنفسكم منه فأما أنا فما أعلم علمه.» قالوا: «فاحلف لنا على ذلك.»

قال: «أما أبذل لكم يميني ولكن أواخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والعدول وأصحاب المراتب في غدٍ إذا صليت الجمعة.» فكأنهم لانوا قليلاً ووجه في إحضار الهاشميين فحضروا في عشيتهم فلم يذكر لهم شيئاً وأمروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة فانصرفوا وغدا الناس فلم يتحدثوا شيئاً [463] وصلى المهدي وسكن الناس وانصرفوا هادئين، وحكى بعضهم ممن سمع كلام المهدي مع موسى والجماعة أن المهدي قال:

- «إن كان صالح قد أخذ من مال قبيحة والكتاب شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بإيكباك ومحمد بن بغا، فقد كانا حاضرين وهم شركاء في جميع ما جرى.» فأحفظ ذلك أبا نصر محمد بن بغا وإيكباك وقد كان القوم من لدن قدم موسى بن بغا مضمرين هذا المعنى من العلل وإنما منعهم من المطالبة قلّة الأموال وخوف الإضطراب. فلما ورد عليهم مال فارس ومال الأهواز تحرّكوا وكان ورود ذلك لثلاث بقين من المحرم ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم. وانتشر الخبر في العامة أنهم على خلع المهدي والفتك به وأنهم أرادوه على ذلك وأرهفوه. فكتبت رقاع وألقيت في المسجد الحامع والطرقات فذكر بعض من قرأ رقعة منها أنه كان فيها:

- « بسم الله الرحمن الرحيم، يا معشر المسلمين، ادعوا الله
لخليفتم العدل الرضا المضاوى لعمر بن الخطّاب أن ينصره
على أعدائه ويكفيه مؤونة ظالمه ويتمّ النعمة عليه وعلى هذه
الأمّة ببقائه، فإن الموالى قد أخذوه [464] بأن يخلع وهو يعدّب
والمدير لذلك أحمد بن محمد بن ثوابة والحسن بن مخلد، رحم
الله من أخلص إليه ودعا. »

ثم تحرّك الموالى ووجهوا إلى المهدي :

- « إنا نحتاج أن نلقى إلى أمير المؤمنين شيئاً. »

وسألوا أمير المؤمنين أن يوجه إليهم أحد إخوته فوجه إليهم أخاه عبد الله
أبا القاسم ومحمد بن ياس المعروف بالكرخي فمضيا إليهم فسألاهم عن
شأنهم فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين، وأنه بلغهم أن موسى بن
بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع وأنهم يبذلون دماءهم
دون ذلك، وأنهم قرأوا رقاعاً في المساحد بذلك وشكوا مع ذلك سوء حالهم
وتأخر أرزاقهم وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجمفت بالخراج
وغيره وما صار لكبرائهم من المعاونة والزيادات على الرسوم القديمة مع الدخلاء
فيهم الذين استغرقوا أكثر أموال الخراج وكثر كلامهم فقال أبو القاسم :

- « اكتبوا بذلك كتاباً إلى أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم. »

فكتبوه فأوصله إلى المهدي وكتب جوابه بخطه وختمه بحاتمه وغدا به
أبو القاسم وقد اجتمعوا فقال :

- « يقول لكم أمير المؤمنين : هذا كتابي إليكم بخطي وخاتمي [465]

فاسمعوه وتدبروه. »

فقرأوه وإذا فيه :

- «بسم الله الرحمن الرحيم، أرشدنا الله وإياكم وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً. فهمت كتابكم وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه، فأحسن الله جزاءكم وتولّى حياطتكم. فأما ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم فعزيز عليّ ذلك فيكم، ووددت لو أنّ صلاحكم قد تهيأ بالآل أطمع ولا أطمع ولدى وأهلى إلاّ القوت الذى لا شيع دونه ولا أليس أحداً من ولدى إلاّ ما ستر العورة ولا والله حاطكم الله، ما صار إلىّ منذ تقلّدت أمركم، لنفسي وأهلى وولدى ومتقدّمي غلمانى وحششى إلاّ خمسة عشر ألف دينار، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد وكلّ ذلك مصروف إليكم غير مذكور عنكم.

- «وأما ما ذكرتم ممّا بلغكم وقرأتم به الرقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق وما بذلت من أنفسكم فأنتم أهل ذلك، وأين تبعدون ممّا ذكرتم، وإنما نحن نفس واحدة فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأماناتكم خيراً، وليس الأمر كما بلغكم فعلى هذا فليكن حملكم.

- «وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها، فأنا أنظر لى ذلك وأصير منه [466] إلى محبّتكم إن شاء الله. والسلام عليكم.»
فلما قرأوا الكتاب كثر الكلام وقالوا أشياء. فقال لهم أبو القاسم:
- «اكتبوا بذلك كتاباً ثانياً.» فكتبوا وقالوا:

- «إنّ الذى تسألون أن تُردّ الأمور إلى أمير المؤمنين، والّا يمترض عليه معترض وأن تُردّ رسومهم إلى ما كانت عليه وهو أن يكون على كلّ سبعة منهم عريف وعلى كلّ خمسين خليفة

وعلى كل مائة قائداً وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون والآ
يدخل مولى في قبالة ولا غيرها وأن يوضع لهم العطاء في كل
شهرين على ما لم يزل وأن تبطل الإقطاعات وأن يكون أمير
المؤمنين يزيد من يشاء ويرفع من يشاء.»

وذكروا أنهم صاترون إلى باب أمير المؤمنين، فمن خالف أمير المؤمنين
في شيء أخذوا رأسه وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا موسى
بن بغا وياجور وغيرهما، ودعوا الله لأمر المؤمنين.
ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم فأوصله وتحرك الموالي واضطرب القواد
جداً وقعد المهدي للمظالم فسبق أبو القاسم قراً المهدي الكتاب قراءة
ظاهرة وخلا بموسى ثم وقع في كل باب بما أحبوا. فقال أبو القاسم لموسى
ومحمد ابني بغا وبايكباك : [467]

- «وجهوا معي إليهم رسولاً تعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم.»

فوجه كل واحد منهم رجلاً وصار أبو القاسم [إليهم] وهم في زهاء أربعة
آلاف رجل وثلاثة آلاف راجل فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام ودفع إليهم
الكتاب فقرأوه وكتبوا كتاباً آخر يلتمسون أن ينفذ إليهم خمس توقيعات :
توقيع بحط الزيادات وتوقيع برد الإقطاعات وتوقيع بإخراج الموالي
البرانيين من الحاضرة وتوقيع برد الرسوم إلى ما كانت عليه وتوقيع برد
التلاجي ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد أخوته أو غيرهم ممن يرى
ليسفر بينه وبينهم ولا يكون رجلاً من الموالي وأن يؤمر أن يحاسب صالح
بن وصيف وموسى بن بغا على ما عندهما من الأموال ويعجل لهم عطاء
شهرين ويدر ذلك عليهم في كل شهر.

وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا ومحمد بن بغا وبايكباك ومفلح

وياجور وغيرهم من القواد يقولون إنهم قد كتبوا بما كتبوا وإن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إن لم يعترضوا عليه وإنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم يصبروا عليهم وإن أمير المؤمنين إن شاكرته شوكة وأخذ من رأسه شعرة [468] أخذوا رؤوسهم جميعاً وإنه ليس يقبضهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بيته وبين موسى فينظر أين مواضع الأموال، فإن صالحاً وعدهم أن يعطيهم رزق ستة أشهر.

ثم دفعوا الكتاب إلى رسول موسى ووجهوا مع أبي القاسم عذّة منهم ليوصل كتاب أمير المؤمنين وليسمعوا كلامه. فانصرفوا إلى المهتدي فأمر بإنشاء التوقيعات الخمس وأنفذها في درج كتاب بخطه إليهم.

وكتب القواد أيضاً جواب كتابهم وأنفذوه إليهم باجابتهم إلى ما سألوه. وكتب أمان لصالح بن وصيف فيه: إن موسى وبايكباك سألوا أمير المؤمنين ذلك وأكد ذلك غاية التأكيد وحمل إليهم. وقال لهم أبو القاسم:

«علام اجتماعكم وقد أجبتكم إلى كل ما سألتم؟»

فانصرف القوم وتفرق القوام.

فلما كان يوم السبت ركب ولد وصيف وأصحابهم وتنادى الناس: السلاح، واجتمعوا وعسكروا وركب أبو القاسم يريد دار المهتدي فمرو بهم فتعلقوا به وقالوا:

«قل لأمر المؤمنين إنا نريد صالحاً.»

فمضى فأدّى ذلك فقال موسى:

«أراهم يطلبون صالحاً متى كآنى أخفيتهُ أو هو عندى [469] إن كان

عندهم له خبر فتهبى أن يظهره.»

وصحّ عندهم أن القوم قد تواطأوا وأن الناس يتعلّبون إليهم، فتهايجوا من

دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح واتصل [الخبر] بالأتراك فاصرفوا ركضاً وعدواً لا يلوى فارس على راجل ولا كبير على صغير حتى لحقوا بمنازلهم وزحف [موسى وأصحابه جميعاً]^(١) فلم يبق برّ من رأى قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه وكان تقدير الجيش الذين ركبوا مع موسى في هذا اليوم أربعة آلاف فارس في السلاح والقيس الموترة والدروع والجواشن والرماح والطبرزينات يريدون معاربة من يريد صالحاً وكان أكثرهم هواة مع صالح. فمضوا إلى الجوسى ونادوا بأن من لم يظهر من قواد صالح وأهله وأصحابه ويحضر دار أمير المؤمنين أسقط اسمه وحُزِب منزله وفُعل به وضُنع.

ثم جدّ هؤلاء في طلب صالح فهجم بسببه على جماعة ممن كان متصلاً به قبل ذلك، إلى أن عثر به غلام من موالى وصيف، فحكى الضلام قال: دخلت داراً في زقاق أطلب ماءً لأشربه، فسمعت قائلاً يقول بالفارسية: - «أيتها الأمير تنعّ فقد جاء غلام يطلب ماءً».

فلما سمعت ذلك جمعت ثلاثة أنفس وهجمت [470] عليه فإذا صالح بيده مرآة ومشط وهو يسترح لبعيته. فلما رآنى بادر فدخل بيتاً فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح فتلوّمت ثم نظرت إلى البيت فإذا هو قد نجأ إلى زاوية فدخلت إليه فاستخرجته فلم يزدنى على التضرع شيئاً، فقلت له:

- «ليس إلى تركك سبيل ولكنى أترتك على أبواب إخوتك وقوادك وصنائعك فإن اعترض علىّ منهم إثنان أطلقتك في أيديهم».

قال فأخرجته فما لقيت أحداً إلا من أعان على مكروهه. وحمل إلى دار

موسى فأباه القواد ليذهبوا به إلى الجوسق وهو على بغل باكاف. فلما صاروا به إلى حدّ المنارة ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقذه ثم احتزوا رأسه فوافوا به المهتدى وهو فى بركة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً وقد قام لصلاة المغرب فلم يره فلما قضى صلاته وجاءه برأسه لم يزد هم على أن قال :

- « واروه. »

وأخذ فى تسميحه.

فلما كان من الغد طيف به على قنار وتودى عليه :

- « هذا جزاء من قتل مولا وأمر بقتل مولا. »

ونصب بباب العامة، فُعل ذلك [471] به ثلاثة أيام.

وفى رجب من هذه السنة خلع المهتدى وقتل

ذكر سبب خلعه وقتاله الأتراك

وظفرهم به وقتلهم إياه

كان ظهر مساور الشارى بناحية الموصل فكثرت اتباعه وعينه وهزم عدّة جيوش للسلطان. فندب له موسى بن بغا فوضع موسى العطاء لأصحابه وكان على مناجزة الشارى وقصده طريق خراسان.

فقال بعضهم :

سبب ذلك أن المهتدى استمال بايكباك وهو مقيم مع موسى فى وجه مساور الشارى وكتب إليه أن يضمّ العسكر الذى مع موسى إلى نفسه وأن يكون هو الأمير. وأراد منه أن يفتك بموسى ومفلح ويقيدهما ويحملهما إليه. فمضى بايكباك بالكتاب إلى موسى وقال :

- « إني لست أفرح بهذا وإتسا هذا تدبير علينا جميعاً وإذا فعل بك شيء

اليوم فُعل بي غداً مثله.»

فاجتمعوا على خلعه والفتك به. فتوجه موسى نحو طريق خراسان وقال له بايكباك :

« اذهب إليه وأظهر له الطاعة.»

ودبراً في ذلك تدبيراً بلغ المهدي، وظنَّ أنَّ بايكباك أتاه في الفتك به. فلما دخل إليه أمر بحبسه وأخذ سلاحه. [472]

وقال بعضهم :

كان السبب في ذلك إنَّ المهدي تكلم في موسى ومحمد ابني بُقا وقال للموالي :

« قد احتجبتنا الأموال.»

فتخوفه أبو نصر وهرب. ثمَّ كتب إليه المهدي وأمنه فرجع وظهر وقعد له المهدي فوصل إليه هو ومن جاء معه. فسلم فقال له المهدي :

« ما تقول فيما تقول للموالي ؟»

قال : « وما يقولون؟»

قال : « إنهم يقولون إنكم احتجرتم الأموال واستبددتم بالأعمال فما تنظرون في شيء من مصالحهم.»

قال : « يا أمير المؤمنين وما أنا والأموال ولست كاتب ديوان ولا جري على يدي عمل.»

فقال : « وأين الأموال هل هي إلا عندك وعند أخيك وكتائبكم.»

ودنا الموالى وأخذوا بيد محمد وقالوا :

« هذا عدوُّ أمير المؤمنين. لا ينبغي أن تقوم بين يديه بسيف.»

فأخذوا سيفه. فوثب غلام لأبي نصر كان حاضراً يقال له: تيتك^(١)، فسل سيفه وخطا ليمنعهم من أبي نصر، فكانت خطوته تلى الخليفة فسيقه عبد الله بن تكين فضرب رأسه بالسيف فمات بقي أحد إلا سل سيفه. وقام المهتدي فدخل بيتاً كان يقربه.

وأخذ محمد بن بغا فأدخل حجرة وخبس أصحابه وأجمعوا على أن يكتبوا إلى موسى بن بغا بالإنصراف وتسليم العسكر إلى من فيه من القواد [473] وأن يكتبوا إلى القواد بتسليم العسكر إليهما يكتبوا إلى الصغار بمثل ما سأل أصحابهم بسر من رأى وما أجيئوا إليه، وأن ينظروا فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمروا به من الإقبال إلى الباب في غلمانهم وتسليم العسكر إلى من أمر بتسليمه إليه وإلا شدوهما وثاقاً وحملوهما إلى الباب في غلمانهم، ووجهوا بهذه الكتب واجتمع في الدار منهم قوم فأجرى على كل واحد منهم درهمان وأخذت عليه بيعة جديدة بالبصرة والنجف.

وأصبح الموالي يلتمسون أن يُعزل عنهم أمراؤهم وأن يلي عليهم بعض أخوة أمير المؤمنين وأن تؤخذ أمراؤهم وكتائبهم بالخروج مما اختانوه من مال السلطان، وذكروا أن مبلغه خمسون ألف ألف درهم. فأجابهم إلى ذلك ومضى يومهم على هذا

ثم أصبحوا يطالبون بما وعدوا به فقيل لهم: إن هذا الذي تريدونه أمر صعب وإخراج الأمر عن أيدي هؤلاء ليس بسهل فكيف إذا جُمع إلى ذلك أخذ أموالهم فانظروا في أموركم فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر حتى بلغ منه غايته أجابكم أمير المؤمنين وإن تكن الأخرى فإن أمير المؤمنين [474] يحسن لكم النظر.

١ في مط: فقال له تيتك. بدل يقال له: تيتك. في الطبري (١٨٢٦، ١٢) - شيل

فأبوا إلا ما سألوا أولاً. فأخذت عليهم البيعة وأقبلت الرسل تختلف بين
العسكريين والذي يريد موسى بن بقا أن يؤلى ناحية ينصرف إليها والذي يريد
القوم من موسى أن يقبل في غلمانه لينظرهم. فلما كان من القد أخذ موسى
ومعلج طريق خراسان ومضى بايكباك سفي هذه الرواية - ومن معه من القواد
حتى دخلوا الدار، فأخذت سيوفهم ومناطقهم، وأقبل المهتدي على بايكباك
يعدّد ذنوبه من الاسلام وأبطأ خبره على أصحابه فقال لهم حاجبه أحمد بن
خاقان :

- «اطلبوا صاحبكم قبل أن يحدث به حدث.»

فجاشت الأتراك وأحاطوا بالدار، فاستشار المهتدي صالح بن علي بن
يعقوب بن أبي جعفر المنصور فقال :

- «يا أمير المؤمنين، هو حديث أبي مسلم مع المنصور، فلو فعلت ما

فعل لسكتوا.»

فأمر المهتدي بصرب عنقه ورُمى برأسه إليهم. ففعل ذلك فتناجزوا^(١)
وجاشوا وشذّ واحد منهم على من رمى بالرأس إليهم فقتله.

ووجه المهتدي إلى الأسروشبة والمقاربة والفراغنة والأتراك الذين بايعوه
على الدرهمين فجاءوه وكثر القتلى فيقال : [475] إنه قتل من الأتراك نحو
من أربعة آلاف.

ثم اجتمع الأتراك كلهم وصار أمرهم واحداً فكانوا نحو عشرة آلاف وكان
مع ما اجتمع من الأتراك إلى المهتدي نحو خمسة عشر ألفاً.

فخرج المهتدي والمصحف في عنقه، وعبأ الناس وفاتل ودعا الناس إلى
أن يبصروا خليفهم. فلما التحم الشرّ مال الأتراك الذين مع المهتدي إلى

أصحابهم الذين مع أخى بايكباك وبقي المهتدى في أصحابه لا أترك معه. فحمل طغبا^(١) أخو بايكباك حملة تائر موتور فنقض جمعهم وهرمهم وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين. ومضى المهتدى يركض منهزماً في الأسواق والسيف في يده مشهور وهو ينادى :

« يا معشر الناس انصروا خليفتمكم. »

حتى صار إلى دار أبي صالح محمد بن يزداذ وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة فدخلها ووضع سلاحه ولبس البياض ليعلو الدار وينزل إلى أخرى ويهرب.

وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره في دار ابن جميل فبأدرهم ليصعد فرمى بسهم وبعج^(٢)، ولم يجد المهتدى لنفسه حيلة فاستسلم فأخذه أحمد بن خاقان على دابة وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره.

وانتهب الجوسق فلم يبق فيه شيء. وأخرجوا [476] أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان وكان محبوساً في الجوسق وكتبوا إلى موسى بن بختا وسألوه الإنصاف إليهم وجمعوا الهاشميين والخاصة حتى بايعوا أحمد بن المتوكل ابن فتيان وسقوه : المعتمد على الله.

وأرادوا المهتدى على الخلع قبل ذلك فأبى ولم يجبه فخلعوا أصابع يديه ورجليه ثم أمروا من وطى على خصيته حتى قتله ولما أيقن المهتدى بالقتل قال :

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالزَّوَانِ

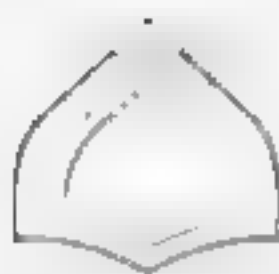
١. في مط : طغيا في الطبري (١٨١٦/١٢) : طموتيا.

٢. بعج نبطل شفه

وكانت خلافته كلها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وعمره ثمان وثلاثين سنة، وكان رطب الجبهة أجلع^(١)، جهم الوجه، أشهل العينين عظيم البطن عريض المنكبين طويل اللحية قصيراً.



١. الأجلع : من انحسر شعره عن جاني رأسه.



سازمان اسناد و کتابخانه ملی
جمهوری اسلامی ایران

خلافة المعتمد على الله

موافاة جُعلان البصرة لحرب صاحب الزنج

وفي هذه السنة وافى جُعلان البصرة لحرب صاحب الزنج. فزحف بعسكره حتى صار بينه وبين صاحب الزنج فرسخ، فخندق على نفسه وأصحابه ووجهه إلى الزينبي وبنى هاشم وكان يواعدهم للقاءه فإذا التقوا لم يكن بينهم إلا الرمي بالشباب والحجارة لصيق الموضع بما فيه من النخل والدغل، ولم يكن للخيل [477] مجال. فبقوا كذلك ستة أشهر.

فلما رأى صاحب الزنج ذلك هتأ من أصحابه جماعة يأخذون على جُعلان مالك الخندق ويتهى لى خندقه فقتل جماعة من رجاله وبيع الباقيون روعاً^(١) شديداً فترك جُعلان عسكره وانصرف إلى البصرة وظهر عجز السلطان.

وازداد أمر صاحب الزنج عظم شأن، فأخذ أربعة وعشرين مركباً بحريته كانت اجتمعت تريد البصرة. وكانت هذه المراكب تنتظر أن ينفصل أمر السلطان مع صاحب الزنج. فلما انهزم السلطان رأوا أن تُشدّ المراكب بعضها إلى بعض حتى تصبح كالجزيرة ويتصل أولها بآخرها ثم يسيروا بها في

١ كذا في الأصل والظهير (١٨٣٥-١٢). روعاً في مط - ربما

دجلة. فغلب صاحب الزنج أصحابه وحرّضهم عليها وقال:

« هذه غنيمة لم تروا مثلها. »

فانتدب لها الزنج فلم يلبث أن جرّوها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا منها أموالاً عظيماً لا تُحصى ولا يُعرف قدرها. فأُهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ثم أمر بما بهي فحيز له.

ثم دخل صاحب الزنج الأبلّة بعد حرب قتل فيها خلقاً وأغرقها وكانت مبنية بناءً متكاتفاً بالساج فأُسّرت فيه النار ونشأت ريح عاصف فأطارت الشرر إلى شاطئ عثمان [478] واحترق وقتل خلق كثير بالأبلّة وغرق خلق وكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتهب. ولما جرى ذلك على الأبلّة جزع أهل عبّادان فاستسلموا لصاحب الزنج وسلموا إليه بلدهم وحصنهم. وفيها ملك أصحابه الأهواز.

ذكر دخول الزنج الأهواز

لما فتح الأبلّة وعبّادان وأخذ ممالكهم وفرّق فيهم السلاح طمع في الأهواز. فاستنهض أصحابه نحو جُبّى فلم يثبت له أهلها فدخلها وانتهب وقتل ووافى الأهواز وبها سعيد بن تكسين وإليه حربها وإبراهيم بن المدثر وإليه الخراج والضياح فانهاز سعيد بن تكسين^(١) في من معه من الجند وثبت إبراهيم فيمن معه من غلمانته فدخل الزنج المدينة وأسروا إبراهيم بن المدثر بعد أن ضرب ضربة على وجهه وحووا كلّ ما ملك.

فلما ملك الأهواز رُعب أهل البصرة رعباً شديداً، فانتقل كثير من أهلها [عنها] وكثرت الأراجيف من عوائها.

١. كذا في الأصل: تكسين. في مط - تكسير. في الطبري (١٢: ١٨٢٨): يكسين.

وهي رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح الحاجب من قبل السلطان لحرب صاحب الزنج.

وفيهما ظهر بالكوفة علي بن زيد الطالبي فوجه إليه [479] الشاه بن ميكال في عسكر كثيف فهزمه أصحابه ونجا الشاه.

وفيهما وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي وهو من أهل فارس ورجل من أكرادها يقال له: أحمد بن الليث، بعامل فارس وهو العارث بن سيما الشارباتي^(١) فحارباه وقتلاه وغلب محمد بن واصل على فارس.

وفيهما غلب الحسن بن زيد على الري وشخص موسى بن بُغا إلى الري لحربه وشيخه المعتمد.

وفيهما كانت بين باجور وابن عيسى بن شيخ وقعة على باب دمشق. وكان خرج باجور مرتاداً لنفسه معسكراً وابن عيسى بن شيخ وقائد لعيسى في عسكر لهما بالقرب من دمشق. فاتصل بهما خبر باجور وأنه في عدد يسير، فزحفا إليه ولا يعلم باجور بهما حتى لقياه فقتل القائد الذي مع ابن عيسى وهزم وقتل خلق من أصحابه وكان في عشرين ألفاً باجور في نحو من مائتين إلى ثلاثمائة.

ودخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

وفيهما صار يعقوب بن الليث إلى فارس

فبعث إليه المعتمد طعناً وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاري. وكتب إليه أبو أحمد بن المتوكل بولاية بلخ وطخارستان إلى ما يلي [480] ذلك من كرمان وسجستان والسند وجعل له مال في كل سنة من هذه الأعمال فقبل

١. كذا في الأصل: الشارباتي. في مط: السارباتي.

ذلك وانصرف.

وعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة ثم، عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس فولّى حلفاءه وأمر أن يعد ليارجوخ^(١) على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين فولّى منصور بن جعفر بن دهمار البصرة وكور دجلة.

واستحث سعيد العاجب في المصر إلى دجلة والإناخة على صاحب الرنج ففعل ذلك ومضى إلى نهر معقل وكان هناك جيش لصاحب الرنج بالنهر المعروف بالمرغاب وهو معترض في نهر معقل فأوقع بهم وهزمهم واستنقذ ما في أيديهم من النساء وأصاب سعيداً جراحات منها جراحة في فيه. ثم سار سعيد إلى الموضع المعروف بعسكر أبي جعفر واستعد للقاء صاحب الزنج بالفرات فقصدهم وهزمهم واستأمن إليه عمران وهو زوج جدّة ابن صاحب الزنج وتفرّق ذلك الجمع.

فحكى من حضر ذلك الموضع قال: لقد لقيت المرأة من سكّان الفرات تجد الرنجي مستراً بتلك الأدغال [481] فتخرجته وتحمله إلى عسكر سعيد ما به عنها امتناع.

ثم أوقع الخبيث وقعات متوالية. ثم إن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحراني صاحبه وهو مقيم بنهر معقل جيشاً وأمره بتوجيه سليمان بن جامع وابن اللبت الإصبهاني ليلاً مع عسكر قويّ حتّى يُوقعا بسعيد وقت طلوع الفجر، فعزل ذلك فصادفا منهم غرة وغفلة فأوقعا بهم وقتلا منهم مقتلة عظيمة. وأحرق الزنج عسكر سعيد فضعف سعيد ومن معه ودخل أمرهم خلل لهذا الليات وقد كانت أرزاقهم احبست عنهم من جهة منصور بن جعفر

١ ما في الأصل ومط مهمل. والإعجام من الظيرى (١٢ ١٨٤٢)

بن الحيات وهو يومئذ بالأهواز، إليه حريها وله يد في الخراج. فلما اضطرب أمر سعيد وضعف أمر بالإنصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش إلى منصور بن جعفر. وذلك أن سعيداً ترك بعد ما اتفق عليه من البيات حرب صاحب الزنج وكان بفراً^(١) يحيى البصرة ومنصور يجمع السفن التي تحمل المير، ثم يبذرها إلى البصرة فضاقت بالزنج الميرة. ثم عبأ منصور أصحابه وقصد صاحب الزنج في عسكره وصعد قصرأ على دجلة فأحرقه وما حوله ودخل [482] عسكر الخبيث من ذلك الوجه ووافاه الزنج وكننوا له كميناً فهرموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وألجئ الباقون إلى الماء ففرقوا وحملت الرؤوس إلى يحيى بن محمد البحراني بنهر معقل فأمر بنصبها هناك. ثم أوقع الخبيث شاهين وإبراهيم بن سيما بالأهواز فقتل شاهين وهزم إبراهيم.

وكاتب علي بن أبان بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها.

ذكر الخبر عن دخول الزنج البصرة

لما ضعف منصور لم يُقد لقتال الزنج واقتصر على بذقة السفن لوصول المير إلى البصرة، فامتنع أهل البصرة. فوجه الخبيث علي بن أبان فشغل منصوراً عن بذقة السفن وعاد أهل البصرة إلى الضيق، وألح أصحاب الخبيث عليها بالحرب وأحس الخبيث بضعف القوم وإضرار الحصار بهم وتخريبه ما حولها من القرى.

وكان نظر في النجوم ولا يفارقه الأصطربلاب وكتب النجوم، فوقف علي

١ كذا في الأصل براء في خط نمر العيني بدل «عرا يحيى» في الطبري (١٨٤٤-١٢) تُفراج.

كسوف القمر فقال لأصحابه :

ادعاء له

«إني قد ابتليت إلى الله في الدعاء على أهل البصرة [483] وتعجيل خرابها فخطبت وقيل لي : إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة. فأولت انكسار الرغيف انكساف القمر في نصفه.»

فكان هذا حديث عسكره كل يوم. فكثر على الأسماع. وندب قوماً للخروج إلى الأعراب، ففرضوا قوماً بينهم. وأتاه خلق عظيم فوجههم الخبيث إلى ناحية منها وأمرهم بتطرق البصرة والإيقاع بهم من تلك الجهة. فلما ابتدأ القمر بالكسوف انهض علي بن أبان في عسكر ضخم وطائفة من العرب إلى البصرة متاً إلى بني سعد وكتب إلى محمد بن يحيى البهراني في إتيانها متاً إلى نهر عديّ وضمّ إليه سائر العرب فواقع بُغرا علي بن أبان يومين ومال الناس نحوه فدخل علي بن أبان من ناحيته ودخل يحيى من ناحيته وتفرق الجند وانماز بغرا بمن معه، فلم يكن في وجهه أحد. ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبى فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم ونادى منادى إبراهيم **يحيى**

«من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم»

فحضر أهل البصرة حتى ملؤوا الرحاب. فلما رأى اجتماعهم أمر بأخذ أفواه السكك والطرق لئلا يتفرقوا، ثم غدر بهم ووضع فيهم السيوف [484] فقتلوا بأجمعهم ولم يفلت إلا الشاذ. فيقال إن أصوات الناس الذبيس قتلوا

ارتفعت بالتشهاد لما أخذهم السيف فسمعهم من بالطفاوة.^(١)
 فلما فرغ من قتلهم أتى علي بن أبيان المسجد الجامع فأحرقه وراح إلى
 الكلاء فأحرقه من العبل إلى الجسر وأخذت النار في كل شيء مرّت به من
 إنسان وبهيمة ومتاع وآلة. ثم ألحوا على من وجدوا بعد ذلك غدوا وعشيّاً
 ليسوقونهم إلى يحيى بن محمد البحراني وهو يومئذ بسبحان^(٢). فمن كان ذا
 مال قرّره حتّى يستفرخ ماله ثم يقتله ومن كان فقيراً عاجله بالقتل.
 ثم نادى محمد بن يحيى بالأمان فلم يظهر له أحد.
 فكتب الخبيث إلى محمد، أن: «استخلف على البصرة شبلاً فيأتهم
 يسكنون إليه ليظهر الناس، فإذا آمنوا وظهروا أخذوا بالدلالة على ما دفنوا
 وأخفوا من أموالهم.»
 ففعل ذلك حتّى استنظف أهل البصرة وقتلهم وهرب الباقيون على وجوههم
 فصرف الخبيث جيشه حيثنّز عن البصرة.

ادّعاء آخر له

فحكى قوم عن الخبيث أنّه، لما انتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه بالبصرة
 وكثرة ما سفك من الدماء وغرّب وأفسد هاله ذلك - وكان أمراً فظيماً هائلاً -
 ادّعى أنّه [485] دعا عليهم فرأى خيلاً^(٣) بين السماء والأرض وقد خفضوا
 أيديهم اليسرى ورفعوا أيديهم اليمنى. قال: فعلت إنّ الملائكة تتولّى إحراقها
 دون أصحابي، ولو كان أصحابي يتولون ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم
 المفرط.

١. انظر الطبري (١٢: ١٨٥٥).

٢. كذا في مط والطبري (١٢: ١٨٥٥). ما في الأصل مهمل.

٣. والرواية تختلف في الطبري (١٢: ١٨٥٦).

وعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنشرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح وشخصاً إلى البصرة لقتال الخبيث.
وظفر الخبيث بمنصور بن جعفر بعد قتال عظيم وبعد ما جاهد منصور جهاداً شديداً فقتله وعامة من معه.

ذكر مقتل مفلح

ولما شخص أبو أحمد ومفلح لحرب الخبيث تجهّز الجيش وغداة لم ير مثله وحكى المشايخ من أهل بغداد الذين شاهدوا الجيوش أنه ما رأوا ولا سمعوا بمثل ذلك الجيش كثرة وقوة وآلة وسلاحاً. وتبعهم خلق عظيم من متسوقة بغداد وكان أصحاب الخبيث متفرقين في النواحي قد استأكلوها. فليس مع الخبيث يومئذ إلا القليل من أصحابه فهر على ذلك حتى وافاه أبو أحمد في جيشه، وهرب من كان من أصحابه بنهر معقل فلاحقوا به [486] مرعوبين، فدعا الخبيث رئيسين من رؤساء عسكره ممن هرب من نهر معقل، فقال لهما:

« ما الذي دعاكما إلى الإخلال بموضعكما ؟ »

فقالا :

« رأينا شيئاً لم نر مثله . »

ووصفا عظم ذلك الجيش وعدتهم وكثرتهم. فوجه الحبيث من بآتبه بحبر الجيش وخبر من يقوده. فرجعت رسله بتعظيم الأمر وتفخيمه ولم يقدروا أن يقفوا على خبر من يقوده. فزاد ذلك في جزعه وبادر بالرسول إلى علي بن أبيان يستدعيه ومن معه من الجيش وورد العسكر مع أبي أحمد فأباح بإرائه واستدعى الحبيث دواة وقرطاساً ليكتب علي بن أبيان ويستعمله فإنه في ذلك إذ أتاه المكتبي بأبي دلف وهو من قواد السودان يخبره أن

القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزنج فلس في وجوههم من يردّهم فصاح به وانتهره وقال :

- «اغرب عني، فقد دخلك الجزع وانخلع قلبك فلست تدري ما تقول». وقد كان أمر جعفر السجّان بالنداء في الزنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب، فأباه السجّان فأخبره أنه ندب الزنج فخرجوا وظفروا بسميرتين^(١). فأمره بالرجوع لتحريك الرّجالة. فرجع ولم يلبث إلا يسيراً حتى أصيب [487] مفلح بسهم غريب لا يعرف الرامي، ووقعت الهزيمة وكثر الزنج وقوا على محاربتهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووافى الخبيث زنجيه بالرؤوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه. فكثرت الرؤوس يومئذ حتى ملأت كلّ شيء. وأتى الخبيث بأسير من أبناء الفراغنة^(٢) فسأله عن الجيش فأعلمه بمكان أبي أحمد الموفق، ومفلح فارتاع لذكر الموفق وكان إذا راعه أمر كذب به. فقال :

- «كذبت، ليس غير مفلح ولو كان في الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد ولما كان مفلح إلا تابعا له. وأنا لست أسمع إلا باسم مفلح». ولم يلبث مفلح أن مات.

ووافى عليّ بن أبان في أصحابه وقد استغنى عنه. وهرب أبو أحمد الموفق إلى الأبلّة، فأخذ يجمع من فرقت الهزيمة ويجدد الإسمعداد. ثم مضى إلى نهر أبي الأسد وكان الخبيث لا يدري كيف قُتل مفلح. فلما بلغه أنه أصيب بسهم ولم ير أحداً يتحلله ادّعى أنه هو كان الرامي له فسمعه. من يقول :

- «سقط بين يدي سهم فأمرت خادمي راحاً أن يرفعه إليّ، فرميت به

١. في مط : بشمرتين. وهو تصحيف وخطأ.

٢. انظر الطبري (١٢: ١٨٦٤).

فأصبت مفلحاً وكانت الهزيمة.»

قال محمد بن الحسن :

- «وكذب، فإني كنت حاضراً وما زال عن فرسه [488] حتى أتاه حبر

الهزيمة وأتى بالرؤوس.»

أسر يحيى بن محمد وقتله

وادعاء صاحب الزنج في نبوته

وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني قائد الزنج، وذلك أنه وافى مهر العباس فلقبه بفوهة النهر ثلاثمائة وسبعون فارساً من أصحاب العامل بالأهواز فاستقلهم وكان هو في جمع عظيم فترك الاستعداد لهم، فرشقوهم حتى أكثروا فيهم الجراح.

وكان بلغ أبا أحمد خبره فأنفذ طاشتُر^(١) التركي في جيش، فلما أشرفوا عليهم ألقي الزنج نفوسهم في الماء وبقي يحيى في بضعة عشر رجلاً، فنهض يحيى عند ذلك فأخذ درقته وسيفه واحترم بمنديل وتلقى القوم بمن معه، فرشقهم أصحاب طاشتُر بالسهم فجرح البحراني بثلاثة أسهم.

ولما رآه أصحابه جريحاً تفرقوا عنه ولم يُعرف. فرجع حتى دخل سفينة وعبر به إلى ناحية أصحابه. فلما راه الزنج متقللاً بالجراحات ضعفت قلوبهم فتركوا القتال وهربوا وقتل منهم خلق كثير وحاز أصحاب السلطان الفنائم التي كانت في السفن.

ومشى يحيى البحراني وهو مشن حتى ألقي نفسه في موضع ويات ليلته ومعه عباد المتطّيب، فنهض عباد لما أصبح وجعل يمشي متشوّفاً لأن يرى

١. طاشتُر: هناك خلط في رسم هذا الاسم بين كونه «طاشتم» وكونه «طاشتمره» ويرجع ذلك إلى كتابة الصيم، أو التخفيف في التعريب في مط: طاشتم. وفي الطبري (١٨٦٨ ١٢) طاشتمر.

إنساناً، فرأى بعض أصحاب السلطان [489] فأشار فأخبرهم بمكان يحيى وأتاه بهم حتى سلمه إليهم.

وانتهى خبره إلى صاحب الزنج فاشتد جزعه عليه وعظم عليه توجعه ثم حمل يحيى البحراني إلى أبي أحمد الموفق فعمله إلى سر من رأى إلى المعتمد. فأمر المعتمد ببناء دكة بالخير في مجرى الحلبة، ثم رفع للناس حتى أبصروه، ثم ضرب مائتي سوط بشمارها^(١)، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم خبط بالسيوف، ثم ذبح وأحرق. ولما بلغ خبره صاحب الرنج قال: «كان عظم علي ما أصابه واشتد اهتمامي به، فحوطبت وقيل لي: قتله خير لك، إنه كان شراً.»

ثم حكى عنه حكايات في غنائم خان فيها فاطلح عليها، فوهبها له. وكان أصحابه يحكون عنه أنه كان يقول: «عرضت على النبوة فأبيتها.»

ف قيل له:

«ولم؟»

قال «لأن لها عبثاً خفت ألا أطيعها.»

وفي هذه السنة انهاز أبو أحمد الموفق

من قرب الزنج إلى واسط

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن الموفق لما صار إلى نهر أبي الأسد كثرت العلل

١ تهرة السوط: عقدة في طرفه، تشبهاً بالتمر في الهيئة والتلوي. ومنه: «أمر الجلاد أن يحدق ثمرة سوطه» أي لتلين، تخفيفاً على الذي يضرب.

فى أصحابه و فشا فيهم الموت. فلم يزل مقيماً حتى أبلى^(١) من سجا من الموت.

ثم انصرف إلى باذاورد^(٢) [490] فعسكر به وأمر بتحديد الآلات وإعطاء من معه الأرزاق، وأصلح الشذاءات والمعابر وشحنها بالقواد، ونهض يريد عسكر الحبيث وأخذ هوماً إلى نهر أبى الخصيب، فمال أكثر الناس حين وقعت الحرب إلى نهر أبى الخصيب. وتأمل الزنج قلّة مع من هو فى جانب أبى أحمد الموفق، فأكتبوا عليه وكثر القتل فى الجانبين.

ثم صار أبو أحمد الموفق إلى شذاء ونوسط الحرب وحرض أصحابه فكثرت عليه الزنج وعلم أنه لا طاقة له بهم، وانقطع عنه جماعة حجز الزنج بينه وبينهم واقتطعوه عنده. فقاتلوا قتالاً شديداً، ثم قتلهم الزنج بأسرهم وانصرف القوم إلى باذاورد وحملت الرؤوس إلى صاحب الزنج فوقعت نار فى طرف من أطراف عسكره وذلك فى عصف الرياح، فاحترق العسكر، ورحل أبو أحمد الموفق إلى واسط. فلما صاروا إلى واسط تفرق عنه من بقى معه وتشتت ذلك الجمع العظيم.

ودخلت سنة تسع وخمسين ومائتين [491]

إنصرف أبى أحمد واستخلاف أحمد المولد

لحرب صاحب الزنج

وفىها انصرف أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سُرّ من رأى واستحلف على حرب النخبيث أحمد المولد.

وكان خفى على صاحب الزنج أمر الحريق الذى كان فى أصحاب أبى

١. أبلى من مرضه : برئ وصح.

٢. فى مط : باداورد. فى المراحىد. باذورد : اسم مدينة كانت قرب واسط، بينها وبين البصرة.

أحمد فلم يعرف خبره إلا بعد ثلاثة أيام فوجه على بن أبان وضم إليه أكثر الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد إلى الأهواز وبها رجل يُعرف باصفجور^(١) يتولى حربها ومعه نيزك في جماعة من القواد.

فلما التقى العسكران لم يثبت القوم للزنج، إنما استشعروا من الرعب فانهزم اصفجور وقيل نيزك وأسر خلق من القواد فيهم الحسن بن هزيمة، وقتل من الجند عدد كثير وحملت الرؤوس إلى صاحب الزنج.

وكتب علي بن أبان بالفتح وحمل أعلاماً كثيرة وأسرى ودخل علي بن أبان الأهواز وأقام فيها يبعث ويحىء إلى أن مدب السلطان موسى بن بُغا لحرب الخبيث. فلما شخص موسى شيعه المعتمد وأخرج عبد الرحمن بن صالح إلى الأهواز وأشخص إسحاق بن كنداحيق إلى البصرة وإبراهيم بن سيما إلى باذاورد، كلهم من قبل موسى لحرب صاحب الزنج.

فأما عبد الرحمن بن مفلح فإنه وافى قطرة ارمق وأقام عشرة أيام [492] ثم واقع المهلبى فهزمه المهلبى فانصرف واستعد ثم عاد لمحاربته فأوقع به وقتل من الزنج قتلاً ذريعاً وانهزم علي بن أبان بمن معه من الزنج إلى بيان. وكان إبراهيم بن سيما بالباذاورد فقصده وكان المهلبى قد سار يريد الموضع المعروف بالأوكر^(٢) فواقعه إبراهيم فهزمه وانتهى خبر هزيمته إلى عبد الرحمن فوجه إليه طاشتمر في جمع من الموالى فلم يصل إلى المهلبى لأنه كان سلك طريق الأجرام والأدغال والقصب فأضرمه عليهم نارا فخرجوا منه هاربين وأسر معهم قوماً.

وصار المهلبى إلى نهر السدره وكتب إلى صاحبه يستمده ويسأله التوجيه إليه بالشدءات، فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة فيها جمع كثير من المقاتلة.

١. في الطبرى (١٢: ١٨٧٥): اصحبون.

٢. كذا في الأصل بالأوكر في مط بالانكر في الطبرى (١٢-١٨٧٨) - بالذكر

فسار المهلبى حتى وافى عبد الرحمن فلم يكن بينهما قتال ونواقف الجيشان يومهما.

فلما كان الليل انتخب المهلبى جماعة يتق بهم ويبجلدهم وصبرهم وترك عسكره بمكانه ليحظى أمره ومصى حتى صار من وراء عبد الرحمن ثم بيته فقتل وانهب وهرب عبد الرحمن على وجهه حتى وافى الدولاب. ثم أعد رجالاً وولى عليهم طاشتُر [493] فوافوه وأوقعوا به وهزموه إلى نهر المدرة. ثم صار إليه طاشتُر بنهر المدرة فأوقع به وانهمز على الخبيث مغلولاً قد أخذت شذائمه وغنم عسكره.

وكان عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سميما يتناوبان المصير إلى الخبيث وإسحاق بن كنداجيق يومئذ بالبصرة مقيم، وأقاموا كذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بَغَا عن حرب الخبيث وولى مسرور البلخي. وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور.

ذكر دخول يعقوب نيسابور

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هراة. ثم قصد نيسابور، فلما قرب منها وجه إليه محمد بن طاهر بن محمد يستأذنه في تلقيه فلم يأذن له، فبعث بعمومته وأهل بيته يتلقونه ثم دخل نيسابور فنزل طرفاً من أطرافها يُعرف بداود اباذ فركب إليه محمد بن طاهر فدخل إليه في مصر به فسانله ثم أقبل على توبييحه وتفريطه في عمله وقال:

«مثلک لا یکمل لتدبیر خراسان.»

وأمر بالتوكيل به وصرفه وحبسه. وولى عُرْزاً نيسابور وقبض على أهل بيت طاهر وورد الخبر بذلك على السلطان.

ووردت [494] رسل يعقوب على المعتمد فجلس له جعفر المعتمد وأبو

أحمد الموفق وحضر القواد وأذن لرسول يعقوب. فذكر رسول يعقوب ما لا يزال يتناهى إلى يعقوب من حال أهل خراسان فى الشراة والحارجين عليهم حتى غلبوا عليها وضف محمد بن طاهر عن ضبطها ومكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إتياء أن يقدم عليهم واستعانتهم به وأنه صار إليها فتلقاه أهلها على عشرة فراسخ وسلموها إليه وأحضر رأساً على قساة فيه رقعة مكتوب فيها :

« هذا رأس عدو الله الخارجى بهراء ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة قتله يعقوب بن الليث. »

فتكلم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى وقالوا لرسول يعقوب :
 « إن أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل وهو يأمره بالإنصراف إلى العمل الذى ولّاه إتياء فليرجع. فإنه إن فعل كان من الأولياء وإلا لم يكن إلا ما للمخالفين. »
 وحرف رسله وخلع عليهم.

ودخلت سنة ستين ومائتين

وفىها قتل صاحب الرنج صاحب الكوفة على بن زيد العلوى.
 وفىها واقع [495] يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان فهزمه.
 وكان ليعقوب بها ظفر ومحنة.

معاربة يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان

ذكر السبب فى ذلك

وكان السبب فى ذلك أنه كان بسجستان رجل يعرف بعبد الله رئيس ينافس يعقوب، فقهره يعقوب فهرب منه إلى محمد بن طاهر بنيسابور. فلما

ملك يعقوب نيسابور هرب عبد الله فلقح بالحسن بن زيد وشخص يعقوب في طلبه.

فلما صار إلى قرب سارية لقيه الحسن بن زيد وكان يعقوب بعث إليه أن يوحه إليه بعبد الله السجزي حتى يصرف عنه فإنه إنما قصد طبرستان لأجله لا لحربه. فأبى الحسن تسليمه إليه.

فلما التقى عسكراهما لم يكن إلا كلا ولا، حتى انهزم الحسن إلى أرض الديلم ودخل يعقوب سارية ثم مضى منها إلى آمل، فجبي أهلها خراج سنة، ثم شخص في طلب الحسن بن زيد. فلما صار في بعض جبال طبرستان تتابعت عليه الأمطار نحواً من أربعين يوماً فلم يتخلص منه إلا بمشقة شديدة ولم يمكنه النزول إلا على ظهور الرجال^(١) وهلك ما معه من الظهر.

ثم رام الدخول خلف الحسن بن زيد [496] [إلى الشرز^(٢)] فأخبر بعض من شاهده أنه كان يقدم عسكره وأمرهم بالوقوف لينأمل الطريق فلما رآه عاد إلى أصحابه وأمرهم بالإنصراف وقال:

«إن لم تكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه.»

وكان نساء تلك الناحية قلن لرجالهن: دعوه يدخل فإنه إن دخل كفيناكم وعلينا أخذه وأخذ من معه.»

فانصرف وقد ذهب معظم حيله وإبله وأثقاله ورجاله، وكتب إلى السلطان بفتح طبرستان وهزيمة الحسن بن زيد.

وسار يعقوب إلى الري وبها الصلايين من قبل موسى بن بقا

١ - والعبارة في الطبري (١٢-١٨٨٤) سعد جيلاً، لتأ رام النزول عنه ثم يمكنه ذلك إلا محمولاً على ظهور الرجال

٢ - كذا في الطبري (١٢-١٨٨٤) وفي المراءد، الشرز [بالراء المهملة] - جبل في بلاد الديلم

ذكر السبب في مسيره

كان سبب مسيره إلى الرى أن عبد الله السجزي صار بعد هزيمة الحسن بن زيد إلى الرى مستجيراً بالصلابي. فلما صار يعقوب إلى حوار الرى كتب إلى الصلابي يحيره بين تسليم عبد الله السجزي إليه حتى يصرف عنه ويرتحل إلى عمله وبين أن يأذن بحربه. فاختار الصلابي تسليم عبد الله فسلمه إليه فقتله يعقوب وانصرف عن الصلابي.

ودخلت سنة إحدى وستين ومائتين [497]

وفيهما جمع السلطان^(١) حاج خراسان والرى وطبرستان وجرجان في صفر وقرئ عليهم كتاب يعلمون فيه أن السلطان ما ولي يعقوب بن الليث خراسان وأنه عاصي ويأمرهم بلعنه، وذلك لدخوله خراسان وأسر محمد بن طاهر وآل طاهر.

وفيهما كانت وقعة بين محمد بن واصل وبين عبد الرحمن وطاشتمر برامهرمز فقتل ابن واصل طاشتمر وأسر ابن مفلح.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن ابن واصل قتل بفارس العارث بن سيما عامل السلطان وتغلب عليهم وضم إلى موسى بن بغا فارس والأهواز والبصرة واليمامة إلى ما كان إليه من عمل المشرق. فوجه موسى عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز وولاه إياها وفارس وضم إليه طاشتمر، فاتصل بابن واصل

١. وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر. انظر الطبري (١٨٨٧، ١٢)

ذلك وكنار مقيماً بالأهواز على حرب الخارجى بناحية البصرة، فلما بلغه أن ابن مفلح قد توجه إلى فارس زحف إليه ابن واصل والتقى براهيمز وانضم أبو داود الصلوك إلى ابن واصل معيناً له [498] فظهر ابن واصل بابن مفلح فأسره وقتل واصطلم^(١) عسكره وبعت السلطان إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل فى إطلاق ابن مفلح فلم يجبه إلى ذلك، ثم لم يزل ابن مفلح فى يده حتى قتله.

ولما فرغ ابن واصل من ابن مفلح أقبل مظهراً أنه يريد واسطاً لحرب موسى حتى انتهى إلى الأهواز وبها إبراهيم بن سيماء فى جمع كثير، فلما رأى موسى بن بقاء شدة الأمر وكثرة المتغلبين على نواحي المشرق وأن لا قوام لهم ولا طاقة، سأل حينئذ أن يحفى عن أعمال المشرق، فأعفى عنها وضُمَّ ذلك إلى أبي أحمد، وانصرف موسى بن بقاء إلى باب السلطان وصرف عماله عن المشرق.

وولى أبو الساج الأهواز وحرب صاحب الزنج. فقدم أبو الساج صهره عبد الرحمن فقتل، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرّم ودخل الزنج الأهواز فسبوا أهلها وقتلوا وانتهبوا.

ثم صرف أبو الساج وولى إبراهيم بن سيماء.

وفىها ولى نصر بن أحمد ما وراء نهر بلخ وكُتب إليه بولاية ذلك.

وفىها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس وابن واصل بالأهواز فانصرف منها إلى فارس [499] والتقى هو ويعقوب فهزمه يعقوب وحصر قلعة ابن واصل بخزيمة^(٢) فأخذها وحصل ما فيها - قبلت قيمة ما أخذه يعقوب منها أربعين ألف درهم - وأسر مرداساً خال ابن واصل وأوقع بالأكراد الدين

١. فى مط : واصحكم، بدل : واصطلم.

٢. خزيمة : ناحية من نواحي فارس قرب إصطخر (مرصد الاطلاع).

مالثوا^(١) ابن واصل.

وفيهما جلس المعتد في دار العامة فولّى ابنه جعفرًا العهد وسمّاه المعوّض إلى الله وولّاه المغرب وضمّ إليه موسى بن بُغا وولّاه أفريقيا ومصر والشام والجريرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وحلوان ومهرجانفدق وولّى أخاه أبا أحمد العهد من بعد جعفر وولّاه المشرق وضمّ إليه مسرور البلخي وولّاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكّة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وقم واصبهان والكرج والدينور والريّ وزنجان وقزوین وخراسان وجرجان وطبرستان وكرمان وسجستان والسند.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

وفيهما وافى يعقوب بن الليث رامهرمز

فوجّه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق [300] وبغراج وأخرج من كان محبوساً من أسباب يعقوب لأنّه لمّا حبس يعقوب محمد بن طاهر، حبس السلطان صاحبه وصيماً ومن كان قبله من أسبابه، فأطلق عنهم عند موافاة يعقوب رامهرمز، ثمّ قدّم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب برسالته.

فجلس أبو أحمد ببغداد ودعا بجماعة من التجار وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والريّ وفارس والشرطة ببغداد، وذلك بمحضر صاحب يعقوب.

ثمّ انصرف الرسل الذين وُجّهوا إلى يعقوب إلى السلطان فأعلموه أنّه يقول: لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى الباب السلطانيّ. وارتحل يعقوب من عسكر مكرّم، فصار إليه أبو الساج قبله وأكرمه ووصله، ولقّا

١. كذا في الأصل بالخط. في ط - مالوا لابن واصل.

رجع الرسول بجواب يعقوب عسكر المعتمد بخارج شَرَّ مَنْ رَأَى واستخلف ابنه جعفرًا ثم وافى بغداد فاشتقها^(١) وجازها إلى الزعفرانية فنزلها، وقدم أخاه أبا أحمد الموفق وسار يعقوب بجيشه حتى صار من واسط على هراسخ فصادف هناك بتقاً بنقه مسرور [501] البلخي من أجله حتى لا يجوز. فأقام عليه حتى سده وعبره وصار إلى باذين ووافى واسطاً.

وسار محمد بن كثير من قبل مسرور البلخي فنزل بإزائه بالنعمانية وسار المعتمد حتى صار إلى سيب بنى كوما وأقام المعتمد حتى اجتمعت إليه عساكره، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ثم زحف إلى عسكر السلطان. فأقام المعتمد ومعه عبيد الله بن يحيى وأنهض أخاه لحرب يعقوب، فجعل يعقوب يعقب أصحابه وجعل أبو أحمد موسى بن بُغا على مهيئته ومسرور البلخي على ميسرته وصار هو في نخب الرجال في القلب.

فالتقى العسكران بين سيب بنى كوما ودير العاقول. فشدت ميسرة يعقوب على مهيئة أبي أحمد فهزمتها وقتلت جماعة منها من القواد بينهم إبراهيم بن سيما وغيره، وسائر عسكر أبي أحمد ثابت. ثم ثابت المنهزمة فحملوا على عسكر يعقوب فثبتوا وحاربوا حرباً شديدة، فقتل منهم جماعة وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم في حلقه وبدنه ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين إلى آخر وقت المعركة.

ثم ظهر في كثير من أصحاب يعقوب كراهة قتال السلطان لما رأوه بإزائهم. [502] ثم حمل جميع أصحاب أبي أحمد على يعقوب ومن ثبت معه فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب في حامية أصحابه، حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب وغنم عسكر السلطان عسكر يعقوب، فيقال: إنه أخذ

١. في مط: واستقها في الأصل: واشتقها في الطبري (١٢ ١٨٩٢) - واشتقها

من عسكره من الدوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس ومن العيين والورق ما يكلّ عن حمله ومن جُرب^(١) المسك أمر عظيم. وتخلّص محمد بن طاهر وكان مثقلاً بالحديد، خلّصه الذي كان موثقاً به، وكتب كتاب الفتح إلى بغداد وقُرئ على الناس، ورجع المعتمد إلى المدائن ومضى أبو أحمد الموفق وقبض على ما لأبي الساج من المازل والضياح فأقطعها مسرور البلخي، وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد وقد رُدَّ إليه العمل وخلع عليه على مرتبته، فنزل دار عبد الله بن طاهر فلم يعرف أحداً ولم يولّ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

وفيها وجّه صاحب الزنج جيوشه إلى البطيحة

ودست ميسان

ذكر الخبر عن طمعه في ذلك

لَمَّا انصرف موسى بن بُغا عن أعمال المشرق وحصار البصر لأبي أحمد الموفق وضّم أبو أحمد [٥٠٣] كور دجلة إلى مسرور البلخي وتشاغلوا بحرب يعقوب، خلت كور دجلة من عمّال السلطان وعساكره سوى المدائن. فوجّه صاحب الزنج أحمد بن مهدي من أهل جُبّى في سميريات فيها رجال رماة إلى نهر المرأة^(٢). فجعل الجُبّائي يوقع بالقرى.

فكتب إلى صاحبه:

«إِنَّ البطيحة حالية من رجال السلطان، لا تصرف مسرور وأصحابه إلى محاربة يعقوب بن الليث.»

فأمر صاحب الزنج رجلاً من باهلة يقال له عُمر بن عتار - كان عالماً

١ في مط. حرق المسك والطبري (١٢ ١٨٩٤) كالاصل. جُرب

٢ نهر المرأة. نهر بالبصرة. حمراء أردشير الأصغر، والمرأة اسمها طماهيج (مراد لا اطلاع)

بطرق البطيحة ومسالكها - إلى أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيث.
 وكاتب سليمان بن جامع أن يسير إلى الحوانيث فصار الجبائي في طريق
 الماذيان فتلقاه رُميس فواقعه الجبائي فهزمه وأخذ أربعاً وعشرين سميرية
 ونيفاً وثلاثين صاخة^(١) وأفلت رميس ووافق خروجَه مهزماً مع أصحابه
 خروج سليمان بن جامع من النهر العتيق. فتلقاه فأوقع به فيمن أفلت معه
 وانحاز رميس إلى بئر مساور ولحق بسليمان من مذكوري البلالية وأنجاهم
 جماعة في نحو من مائه وخمسين سميرية فاستعبرهم الخبر فقالوا:

- «ليس بينك وبين واسط أحد من عتال السلطان وولاته.»

فاغترَّ سليمان بذلك وسار حتى (504) انتهى إلى الجازرة^(٢) فتلقاه رجل
 يقال له أبو معاذ القرشي، فواقعه فانهزم سليمان عنه وقتل أبو معاذ جماعة
 وأسر جماعة فيهم قائد من قواد الزنج يقال له: رباح، وانصرف سليمان إلى
 موضعه الذي كان معسكراً به فأتاه رجلان من البلالية فقالا:

- «ليس بواسط أحد يدافع عنها غير أبي معاذ في الشذاءات التي لقيتك.»

فاستعدَّ سليمان وكتب إلى الخبيث مع البلالية الذين استأمنوا إليه واحتبس
 الإثنين اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه. وسار قاصداً لنهر أبان فاعترض
 له أبو معاذ في طريقه ونشبت الحرب بينهما وعصفت الريح فاضطربت شذاة
 أبي معاذ وقوى عليه سليمان وأصحابه فأدبر عنهم.

ثم مضى سليمان فاقتتح نهر أبان فأحرق وانتهب وسبي النساء والصبيان
 ثم وجَّه رجلاً يعرف له خبر واسط. فأخبره أن مسروراً قد توجه إليه وأنه
 بواسط. فتحمل سليمان من موضعه وطلب موضعاً يقرب عليه قصد صاحبه

١ كذا في الأصل: صاخة في الطبري (١٩٠١: ١٢): صاخة

٢ في الأصل الجازرة في الطبري (١٩٠١: ١٢): للجازرة

منه متى لحقه الطلب. فأشهر عليه بطيها^(١) فتحصن فيها وجمع إليه كل من ظهر منه مكاشفة للسلطان ووثق به من أهل الطفوف وغيرهم وكاتب صاحبه [505] بذلك وبما دبره، فكتب إليه بصوب رأيه.

ثم إنه وجه الجبائي في عسكر فبلغه أن أغرتمش وخشيشاً قد أقبلا فجزع منهما وأخذ في الاستعداد للقائهما. ورجع إليه الجبائي مهزماً وصعد سليمان سطحاً فأشرف منه فرأى الجيش فنزل مسرعاً وعبر النهر وأمر السودان أن يستتروا حتى لا يظهر منهم أحد ويتواروا بالأدغال وتدعوا القوم حتى يتوغلوا ولا يتحرك واحد إلى أن يسمعوا أصوات طبوله فإذا سمعوها خرجوا. وقصد أغرتمش لجيشه وشغلهم قائد من قواد الزنج عن دخول العسكر يقال له: أبو الندي، وشد سليمان من وراء القوم وضرب الزنج بطبولهم وألقوا أنفسهم في الماء للمبور إليهم فانهزم أصحاب أغرتمش، وخرج إليهم من كان بطميشا من السودان فوضعوا فيهم سيوفهم وانهزم خشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره. فتلقاء السودان فصرعوه وأخذته سيوفهم فقتل وحمل رأسه إلى سليمان.

وقد كان خشيش حين أسرعوا إليه قال لهم:

«أنا خشيش فلا تقتلونى واذهبوا بى إلى صاحبكم»

فلم يسمعوا قوله. وانهزم أغرتمش وظفر الزنج بعسكره [506] وشذائاته ودوابه وأسلابه وكتب إليه صاحبه بالفتح وحمل إليه رأس خشيش وخامعه، فأمر فطيف به في عسكره ونصب ثم حمله إلى علي بن أبان وهو يومئذ مقيم بنواحي الأهواز، وأمر بنصبه هناك.

١ في الأصل بطيها وفي الموضع الآتى. بطيها في الظيرى (١٩٠٥-١٢) طميشا (في كلا الموضعين) في مط. طميشا (في كلا الموضعين).

وفيها كانت وقعة بين أحمد بن ليثوية

صاحب مسرور وبين علي بن أبان

فهزم الروم وقاتل منهم مقتلة عظيمة وذلك أن مسروراً وجّه أحمد بن ليثوية إلى ناحية الأهواز وكان علي بن أبان يتشتر فقصده ابن ليثوية فزحف علي بن أبان إليه وهو يشتر أصحابه ويعدّهم الطفر ويحكي ذلك لهم عن الخبيث. فلما وافى الباهليون - وهي قرية تُعرف بذلك^(١) - تلقّاه ابن ليثوية في جماعة كثيفة من حيل السلطان واستأمن إليه جماعة من العرب فانهزم علي بن أبان ثم كثر عليهم مع جماعة من رجالاته فاشتد القتال وترحل علي بن أبان فباشروا القتال بنفسه راجلاً وبين يديه غلام يقال له فتح، وبصر بعلي بن أبان قوم يعرفونه وأنذروا الناس به، فانصرف هارباً حتى لجأ إلى المسرقان، فألقى نفسه فيه وتلاه فتح ففرق فتح ولحق علي بن أبان نصر الرومي فتخلّصه [507] من الماء وكان أصاب ساقه سهم، فانصرف مفلولاً من أنجاد السودان وأبطالهم عدد كثير.

ودخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل

وفيها ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل أحذه ابن عزيز بن السري فجاء به إلى يعقوب أسيراً.

وملك يعقوب فارس وسار إلى الأهواز، فلما صار إلى النويندجان انصرف أحمد بن ليثوية عن تستر وارتحل عن بلدان الأهواز كل من كان بها من قبل

١. أي الباهليون اسم قرية. انظر الطبري (١١: ١١١).

السلطان.

ثم أقام عليّ بن أبان بنهر السدرة إلى أن دخل صاحب يعقوب الأهواز واسمه الخضر. فجعل يغير عليه وأغار صاحب يعقوب عليه ولم يزل كذلك الأمر مدة.

ثم تحاسر عليه أعني عليّ بن أبان عليّ الخضر فسار إليه وأوقع به وقتل من أصحاب يعقوب خلقاً وهرب الخضر إلى عسكر مكرم، فلما استباح عليّ عسكره والأهواز رجع إلى نهر السدرة وكتب إلى يهثوذ يأمره بأصحاب الصفار أن يوقع بهم وهم بالدورق. فمضى يهثوذ إلى الدورق وأوقع بأولئك. فكان عليّ يتوقع بعد ذلك مسير يعقوب إليه فلم يسر.

وأمدّ الخضر بأخيه الفضل وأمرهما [508] بالكفّ عن قتال أصحاب الخبيث والإقتصار على المقام بالأهواز. فأبى ذلك عليّ دون نقل طعام هناك، فتجافى له الصفار عن ذلك الطعام وتجافى عليّ للصفار عن علف كان بالأهواز. فنقل عليّ الطعام وترك العلف وتكافّ الفريقان: أصحاب عليّ وأصحاب الصفار.

ودخلت سنة أربع وستين ومائتين

وفيهما مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان من خدمة خادم له وصلى عليه أبو أحمد ومشى في جنازته واستؤزر من العبد الحسن بن مخلد. ثمّ قدم موسى بن بقا فهرب الحسن بن مخلد واستؤزر مكانه سليمان^(١) بن وهب وفيها توجه جيش من قبل الصفار إلى الصيغرة ونفذوا إليها وأخذوا صيغون وحملوه أسيراً.

١. في الأصل سليمان بن وهب. وما أثبتناه يؤيده الطبري (١٢ ١٩١٥).

وفيها مات موسى بن بُعا ببغداد وحُمِلَ إلى شَرْ من رأى فُدُن بها.

محادبة محمد المولّد وسليمان بن الجامع

وفيها ولي محمد المولّد واسطاً فحاربه سليمان بن جامع وهو قريب من تلك الناحية، فهزّمه وأخرجه من واسط ودخلها.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ عليّ بن أبان لما هزم بأعزّيمش وجُعْلان، أشار عليه أحمد بن مهدي [509] الجبّائي بتطرق عسكر البخاريّ وهو على خمسة فراسخ من عسكر تكين فلما وافى ذلك الموضع قال له الجبّائي :
- «الرأى أن نقيم هاهنا وأمضى أنا في السميريات فاحتر القوم وأتبعهم فيأتوك لغيبين فتنال حاجتك.»

فأقام سليمان وعبّاً خيله ورجّالته بموضعه ومضى الجبّائي فقاتلهم ساعة وأعدّ تكين حيلة وهطارده الجبّائي وطال على عليّ بن أبان انتظار الجبّائي. فأقبل يقفوا إثر الجبّائي. فأنفذ الجبّائي غلاماً له إلى سليمان بن جامع أنّ أصحاب تكين وأردون عليك بخيلهم.

فتلقاهم الرسول فردّه إلى معسكره وجعل عليّ كميناً ممّا يلي الصحراء في ميسرة تكين وقال :

- «إذا جاوزتكم خيل تكين فاخرجوا من ورائهم.»

فلما علم الجبّائي أنّ سليمان قد أحكم أمره رفع صوته وقال لأصحابه ليسمع أصحاب تكين :

- «غررتعوني وأهلكتموني. وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل. فأيتهم إلا أن تُلقوني وأنفسكم في هذه الورطة التي لا ترى أنا تنجو منها.»

قطمِع أصحاب تَكِين لَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ وَجَدُوا فِي طَلَبِهِ وَجَعَلُوا يَنَادُونَهُ :

- «هَلِيلُ فِي قَفْصٍ»-

وَسَارَ الْجَبَتَائِي سِيراً حَثِيئاً وَاتَّبَعُوهُ بِجَدٍّ يَرْتَقُونَهُ [510] حَتَّى جَاوَزَ الْكَمِينَ وَقَارِبَ عَسْكَرَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَ أَيْضاً كَامِنٌ وَرَاءَ الْجُدُرِ فِي حَيْلِهِ وَرَجُلِهِ. فَرَحَفَ سُلَيْمَانُ وَخَرَجَ الْكَمِينَ مِنْ وَرَاءِ الْخَيْلِ وَعَطَفَ الْجَبَتَائِي فَأَتَاهُمُ الرُّوعُ مِنَ الْوَجْهِ كُلِّهَا فَانْهَزَمُوا. وَرَكِبَهُمُ الزَّنَجُ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ وَيَسْلُبُونَهُمْ حَتَّى قَطَعُوا ثَلَاثَةَ فَرَاسِخٍ.

ثُمَّ وَقَفَ سُلَيْمَانُ وَقَالَ لِلْجَبَتَائِي :

- «نَرْجِعُ فَقَدْ غَنِمْنَا وَسَلَمْنَا وَالسَّلَامَةُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»-

فَقَالَ الْجَبَتَائِي :

- «كَلَّا قَدْ نَفَذْتَ حِيلَتَنَا فِيهِمْ وَنَخِبْتَ قُلُوبَهُمْ. وَالرَّأْيُ أَنْ نَكْبِسَهُمْ فِي

لَيْتِهِمْ هَذِهِ فَلَمَعْنَا أَنْ نَفْضَرَ جَمْعَهُمْ وَنَجْتَاحَهُمْ»-

فَاتَّبَعَ سُلَيْمَانُ رَأْيَ الْجَبَتَائِي وَصَارَ إِلَى عَسْكَرِ تَكِينٍ فَقَاتَلَهُمْ تَكِينٌ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى انْكَشَفَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ. ثُمَّ وَقَفَ سُلَيْمَانُ وَعَبَّأَ أَصْحَابَهُ ثَانِيَةً وَوَجَّهَهُ شِبَالاً فِي خَيْلٍ وَرِجَالَةٍ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَأَمَرَ الْجَبَتَائِي فَارَ فِي السَّمِيرِيَّاتِ فِي بَطْنِ النَّهْرِ وَسَارَ هُوَ فِيْمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى وَافَى تَكِينًا، فَلَمْ يَثْبِتْ لَهُ أَحَدٌ وَانْكَسَفُوا فَتَرَكُوا فِي عَسْكَرِهِمْ. فَغَنِمَ مَا فِيهِ وَأَحْرَقَ الْبَاقِيَّ وَانْصَرَفَ وَكَانَ اسْتِأْذَنَ صَاحِبَهُ فِي الْإِلْمَامِ بِهِ فَأَلْفَى فِي مَنْتَصَرِفِهِ وَرُودَ الْإِذْنِ لَهُ، فَاسْتَخْلَفَ الْجَبَتَائِي وَحَمَلَ الْأَعْلَامَ الَّتِي أَصَابَهَا مِنْ عَسْكَرِ تَكِينٍ وَالشِّذَاءَاتِ [511] الَّتِي كَانَ أَخَذَهَا مِنْ خُشَيْشٍ وَأَصْحَابِهِ اغْرَتَمَشَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ إِلَى عَسْكَرِ الْخَبِيثِ.

ثُمَّ كَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِيانَ وَالْجَبَتَائِي وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ وَقَعَاتٌ مَنَكِرَاتٌ وَأُمُورٌ هَائِلَةٌ مَا كَتَبْتُهَا لَخُلُوعِهَا مَتَا بَنَيْتُ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا إِلَى أَنْ

دخل أصحابه واسطاً

وفيها خرج سليمان بن وهب والحسن بن وهب
إلى سُرّ من رأى

فلما وصل إليها حبسه المعتمد وقيّده وأنهب داره ودور بنيه واستوزر
الحسن بن مغلدة. وكان أبو أحمد الموفق حسنَ الرأى فى آل وهب فشخص
من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان بن وهب. فلما قرب الموفق من سُرّ من
رأى، تحوّل المعتمد إلى العسكر العربى فعسكر به واختلف الرسل بينهما.
فلما كان بعد أيام صار المعتمد إلى خِزّانة فى دجلة وصار إليه أخوه الموفق
فى زُلّال، فخلع على الموفق وعلى مسرور البلخى وكيفلغ وأحمد بن موسى
بن بُغا.

ثم عبر أهل عسكر أبى أحمد إلى عسكر المعتمد يوم التروية من ذى
الحجة فأطلق سليمان بن وهب ورجع المعتمد إلى الجوسق وهرب الحسن
بن مغلدة وأحمد بن صالح بن شيرزاد وكتب فى قبض أموالهما وأسبائهما
ومن يتصل بهما وهرب القوّاد [512] المقيمون كانوا سُرّ من رأى إلى
تكريت. ثم شخص إلى الموصل ووضعوا أيديهم فى الجباية
وكان عبيد الله بن سليمان كاتب الموفق فأصلح بين سليمان بن وهب
والحسن بن مغلدة.

ودخلت سنة خمس وستين ومائتين

وفيها كانت بين أحمد بن ليوثيه وسليمان بن جمام قائد الزنج وقعة
بناحية جُنُبلاء فقتل من أصحاب سليمان سبعة وأربعون قائداً وحلق من
الجند لا يحصى عددهم، واستباح عسكره وأحرق سفنه ومضى مفلولاً حتى

وافى طمشاً^(١).

وفيهما لحق محمد المؤد يعقوب بن الليث فصار إليه وقبض السلطان على أمواله وضياعه.

وفيهما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبيد الله وأمر بقبض ضياعهما وأسبابهما وصولهما على تسعمائة ألف دينار.

واستكتب الموفق صاعد بن مخلد واستوزر إسماعيل بن بلبل.

وفيهما مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع مطيع.

وفيهما لحق العباس بن أحمد بن طولون مع من تبعه ببرقة مخالفاً لأبيه أحمد وكان [513] أبوه استخلفه على عمله بمصر لما توجه إلى الشام. فلما انصرف أحمد عن الشام راجعاً إلى مصر حمل العباس ما في بيت المال بمصر وما كان لأبيه هناك من مال وأثاث وغير ذلك ومضى إلى برقة. فوجه إليه أبوه جيشاً فظفروا به ووجهوه إلى أبيه فحبسه عنده وقتل بسببه وما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك.

وفيهما دخل الرنج جبل والنعمانية فأحرقوا وسبوا وصاروا إلى جرجرايا ودخل أهل السواد بغداداً.

وفيهما ولي أبو أحمد، عمرو بن الليث خراسان وفارس واصبهار وسجستان وكرمان والسند وأشهد له بذلك ووجه إليه العهد وانخلع.

وفيهما صار مسرور البلخي إلى النيل وكان هناك عبد الله بن لثويه وكان يظهر الخلاف على السلطان. فلما قصده مسرور ومن معه تلقوه وترحلوا له وانقادوا له بالسمع والطاعة وعبد الله بن لثويه قد نزع سيفه ومتطعته وعلقهما

في عنقه وهو يعتذر ويحلف أنه كان محمولاً على ما فعل. فقبل منه وخلع عليه وعلى عدة من قواده.

ودخلت سنة ست وستين ومائتين [514]

وفيها ولى عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافة على الشرطة ببغداد وشتر من رأى وخلع أبو أحمد عليه. فلما صار عبيد الله إلى منزله خلع عليه فيه خلمه عمرو بن الليث. وبعث إليه عمرو مع خلعتة عموداً من ذهب.

وفيها غلب اساتكين على الرى وأخرج العامل كان عليها. ثم صار هو وابنه اذكوتكين إلى قزوين وعليها ايزون أخو كيغلغ. فصالحاه وأخذا قزوين ثم عادا إلى الرى.^(١)

وفيها مات أبو الساج وكان منصرفاً من الأهواز عن عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد.

وفيها ولى عمرو بن الليث، أحمد بن عبد العزيز بن دلف اصبهان وولى محمد بن أبي الساج الحرمين وطريق مكة.

وفيها وجه مسرور إلى الأهواز أغرتمش ومطر بن جامع وأبا لحرب على بن أبان صاحب الرنج. فكانت سنهم وقعات بنهر السدرة ثم ظفر على تكمين كمه^(٢) وأكب الرنج على أصحاب السلطان فهزمهم وأسر مطر بن جامع وأتى به على بن أبان فاستبقاه مطر فقال له على:

«لو كنت أبقيت على صاحبنا جعفرويه بنسرت لأبقينا عليك.»

وكان جعفرويه محبوساً بتسرت فلما صار إليها مطر أخرجه وقتله فقام

١. انظر الطبري (١٢: ١٩٣٦).

٢. كذا في الأصل ومط.

عليّ [515] بيده [السيف]^(١) إلى مطر فحضر عنقه وأفلت أعرتمش وأبنا
ووجه عليّ بن أبان بالرؤوس إلى الخبيث.
وفيهما كانت بين الأكراد وبين عليّ بن أبان وقعة، فغلبه الأكراد وقتلوا من
الزنج مقتلة عظيمة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنه كان بين محمد بن عبيد الله بن آزاد مرد الكردي
وبين عليّ بن أبان شحنة، ثم تلاقيا على صالح وكان عليّ يرصده بشراً،
وقد عرف محمد بن عبيد الله ذلك فكان يروم النجاة منه. فكتب ابن
الخبيث المعروف بأنكلاي وسأله مسألة أبيه ضمّ ناحيته إليه فأذن له الخبيث
فاستعدّ له عليّ وسار إليه وأوقع برامهرمز ومحمد بن عبيد الله يومئذٍ مقيم
بها. فلم يكن بمحمد فيه امتناع. فهرب فاستباح عليّ رامهرمز وكتب محمد
إلى عليّ يطلب المسألة على مالٍ يعمله إليه. فكتب عليّ إلى الخبيث
بذلك. فكتب إليه بقبول ذلك وحمل المال، فعمله وأمسك عليّ عن محمد
وأعماله.

ثم كتب إليه يسأله أن يعينه على جماعة من الأكراد بموضع يقال له :
الداربان عليّ أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم. فكتب عليّ إلى الخبيث
يستأذنه في النهوض إلى ذلك فكتب إليه [516] أن :

« وجه الخليل بن أبان أخاك ويهود وأقم أنت لا تنفذ جيشك حتى
تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك تأمن بهم من غدرة، فقد
وترته وهو غير مأمون. »

فكتب عليّ إلى محمد بذلك وسأله الرهائن، فأعطاه محمد الأسمان والعهود، ودافعه عن الرهائن.

ذكر عجلة وحرص كانا سبب ترك الحزم

ودعا عليّاً الحرس على الفنائم التي أطمعه فيها محمد إلى أن أنفذ الجيش قبل تحصيل الرهائن. فساروا ومعهم رجال محمد حتى وافوا الموضع المقصود، فخرج إليهم أهله فشبت الحرب وظهر الزنج على الأكراد. ثمّ خذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله وصدقهم الأكراد فانهزموا، وكان محمد أعدّ لهم قوماً فعارضوهم وهم منهزمون، فأوقعوا بهم وسلبوهم وقتلواهم، فرجعوا بأسوء حال فكتب المهلبى إلى الخبيث بما ركب محمد، فكتب إليه يعثفه ويقول:

« خالفتنى وتركت الحزم وتبعت هواك، فذاك الذى أردى جيشك. »

وكتب الخبيث إلى محمد أنه :

« لم يخف عليّ تدبيرك على جيش عليّ بن أبان ولن تعدم المكافأة على ما كان منك. »

فارتاع محمد ممّا ورد عليه وكتب إليه بالتضرّع [517] والخضوع وكتب :

« إني أرتجع جميع ما ذهب من عسكر الحليل بن أنان وأتوعد^(١) من فعل ذلك وأقصده بكلّ مكروه. »

فأظهر الخبيث غضباً وكتب إليه يتهدّده، فأعاد محمد الكتاب بالإستكانة وكتب إلى يهود يضمن له مالاً ولغيره ممّن يقرب من الخبيث فلم يرالوا به حتى سلّوا سخيّمته^(٢) على محمد وأظهر الخبيث الرضا عن محمد وقال :

١. لمي مط : توعد

٢. يقال سلّبت سخيّمته باللفظ والترصّي. أى أفرحت سمعته من صدره

«لست أقبل ما يقول أو يخطب لى على منابر أعماله»
 فأحابه محمد إلى ما أراد. ثم راوعه وقصد على مَثُوث^(١) فلم يطلقها
 لحصانتها فأتخذ لها سلالهم وآلات الحروب. وكان مسرور عرف قصد على
 مَثُوث، فلما صار إليها وافاء قبيل العرب وهو مقيم عليها فلما عاين
 أصحاب على أوائل خيل مسرور انهزموا وتركوا عسكرهم وجمع الآلات
 التي أعدوها وقتل منهم جمع كثير وانصرف على مذعوراً مفلولاً ولم يلبث
 حتى تنابت الأخبار بإقبال أبي أحمد الموفق إلى سوق الخميس وطميشا^(٢)
 وفتح أبي أحمد إياها.
 ثم ورد عليه كتاب يحفزه حفزاً شديداً بالمصير إليه فى عسكره.

ودخلت سنة سبع وستين ومائتين [518] وفيها غلب أبو العباس
 ابن الموفق على عامة ما كان سليمان صاحب الزنج
 غلب عليه من قرى دجلة

ذكر الخبر عن ذلك

إن الزنج لما دخلوا واسطاً - وكان منهم ما ذكرنا - واتصل الخبر بأبي
 أحمد استعظمه، فخف للنهوض ابنه أبو العباس. فلما استجمع أمره ركب أبو
 أحمد يعرض أصحابه ووقف على عدتهم فكان جميع الفرسان والرجالة
 عشرة آلاف رجل فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدة ومعهم الشذاءات
 والسميريات والمعاير للرجالة. فهض أبو العباس وانصرف أبو أحمد من
 تشييعه وأقام أبو العباس بالفرك حتى تكامل أصحابه وأقام أيضاً بالمداثن، ثم
 رحل إلى دير العاقول. فورد عليه كتاب نصير أبى حمزة صاحب الشذاءات

١. كذا فى الأصل ومط والطبرى (١٣: ١٩٤٦).

٢. فى الأصل: طميشا، والمثبت من مط.

والسميريات وكان أمضاه على مقتمته يعلمه أن سليمان بن جامع قد وافى في حيله ورجاله وشذائته والجبائى يقدمه حتى نزل الجزيرة التي بحضرة بردودا، فرحل أبو العباس حتى وافى جرجرايا ثم قم الصلح ثم ركب الظهر حتى وافى الصلح ووجه طلائعه لتعرف الخبر، فأخبروه بموافاة القوم وجمعهم وأن أول [519] جيشهم بالصلح وآخرهم ببستان موسى بن بُعا أسفل واسط. فلما عرف ذلك عدل عن سنن الطريق وسار معترضاً ولقى أصحابه أوائل القوم فتطاردوا لهم وأمن الزنج في طلبهم فجعل الناس يقولون:

«اطلبوا أميراً للحرب فإن أميركم مشغول بالصيد.»

فلما قربوا من أبي العباس بالصلح خرج عليهم فممن معه من الخيل والرجل وأمر فتودى:

«نُصير، إلى أين تتأخر عن هؤلاء الكلاب؟ ارجع إليهم.»

فرجع نصير وركب أبو العباس في سميرية وحمل الناس من كل جهة فانهزم الزنج وأصحاب أبي العباس يقتلونهم إلى أن وافى بهم قرية عبيد الله وهي على سبّة فراخ من الموضع الذي لقوهم. وأخذوا حدة شذائات وسميريات واستأمن قوم وغرق قوم.

فكان ذلك أول فتح فتح على أبي العباس. وأشار على أبي العباس قواده ونصحاؤه أن يجعل معسكره بالموضع الذي كان انتهى إليه، اشفاقاً عليه من مقاربة القوم. فأبى وقال:

«فأين التيقظ.»

فتزل واسطاً.

ولما انهزم سليمان بن جامع وأصحابه توافوا بنهر الأمير. وكان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأي بينهم فقالوا:

« هذا فنى حدث لم تطل ممارسته للحروب [520] فالرأى أن نرديه
بحدنا كله، فإنه سيرتاع ويكون سبباً لانصرافه عنا أو أسره.»

ففعّلوا ذلك وحشدوا فكاد يتمّ لهم ما دبروه، ثمّ كانت الدبرة عليهم.
ودخل أبو العباس واسطاً من غد يوم الوقعة فى أحسن زى واستأمن إليه
قوم ثمّ انحدر إلى العُمر وهو على فرسخ من واسط فقدم فيه عسكره وكان
الناس أشاروا عليه أن يعسكر فوق واسط فأبى ونزل العمر ثمّ أخذ فى بناء
الشذاءات وآلات الماء وجعل يراوح القوم القتال ويغاديه.

ثمّ إن سليمان استعدّ له مرة أخرى وحشد فلقهم أبو العباس فهزمهم وقتل
وأسر. ثمّ أتاه مخبر فأخبره أنّ الرنج قد اجتمعوا واستعدّوا لكبس عسكره
من ثلاثة أوجه، وأنهم قالوا فيما بينهم:

«إنّه حدث غرٌّ قد خاطر وغرّر بنفسه فاتفق له ولا يتمّ له ذلك أبداً.»

فلما علم بتدبيرهم حذر وكانوا كمنوا له عشرة آلاف فى موضعين
وأطعموه فى أنفسهم فمنع^(١) أبو العباس من اتباعهم. فلما علموا أنّ كيدهم لم
ينفذ اجتمعوا له وكاثروه فهزمهم وأفلت سليمان راجلاً ومضى جيشهم لا
يلوى أحد على أحد. ورجع أبو العباس إلى مكانه بالعمر ثمّ إنّ الجبائى كان
يجينه فى الطلائع فى كلّ ثلاثة أيام.

ذكر حيلة للجبائى ما تمّت له

أمر الجبائى بحفر آبار وصير فيها سفاقيد^(٢) حديد وغشاها بالبورى
وواراها بالتراب وأخفى مواضعها وجعلها على سنن مسير الخيل ليتهور فيها
المجتارون وكان يوامى متعرّضاً ويهيج الناس. فجاء يوماً فطلبته الخيل فتفطّر

١. ما فى الأصل مطبوس، وما أثبتناه من مط.

٢. السقود: حديدة يُشوى عليها اللحم

فرس قائد في بئر منها فوقف أصحاب أبي العباس على حيلته فحذروا ذلك السميت ولم يُمتحن غير ذلك القائد الواحد.

ثم عاودوا التعرض للحرب في كل يوم إلى أن استحرأ عليهم جند أبي العباس فكان أبو العباس مصدهم ويقل وبأسر ويستنقد نساء المسلمين وصبيانهم ويردّهم إلى أهلهم إذ عرض لأبي العباس كركي يطير، فرماه بسهم فشكّه فسقط بين أيدي الرنج ورأوا موقع السهم منه، فعلموا أنه سهم أبي العباس، فاستشعروا الرعب منه فكانوا إذا رأوا علامته انهزموا.

ثم عزم أبو أحمد الموفق على المصير إلى الجيش ومباشرة الأمر بنفسه فعزم [522] أبو العباس على قصد نهر سوق الخميس قبل موافاة أبيه فقال له نصير :

« إن ذلك النهر ضيق فأقم أنت وأذن لي في المسير إليه. »

فأبى أن يدعه حتى يعاينه^(١) فقليل له : إن كنت لابد فاعلاً فلا تكثر عدد من يحمل معك في الشدائد.

فاستعدّ أبو العباس وسار نصير بين يديه واستأذنه رجل من قواده يقال له موسى دالحوا^(٢) أن يكون بين يديه فأذن له وسار حتى انتهى إلى فوهة النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراني وغاب عنه نصير حتى خفي خبره وخرج عليه في ذلك الموضع خلق فتحدث من كان معه قال : لما حالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور - وكان بيننا وبينه مقدار فرسخين - حاربناهم فاشتدت الحرب وخفى أمر نصير علينا والزنج يهتفون بنا :

« أخذنا نصيراً وأنتم في قبضتنا. »

فاعتم أبو العباس لذلك ورحل منه فاستأذنه محمد بن شعيب أن يأتيه

١ كذا في الأصل والطبري (١٣: ١٩٥٨) : يعاينه. في مط : يعاينه

٢. في مط : والخوا. في الطبري (١٣: ١٩٥٨) : دالحويه.

بحبر نُصير فأذن له فمضى فى سميرية بعشرين جذاًفاً، فإذا هو بـنُصير وقد قرب من سكر كانوا سكروه، فأضرمه بالنار وهو يحارب حرباً شديدة وقد رُزق الطفر. فرجع وأخبر أبا العباس وبشره بسلامة نُصير ومن [523] معه وأنه طافر غانم فسرَّ به سروراً شديداً.

وكان الزنج قد علقوا بشذاعة، فركب أبو العباس فى سميرية حتى وافى تلك الشذاعة وعلى أبي العباس كبر^(١) تحته درع فانتزع الشذاعة وخلَّصها قال محمد: فنزعنا من كبر أبي العباس خمأً وعشرين نشابة ومن لبابيد الملاحين مثل ذلك وأقل وأكثر.

وظفر أبو العباس بالزنج وهزمهم وعاد إلى معسكره بالعُقر إلى أن وافى الموفق.

خروج الموفق لحرب صاحب الزنج

وخرج الموفق من مدينة السلام قاصداً حرب صاحب الزنج وذلك حين بلغه أن صاحب الزنج كتب إلى صاحبه على بن أبان المهلبى يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ليجتمعا على حرب أبي العباس بن أبي أحمد.

فأعد أبو أحمد الشذاعات وآلات الماء وسار فى فرسانه وربحائه وعلمائه إلى أن نزل على فرسخ من واسط فأقام هناك يوماً وليلة، فتلقاه أبو العباس أبه فى جريدة خيل فيها قواده ووجوه جنده فسأله أبوه عن خبر أصحابه فأثنى عليهم ووصف نصحتهم وبلاتهم، فخلع عليه وعليهم.

وانصرف أبو العباس إلى معسكره ورحل أبو أحمد من عد ذلك اليوم هى

١. كذا فى الأصل ومط ولم نجده فى الطبرى

الماء وتلقاه أبو العباس وجميع الجند في هيئة الحرب [524] ثم سار أمامه إلى أن نزل أبو أحمد ثم سار أبو أحمد وولّى ابنه أبا العباس مقدّمه ووضع العطاء فأعطى الجيش. ثم سار على تعبئة وأمامه أبو العباس فأثاء بأسرى وذلك أنه وافى عسكرياً للشعراني قبل مجيء أبيه فأوقع به وقتل منه مقتلة عظيمة، فأمر الموفق بضرب أعناق الأسارى. ثم رحل أبو أحمد يريد مدينة صاحب الزنج التي سبّاها النخبة من سوق الخميس بمن معه من الجيش وآلة الماء.

فلما رأى سليمان ومن معه من الزنج مسير الخيل والرجالة على حافتي النهر قد ملؤوا الأرض ومسير الشذات والسميريات في الماء انهزموا، وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا فيهم السيوف ودخلوا المدينة وقتلوا خلقاً وأسروا خلقاً وحووا ما في المدينة وهرب الشعراني وانبعوهم حتّى وقعوا في البطائح وغرق منهم خلق ولجأ الباقيون إلى الآجام، واستنفذ من المسلمين خمسة آلاف امرأة سوى الزنجيات، فأمر أبو أحمد بحفظهن ليدفعن إلى أوليائهن.

وبات أبو أحمد بإزائها فلما أصبح أمر بأخذ جميع ما فيها وهدم سورها وحطم خندقها واحرق آلاتها وسفنها. وبلغ خبر الواقعة صاحب الزنج فعظمت [525] مصيبتها واشتد حزعه وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل ما نزل بالشعراني ويأمره بالتيقّط.

وتعرّف أبو أحمد خبر الشعراني فقل: إنه بالعوانيت^(١)، فأنفذ إليه جيشاً فألقوا هناك قوّاده ولم يصادقوه فقتلوا قوّاده وانتهبوا هناك غلات كثيرة. وتعرّف أبو العباس خبر سليمان بن جامع فأعلم بمكانه من مدينته التي

١ العوانيت - قرية انظر الطبري (١٩٦٥: ١٣).

سماها المعمورة، في الموضع الذي يُعرف بطميشا^(١) فرحل إليها أبو أحمد بعد أن أصلح سفن الجسور واستكثر من الضياع والآلات التي يستد بها الأنهار والطرق للغيل وتوطئة الأرض لسلوكها.

دفن الجبائي وادعاء آخر لصاحب الزنج

وفي هذه السنة دخل أبو أحمد طميشا وأخرج منها سليمان بن جامع وقتل بها أحمد بن مهدي الجبائي وذلك بعد حروب كثيرة. ولما حمل الجبائي إلى النخبيت اشتد جزعه عليه وصار إليه حتى ولى غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره حتى دفن ثم أقبل على أصحابه وقال:

«قد علمت بوفاته وقت قبض روحه قبل وصول خبره إلي، بما سمعت من رَجُلِ الملائكة بالدهاء والترحم عليه.»

ثم إنَّ أبا أحمد أمر أهل عسكره بالتحارس ليلتهم وصحَّ سور [526] المدينة بكتائب يتلو بعضها بعضاً ورتب غلمانهم وأصحابه في المواضع التي يخشى خروج الزنج منها ورتب الفرسان في المواضع التي يخاف خروج الكمناء منها وقدم ابنه وتبعه بنفسه وحضَّ الغلمان على الحرب وجسَّرتهم على الإقدام

وقد كان حصن الزنج السور بخمسة خنادق وجعلوا أمام كلِّ خندق سوراً ووكَّلوا بها رجالهم فما أغشى جميع ذلك شيئاً عند الجَدِّ، فهدمت الأسوار وطُمَّت الخنادق وهجم على الزنج وكلَّ ذلك بالمصاولة من غير حيلة، سوى أنَّ الموفق كان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه وخلع عليه وأقامه حيث يراه

١ هـ من الأصل - طميشا مثل الطبرى (١٩٦٦ ١٣). ونحن وحدنا الضبط كما في مط. طميشا

أصحابه حتى اسمعاهم وكثر في أصحابه منهم وكان يقوهم على أصحابه ويأمر بالإحسان إليهم حتى فتح المدينة وهدم أسوارها وحوى ما فيها.

ذهاب الموفق إلى الأهواز للايقاع بالمهلبى

ثم رحل نحو الأهواز بعد أن أحكم ما أراد إحكامه لموقع بالمهلبى واستخلف على عسكره بواسط ابنه هارون وشخص في خوف من رجاله وتقدم إلى ابنه هارون في أن يُحذر الجيش الذى خلفه في السفن إذا كاتبه بذلك وسار حتى أتى وادى السوس وقد عُقد له عليه جسر فعبره ووافى [527] السوس وكاتب مسروراً في المبادرة إليه فقدم عليه في جيشه فخلع عليه وعلى قواده وأقام ثلاثاً.

وصلت خيل الخبيث وانتفض عليه تدبيره فحملة فرط الهلع على أن كاتب المهلبى وهو يومئذ بالأهواز في ثلاثين ألفاً بترك ما قبله كله والإقبال إليه. فترك ما كان جمعه من المير والأموال والأثاث وصار إليه، واستخلف محمد بن يحيى بن سعيد الكرنبائى، فوجل من المقام وخرج يتبع المهلبى وكان يُجبى والأهواز يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشى شىء عظيم. فخرجوا عن ذلك كله جُبناً وإدباراً فحوى جميعه الموفق فصار قوة على الخبيث ولو أراد جمع ذلك في ذلك الوقت ما قدر على شىء منه.

وكتب أيضاً الخبيث إلى يهود وإليه يومئذ عمل القنديم والباسيان وما يتصل بهما من القرى التى بين الأهواز وفارس يأمره بالقدوم عليه. فترك يهود أيضاً ما كان قبله من التمر والطعام وكان شيئاً عظيماً فحوى جمعه أبو أحمد وقوى به على الخبيث.

وتخلف عن المهلبى قوم من الفرسان والرجالة وكتبوا إلى أبى أحمد يسألونه الأمان لما انتهى إليهم [528] عفو عن من ظفر به بطميشاً فبذله لهم

وأحسن إليهم.

وأمر الموفق بحماية الأهواز من جميع كورها. ووجه إلى محمد بن عبيد الله الكردي من يونس وعفا عنه وتقدم إليه في جمع الأموال وتعجيلها نحوه والمسير إليه، وتأخرت الميرة عن أبي أحمد بالأهواز وغلظ الأمر فسأل عن السبب فوجد الجند قد قطعوا قنطرة قديمة كانت بين سوق الأهواز ورامهرمز يقال لها: قنطرة أرمق،^(١) فامتنع التجار من حمل الميرة لأجل ذلك.

فركب إليها أبو أحمد وهي على فرسخين من سوق الأهواز فجمع من كان في العسكر من السودان وأمرهم بنقل الصخر وبذل لهم الأموال فلم يرم^(٢) حتى أصلحت القنطرة في يوم واحد ورددت كما كانت، فسلكتها الناس ووافقت الميرة والقوافل فعاش أهل العسكر وحسنت أحوالهم.

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعمد جسر على دجيل فجمعت من جميع كور الأهواز الآلات.

فلما تمّ عقده وتراجعت نفوس الناس والدوابّ باتصال المير والأصلاف سار وقدم أبا العباس إلى الموضع المعروف بهر المبارك من فرات البصرة وكتب إلى ابنه هارون بأن يُحذّر إليه جميع [529] الجيش إلى نهر المبارك لتجتمع العساكر هناك.

ونزل أبو أحمد بقورج العباس ثم نزل الحميرية وهذه قرية ليس فيها ماء إلا ماء الآبار التي كان أبو أحمد تقدم بحفرها في عسكره فحفر له وكان أعدّها يثراً، فوافهاها والأمور مصلحة معدّة، ثم رحل حتى ورد نهر المبارك، واستأمن قوم إلى أبي أحمد طمعاً فيما بلغهم من إحسانه إلى المستأمنه فأبلغوه أنّ صاحب الرنج قد جمع آلات الماء وفيها خلق من السودان

١. في الطبري (١٣: ١٩٧٧): أريك

٢. في مط: ولم يرم.

ليقصدوا نصيراً وهو بنهر المرأة ويسلكوا موضعاً يخرجهم من ورائه فأنفذ إلى نصير وأخبره بذلك فبادر نصير إلى شق بترين، فلقى هناك القوم فزرق الطفر بعد محاهدة عظيمة، فقتل وأسر وأخذ ثلاثين سميرة. وانصرف أصحاب أبي أحمد ظافرين إلى واسط واستأمن إلى نصير رهاء ألفي رجل، فكتب بالخبر إلى أبي أحمد فأمره بقبولهم وإجراء الأرزاق عليهم وتفريقهم على أصحابه ومناهضة العدو بهم. ثم كتب إليه بموافاته إلى نهر المبارك ففعل.

كتاب أبي أحمد إلى صاحب الزنج للأمان والتوبة مما ركب وادّعى

وكتب أبو أحمد إلى الخبيث كتاباً يدعو به إلى الدخول في الأمان والنزوع عما هو عليه^(١) من ادعاء النبوة وسبى المسلمين [530] والفساد في الأرض، فإن التوبة مبذولة له. وأطال الكتاب في هذا المعنى. فلما وصل إلى الخبيث رمى بالكتاب من يده ولم يجبه بشيء، وأقام على إصراره فعرض أبو أحمد شذائعه وجمع آلات الماء ورتب قواده ومواليه وتخير الرماة منهم فرثبهم في الشذاءات وسار إلى مدينة الخبيث المسماة: المغتارة، في نهر أبي الخصيب فأشرف عليها وتأملها فرأى من حصانتها وأسوارها وخنادقها ووعورة الطرق المؤدية إليها من كل وجه وكثرة من أعدائها من الرماة بالقيس الناوكة والمجانيق والعزادات وسائر الآلات ما لم ير مثله. فاستغلظ أمره واستعدّ الوصول إليه.

ولما عاين الزنج أبا أحمد ارتفعت ضجتهم بما ارتجت له الأرض وتقدم

إلى بعض الشذاءات أن تقرب من السور من قصر الخبيث فتتابع سهامهم وأحجار منجنقاتهم وغير ذلك من عزاداتهم ومعاليمهم حتى ما كان يقع طرف ناظر من الشذاءات إلا على سهم أو حجر فأمر أبو أحمد برد تلك الشذاءات ومعالجة من أصابه جرح أو وهن.

واستأمن في تلك الحال سميرتان فيها مفاتلة السودان ومعهما آلات الماء فأمر أبو أحمد [531] للمقاتلين بخلع ديباج ومناطق معللة ووصلهما، وأمر للملاحين بخلع حرير حمر وثياب بيض وحضر وأمر لهم بصلات وأمر بإدنانهم من الموضع الذي يراه منه نظراؤهم. فكان هذا من انجع المكائد التي كادهم بها، وذلك أنهم لما رأوا ذلك حسدوهم على ما صاروا إليه من الإحسان مع الدعة والأمن فتنافسوا فيه وابتدروا إليه وحرصوا على المسارعة إليه.

فصار إلى أبي أحمد في يومه ذلك عدة سمريات فأمر لأصحابها بمثل ما أمر لمن تقدمهم. فتتابع القوم إلى الأمان رغبة ورهبة ثم استأمن أصحاب الشذاءات. وجاءه السودان والبيضان فكان يصلهم ويكتب أسماءهم ويضمهم إلى ابنه أبي العباس.

ثم تقدم أبو أحمد إلى موضع يقرب من القصر يعرف بخطي^(١) بعد ما أصلح الطرق إليه وعقد القناطر على أنهارها - وعسكر أبي أحمد في ذلك الوقت زهاء خمسين ألفاً وعسكر الخبيث زهاء ثلاثمائة ألف، مثنى يقاتل أو يدافع من بين ضارب بسيف وطاعن برمح ورام عن قوس وقاذف بحجر عن منجنيق أو عزادة أو مقلع - وأضعفهم الرماة باليد وهم النظارة الذين يكترون السواد^(٢) والمعينون بالنعير والصياح [532] فأمر أبو أحمد فنودي.

١. كذا في الأصل : بخطي. وما في مط مهمل. في الطبري (١٢١٣ ١٩٨٣)، جطى.

٢. كذا في الأصل ومط : السواد.

- «إِنَّ الْأَمَانَ مَبْسُوطٌ لِلنَّاسِ أَسْوَدَهُمْ وَأَحْمَرَهُمْ إِلَّا الْخَبِيثَ»
وأمر بسهام فلُفَّت عليها رقاع مكبوب فيها من الأمان مثل الذي نودى به.
فأقبل إليه المستأمة ترى.

حصانة مواضع صاحب الزنج ومطاوله أبي أحمد

ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة عدته ما لا يذ له
من المطاوله والمعاصرة. فاستعد لذلك وفرّق أصحابه حول الخبيث ووكل
بكل ركن قواداً وقوّاهم بالرجال والآلات وأنفذ إلى عمّاله في النواحي فسي
حمل الأموال والمير وسائر الأمتعة، وبنى مدينة سَمَها الموققية، وعمل
فيها بيت مال وأمر بحمل الأموال إليه من جميع البلدان. وبني دور الضرب
فضرب فيها دنانير ودراهم وجلب إليها الذهب والفضّة، وأرسل إلى سمراف
من يأتيه بالآلات الماء وبنى فيها السفن والشذاءات ويجلب متاع البحر وكان
قد انقطع جلب البحر منذ أكثر من عشر سنين لإخافة الخبيث السبل.
وكتب بإثبات كل من يصلح للجنديّة إلى عمّاله في الأمصار، ورغب في
ذلك والمدينة الموققية تُبى والكتب تنفذ بما يصرّها والتجار يجهزون^(١) إليها
والأسواق تكثر وأقبلت إليها مراكب البحر.

وبنى أبو أحمد المسجد الجامع [533] فصارت مدينة كبيرة وحملت إليها
الأموال وأذّر المطاء في أوقاته ورغب الناس في حلولها والمصير إليها من
كل أوطى، والخبيث يرصد غزّة يصيب فيها فرصته من أبى أحمد فلا يجد
لتيقظ الناس وتحارسهم ولحفظ الموكّلين بالمواضع المحوفة مواضعهم.
وكان أبو العباس لا يغفل ليلاً ولا نهاراً وإذا أمكنه قصد ناحيه أوقع بها

وبمن رُتّب فيها من الزنج وإن أتاها مستأمن قبله وأحسن إليه والخبيث يُنفذ أصحابه ويبيت رجاله في اقتطاع ما يرد المدينة من السفن وغيرها. فربّما أصاب من ذلك حاجته فيموض أبو أحمد التجار ويشعن المواضع التي يقصد منها بالرجال. ويدب لحفظ الطرق أبا العباس فكان يوقع بأصحاب الخبيث ويحمل رؤوسهم إلى الموقية ويرتّب الرجال في الماء والبرّ حتى ضاق الأمر بالخبيث، فعزم على كبس الموق.

فاستأمن بعض قواد الزنج وأخبر الموق بذلك فأعدّ له قوماً، فلحقا أتاها البيان كان مستعداً، فظهر على الزنج وأصابه مثل ذلك مرّات في كلّ مرّة يجيئه من يندره [534] فيستعدّ لهم حتى ظفروا يوماً برجال بيتوة وأسر وقتل من السودان نحواً من خمسة آلاف ونصب الرؤوس على سور الموقية. فأشاع الخبيث في أصحابه أنّ ذلك زور وأنّ تلك رؤوس المسأمة. فأمر الموق برمي تلك الرؤوس إليهم بالمنحنيقات والعزادات التي كانت منصوبة في السفن معمولة لأوقات الحرب فتبين لأصحابه كذبه، وصار سبباً لضعف نيّاتهم.

ثمّ زحف الموق بنفسه إلى المدينة المختارة

ذكر السبب في خروجه

كان السبب في خروجه أنّ قواد الخبيث كاتبوا أبا أحمد الموق يعلمونه أنّهم على الخروج إليه في الأمان وأنّهم ليس يجدون السبيل إلى ذلك وأنّه لو قدّم قوماً إلى الحرب لخرجوا ووجدوا بهم سبيلاً إلى مفارقة الخبيث.^(١) فأنهض الموق أبا العباس في آلات الماء والشذامات وانتخب له الرجال

الشجعان وأهل النجدة والبأس وقدمه. ثم سار بنفسه مع نُصير [535] ورشيق وزيرك واستقبلهم أصحاب الخبيث في أكثر من معدّاتهم وآلاتهم وخرج ابن الخبيث انكلاني^(١) ومعه عليّ بن أبان وسليمان بن جامع مع السفن التي فيها المجانيق والعزادات والقسيّ الناوكة.

فلما التقى الجمعان أمر الموقّق أصحابه بالحملة والدنو من الركن الذي فيه الجمع الأكثر وبينهم نهر يُعرف بنهر الأتراك وهو نهر عريض غزير الماء. فلما انتهوا إليه أحجموا، فصيح بهم وحُرّضوا على العبور فصبّروا سباحةً والزنج يرمونهم بما استطاعوا من المجانيق والعزادات والمقاليع والسهام وحجارة الأيدي فصبّروا على جميع ذلك حتّى عبروا النهر وانتهوا إلى السور، ولم يكن لحقهم من الفعلة ما كان أعدّ لهدمه. فتولّى الغلمان تشييت السور بما كان معهم من السلاح وتسمّوه وحصرهم بعض السلاطين بعد أن قتل فيهم مقتلة عظيمة ونصب هناك علم وأسلم الزنج سورهم وأحرق ما كان عليه من منجنيق وعزادة وآلة حرب واستلحقوا الفعلة حتّى وسعوا المدخل في عدّة مواضع وملكوا السور [536] الأوّل بعد مدافعات هلك فيها من الفريقين خلق ولا يعدم كلّ يوم ستامة يحسن إليهم فينتصّحون ويأتون بالأخبار والندابير التي يدبّرها الخبيث فينتفض عليه أمره.

ودخلت ستة ثمان وستين ومائتين

استثمان جعفر السجّان وهروب ربحان إلى أبي أحمد

وفيهما استثمان جعفر السجّان وهرب ربحان بن صالح المغربيّ من عسكر الخبيث إلى أبي أحمد. فأمر لهما بجوائز وصلات وأقيمت لهما الأتزال وحُملا

١ كذا في الأصل ومط: أنكلاني.

حتى ظهروا لأصحاب الخبيث وعليهم الخلع فاستأمن ذلك اليوم خلق كثير
ثم وقعت وقعات كثيرة بعد ذلك بعضها للزنج وبعضها للموفق، إلى أن منع
من ميرة السمك الذي كان يأتيه من البطيحة ومنع العرب من حمل الميرة من
جهة البادية وقتل منهم خلق وسلبوا ما كان معهم ومن ظفر به ممن يسر أو
يعين عليه أخذ وعوقب وعذب ثم قتل حتى ضاق على الزنج الأمر وانقطعت
عنهم كل مادة وضعفوا جداً. فكان الأسير أو المستأمن إذا سُئل عن الخبر
تسحب ويزعم بعضهم أن عهدهم به سنتين وأقل وأكثر. فولى الموفق أن يتابع
الإيقاع بهم ليزيدهم ضراً وجهداً.

وأمر الموفق (537) بعرض الزنج لما كثروا وصاروا أكثر من جُنْدِهِ فَمَنْ
كان لا يستصلح للقتال مثل الشيخ الضعيف والمجروح والزَّيْمِ وَمَنْ أَشْبَهَ
هؤلاء أن يُوهَبَ لهم شيء ويردوا إلى عسكر الزنج فلما عادوا وصفوا خصب
عسكر الموفق وأحسنه إلى المستأمنة فخرج أيضاً بهذا السبب خلق في
الأمان.

ثم إنَّ يَهُودَ أَخَالَ بِحِيلَةٍ حَتَّى ظَفَرَ بِخَيْلٍ لِلْمَوْفِقِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ شِذَاءَاتٍ
كثيرة ونقل ميرة كبيرة.

ذكر حيلته هذه

احتال بأن أخذ شذاءات كثيرة فنصب عليها أعلاماً كأعلام الموفق وحمل
فيها فوجاً في زئ قومه ورجاله. ثم اجتهد في أن وقع إلى معترضٍ يؤدى
إلى نهر اليهودى. ثم سلك نهر نافذ حتى خرج إلى نهر الأبله فانتهى إلى
الشذاءات والسعيريات المرتبة لحفظ النهر وهم غارون، فأوقع بهم وقتل قتلاً
ذريعاً وأسر الباقون وجمع شيئاً كبيراً من الميرة وأتى أصحابه في معترضات
وأنهار غامضة.

ثم إنه طمع في المعاودة.

ذكر طمعه هذا

فأمره لصاحبه أن يسلك [538] في مواضع غامضة إلى أن يوافي القنديل والبرشان.^(١) ففعل ذلك فوق على سميريه فيها طعام فقصدها يهود فحاربه أهلها فأصابته طعنه في بطنه هلك منها. فعمُت فجيرة الغيبث وأحضر الموفق العلام فوصله وطوقه وزاد في أرزاقه، وأمر لمن كان معه في سميريه بجوائز وصلات.

ودخلت سنة تسع وستين ومائتين

ولما قتل يهود طمع صاحبه في كنوزه وأمواله وكان قد صغَّ عنده موضع مائتي ألف دينار وجواهر وضياعات ذهب لها قدر. فطلب أمواله وذخائره وحبس أوليائه وأصحابه وخر بهم بالسياط وأباد دوراً له وهدم أمة من أبنيت طمعاً في شيء يجده من دفائنه. فكان ذلك أحد ما أفسد قلوب أتباعه ودعاهم إلى الهرب^(٢) منه والزهد في صحبته.

فأمر أبو أحمد بالنداء في أصحاب يهود بالأمان فساروا إليه ووصلهم ورأى أبو أحمد أن هدم السور الذي يفضى إلى الحبث قد امتنع عليه فأمرع أن يباشره بنفسه ليكون ذلك أدعى إلى جث أصحابه. فباشر الحرب حتى وصل إلى السور [539] وأحرق قناطر كانت تحول بين أصحابه وبين السور ويعتصم بها الزنح، واستظهر ذلك اليوم.

فبينا هو في جده وتشميره وقد ولج أصحابه السور وهدموا المسجد

١ كذا في الأصل ومط - القنديل والبرشان في الطبري (٢٠٢٣.١٢)

٢ كذا في الأصل ومط - الهرب. في الطبري (٢٠٢٩.١٣) الحرب.

الحامع الذى بناه الحبث ووصلوا إلى دواوينه وخزائنه وظهرت تباشير الفتح، إذ أتاه سهم غلام رومى كان مع الحبث يقال له: قرطاس، فأصاب صدر الموفق فستر ذلك عن أصحابه وانصرف إلى موضعه من الموقبة وغولج تلك الليلة.

فلما كان من القد غادى الحرب على ما به لیسد من قلوب أوليائه ولئلا يدخلهم وهن. فزاد ما حمله نفسه من الحركة فى قوّة الجراحة فعظم أمرها حتى خيف عليه واضطرب العسكر والجند والرعية وخافوا قوّة الحبث عليهم. فأشار الأطباء وأهل الشفقة بأن يرجع إلى مدينة السلام، فأبى وأشفق أن ينتظم أمر الحبث بعد ما وهن، وبلغ الغاية. ولم يبق فى أمره إلا السير فأقام على صعوبة علته وغلظ الحادثة فى سلطانه إلى أن عوفى فظهر لخاصته وقد كان أطال الإحتجاب عنهم والحبث فى تلك الأيام بعد أصحابه البذات ويحسّهم الأمانى الكاذبة.

فلما استقل الموفق وتماثل وقوى على [540] النهوض للحرب جعل^(١) يحلف على منبره أن ذلك باطل لا أصل به وأن الذى ظهر لهم فى الشدّة مثال ممّوه. وكان أعاد بناء ما حوّب من مدينته ودواوينه ودوره.

فركب الموفق وعادوا الموضع بالحرب ووصل إلى تلك المواضع فهدمها ثانية ووصل أصحابه إلى قصر من قصوره فاشتبهوا ما كان فيه وأخبروه وأحرفوه واستنقذوا عدداً من النساء الملمات اللواتى كان سباهن وأخذوا خيلاً له، ولم يبق إلا الوصول إلى قصره.

فصعب مرام ذلك على الموفق وكثر المحامون عليه، ووافقت الحرب ودامت حتى وصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم، وحتى لقد عُدّ

الجرحى فى بعض الأيام فوجدوا زهاء ألفى جريح فى أصحاب الموفق وذلك لتعارب الفريقين فى وقت القتال، ومنع الخنادق كل واحد من الفريقين من الدنو من صاحبه، وكانت الشذاءات إذا قربت من قصره رموا من سوره ومن أعلى القصر بحجارة المنجنيقات وغيرها وبالنشاب، وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم، حتى أعد الموفق للشذاءات أغطية طلاها بعقاقير تمنعها من الإحتراق وأحكمها وحمل فيها شجيمان أصحابه وقتاكهم، وأمر ابنه أبا العباس بقصد دار على شاطئ [541] دجلة من نهر أبى الخصيب كانت بإزاء دار الخبيث ليشغل من فيها عن منعه من دار الخبيث، وأمر أصحاب الشذاءات المطلية بما وصفنا أن يلصقوا شذاءاتهم بحائط القصر، فحاربهم الفسقة أشد حرب بالنيران وغيرها وصبر لهم من فيها حتى أزالوهم عن الرواشن وأحرقها غلمان الموفق وسلم من كان فيها من الحجارة والرصاص المذاب، وتمكنوا من دار الخبيث وأحرقوا البيوت التى كانت تشرع إلى دجلة من قصر الفاسق واتصلت النار بالستائر فقويت وأعجلت الخبيث ومن معه عن التوقف على شئ من أمواله وذخائره وخرج هارباً على وجهه واستنقذ جماعة من النساء اللواتى احترقن.

وانصرف الموفق وأبو العباس وقت المغرب بأجمل ظفر وغرق نصير فى هذا اليوم.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

وكان سبب غرقه أنه كان دخل فى أول المد نهر أبى الخصيب فحمل الماء شذاءته فألصقها بالقنطرة ودخلت خلفه عدة شذاءات فيها غلمان الموفق متن لهم [542] يكن أمر بالدخول، فحملهم الماء فألقاهم على شذاة

نُصِرَ فَصُكَّتْ بَعْضُهَا بَعْضٌ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِلْأَشْتِيَامِينَ^(١) وَالْجَذَافِينَ فِيهَا عَمَلٌ،
وَرَأَى الزَّيْجُ ذَلِكَ فَأَحَاطُوا بِهَا مِنْ جَانِبِي النَّهْرِ فَأَلْقَى الْجَذَافُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي
الْمَاءِ دُغْرًا وَدَخَلَ الزَّيْجُ الشَّذَاءَاتِ فَقَتَلُوا الْمُقَاتِلَةَ وَغَرِقَ بَعْضُهُمْ وَحَارَبَهُمْ
نُصِيرٌ فِي شَذَاءَتِهِ حَتَّى خَالَفَ الْأَسْرَ فَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ فَفَرَّقَ.
وَأَصْحَابُ الْمَوْقِ عُلَّةٌ فَاشْتَعَلَ بِهَا عَنِ الْخَبِيثِ فَأَعَادَ الْقَطْرَةُ الَّتِي لَحِجَ فِيهَا
نُصِيرٌ وَأَحْكَمَ مَا كَانَ هَدْمٌ مِنْ قَصْرِهِ، وَأَفَاقَ الْمَوْقِ مِنْ عُلَّتِهِ فَعَاوَدَ الْحَرْبَ
وَخَرَجَ الْخَبِيثُ بِنَفْسِهِ لِقَاتِلٍ مَعَ ابْنِهِ انْكَلاَثِي وَعَلَى بْنِ أَبَانَ وَسُلَيْمَانَ بْنِ
جَامِعٍ وَاشْتَبَكَتِ الْحَرْبُ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رُئِيَ، وَقَطَعَتِ الْقِسْطَرَةُ وَأُحْرِقَتْ
وَأَسْتَعْلَى عِنْدَ ذَلِكَ أَصْحَابُ الْمَوْقِ وَنَشِطَ غُلَمَانُهُ فَوَسَّعُوا الْمَسْلَكَ وَظَفَرُوا
بِدُورِهِ وَقَصُورِهِ فَأَحْرَقُوهَا. وَانْتَقَلَ الْخَبِيثُ مِنْ غَرْبِي نَهْرِ أَبِي الْخَصِيبِ إِلَى
شَرْقِيَّتِهِ وَجَمَعَ عِيَالَهُ وَوَلَدَهُ حَوْلَهُ وَضَعَفَ أَمْرَهُ ضَعْفًا شَدِيدًا.

تَفَاقَمَ الْجُوعَ وَأَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

وَتَهَيَّبَ النَّاسَ جَلْبُ الْمَمِيرَةِ إِلَيْهِمْ. فَبَلَغَ الرُّطْلُ مِنَ الْخَبِيزِ عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ
فَأَكَلُوا أَصْنَافَ الْحَبُوبِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَفَاقَمُ الْأَمْرُ بِهِمْ [543] إِلَى أَنْ أَكَلُوا لَحُومَ
النَّاسِ فَكَانَ الزَّيْجُ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ فَإِذَا خَلَا أَحَدُهُمْ بِامْرَأَةٍ أَوْ صَبِيٍّ وَثَبَ عَلَيْهِ
فَأَكَلَهُ، ثُمَّ قَوَّى ذَلِكَ فَصَارَ بَعْضُهُمْ يَأْكُلُ بَعْضًا، ثُمَّ أَكَلُوا لَحُومَ أَوْلَادِهِمْ، ثُمَّ
كَانُوا يَنْبَشُونَ الْمَوْتَى فَيَبِيعُونَ أَكْفَانَهُمْ وَيَأْكُلُونَ لَحُومَهُمْ.

فَقَصَدَهُمُ الْمَوْقُ وَأَحْرَقَ الشَّرْقِيُّ مِنْ جَانِبِ النَّهْرِ كَمَا أَحْرَقَ الْغَرْبِيُّ وَقَصَدَهُ
مِنْ ثَلَاثَةِ أَوَاجِدٍ. فَطَرَحُوا فِيهَا النَّيْرَانَ فَاحْتَرَقَ النَّاسُ مِنْ أَصْحَابِ الْخَبِيثِ مَعَ
مَنَازِلِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَهَرَبَ مِنْ أَطَاقِ ذَلِكَ فَأَخَذَتْهُ السِّيُوفُ وَهَرَبَ الْخَبِيثُ

١ كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالطَّبْرِيُّ (١٢-٤٧-٢٠) - لِلْأَشْتِيَامِينَ - فِي مَط: لِلْأَشْتِيَامِينَ (بِالْسِينِ الْهَمْزَةُ)

وحاز أصحاب الموفق جميع ما كان فى نهر أبى الغصيب من الشدائد والمراكب البحرية والسفن الصغار والحزافات والزلاّلات وغيرها.^(١) وصار بعد ذلك رؤوساء أصحاب الخبيث إذا وكلّهم بحراسة موضع أسلموه واستأمنوا حتّى استأمن الشعرائى وشبل وكانا من قدماء أصحابه وذوى البصائر فى طاعته، وأمرهما الموفق لمحاربة الخبيث لما علّم أنّه لا وجه لهما عنده وضّم إليهما قوماً فكانا بآتيانه من الوجوه التى يأمنها حتّى كثر القتل فى أصحابه وذعره أمرهما ومنع ذلك أصحابه النوم ودخلهم له وحشة [544]

هزيمة الزنج وهروب صاحبهم

عظيمة ثمّ جمع الموفق السفن وفيها عشرة آلاف من الملاحين وعرض الجند وحرضهم حتّى شحذ ثياعهم وهجم على مدينة الخبيث واستقبله الخبيث فى جميع أصحابه فاشتدّ القتال وحامى الخبيث عن ديارهم وعيالاتهم فمنح الله الموفق النصر، وهزم الزنج وقتلوهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وأسروا منهم جمعاً كبيراً وأتى الموفق بالأسرى فضرب أصابعهم. وقصد دار الخبيث فدافع عنها ثمّ لم يغنه ذلك شيئاً فأسلمها فانتهب ما كان فيها من الأموال والأثاث وأخذوا حرمة وأولاده فبلغ عدّتهم أكثر من مائة امرأة وصبي، وتخلّص الخبيث ومضى هارباً نحو دار المهلبى لا يلوى على أهل ولا مال وأحرقت داره، وأتى الموفق بنسائه وأولاده، فوكلّ بهم وأمر بالإحسان إليهم فحملوا إلى الموقّية. ومضى ذى الحجّة من هذه السنة وافى صاعد بن مخلد كاتب الموفق

حضرتة منصرفاً إليه من سُرٍّ من رأى ووافى معه بجيش كثيف بلغ عدد الفرسان والرجالة فيها عشرة آلاف. فأمر الموفق بإزاحة عليهم فى أرزاقهم وأمرهم بتجديد أسلحتهم والتأهب لحرب الزنج، فهم فى ذلك إذ ورد [545] عليه كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون^(١) وكان فارق صاحبه يسأله فيه الإذن له فى القدوم عليه ليشهد حرب الفاسق فأجابه وأذن له وأخّر ما كان عزم عليه من مناجزة الخبيث انتظاراً للؤلؤ وكان لؤلؤ بالرقّة فى جمع عظيم من نخبة أصحاب ابن طولون.

فشخص لؤلؤ حتى ورد مدينة السلام، ثم وافى عسكر أبى أحمد فجلس له أبو أحمد وحضر ابنه أبو العباس وصاعد بن مخلد والقوّاد على مراتبهم وأدخل عليه لؤلؤ فى أحسن زى فأمره أبو أحمد أن يزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبى الخصيب، فنزله فى أصحابه، وتقدّم إليه فى مباكرة دار الموفق ومعه قوّاده وأصحابه للسلام. فعدا مع أصحابه فى السواد فوصل وسلم وقربه وأدناه ووعدّه وأصحابه الإحسان، وأمر أن يُخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قوّاده وحمله على خيل كثيرة بالسروج واللجم المحلاة بالذهب والفضّة وحمل بين يديه من أصناف الكسّى والأموال فى البدر ما يحميه مائة غلام، وأمر لقوّاده من الصلات والكسوة على قدر محل كلّ إنسان منهم، وأقطعهم ضياعاً جلييلة وصرفه إلى معسكره وأعدّت له ولأصحابه الأتزال [546] والعلوفات وأمره برفع حرائد لأصحابه ليعطوا رسومهم عند رفع الجرائد. ثم تقدّم إلى لؤلؤ فى التأهب للعبور إلى عربى دجلة لمحاربة الخبيث.

وكان الخبيث لما غلب على نهر أبى الخصيب أحدث سيكراً فى النهر من

جانيه وحمل في وسط السكر باباً ضيقاً ليتحدّ فيه جرية الماء فيمنع الشذات من دخوله في الجزر ويتعذر خروجها في المدّ.

فرأى أبو أحمد الموفق أنّ الحرب لا تتم إلا بقلع هذا السكر، فحاول ذلك فرام أمراً صعباً بمحاصرة الزنج عليه فهم يزيدون فيه كلّ يوم وهو متوسط دورهم، فالمؤونة تسهل عليهم وتقلظ على من حاوله. فرأى الموفق أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليضروا بمحاربة الزنج ولينظر إلى مقدار غنائهم وشدة بأسهم. فأمر لؤلؤاً بأن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السكر وأمر بإحضار الفعلة لقلعه. ففعل.

فرأى الموفق من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدة اليسيرة في وجوه الجمع الكثير من الزنج ما سرّه، وكره أن يبذلهم فيكون الحرّة بهم ثمّ الظفر ألا خير لهم فيذهبوا باسم الفتح. [547] فأمر لؤلؤاً أن يصرف أصحابه وأظهر إشفافاً عليهم وضناً بهم، ووصلهم وردّهم إلى معسكرهم.

ثمّ ألحّ الموفق على السكر فهو يخرّب وهم يبنون والمستأمنة يكثرّون إلى آخر هذه السنة.

وفي هذه السنة أدخل عيال صاحب الزنج وولده بغداد. وفيها سُمّي صاعد ذا الوزارتين.

المعتمد يريد اللحاق بمصر

وفيها شخص المعتمد يريد اللحاق بمصر، وذلك قبل انحدار صاعد إلى الموفق. وقديم قائدان لآين طولون من الرقة في ذلك، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداجيق، وهو العامل على الموصل والجزيرة، وثب عليه ابن كنداجيق وعلى جميع من معه، فقيدهم وأخذ جميع ما صحبهم من مال

ورقيق

وكان كُتِبَ إليه في القبض على المعتمد ومن معه وأُفْطِحَ ضياع فارس بن بُعَا ومن صحب المعتمد من القَوَاد. فاحتال ابن كنداجيق وأظهر أنه معهم، وفي طاعة المعتمد إذ كان الخليفة ولا يجوز له الخلاف عليه وسار معهم فلمَّا نزل موضعاً بينه وبين عمل ابن طولون منزلان ارتحل التُّبَاع وَمَنْ شَخْصَ مع المعتمد إِلَّا القَوَاد وأشخص ابن كنداجيق فقال لهم ابن كنداجيق :
- «إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَحْلُو بِكُمْ وَأَشِيرَ عَلَيْكُمْ بِمَا فِي نَفْسِي.»

وقال لهم :

- «قد قرئتم من ابن طولون [548] والمقيم بالزُّقَّة من قَوَادِه وَأَنْتُمْ إِذَا صَرْتُمْ إِلَى ابْنِ طُولُونِ فَالْأَمْرُ أَمْرُهُ وَأَنْتُمْ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ. أَفَتَرْضَوْنَ بِذَلِكَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ الْيَوْمَ كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ؟»

وأطال مناظرتهم حتَّى تعالَى النهار فقال لهم ابن كنداجيق :

- «قوموا بيا، فَإِنَّ الشَّمْسَ قَدْ ارْتَفَعَتْ حَتَّى تَنَمَّ حَدِيثُنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَنَكْرَمَ مَجْلِسَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ارْتِفَاعِ الصَّوْتِ.»

وكان المعتمد في مضربه ومضرب ابن كنداجيق وسائر المضارب قد سارت فأدخلهم إلى مضرب نفسه. وكان قد تقدَّم قبل ذلك إلى فَرَاشِيهِ وَغُلْمَانِهِ وحاشيته في ذلك اليوم ألا يبرحوا فلمَّا صاروا إلى مضربه دخل جلدُ غُلْمَانِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوَادِ وَمَعَهُمُ الْقِيُودُ فَقَبِدُوهُمْ.

فلمَّا فرغ منهم مضى إلى المعتمد فعدله على شخوصه عن دَارِ مُلْكِهِ وَمُلْكِ آبَائِهِ وفراقه أخاه على الحال التي هو فيها من حرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وإزالة مُلْكِهِمْ، ثُمَّ حمله ومن معه مُقَيَّدِينَ إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ.

تسمية كُنداجيق بذي السيفين

ولمّا خلع على ابن كنداجيق وقُلّد سيفين بحمائل أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وسُمّي ذا السيفين وخلع عليه أيضاً بعد ذلك بيومين قباء ديباج ووشاحان وتوّج بتاج وفُلّد سيفاً، [549] كلّ ذلك مرصّع بالجوهر. وشيئاً هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقوّاد إلى منزله وتغذّوا عنده.

ودخلت سنة سبعين ومائتين

مقتل صاحب الزنج

واسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني وفيها قُتل الخبيث وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق، وذلك بعد حروب كبيرة ومنازلات شديدة ومباشرة للحرب منه ومن الموفق بأنفسهما، ومخاطرات منهما عظيمة لم يكن في جميعها ما يستفاد منه تجربة سوى احتمال المكاره في الحروب والصبر على شدائدها وأخطارها.

وحُمِل رأس هذا الخائن إلى بين يدي الموفق في صفر من هذه السنة وهو يحارب مع أهل الشدة والبأس من أصحابه، فقتل وهو يجاهد على حاله غير مستسلم ولا معطٍ يده، وكان قد بُذِل له الأمان مراراً فأباه وأقام على حاله صابراً حتّى أسلمه رجاله وخانه ثقافته وذاب ذوباً^١ حتّى هلك ومضى مقولاً.

١ كذا في الأصل : ذاب ذوباً. في مط : ذاب ذوباً

ثم تتابع مجيء الزنج^(١) الذين كانوا أقاموا مع الخبيث إلى آخر أمره وصبروا معه حتى وافى ذلك اليوم الذي قُتل فيه ألف من الأبطال. فرأى الموفق أن يبذل لهم الأمان لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم [550] ولئلا يبقى منهم بقية يخاف معرفتهم ويجتمعون على رئيس يُعظم خطبه بهم.

ثم وافى من الزنج في غد هذا اليوم خمسة آلاف زنجمي وانقطع منهم نحو ألفي زنجمي إلى البر فماتوا عطشاً، وظفر الأعراب بقوم منهم فاسترقوهم. فأما من قُتل وغرق وأسر في الواقعة فخلق لا يُوقف على عددهم.

وانتهى إلى الموفق خبر المهلبى وانكلاى ومقامهما بحيث أقاما فيه مع من تبعهما من جلة قوادهم ورجالهم فبث أبطال أصحابه في طلبهم فلما علموا ألا ملجأ لهم أعطوا بأيديهم فطفر بهم الموفق فلم يشدّ منهم أحد وأمر الموفق بحبس المهلبى وانكلاى والإستيئاق منهما.

استئمان دَرْمُويَه

وفيها استأمن دَرْمُويَه^(٢)، الزنجي وكان أحد الأنجاد الأبطال وكان الخبيث قبل هلاكه بمدة طويلة وجهه إلى أواخر نهر الفُهرَج وهي من البصرة في غربي دجلة،

فلما هلك الخبيث أقام دَرْمُويَه هناك في موضع وعر كثير الدغل والآجام متصل بالطبيعة فكان يقطع الطريق بمن معه في زواريق خفاف اتخذوها، فإذا طلبهم الشدائد ولجوا في الأنهار الضيقة واعتصموا بالأدغال وإذا تعدّر

١. انظر الطبري (٢٠٩٤:١٣).

٢. كما ضبط في الأصل. دَرْمُويَه على غرار لَيْثُويَه. كما سبق وهو ضبط حسب الأصل الفارسي لهذه اللاحقة (أرينة). التي سجدتها أيضاً في لقب المصنف: مُشْكُويَه (= مسكويه) حسب ضبطه الفارسي.

عليهم مسلوك [551] نهر لضيقه خرجوا من سفهم وحملوها على ظهورهم ولجؤوا إلى هذه المواضع الممتعة، وفي خلال ذلك يغيرون على ما قرب منهم من القرى ويسلبون من ظفروا به. فكان ذلك دأب درمويه قبل هلاك الخبيث وبعده.

وقد كان ابتداء شرار الناس وقتاقهم يصيرون إليه للمعام معه على مثل ما هو عليه، وكان الموفق عزم على المقام عليه حتى وافاء رسوله يطلب الأمان لنفسه وأصحابه، فرأى الموفق أن يؤمنه ليقطع مادة الشر الذي كان فيه الناس من الخبيث وأتباعه.

ولما ورد عليه الأمان وافى قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصيبهم بؤس الحصار وضربه لما كان يصل إليهم من أموال الناس. فذكر أن درمويه لقّا أو من وأحسن إليه وإلى أصحابه أظهر كل ما في يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ورد كل شيء إلى أهله ردّاً ظاهراً مكشوفاً، فظهرت أمائته، فاستدعاه الموفق وقربه وخلع عليه وعلى وجوه أصحابه ووصلهم وضمتهم إلى ابنه أبي العباس.

وأقام الموفق بعد ذلك بالموفقية حتى أنس الناس وعادوا أوطانهم ووثقوا بالراحة [552] من أسباب الخبيث.

وولى البصرة والأهملّة وكور دجلة من حمد مذهبه ووقف على حسن سيرته وولى قضاء البصرة والأهملّة وكور دجلة محمد بن حمّاد.

ثم قدّم ابنه أبا العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث فطيف به. وكان خروج صاحب الزنج سنة خمس وخمسين ومائتين وقُتل سنة سبعين ومائتين.^(١)

وفيها مات أحمد بن طولون والحسن بن زيد العلوي.

ودخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين وقعة الطواحين

وفيها كانت بين أبي العباس ابن الموفق وبين خُمارَوته^(١) بن أحمد بن طولون وقعة بالطواحين فهزم أبو العباس خُمارَوته فركب حمارويه^(٢) حماراً وهرب إلى مصر. ووقع أصحاب أبي العباس في النهب ونزل أبو العباس مضرب خُمارَوته وهو لا يرى أنه بقي له طالب، فخرج كمين خُمارَوته كان كمنه وأصحاب أبي العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا. فشذ كمين خُمارَوته عليهم فانهزموا وتفرق القوم، ومضى أبو العباس إلى طرسوس منهزماً وذهب كل ما في العسكريين: عسكر أبي العباس وعسكر خُمارَوته من السلاح والكرّاع والأثاث والأموال، وانتهب الجميع.

ودخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين [553]

وفيها أخرج أهل طرسوس أبا العباس ابن الموفق من طرسوس لخلاف وقع بين يازمار^(٣) وبينه فخرج يريد بغداد فقدمها. وفيها قدم صاعد بن مخلد من فارس ودخل واسطاً. فأمر الموفق جميع أصحابه من القواد أن يستقبلوه، فترجلوا له وقبّلوا يده وكمّته.

١. كذا في الأصل والطبري (٢١٠٦: ١٣): خمارويه. في مط - حمارويه (بالحاء المهملة في كل المواضع) وأثبت الاسم في الأصل بالشكلين العربي والفارسي خُمارَوته، خُمارَوته، فاحتفظنا هنا بكليهما للاعتبار

٢. الحاء مهملة في الأصل، هنا. ولعلّ الحقّ مع مط في ضبط هذا الاسم

٣. في الطبري (٢١٠٨: ١٣): يازمان

ثم قبض عليه الموفق وعلى أسبابه كلهم ببغداد وسر من رأى فى يوم واحد، فاستكتب الموفق إسماعيل بن بلبل.

ودخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

قدوم لؤلؤ من مصر

وفىها قيد أبو العباس لؤلؤاً القادم عليه^(١) من مصر ووجد له أربعمئة ألف دينار. فذكر لؤلؤ أنه لا يعرف لنفسه ذنباً إلا كثرة ماله وأثائه. وفىها كانت بين أبى الساج وبين إسحاق بن كنداجيق وقعة فانهزم إسحاق، ثم واقعه وقعة أخرى فانهزم إسحاق أيضاً.

ودخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

ولم يحدث فيها حادثة تُكتب.

ودخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

حبس الموفق ابنه

وفىها حبس الموفق ابنه أبا العباس فشغب أصحابه وحملوا السلاح وركب غلمانهم واضطربت بغداد فركب أبو أحمد الموفق حتى بلغ باب الرصافة وقال لأصحاب أبى العباس [554] وغلمانهم :

« ما شأنكم، أترونكم أشفق على ابنى منى؟ هو ولدى واحتجت إلى

تقويمه. »

فانصرف الناس وهدأت بغداد.

١. وراد فى الطبرى (٢١١٢: ١٣) بالأمان من عند ابن طولون، واستصفى ماله

ودخلت سنة ست وسبعين ومائتين شخص أبو أحمد

وفيهما شخص أبو أحمد من بغداد إلى الجبل وكان سبب ذلك أن المادرائي كاتب اذكوتهين أخبره أن له هناك مالاً عظيماً، وأنه إن شخص صار ذلك إليه، فشخص أبو أحمد، فلم يجد من ذلك شيئاً.

فشخص من هناك إلى الكرج ثم إلى إصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز فتلقى، له أحمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله وترك له داره بفرشها وآلتها لينزلها إذا قديم. وكان مع الموفق محمد بن أبي الساج، وذلك أنه قديم عليه هارباً من ابن طولون قبل شخص الموفق عن بغداد بعد أن كانت بينه وبين ابن طولون وقعت كثيرة ضعف ابن أبي الساج في آخرها عن مقاومته. لقلّة من كان معه وكثرة من مع ابن طولون، فلهق بأبي أحمد فخلع عليه أبو أحمد وأخرجه معه إلى الجبل.

انفراج كل عن سبعة أقبر

وفيهما ورد الخبر^(١) بانفراج تل بنهر الصلّة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبر، فيها أبدان صحيحة وعليها أكفان جُدّد، لها أهداب تفوح منها رائحة المسك، أحدهم شاب له جمّة وجبهته [555] وأذناه وخدّاه وأنفه وشفاة ورقبته وأشفار عينه صحيحة وعلى شفتيه بلل كأنه شرب الماء فأخرج الثقات لينظروا إلى ذلك فأخبروا أنهم شاهدوا ذلك وإن بعضهم جذب شعر بعضهم فوجده قوى الأصل قريباً من شعر الحي.

وكان هذا التلّ انفرج عن شبه حوض من حجرٍ فى لون المسرّ عليه كتاب لا يدري ما هو. فأحضر أصحاب الأدب ان قلم يعرف أحد منهم الخطّ.

ودخلت سنة سبع وسبعين ومائتين
ولم يجر فيها ما يُكتب.

ودخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين
وفيهما انحدر وصيف خادم ابن أبى الساج
إلى واسط بأمر أبى الصقر
ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك أن أبا الصقر أئلف ما فى بيوت أموال أبى أحمد، حتّى لم يبق فيها شيء، بالهبات والصّلات العظام التى كان يجيز بها القوّاد، والخلع التى يخلعها عليهم. فاستدعى وصيفاً هذا ليكون عُدة له إن طالبه أبو أحمد، وكان اصطنع وصيفاً وأجازه بجوائز كثيرة [556] وأدّر على أصحابه أرزاقهم. ولما نفذ ما فى بيوت الأموال طالب أرباب الضياع بخراج سنة مبهمة عن أرضهم، وحبس بذلك جماعة وكان الذى يتولّى له ذلك المعروف بالزغل^(١). فعسف الناس وقديم الموقّ قبل أن يستتظف^(٢) أداء ذلك، فشعل عنه بقدومه.

انصرف أبى أحمد من الجبل إلى العراق

وانصرف أبو أحمد من الجبل إلى العراق، فاشتدّ به وجع القرس حتّى لم يقدر على الركوب. فأتخذ له سرير عليه قبة، فكان يقعد فيه ويجلس معه

١ كذا فى الأصل ومط. الرغل. فى الطبرى (٢١١٩: ١٣). الرغل (بالراء المعجمة)

٢ كذا فى الأصل ومط. فى الطبرى (٢١١٩: ١٣). يسوطف

خادم يبرّد رجله بالأشياء الباردة وبالثلج. ثم صار به داء القيل وكان يحمل سريره أربعون رجلاً يتناوب عشرون عشرون. فإذا اشتدّ به الألم أمرهم أن يضعوه. فقال يوماً للذين يحملونه وقد سمع منهم ما يدلّ على ضجره:

- «قد ضجرتم بحملي وبدوّ^(١) إني كواحد منكم أحمل على رأسي وأنى

في عافية.»

وقال يوماً^(٢):

- «أطبق دفترى على مائة ألف مرتقى ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني.»

ولما ورد النهروان تلقاه الناس فركب الماء في النهروان ثم في نهر ديبالى ثم في دجلة، ودخل داره لليلتين خلتا من صفر. فأرجف الناس بموته. وكان تقدّم في حفظ أبي العباس فغلقت عليه أبواب دون أبواب. وانصرف أبو الصقر إلى منزله واعتزت أبا أحمد غشية [557] فازداد إرجاف الناس بموته. لحمل المعتمد ولده فجيء بهم إلى داره ولم يصر أبو الصقر إلى الموفق. فلما رأى غلمان أبي أحمد المائلون إلى أبي العباس والرؤساء من غلمان أبي العباس ما نزل بأبي أحمد، كسروا أقفال الأبواب المفلقة على أبي العباس، فذكر العلام الذي كان مع أبي العباس في العبارة أنّ أبا العباس لما سمع صوت الأقفال تكسر قال:

- «إنا لله، ما يريد هؤلاء إلاّ نقسى.»

فأخذ سيفاً كان عنده وهدد مستوفزاً، فلما فتح الباب كان أوّل من دخل إليه وصيف موشكير وهو غلامه. فلما رآه رمى بالسيف من يده وعلم أنّهم لم يقصدوه إلاّ بخير، فأخرجوه حتّى أفضدوه عند أبيه، وكان أبوه يعقب علته.

١. كذا في الأصل أحمل في مط أحمد. والعبارة في الطبري (١٣: ٢١٢٠): أحمل على رأسي وأكل (نح وأكل) وأنى في عافية.

٢. زاد في الطبري (١٣: ٢١٢): في مرضه هذا

فلما فتح عينه بعد إفاقته رآه نصرته وأدناه.

ووافق المعتمد وقد كان وُجَّه إليه، فحضر ومعه ابنه جعفر المفوض إلى الله وليّ العهد وعبد العزيز ومحمد وإسحاق بنوه فنزل على أبي الصقر.

ثم بلغ أبا الصقر أنّ أبا أحمد لم يمت فوجّه إسماعيل بن إسحاق يتعرّف له الخبر، وجمع أبو الصقر القوّاد والجند وشحن داره وما حولها بالرجال والسلاح. فرجع إسماعيل فأعلم أبا الصقر أنّ أبا أحمد حيّ. فأول من مضى إليه من القوّاد محمد بن أبي الساج. [558]

ثمّ جعل الناس يتسلّلون منهم من يعبر إلى باب أبي أحمد ومنهم من يرجع إلى منزله ومنهم من يخرج إلى بغداد.

فلما صبح عند أبي الصقر حياة أبي أحمد انحدر هو وابناه إلى دار أبي أحمد فما ذاكره أبو أحمد شيئاً ممّا جرى ولا سأله عنه. وأقام هناك فأنتهت دار أبي الصقر وكلّ ما حوته حتّى خرج حُرمة حفاة بغير أزر وانتهت دور كتابه وأسبابه وكُسرت أبواب السجون فأخرج من كان في النّطبق وأنّهب مجلسا الجسر. ثمّ خلّع أبو أحمد على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصقر وركبا جميعاً والخلع عليهما من سوق الثلاثاء إلى باب الطاق ومضى أبو الصقر مع أبي العباس إلى دار صاعد. ثمّ انصرف إلى منزله فلم يجد فيه شيئاً يجلس عليه حتّى أتوه من دار الشاه بحصير فجلس عليه.

وولى أبو العباس غلامه بدرّاً الشرطّة على الجانب الشرقيّ وعيسى النوشري الجانب الغربيّ.

وفاة أبي أحمد الموفق

وفيها توفّي أبو أحمد الموفق ودُفن في الرصافة وجلس أبو العباس للنزلة ويبيع الغلمان والقوّاد لأبي العباس بولاية العهد بعد المفوض ولُقّب

بالمعتضد بالله، وأخرج العطاء للحنند وخطب يوم الجمعة للمعتمد ثم للمفوض ثم للمعتضد.

وقُبض على أبي الصقر وأصحابه [559] وطلب بنو الفرات وكان إليهم ديوان السواد فاحتفوا.

وحلج على عبد الله^(١) بن سليمان بن وهب ووُلى الوزارة. ويُعت بمحمد بن أبي الساج إلى واسط لمرّد غلامه وصيفاً إلى بغداد. فأبى وصيف ومضى إلى الأهواز فعات بالسوس وأنهب الطيّب^(٢).

ابتداء امر القرامطة

وفيها وردت الاخبار بحركة قوم يُعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة. وكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان سواد الكوفة. فأظهر الزهد والتفشّف وكان يسفّ الخوص ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدّة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين وزقه في الدنيا وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة، حتّى فشا ذلك عنه.

ثم أعلمهم أنّه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه، فلم يزل على ذلك، يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يُعلق قلوبهم.

وكان يقعد إلى يقال في القرية بموضع يقال له: النهرين، وكان بالقرب من البقال نخل اشترى قوم من التجّار واتخذوا حظيرة فجمعوا فيها ما صرموا من النخل. وجاء التجّار إلى البقال فألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ ما صرموا من النخل فأوصاً لهم إلى هذا الرجل وقال:

١. في مط: على ابن عبد الله بن سليمان في الطبري (٢١٢٣: ١٢) خلج على عبيد الله بن سليمان.

٢. كذا في الطبري أيضاً. (٢١٢٣: ١٣).

- «إن أجابكم إلى حفظه فإنه بحيث تحبون» [560]

فناظروه في ذلك فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة، وكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ويصوم ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر فيقطر عليه ويجمع نوى ذلك التمر. فلما حمل التجار تمرهم صاروا إلى البقال فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته فدفعوها إليه فحاسب الأخير البقال على ما أخذه من التمر وحط من ذلك ثمن النوى، ورآه أولياء التجار فوثبوا عليه وضربوه وقالوا:

- «ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى؟»

فقال لهم البقال:

- «لا تفعلوا فإنه ما متى تمركم..»

وقص عليهم قصته. فقدموا على ضربهم إياه، وسألوه أن يجعلهم في حل، ففعل وازداد بذلك نبلاً عندهم لما وقفوا عليه من زهده. ثم مرض فمكت مطروحاً على الطريق، وكان في القرية رجل يحمل على ثور له أحمر العينين، فكان أهل القرية يستونه كرميته^(١). وهو بالنبطية أي حارّ العينين^(٢) فكلم البقال كرميته هذا أن يحمل العليل إلى منزله ويوصي أهله بالإشراف عليه، ففعل وأقام عنده حتى برأ فكان يأوى إلى منزله.

ودعا أهل القرية ووصف لهم مذهبه، فأجابه أهل تلك الناحية. وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ويزعم أن ذلك [561] للإمام فلما كثر أصحابه اتخذ منهم إثني عشر تقياً وأمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم وقال لهم:

- «أنتم كحواري عيسى بن مريم.»

١ كذا في الأصل ومط: كرميته. في الطبري: (٢١٢٥: ١٢) كرميته.

٢ في الطبري (٢١٢٥: ١٢): أحمر العينين. وفي حواشيه: حارّ العينين.

واشتغل أكره تلك الناحية بالصلوات الخمسين التي وظفها عليهم، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فوقف على تقصير أكرته في العمارة. فسأل عن سبب ذلك فأخبر بخير هذا الرجل وأنه قد شغلهم بالصلاة فشغلهم عن أعمالهم. فوجه إليه وجهه به فسأله عن أمره فأخبره. فحلف أنه يقتله وأمر به فحبس في بيت وأقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته. وتشاغل بالشرب. وسمع بعض من في داره من الجوارى بمينه^(١) فرقت له، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته وردت المفتاح إلى موضعه. فلما أصبح الهيصم طلب الرجل فلم يجده وشاع الخبر ففتن به أهل تلك الناحية وقالوا:

«رُفِعَ».

ثم ظهر في موضع آخر، فقصده قوم من أصحابه، فسألوه عن قصته فكتهم وقال:

«ليس يمكن أحداً من البشر أن يبدأني بسوء».

فعظم في عيونهم.

ثم خاف على نفسه فخرج إلى الشام فلم يعرف له خبر. وسقى باسم الرجل الذي كان في منزله: كرمينه ثم عُرِبَ وَخُفِّفَ [562] فقبل قرمط. ثم كثر مذهبه بسواد الكوفة.

ووقف أحمد بن محمد الطائي وكان إليه النظر في سواد الكوفة على أمرهم فوظف على كل رجل منهم في كل سنة ديناراً فكان يجيء ذلك فيجتمع له منه مال جليل.

ثم قديم الكوفة قوم من الكوفة، فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة وأنهم قد

١. كذا في الأصل. يمينه في مط: منه وفي الطبري (٢١٢٦: ١٣). بقصته. وفي حواشيه من العيون: أنهته. ولعل هذا هو الصحيح.

أحدثوا ديناً غير الإسلام، وأنهم يرون السيف في أمة محمد إلا من تابعهم على دينهم، وأن الطائي يخفي أمرهم عن السلطان فلم يلتفت إليهم.

مذهبهم كما جاء في كتاب لهم

ثم جاءوا بكتاب فيه مذهبهم ونسخته :

- «بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الفرج بن عثمان : إنه داعية إلى المسيح، وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد الحنفية وهو جبرائيل. وحكى أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان وقال له : أنك الداعية وأنك الحجة وأنك الناقة وأنك الدابة وأنك روح القدس وأنك يحيى بن زكريا. ثم يوظف صلاة ويقرأ فيها شيئاً ليس من القرآن، ويذكر قبله غير قبله المسلمين، ويحكي أشياء عن لسان الإمام وينسب إلى الله أشياء ويحرم النيذ، وآلا غسل من جنابة، ولا صوم إلا يومين في السنة : [563] يوم التبروز ويوم المهرجان، وكل من حاربه وجب قتله»^(١)

مناظرة بين قرمط وصاحب الزنج

وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج. ويحكي عن قرمط أنه قال : صرت إلى صاحب الزنج وقلت له :
- «إني على مذهب وورائي مائة ألف سيف، فمناظرني فإن اتفقنا على

١. انظر الطبري (١٣: ٢١٢٨).

المذهب ملت بمن معي كلهم إليك. وإن تكن الأخرى انصرفت عنك.»
 وطلبت منه الأمان فأعطانيه. فناظرته إلى الظهر فتبين في آخر مناظرتي
 أنه مخالف. فقام إلى الصلاة وانسللت وخرجت من عنده إلى سواد الكوفة.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

وفاة المعتمد

وفيها توفي المعتمد وكان شرب على الشط في الحسن شرباً كثيراً
 وتعشى فأكثر، فاختنق ومات ليلاً. فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة.^(١)



خلافة المعتضد

وبويع لأبي العباس المعتضد بالخلافة، فوَلَّى علامه بدران الشرطة وعييد الله بن سليمان الوزارة ومحمد بن الشاه بن ميكال الحرس وصالحاً الأمين حجة الخاصة والعامّة فاستخلف صالح خفياً السمرقندى.

قدوم رسول عمرو بن الليث بهدايا

وفيهما قديم على المعتضد رسول عمرو بن الليث الصفار بهدايا وسأل ولاية [564] خراسان، فوصلوا إليه في شهر رمضان من هذه السنة فخلع عليه ونُصِب اللواء في صحن داره ثلاثة أيام. وورد الخبر بموت نصر بن أحمد وقام مكانه وبما كان إليه من العمل وراء نهر^(١) بلغ أخوه إسماعيل بن أحمد

ورود رسول خُمارويه من مصر

في تزويج بنت خُمارويه من المعتضد

وفيهما ورد من مصر الحسين بن عبد الله المعروف بابن الحصّاص رسولا

لخمازوية بن أحمد بن طولون ومعه هدايا من العين عشرون حملاً على بغال في عشرة من الخدم، وصندوقان فيهما نمران،^(١) وعشرون غلاماً على عشرين نجيباً بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة ومعهم حراب فضة وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة. وسبع عشر دابة يسروج ولجم منها خمسة بذهب والباقي بفضة، وسبع عشرة دابة بجلال مشهرة، وحمسة أبغل بسروج ولحم وزرافة فوصل إلى المعتضد فنخلع عليه وعلى سبعة نفر معه. وسفر ابن الجصاص في تزويج بنت خمازويه من علي بن المعتضد. قال المعتضد:

- «أتزوجها».

فتزوجها.

وفيها كتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمعاربة رافع بالرئ. فزحف إليه أحمد، فالتقوا فانهزم رافع وخرج عن الرئ ودخلها أحمد بن عبد العزيز.

ودخلت سنة ثمانين ومائتين [565]

قبض المعتضد على عبيد الله بن المهدي وشيئمة

وفيها قبض المعتضد على عبيد الله بن المهدي ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيئمة.

وكان شيئمة هذا من أصحاب صاحب الزنج وكان سب قبضه عليهما أنه سعى بهما ساع إلى المعتضد وقال: أنه يدعو إلى رجل لم يوقف على اسمه وأنه قد استفسد جماعة من الجند وغيرهم. وأخذ معه رجل صيدناني، فقرره المعتضد فلم يمرّ بشيء. وسأله عن الرجل الذي يدعو إليه فلم يظهره عليه

١ كذا في الأصل: نمران. في الطبري (٢١٣: ٢١٣): حرار

وقال :

« لو كان تحت قدمي ما رفضتهما عنه ولو جعلتني كزَدَنَّاك^(١) ما أخبرتك

بد. »

فأمر بنار فأوقدت، ثم شَدَّ على خشبة من حشب الخيم وأدير على النار حتى تقطع جلده، ثم ضربت عنقه وصُلِبَ عند الجسر. وحُبِسَ ابن المهدي إلى أن وقف على براءته فأطلق.

وقال لشيعة :

« بلغني أنك تدعو إلى ابن المهدي. »

قال : « المأثور عني غير هذا أنا أتولى آل أبي طالب. »

وكان قرّر ابن أخيه، فأقرّ فقال :

« قد أقرّ ابن أخيك. »

فقال : « هذا غلام حدث، تكلم بهذا خوفاً من القتل، فلا تقبل قوله. »

فأطلقهما بعد مدّة.

شخص المعتضد إلى بني شيان

ثم شخص المعتضد من بغداد إلى بني شيان وكانوا بساحية من الجزيرة اتخذوها معقلاً فلما بلغه قصده إليهم ضمتوا إليهم أموالهم وعسالاتهم. [566] فأسرى إليهم المعتضد فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير في الزابيين. فأخذ النساء والدراريّ وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حملة وأخذ من غنمهم وإبلهم حتى بيعت الشاة بدرهم والجمل بخمسة دراهم، وأمر بحفظ النساء والدراريّ.

١ كذا في الأصل والطبري (١٣ ٢١٣٦) : كردناك في مط وحواشي الطبري كردناك

ثم لقيه هو شيبان وسأله الصفح عنهم وبذلوا رهائنهم فأخذ منهم خمسمائة رجل.

ووفاء أحمد بن أبي الأصبح بما فارق عليه أحمد بن عيسى بن شيخ من المال الذي أخذه من مال إسحاق بن كنداجيق ويهدايا ويقال ودواب.

وفيهما ورد الخبر بأن محمد بن أبي الساج افتتح المراغة بعد حصار شديد وحرب عظيمة، وأنه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن آمنه وأصحابه فقيده وحبسه وقرّره بجميع أمواله ثم قتله.

وفيهما ورد الخبر بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز، ثم قام بالأمر عمر. وفيها توفي جعفر بن المعتضد.

وفيهما ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه مدينة ملكهم وأسرهم إياه وامراته حاتون ونحوها من عشرة آلاف، وقتل خلقاً لا يحصى وغنم من الأموال والدواب ما لا يُوقف على عدده، وأصاب الفارس من المسلمين [567] من الغنمة في المقسم ألف درهم.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

شغوص المعتضد إلى الجبل وخروجه الثاني إلى الموصل

وفيهما شخص المعتضد إلى الجبل فسقد ناحية الدينور، وقتل ابنه أبا محمد على بن المعتضد الرئى وقزوين وزنجان وأبهر وقم والدينور. وقتل كتبه أحمد بن أبي الأصبح وثقات عسكره، وقتل عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف إصبهان ونهاوند والكرج، وتمجّل الإنصاف من أجل غلاء السعر.

وفيهما خرج المعتضد الخرجة الثانية إلى الموصل قاصداً حمدان بن حمدون، ذلك أنه بلغه أنه مائل إلى هارون الشاري داع له، فورد كتابه على

نجاح الحرمى يذكر الوهبة :

«بسم الله الرحمن الرحيم، كتابى هذا وقت العتمة ليلة الجمعة وقد نصر الله وله الحمد على الأعراب والأكراد وأظفرنا بعالم منهم وبيعالاتهم، ولقد رأيتنا نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عام أول، ولم تزل السيوف والأسنة تأخذهم حتى حال بيننا وبينهم الليل، ومن غد يومنا يقع الاستقصاء وكان وقاعنا بهم وقتلنا لهم خمسين ميلاً. فلم يبق منهم مخبر [568] والحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد وآله وسلم.»

وكانت الأعراب والأكراد لئماً بلغهم خروج المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد، واجتمعوا وعبأوا عسكرهم ثلاثة كراديس فكان من أمرهم ما ذكرت.

قصد المعتضد قلعة ماردين ثم الحسينية

ثم قصد المعتضد قلعة ماردين وكانت فى يد حمدان بن حمدون، فلئماً بلغه خروج المعتضد إليها هرب وخلف ابنه فيها، فنزل عسكر المعتضد على القلعة ذلك اليوم، فلئماً كان من الغد ركب المعتضد وصعد حتى وصل إلى باب القلعة ثم صاح :

«يا بن حمدان!»

فأجابه فقال :

«افتح الباب.»

ففتحوه ولم يجر بينهما غير ذلك فقعده المعتضد فى الباب ولم يدخل، وأمر من دخل فنقل ما فى القلعة من المال والأثاث. ثم أمر بهدمها فهُدمت، ويشبه أن يكون راسله قبل ذلك.

ثم وجه خلف حمدان بن حمدون فطلب أشد الطلب وأخذت أمواله

وكانت مودعة ثم طُفِرَ به بعد.

ثم قصد المعتضد مدينة يقال لها الحسنية وفيها رجل يقال له شداد في جيش عظيم يقال أنهم عشرة آلاف وكان له قلعة في المدينة فطُفِرَ به المعتضد فأخذه وهدم قلعته. [569]

ودخلت سنة الثنتين وثمانين ومائتين

المعتضد وتغير موقع النيروز

وفيها أحدث المعتضد النيروز الذي يقع في اليوم العاды عشر من حزيران وأنشأت الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي كان للعجم.

وورد كتابه على يوسف بن يعقوب يعلمه أنه إنما أراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم، وأمر أن يُقرأ كتابه على الناس ففعل.^(١)

وفيها كتب المعتضد من الموصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون في المصير إليه. فأما إسحاق بن أيوب سارع إلى ذلك وأما حمدان بن حمدون فتحصن في قلاعه وغيب أمواله وحرمه.

فوجه إليه المعتضد الجيوش، فصادفوا الحسن بن علي كوره^(٢) وأصحابه منبئخين على قلعة لحمدان محاصرين لها وفيها الحسين بن حمدان.

فلما رأى الحسين أوائل العسكر مقبلين طلب الأمان، فأومن وسلم القلعة وصار إلى المعتضد فأمر يهدمها. وأعد الجيش في طلب حمدان وكان قد صار بباسورين من دجلة ونهر عظيم. فكان الماء زائداً فغير الجيش إليه، فهرب وقتل أكثر أصحابه وألقى حمدان نفسه في زورق في دجلة مع كاتبه

١. انظر الطبري (٢١٤٣، ١٣).

٢. كذا في الأصل والطبري (٢١٤٤ ١٣): كوره. ولا توجد الكلمة في مط

وحمل معه مالا [570] وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة وقدر اللحاق بالأعراب لما حيل بينه وبين أكراده في الجانب الشرقي، وعبر في إثره نفر يسير من الجند فاقتصوا أثره حتى أشرفوا على دير كان نزله. فلما بصر بهم خرج هارباً ومعه كاتبه وألقيا أنفسهما في زورق وخلفا المال في الدير فحمل إلى المعتضد وانحدر أصحاب السلطان في طلبه على الظهر وفي الماء. فلحقوه فخرج من الزورق حاسراً^(١) إلى ضيعة له في شرقي دجلة فركب دابة لوكيله وسار ليله أجمع حتى وافى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مستجيراً به.

فأحضره إسحاق مضرب المعتضد فأمر بالاحتفاظ [به] وبث الخيل في طلب أصحابه وظفر بكاتبه وكثير من قراياته وغلمانه وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم في الدخول في الأمان.

نقل بنت خمارويه إلى المعتضد

وفيها نقلت بنت خمارويه بن أحمد إلى المعتضد ونودي في جانبى بغداد ألا يعبر أحد دجلة وغلقت الأبواب التي تلى الشط ومثد على الشوارع النافذة إلى دجلة الشرائع ووكل بحافتي دجلة من يمنع الناس من أن يظهروا في دورهم على الشط.

فلما صليت العتمة وأفت شذاة من دار المعتضد وفيها خدم معهم الشموع فوقفوا [571] بإزاء دار صاعد، وكانت أعدت أربع حراقات شدت مع دار صاعد فلما جاءت الشذاة حذرت الحراقات وصارت الشذاة بين أيديهم. وأقامت الحرة في يوم الإثنين في دار المعتضد وجليت عليه^(٢) يوم الثلاثاء.

١. في الطبري (٢١٤٥:١٣): حاسراً

٢. يقال جليت العروس عن زوجها، أي عرضت عليه مجلوة.

هروب يوسف بن أبي الساج إلى أخيه بالمراغة

وفيها هرب يوسف بن أبي الساج في من أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة
ولقى مالا للسلطان في طريقه فأخذه فقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وكتب به إلى المعتضد:

إِمَامُ الْهَدَى أَنْصَارُكُمْ آلُ طَاهِرٍ بِلا سَبِّ يُجَفُّونَ وَالْدَهْرُ يَذْهَبُ
وَقَدْ خَلَطُوا صَبْرًا بِشُكْرِ وَرَاجُوا وَغَيْرُهُمْ يُعْطَى وَيُخْبَى وَيَهْرَبُ

معاملة المعتضد، محمد بن زيد العلوي

وفيها وجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار
بأثمين وثلاثين ألف دينار ليمرّقها ببغداد والكوفة والمدينة على أهله، فسعى
به وأحضر دار بدر وسئل عن ذلك فاعترف به، وذكر أنه يوجه إليه في كل
سنة مثل هذا المال فيفرقه على من يأمره بالفرقة عليهم من أهله. فأعلم بدر
المعتضد صاحب المعتضد بذلك وأعلمه أن الرجل والمال في يده. فقال
المعتضد:

- «يا بدر أما تذكر الرؤيا التي خيّرتك [572] بها؟»

فقال: «لا يا أمير المؤمنين.»

فقال: «ألا تذكر أن الناصر - يعني الموفق - دعاني وقال: إني أعلم أن
هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل أبي طالب.»

ثم قال: رأيت في النوم كأنني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في
جيش وقد تشوّف الناس إليّ، إذ مررت على رجل واقف على تلّ يصلي لا
يلتفت إليّ، فعجبت منه. فلما فرغ من صلاته قال لي:

- «أقبل»-

فأقبلت إليه، فقال :

- «أتعرفنى ؟»-

قلت : «لا»-

قال : «أنا علي بن أبي طالب، خذ هذه المسحاة فاضرب بها الأرض»-

لمسحاة^(١) بين يديه فأخذتها، فضربت بها ضربات. فقال :

- «إنه سبلى من ولدك هذا الأمر قدر ما ضربت، فأوصهم بولدى خيراً»-

قال بدر : فقلت :

- «بلى يا أمير المؤمنين قد ذكرت»-

قال : فأطلق الرجل وأطلق المال، وتقدم إليه أن يكتب إلى صاحبه

بطبرستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً وأن يفرق هذا الرجل ما يفرقه

ظاهراً، وتقدم بمعونته على ما يلتمسه.

ذبح خمارويه فى مصر

وفىها ورد الخبر على المعتضد من مصر فى أحد عشر يوماً على طريق

البر أن خمارويه بن أحمد ذبح على فراشه، ذبحه بعض خدمه الخاصة،

وقُتل من خدمه الذين [573] اتهموا بقتله ثيف وعشرون خادماً.

وكان المعتضد بعث ابن الجصاص إلى خمارويه بهدايا فلما بلغ سُرَّ من

رأى اتصل خبر مهلك خمارويه بالمعتضد فكتب إليه يأمره بالرحوع، فرجع.

ودخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين
وفيهما شخص المعتضد بسبب هارون الشاري
إلى ناحية الموصل فظفر به.
ذكر هذا الظفر

وجه الحسين بن حمدان بن حمدون في خيل من الفرسان والرجالة إليه.
فقال الحسين :
- « نعم يا أمير المؤمنين إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج يقضيها لي أمير
المؤمنين. »

فقال : « اذكرها. »

قال : « أولها إطلاق أبي، وحاجتان أسألها بعد مجيئي به ^(١). »
فقال المعتضد :

- « لك ذلك، فامض. »

فقال الحسين :

- « أحتاج إلى ثلاثمائة فارس أنتخبهم أنا. »

فمكنه من ذلك وأنفذهم مع موشكير فقال :

- « أريد أن يأمره أمير المؤمنين ألا يخالفني فيما أمره به. »

فأمر المعتضد موشكير بذلك. فمضى الحسين حتى انتهى إلى مخاضة في
دجلة فقدم إلى وصيف ومن معه بالوقوف على المخاضة وقال :

- « ليس لهارون طريق إن هرب غير هذا فلا تبرحسن [574] من هذا
الموضع حتى يمر بك هارون أو أجيئك أنا أو يبلغك أنني قد قتلت. »

١. وفي الطبري (٢١٤٩: ١٢) : مجيئي به إليه

ومضى حسين في طلب هارون فلقبه وواقعه، فكانت بينهما قتلى وانهرم هارون وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام فقال له أصحابه :
 - « قد طال مقامنا بهذا القفر وأضر بنا ولسنا نأمن أن يأخذ الحسين الشاري فيكون الفتح له دوننا والصواب أن نمضى في آثارهم. »
 فأطاعهم ومضى وجاء هارون منهزماً إلى المخاضة فحبر وجاء حسين في أثره فلم ير وصيفاً ولا أحداً من أصحابه ولا عرف لهم خبراً ولا رأى لهم أثراً، وجعل يسأل عن خبر هارون حتى وقف على عبوره فحبر في أثره وجاء إلى حتى من أحياء العرب فسألهم عنه، فكنتموا أمره فهم بالإيقاع بهم ثم قال :

- « إنَّ المعتضد في إثرى. »

فأعلموه أنه اجتاز بهم فأخذ بعض دوابهم وترك دوابه عندهم وكانت قد كَلَّت وأُعيت واتبع أثره فلاحقه بعد أيام والشاري في نحو من مائة. فناشده الشاري وتوعده، فأبى إلا محاربتة فحاربه ورمى حسين بن حمدان بنفسه عليه وابتدره أصحاب الحسين، فأخذوه وجاء به إلى المعتضد سليماً بغير عقد ولا عهد فأمر المعتضد حين بلغه الخبر بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه [575] إلى أن يقدم ابنه فيطلقه ويخلع عليه.

فلما وصل الشاري إلى المعتضد انصرف راجعاً إلى بغداد فنزل باب الشساسية، وعبأ الجيش هناك وخلق على الحسين بن حمدان وطوقه بطوق ذهب، وخلق على جماعة من أهله ورؤس الفيل وأدخل الشاري عليه مشيراً بئرس حرير طويل.

غزو الصقالية الروم

ولمّا ورد الخبر من طبرستان أنّ الصقالية غزت الروم في خلق عظيم،

فقتلوا منهم وهرموا ملكهم حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجأوا الروم إليها، ثم وجه ملك الروم إلى ملك الصقالبة:

- «إن دينا ودينك واحد فلام تقتل الناس بيتنا؟»
فأجابه ملك الصقالبة:

- «إن هذا ملك آبائي ولست منصرفاً عنك إلا بعلمة أحدنا الآخر.»

فلما لم يجد ملك الروم مخلصاً عنه جمع من عنده من المسلمين، وسألهم معونته على الصقالبة، فأجابوه إليه، فأعطاهم السلاح فهزموا الصقالبة. فلما رأى ملك الروم ذلك خافهم على نفسه، فبعث إليهم فردهم وأخذ منهم السلاح وفرقهم في البلدان فرقاً من أن يجنوا عليه.

وثوب الجيش في مصر

وورد الخبر من مصر أن الجند وثبوا على جيش ابن خمارويه وقالوا:

- «لا نرضى بك أميراً علينا فتتح عنا حتى نولى عتك.»

فكلمهم [576] كاتبه علي بن أحمد الماذرائي^(١) وسألهم أن ينصرفوا يومهم ذلك فانصرفوا، وعادوا من غد، فعدا جيش على عتقه الذي ذكروا أنهم يؤثرونه، فضرب عنقه وعنق عت له آخر ورمى برؤوسهما إليهم. فهجم الجند على جيش ابن خمارويه، فقتلوه وقتلوا أمه وانتهبوا داره وانتهبوا مصر وأحرقوها، ثم أفعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه.

وفيها ورد كتاب بدر وعبيد الله بن سليمان وكانا بالجبل قرى في مسجد الجامع ببغداد: «إن عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف صار إليهما في الأمان متقاداً لأمر المؤمنين بالطاعة، وإن عبيد الله بن سليمان تلقاه وحلج عليه

وعلى رؤساء أهل بيته وأخذ عليهم البيعة.
 وكان بكر بن عبد العزيز قبل ذلك استأمن إليهما، فولّياه عمل أخيه عمر
 على أن يمضي فيحاربه. فلما دخل عمر في الأمان قالوا لبكر:
 - «إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان وإنما وليناك عمله على أنه
 عاص والرأي لكما أن تمضيا إلى باب أمير المؤمنين ليرى رأيه في أمركما.»
 وولّى عيسى النوشري^(١) إصبهان على أنه من قبل عمر، فهرب بكر
 وكتب إلى المعتضد يخبره. فكتب إلى بدر يأمره بالمقام إلى أن يعرف خبر
 بكر.

وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الرى وبها على بن [577] المعتضد
 ولحق بكر بالأهواز فوجه المعتضد في طلبه وصيفاً موشكراً فخرج إليه.
 فلما قرب منه رجع بكر ومضى إلى إصبهان ورجع وصيف إلى بغداد. فكتب
 المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وحربه فتقدم بدر إلى عيسى النوشري
 بمحاربته فخرج إليه وحاربه وقتل أصحاب بدر وهزم بكراً.
 ودخل عمر بن عبد العزيز [بغداد]^(٢) قادماً من إصبهان فأمر المعتضد
 باستقباله فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقواد وقعد له المعتضد فوصل إليه
 وخلع عليه وحمله على دابة بسرج ولجام محلى بالذهب وخلع على ابنين
 كانا له وعلى^(٣) أخيه أحمد بن عبد العزيز وعلى قوم من قواده وأنزل في
 دار كانت لعبيد الله بن عبد الله [عند] رأس الجسر وكانت قرشت له.

وفيهما ورد كتاب من عمرو بن الليث بأنه واقع رافع بن هرثمة فهزمه
 ووجه في أثره بقواده وكان صار إلى طوس من نيسابور فانهزم ولحق

١. كذا في الأصل والطبري (٢١٥٥: ١٣): النوشري.

٢. زيادة عن الطبري (٢١٥٩: ١٣).

٣. في الطبري (٢١٥٩: ١٣): وعلى ابن أخيه.

بخوارزم فقتل بخوارزم وإته يحمل رأسه.



يتلوه في المجلدة الخامسة :

«ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين، وفيها قدم رسول عمرو بن البسيث
برأس رافع بن هرثمة في المحرم»

والحمد لله وصلواته على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين وحسبنا الله
ونعم الوكيل، طه طسم.

فرغ من انتساخه محمد بن علي بن محمد...^(١) البلخي في السابع عشر من
رجب سنة خمس وخمسمائة.

فرغ من انتساخه محمد بن حسن بن منصور في... والعشرين من رجب
سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

نقله علي بن حنظلة.



فهرس العناوین

- ٥ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
 ٩ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة
 وفيها شعض هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها
 ١٤ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة
 ١٥ ذكر رأى سدهد رءاء ذو الرئاستين
 ١٥ ذكر منام عجيب رءاء الرشيد
 ١٩ ذكر بعض سيرة الرشيد ومستحسن أخباره

خلافة الأمين

- ٢٥ بدء الخلافة بين الأمين والمأمون
 ٢٦ ذكر السبب الذي أوجب اختلافهما
 ٢٦ ذكر آراء أشير بها على المأمون في تلك الحال
 ٢٨ ودخلت سنة أربع وتسعين ومائة
 ٣١ سبب ظهور الفساد بين الأمين والمأمون
 ٣١ ذكر آراء الناس فيما شاورهم فيه المأمون
 ٣٤ ذكر آراء أشير بها على محمد الأمين
 ٣٧

- ٤٠ ذكر الحزم والجند الذي أخذ قيه المأمون
حتى بلغ به ما أراد
- ٤١ كتاب كتبه ذو الرياستين عن المأمون إلى الأمين
- ٤٢ جواب الأمين
- ٤٣ كتاب المأمون إلى أعيان العسكر ببغداد
- ٤٦ ودخلت سنة خمس وتسعين ومائة
- مبادرات من الأمين والمأمون
- ٤٧ شخص علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون
- ٤٨ مقتل علي بن عيسى بيميني طاهر
- ٥٠ التسليم على المأمون بالخلافة
- ٥١ ذكر الحيلة التي احتال بها
- ذو الرياستين حتى اختار محمد
- لحربه علي بن عيسى دون غيره
- ٥٢ كتاب الأمين إلى المأمون
- ٥٣ كلام العباس عند المأمون
- ٥٤ كلام المأمون
- ٥٤ ذكر مشاورة المأمون أصحابه
- وما أشار به الفضل بن سهل
- ٥٦ كتاب من المأمون إلى الأمين
- ٥٧ كلام زبيدة لعلّ بن عيسى في المأمون
- ٦٠ استشارة طاهر
- ٦٣ توجيه عبد الرحمن إلى همدان لحرب طاهر
- ٦٥ ذكر النسب في مقتله

- ٦٦ ذكر غفلة من طاهر وإضاعة حزم
- ٦٧ ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة
- ٦٧ ذكر الخبر عن حبس أسد وسببه
- ٧٢ ذكر ما احتال به طاهر عليهما حتى اختلفا
- ٧٢ المأمون يتسقى أمير المؤمنين
- ٧٣ الأمين يولي عبد الملك الشام
- ٧٣ والسبب في ذلك
- ٧٣ ذكر الرأي الذي أشار به عبد الملك
- ٧٤ ذكر اتفاق سيوف
- ٧٥ خلع الأمين ومبايعة المأمون ببغداد
- ٧٦ ذكر السبب في ذلك
- ٧٧ إخراج محمد من قصر الخلد
- وما جرى على أم جعفر
- ٧٨ الحريرة يناهضون الحسين بن علي
- ويحررون محمداً من الأسر
- ٨٠ قتل محمد بن يزيد المهلب
- ٨٠ وكان السبب في ذلك
- ٨٢ خلع محمد في مكة والمدينة
- ٨٢ ذكر السبب في ذلك
- ٨٦ استثمان جماعة من أصحاب طاهر إلى محمد
- ٨٧ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة
- محاصرة طاهر وهرثمة وزهير
- بن المسيب محمداً ببغداد

- ٩١ الخبر عن هزيمة هرثمة
- ٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة
بين خزيمة وطاهر
- ٩٤ خزيمة ودعوته للمأمون
- ٩٥ ذكر اتفاقات عجيبة
- ٩٨ مقتل محمد بن هارون الأمين
ذكر ما أشهر به على محمد فلم
يقبله وما تآذى إليه الأمر
- ١٠٨ وثوب الجند بطاهر بعد مقتل الأمين
- ١٠٨ ذكر الخبر عن ذلك وسببه وما
استعمله طاهر من الحزم قبله

- ١١٣ خلافة المأمون
- ١١٣ ودخلت سنة تسع وتسعين ومائة
- ١١٤ خروج ابن طباطبا في الكوفة
دعوة إلى الرضا من آل محمد (ص)
والعمل بالكتاب والسنة
- ١١٤ ذكر السبب في خروجه
- ١١٧ ثم دخلت سنة مائتين
هروب أبي السرايا من الكوفة ومقتله
- ١١٨ خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر (ع) باليمن
- ١١٨ ذكر السبب في خروجه
- ١١٩ حلوس الأقطس

- ١٢٠ اجماع الحسين وأصحابه إلى محمد بن جعفر لمبايعته بالخلافة
- ١٢٢ ذكر خروج هزيمة ومراغمته للحسن والفضل وما آل إليه أمره
- ١٢٤ هياح الشعب ببغداد بين الحرابي والحسن بن سهل
- ١٢٤ ذكر السبب في ذلك
- ١٢٥ ودخلت سنة إحدى ومائتين
- مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة
- ١٢٥ ذكر السبب في ذلك
- ١٢٨ نكير المطوعة على الصفاق ببغداد
- ١٢٨ ذكر السبب الذي فعلت المطوعة له ذلك
- ١٢٩ قيام سهل بن سلامة
- ١٣١ المأمون يجعل علي بن موسى (ع) ولي عهد المسلمين
- ١٣١ ذكر الخبر عن ذلك وسببه
- وما آل إليه الأمر
- ١٣٢ أهل بغداد يبايعون إبراهيم بن المهدي بالخلافة
- ١٣٢ ذكر السبب في ذلك
- ١٣٣ معرك بابك الخرمي في الجاويذانية
- ١٣٣ ودخلت سنة اثنتين ومائتين
- ١٣٤ إنفاذ العباس بن موسى بن جعفر إلى الكوفة
- ١٣٦ ظفر إبراهيم بسهل المطوعي
- ١٣٦ وكان السبب في ذلك
- ١٣٧ شحوص المأمون من مرو إلى العراق

- والسبب في ذلك ١٣٧
- قتل الفضل بن سهل في الحقام بضرب السيوف ١٣٩
- زواجات ثلاثة ١٤١
- ودخلت سنة ثلاث ومائتين ١٤١
- وفي هذه السنة مات علي بن موسى الرضا [عليه السلام] وذلك بطوس
- ذكر الخبر عن ذلك
- غلبة السوداء على الحسن بن سهل ١٤٢
- ضرب إبراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد ١٤٢
- ذكر السبب في ذلك ١٤٢
- احتفال من عيسى ١٤٣
- ذكر الخبر عن هرب إبراهيم بن المهدي واستتاره ١٤٤
- ودخلت سنة أربع ومائتين ١٤٤
- قدوم المأمون العراق والرجوع إلى لبس السواد
- ذكر الحول من ذلك ١٤٤
- ودخلت سنة خمس ومائتين ١٤٥
- ولاية طاهر بن الحسين
- ذكر السبب في ذلك ١٤٥
- ذكر نادرة لكاتب ١٤٩
- صارت سبباً لصلاح حاله وحال الكتاب ببغداد
- ودخلت سنة ست ومائتين ١٥١
- وفيها ولي المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة إلى مصر
- ذكر السبب في ذلك

- ١٥٢ ودخلت سنة سبع ومائتين
وفاة ذى اليمينين
- ١٥٤ ودخلت سنة ثمان ومائتين
- ١٥٤ ودخلت سنة تسع ومائتين
- ١٥٦ ودخلت سنة عشرة ومائتين
- ١٥٧ بناء المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل
- ١٦٠ افتتاح مصر
- ١٦٠ ذكر الخبر عن ذلك
- ١٦١ خلق أهل قم السلطان وما كان من عاقبته
- ١٦١ ذكر سبب ذلك
- ١٦٢ ودخلت سنة إحدى عشرة ومائتين
- المأمون يدين رجلاً إلى عيد الله بن طاهر
- ١٦٤ المأمون واطهار القول بخلق القرآن
وبفضل علي بن أبي طالب (ع)
- ١٦٥ ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة خمس عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة ست عشرة ومائتين
- ١٦٦ ودخلت سنة سبع عشرة ومائتين
- ١٦٦ المأمون يختير الآراء في التشبيه وخلق القرآن
- ١٦٨ كتاب المأمون إلى عماله في البلدان
- ١٦٩ وفات المأمون
- ذكر سبب وفاته

[من سيرة المأمون]

١٧١

[خلافة أبي إسحاق المعتصم]

١٧٥

توجيه المعتصم عساكر لقتال الخرمية

١٧٦

ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين

١٧٦

ظهور محمد بن القاسم بالطالقان من خراسان

توجيه عجيف لحرب الرط

١٧٧

ودخلت سنة عشرين ومائتين

١٧٨

عقد المعتصم للأشمن حرب بابك

١٧٨

بابك وأفشين وما كان من أمرهما بأرشق

١٨٠

ذكر السبب في ذلك

١٨٠

خروج المعتصم إلى القاطول

١٨٤

وابتداؤه ببناء سر من رأى

ذكر السبب في ذلك

١٨٤

ذكر الخبر عن غضبه عليه وحبسه له

١٨٥

وسبب اتصاله به وثفاقه عليه

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

١٨٩

وقعة كانت بين بفا وبابك

ذكر الخبر عن ذلك

١٨٩

تبسّط بابك للأشمن

١٩١

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

١٩٤

فتح الهند مدينة بابك واستباحتها

١٩٤

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

١٩٤

- ١٩٦ ملاطفة بين بابك وأفشين في تلك الحال
- ٢٠١ أفشين والرويا التي رآها بعض المطوَّعة
- ٢٠٣ توجه أبي دلف نحو حائط البَدَّ
- ٢٠٦ بابك يريد الأمان
- ٢٠٨ أمان محتوم بالذهب من المعتصم لبابك
- ٢١٠ فناء زاد بابك
- ٢١١ بابك والخزائن وما فعل ابن سنباط
- ٢١٣ ابن سنباط يكتب الخبر إلى الأفشين
- وما كان بعد ذلك
- ٢١٥ بابك يُحمل إلى الأفشين
- ٢١٧ ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين
- قدوم الأفشين ببابك على المعتصم
- وما فعل المعتصم به
- ٢١٩ أخو بابك يحمل إلى بغداد
- ٢٢٠ تنويع المعتصم الأفشين بعد قتل بابك
- ٢٢٠ إيقاع ملك الروم بأهل زَبطرة
- ٢٢١ ذكر السبب في ذلك ~~منه~~ ..
- ٢٢٢ سقوط المعتصم غازياً إلى بلاد الروم
- ٢٢٤ أشناس والشيخ
- ٢٢٦ لحوق أشناس ثم المعتصم ..
- ثم الأفشين بأنقرة
- ٢٢٩ تدبير حربى فاشل
- ٢٣٠ ذكر اتفاق سَيِّء من كلام سبق

- ٢٣٤ حبس العباس بن المأمون
- ٢٣٥ ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٦ ذكر سوء تحفظ في القول عاد يهلكه
- ٢٤٣ ودخلت سنة أربع وعشرين ومائتين
- وفيها أظهر مازيار بن قارن الحلاف على المعتصم بطبرستان
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٥٤ كتاب بتسلم مازيار وإخوته وأهل بيته
- إلى المعتصم
- ٢٥٥ قتل قوهيار
- ذكر ترك حزم بالدالة عاد يهلك
- سبب فساد أمر مازيار
- ٢٥٦ نهاية الدرني
- ٢٥٨ خلاف منكجور الأشروشني بأذربيجان
- ٢٥٩ ذكر السبب في ذلك
- ٢٥٩ ودخلت سنة خمس وعشرين ومائتين
- ٢٦٠ حبس الأفشين
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٦١ ذكر حيل هم بها الأفشين
- ٢٦٤ ذكر مناظرات وُتِّخ بها الأفشين
- واحتجاجاته فيها
- ٢٦٤ بين محمد الزيات والأفشين
- ٢٦٥ بين العويذ والأفشين
- ٢٦٦ بين العرزيان والأفشين

- ٢٦٧ بين مازيار وأفشين
- ٢٦٩ بين ابن أبي دؤاد والأفشين
- ٢٧٠ ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين
- ٢٧٠ ذكر الخبر عن موته
- ٢٧١ بين هارون الواثق والأفشين
- ٢٧٣ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين
- خروج المبرقع اليماني بفلسطين
- ٢٧٣ ذكر السبب في ذلك
- ٢٧٤ وفاة المعتصم
- ٢٧٧ خلافة هارون الواثق
- ٢٧٧ ودخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين
- ٢٧٧ ودخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
- حبس الكتاب وإلزامهم أموالاً
- ٢٧٨ ذكر سبب ذلك
- ٢٧٨ ودخلت سنة ثلاثين ومائتين
- ٢٧٩ ودخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين
- تمرد قوم
- وأخذهم البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي
- ٢٧٩ ذكر السبب في ذلك
- ٢٨٣ القداء بين المسلحين وصاحب الروم
- ٢٨٤ ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين
- وفيهما كان مسير بقا الكبير إلى بني نصر

- ٢٨٤ ذكر السبب في ذلك
- ٢٨٥ ذكر اتفاق حسن
- ٢٨٦ موت الوراق
- ٢٨٧ خلافة جعفر المتوكل
- ٢٨٨ ودخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
- ٢٨٨ ذكر سوء طر محمد بن عبد الملك في العاقبة
- وتجهته للمتوكل حتى أهلكه
- ٢٩١ ودخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين
- هروب محمد بن البعيث
- ٢٩٤ ذكر سبب ذلك
- ٢٩٥ ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين
- وفيهما كان مقتل إيتاخ
- ذكر سبب قتله
- ٢٩٧ ما هامل بدأ المتوكلون أهل الأئمة
- في ملاسهم ومنازلهم
- ٢٩٨ عقد المتوكل البيعة لابنيه الثلاثة
- ٢٩٨ ودخلت سنة ست وثلاثين ومائتين
- ومن حوادثها هدم قبر الحسين عليه السلام
- ٢٩٩ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين
- وفيهما وثب أهل أرمينية بيوسف بن محمد بن يوسف فيها
- ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٠ غصب المتوكل على أبي دؤاد

٣٠٠	ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين
٣٠١	ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين
٣٠١	ودخلت سنة أربعين ومائتين
٣٠١	ودخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين
	إغارة البهجة وحرب المتوكل إياهم
٣٠٢	ذكر ما آلت إليه أمورهم
٣٠٤	ودخلت سنة اثنتين وأربعين
	وثلاثة وأربعين [ومائتين]
٣٠٥	ودخلت سنة أربع وأربعين ومائتين
٣٠٥	ودخلت سنة خمس وأربعين ومائتين
٣٠٥	ذكر سبب هلاكه
٣٠٧	ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين
٣٠٨	ودخلت سنة سبع وأربعين ومائتين
	وفيهما كان مقتل المتوكل على الله
	ذكر السبب في قتله
٣١٣	خلافة محمد بن جعفر المنتصر
٣١٣	ودخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين
	وفيهما أعزى المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم
	ذكر السبب في ذلك
٣١٤	حلح المعز والمؤيد أنفسهما
٣١٥	ذكر سبب حلحهما
٣١٧	ذكر وفاة المنتصر وسرعة الإزالة منه

- ٣٢١ خلافة أبي العباس المستعين
- ٣٢١ ذكر السبب في بيعته المستعين
والعدول عن ولد المتوكل
ودخلت سنة تسع وأربعين ومائتين
وفيها شغب الحند والشاكرية
ذكر السبب في شغبهم
- ٣٢٥ وفي هذه السنة قتل أوتامش وكاتبه شجاع
ذكر السبب في قتلها
ودخلت سنة خمسين ومائتين
ظهور يحيى بن عمر في الكوفة وقتله فيها
- ٣٢٦ ذكر السبب في خروجه
- ٣٣٠ خروج الحسن بن زيد
ذكر السبب في خروجه
- ٣٣٤ ودخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين
وفيها قتل وصيف وبها الصير باغر التركى واضطرب السوالى
ذكر السبب في قتله
- ٣٣٨ ذكر الفتنة التى وقعت بين الأتراك
وأهل بغداد وما انتهى إليه
- ٣٤٢ خليفتان في زمن واحد
- ٣٤٦ ظفر سلیمان بحسك الحسن بن زيد
- ٣٤٧ قدوم أبي الساج
- ٣٥٠ ذكر رأى أشير به عليه صواب
- ٣٥٤ مقتل بالفردك

٣٥٤	ذكر السبب في ذلك
٣٥٥	انهزام الترك في وقعة بغداد
٣٥٦	للأتراك يقدمها علم أحمر
٣٥٦	ذكر السبب في ذلك
٣٦٤	إجابة المستعين إلى العلق
٣٦٧	خلافة المعتز
٣٦٧	ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين
٣٧٠	خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد
٣٧٠	ذكر السبب في ذلك
٣٧١	ذكر سبب وفاة المؤيد
٣٧١	وفي سؤال منها قتل المستعين
	ذكر السبب في قتله
٣٧٢	وفي هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة
	ذكر السبب في ذلك
٣٧٣	ودخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين
٣٧٤	وفي هذه السنة قُتل وصيف الترك
	ذكر الخبر عن ذلك
٣٧٥	انهزام الكوكبي
٣٧٥	ذكر الخبر عن ذلك
٣٧٥	ودخلت سنة أربع وخمسين ومائتين
٣٧٦	ذكر مقتل يُنا الشرايين
٣٧٨	ودخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

- ٣٧٨ وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المعلّس
 ٣٧٩ ذكر السبب في ذلك
 ٣٨١ دخول يعقوب بن الليث فارس
 ٣٨١ ذكر الخبر عن ذلك
 ٣٨٤ ذكر السبب في ذلك
 ٣٨٥ حلع المعتز وموته
 ٣٨٦ ذكر سبب خلعه

[خلافة المهدي بالله ابن الوالي]

- ٣٨٩ ذكر سبب ظهور قبيلة
 ٣٩٠ ذكر السبب في قتلها
 ٣٩٢ انصراف مُفلح من طبرستان
 ٣٩٣ ذكر السبب في ذلك
 ٣٩٤ ذكر خبر العلوي صاحب الزنج
 ٣٩٧ ومبدأ أمره وسبب خروجه
 ٤٠٤ وقعته مع بعض الأتراك
 ٤٠٥ أشد يوم لقيه صاحب الزنج
 ٤٠٧ ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين
 موافاة موسى بن بعا شر من رأى
 ٤٠٨ ذكر السبب في ظهور صالح
 وقتل الموالى وموسى إياه
 ٤٠٩ كلام المهدي للمجمعين على خلعه -
 ٤١٦ وفي رجب من هذه السنة خلع المهدي وقتل

- ٤١٦ ذكر سبب حمله وقتاله الأبراك
وظفرهم به وقتلهم إياه
- ٤٢٣ خلافة المعتمد على الله
- ٤٢٣ موافاة جعلان البصره لحرب صاحب الزنج
- ٤٢٤ ذكر دخول الزنج الأهواز
- ٤٢٥ ودخلت سنة سبع وخمسين ومائتين
وقبها صار يعقوب بن الليث إلى فارس
- ٤٢٧ ذكر الخبر عن دخول الزنج البصرة
- ٤٢٨ ادعاء له
- ٤٢٩ ادعاء آخر له
- ٤٣٠ ذكر مقتل مُفلح
- ٤٣٢ أسر يحيى بن محمد وقتله
وادعاء صاحب الزنج في نبوته
- ٤٣٣ وفي هذه السنة انهار أبو أحمد الموفق
من قرب الزنج إلى واسط
ذكر السبب في ذلك
- ٤٣٤ ودخلت سنة تسع وخمسين ومائتين
إنصراف أبي أحمد واستخلاف أحمد المولد
لحرب صاحب الزنج
- ٤٣٦ ذكر دخول يعقوب نيسابور
- ٤٣٧ ودخلت سنة ستين ومائتين
- ٤٣٧ محاربة يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان

- ٤٣٧ ذكر السبب في ذلك
- ٤٣٩ ذكر السبب في مسيره
- ٤٣٩ ودخلت سنة إحدى وستين ومائتين
- ٤٣٩ ذكر السبب في ذلك
- ٤٤١ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين
- وفيها وافى يعقوب بن الليث راعهمز
- ٤٤٣ وفيها وجه صاحب الزنج جيوشه إلى الطليحة
- ودست ميسان
- ذكر الخبر عن طمعه في ذلك
- ٤٤٦ وفيها كانت وقعة بين أحمد بن ليثوية
- صاحب سرور ومن علي بن أمان
- ٤٤٦ ودخلت سنة ثلاث وستين ومائتين
- ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل
- ٤٤٧ ودخلت سنة أربع وستين ومائتين
- ٤٤٨ محاربة محمد المولّد وسليمان بن الجامع
- ٤٤٨ ذكر السبب في ذلك
- ٤٥٠ وفيها خرج سليمان بن وهب والحسن بن وهب
- إلى سر من رأى
- ٤٥٠ ودخلت سنة خمس وستين ومائتين
- ٤٥٢ ودخلت سنة ست وستين ومائتين
- ٤٥٣ ذكر السبب في ذلك
- ٤٥٤ ذكر عجلة وحرص كانا سبب ترك الحزم
- ٤٥٥ ودخلت سنة سبع وستين ومائتين وفيها غلب أبو العباس

- ٤٥٥ ابن الموفق على عامة ما كان سليمان صاحب الزنج
علب عليه من قرى دجلة
ذكر الخبر عن ذلك
- ٤٥٧ ذكر حيلة للعبثاني ما تمت له
- ٤٥٩ خروج الموفق لعرب صاحب الزنج
- ٤٦١ دفن لجبثاني وادعاء آخر لصاحب الزنج
- ٤٦٢ ذهاب الموفق إلى الأهواز للايقاع بالمهلبى
- ٤٦٤ كتاب أبى أحمد إلى صاحب الزنج
للأمان والتوبة مما ركب وادعى
- ٤٦٦ حصانة مواضع صاحب الزنج ومطالبة أبى أحمد
- ٤٦٧ ثم رحف الموفق بنفسه إلى المدينة المختارة
ذكر السبب في خروجه
- ٤٦٨ ودخلت سنة ثمان وستين ومائتين
ستثمان جعفر السجّار وهروب ريحان إلى أبى أحمد
ذكر حيلته هذه
- ٤٦٩ ذكر طمعه هذا
- ٤٧٠ ودخلت سنة تسع وستين ومائتين
- ٤٧٢ ذكر الخبر عن ذلك وسببه
- ٤٧٣ تماقم الجوع وأكل بعضهم بعضاً
- ٤٧٤ هزيمة الزنج وهروب صاحبهم
- ٤٧٦ المعتمد يريد النحاح بمصر
- ٤٧٨ تسمية كنداجيق بنى السيفين
- ٤٧٨ ودخلت سنة سبعين ومائتين

- ٤٧٨ مقتل صاحب الزنج
واسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني
- ٤٧٩ استثمان دَرَمُوهُ
- ٤٨١ ودخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين
وقعة الطواحين
- ٤٨١ ودخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين
- ٤٨٢ ودخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين
قدوم لؤلؤ من مصر
- ٤٨٢ ودخلت سنة أربع وسبعين ومائتين
- ٤٨٢ ودخلت سنة خمس وسبعين ومائتين
حبس الموفق ابنه
- ٤٨٣ ودخلت سنة ست وسبعين ومائتين
شغوص أبي أحمد
- ٤٨٣ انفراج قل عن سبعة أفراس
- ٤٨٤ ودخلت سنة سبع وسبعين ومائتين
- ٤٨٤ ودخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين
وفيها انعذر وصيف خادم أبي الساج
إلى واسط بأمر أبي الصقر
ذكر السبب في ذلك
- ٤٨٤ انصراف أبي أحمد من الجبل إلى العراق
- ٤٨٦ وفاة أبي أحمد الموفق
- ٤٨٧ [ابتداء امر القرامطة]
- ٤٩٠ مذهبه كما جاء في كتاب لهم

- ٤٩٠ مناظرة بين قرمط وصاحب الزنج
- ٤٩١ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين
وفاة المعتضد
- ٤٩٣ إخلافة المعتضد
- ٤٩٣ قدوم رسول عمرو بن الليث بهدايا
- ٤٩٣ ورود رسول خمارويه من مصر
في تزويج بنت خمارويه من المعتضد
- ٤٩٤ ودخلت سنة ثمانين ومائتين
قبض المعتضد على صبيد الله بن المهدي وشيخته
- ٤٩٥ شغوص المعتضد إلى بني شيبان
- ٤٩٦ ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين
شغوص المعتضد إلى الجبل وخروجه الثاني إلى الموصل
- ٤٩٧ قصد المعتضد قلعة ماردين ثم الحسينية
- ٤٩٨ ودخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين
المعتضد وتغير موقع النمرود
- ٤٩٩ نقل بنت خمارويه إلى المعتضد
- ٥٠٠ هروب يوسف بن أبي الساج إلى أخيه بالمراغة
- ٥٠٠ معاملة المعتضد، محمد بن زيد العلوي
- ٥٠١ ذبح خمارويه في مصر
- ٥٠٢ ودخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين
وفيها شخص المعتضد بسبب هارون الشاري
إلى ناحية الموصل فظفر به.

- ۵۰۲ ذکر هذا الظفر ..
- ۵۰۳ غزو الصقالبة الروم
- ۵۰۴ وثوب الجین فی مصر



مرکز تحقیقات کتب ویراث اسلامی

MISKAWAYH
(932-1030)

TAJĀRIB AL- UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.4

Soroush Press
Tehran 1997



تجارب الأمم: ۱۶۰۰۰ ریال
کتابخانه: ۱۹۵۰۰ ریال

شابک: ۹۶۴-۳۳۵-۳۲۷-۷
شابک: ۹۶۴-۳۳۵-۳۳۱-۵ (دوره ۷ جلدی)
ISBN 964-435-327-7
ISBN 964-435-331-5 (7Vol SET)

